المستقبل العربي

٥١

١٩٨٣/٥

● الحوار العربي - الاوروبي / عبد المنعم سعيد

● التنشئة السياسية للطفل العربي /نادية حسن سالم

المثقف العربي ومهامه الراهنة

(ندوة)

قسطنطين زريق - سليم الحص - نادر فرجاني

غسان سلامة - خير الدين حسيب

● الهجرة من المغرب العربي الى فرنسا / رئيس حسين

● تجربة العراق في العمالة الوافدة / محسن خليل

يصدرها "مركز دراسات الوحدة العربية"

المستقبل العربي

مجلة فكرية شهرية تعنى بقضايا الوحدة العربية ومشكلات المجتمع العربي

يصدرها

مركز دراسات الوحدة العربية

(تاسس بموجب علم وخبر رقم ٨٧ / ١ د لعام ١٩٧٥)

- مركز متخصص في العمل الفكري المتجه رئيسياً نحو مسائل الوحدة العربية .
- يهدف إلى إيصال نداء الوحدة للجماهير العربية والأوساط الفكرية على تعدد اتجاهاتها .
- يعنى بدراسة الواقع العربي كخلفية للحالة الوحدوية المنشودة .
- المساهمة في نشاط المركز لا تشترط شروطاً مسبقة من حيث هوية المثقف إلا أن يكون مؤمناً بالوحدة العربية .
- لا يتخذ أية مواقف سياسية مباشرة ولا يساهم في النشاط السياسي .
- لا يرتبط بأي حكومة ولا يتبنى اي نظام ولا يدخل في محاور او تحالفات .

المراسلات :

باسم **المستقبل العربي**
بناية « سادات تاور » ـ شارع ليون ـ ص . ب. ٦٠٠١ ـ ١١٣ ـ بيروت ـ لبنان .
تلفون : ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧ ـ ٨٠٢٢٣٤ ـ برقياً : مرعربي ـ تلكس: ٢٣١١٤ مارابي .

الاشتراك السنوي :

ـ المؤسسات والهيئات في أقطار الوطن العربي ٩٠ دولاراً أمريكيا .
ـ الأفراد : لبنان ١٢٠ ل.ل.
بقية أقطار الوطن العربي ٥٠ دولارا أمريكيا .
خارج الوطن العربي ٧٠ دولارا أمريكيا .

تدفع اشتراكات الأفراد مقدماً :
(١) امّا بشيك لأمر المركز مباشرة مسحوب على احد المصارف الاجنبية .
(٢) أو بتحويل الى :
حساب مركز دراسات الوحدة العربية رقم ١١٠٩ بالدولار. بنك بيروت للتجارة - فرع الحمرا ـ شارع ليون ص. ب . ١١٠٢١٦ بيروت ـ لبنان

المستقبل العربي

وعي الوحدة العربية
وحدة الوعي العربي

السنة السادسة | العدد الواحد والخمسون | ايار (مايو) ١٩٨٣

المحتويـــات

□ الحوار العربي ـ الاوروبي :
علاقة قوة ام اعتماد متبادل ؟ ..... د. عبد المنعم سعيد ٤

□ حول التاريخ والهوية في الوطن العربي (القسم الثالث) ..... عوني فرسخ ٢٤

□ التنشئة السياسية للطفل العربـــي :
دراسة لتحليل مضمون الكتب المدرسية ..... د. نادية حسن سالم ٥٤

□ جغرافية الاردن السياسية : اثر المتغير
الصهيـوني فـي حـركيـة حـدوده ..... د. محمد مصالحة ٦٩

□ الهجرة من المغرب العـربي الى فرنسـا :
ماضيها وحاضرها ..... د. رئيس حسين ٨٠

□ حول تجربة العراق في العمالة الوافدة ..... محسن خليل ابراهيم ٩٣

□ الوضع اللغوي والتعريب في موريتانيا ..... د. عشاري احمد محمود ١٠٥

ندوة المستقبل العربي

□ المثقف العربي ومهامه الراهنة ..... د. سليم الحص ١١٠
د. غسان سلامة
د. قسطنطين زريق
د. نادر فرجاني
ادار الندوة : د. خير الدين حسيب

كتـــب

□ « مشكلة التضخم في الاقتصاد العربي »
(محمود عبد الفضيل) ..... د. عبد المنعم السيد علي ١٣٣
□ تعقيب على مراجعة د. عبد المنعم السيد علي لكتاب
مشكلة التضخم في الاقتصاد العربي ..... د. محمود عبد الفضيل ١٤٢
□ في السينما العربية (سمير فريد) ..... ابراهيم الدسوقي ١٥٠

مؤتمـرات

□ ندوة « تعليم ابناء العمال العرب المهاجرين في اوروبا » ..... منظمة العمل العربية ١٥٣
□ الندوة العلمية لرعايـة المسنين بـالدول العربية الخليجية ١٥٩

* موجز يوميات الوحدة العربية ١٦٦

* ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٧٦

* الملف الاحصائي
(٤٥) احصاءات المالية العامة في الوطن العربي ١٩٠

آراء الكتاب لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات
يتبناها « مركز دراسات الوحدة العربية » أو « المستقبل العربي »

المدير المسؤول : كمال فضل الله

الحـوار العربي ـ الاوروبي :
عـلاقـة قـوة ام اعتمـاد متبادل ؟

د . عبد المنعم سعيد

خبير بمركـز الـدراسـات السيـاسية
والاستراتيجية ـ مؤسسة الاهرام ـ القاهرة .

مقدمـــة

يتفق كثـير من الشرّاح عـلى ان حرب السـويس في عام ١٩٥٦ لعبت دوراً رئيسياً في انهاء النفوذ الاوروبي خارج القارة الاوروبية وفي الوطن العربي خاصة ، بينمـا لعبت القوتـان الاعظم ـ الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ـ دوراً متعاظماً في تحريك الاحـداث داخل الاقليم العـربي ؛ خاصة فيما يتعلق بالعـلاقات بـين البلدان العـربية من جـانب ، وبينها وبـين اسرائيـل من جانب آخر . بالمثـل فإن حـرب تشرين الاول / اكتـوبر عـام ١٩٧٣ كانت نقطـة بدايـة جديـدة سمحت لاوروبا الغربية ان تقيم نوعاً مستحدثاً من التفاعـلات خلال مـا هو معـروف الآن باسم « الحـوار العـربي ـ الاوروبي » الذي أخـذ شكل سلسلـة من الاتصالات بـين الدول الاعضـاء في الجماعـة الاوروبية، وبين البلدان العربية الاعضاء في جامعة الدول العربية في عدد من العواصم العربية والاوروبية . هذه الاتصـالات عبرت عن الارادة الجمـاعية لـلاقليمين في تنميـة التعاون بينهمـا في مجالات متعددة[١] .

إن تحليل ظاهرة الحوار ـ انطلاقاً من نظرية العلاقات الـدولية ـ خضـع لمفاهيم مـدرستين من مدارس التحليل : المدرسة الاولى تبنّت مفـاهيم مدرسـة القوة السيـاسية ، إذ نجـد ان مجلة **الايكونومست** اللنـدنية تؤكـد على ان الهـدف العربي من الحـوار يقوم عـلى استخدام الجمـاعة الاوروبية كأداة للضغط عـلى اسرائيـل لكي تنسحب من الأراضي العربيـة المحتلة . امـا المصلحة الاوروبيـة من الحوار ـ كمـا ذكرتهـا المجلة ـ فـإنـه يمكن فهمهـا وفق مصطلحـات « العـلاقـات العـامة » حيث تسعى اوروبـا لكي تحصل عـلى الصداقـة العربيـة كدرع واقٍ في حـالة المقـاطعة

(١) صدر العديد من المؤلفات التي تعرضت لتطورات الحوار من الناحية التاريخية نذكر منها : احمـد صدقي الدجاني ، **الحوار العربي الاوروبي : وجهة نظر عربية** (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٦) ، وعبد المنعم سعيد ، **الحوار العربي ـ الاوروبي : دراسات للنهج الاوروبي إزاء الحوار** (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧٧) .

النفطية[٢] . وبينما تضع وجهة النظر هذه المصالح السياسية للطرفين عند حدها الادنى ، فإن وجهة نظر اخرى حاولت ان تعظم من هذه المصالح بحيث جعلت الحوار تعبيراً عن التحالف بين قوتين عالميتين : العرب الذين « عادوا للظهور » واوروبا التي عليها ان « تأخذ دورها الصحيح في السياسة العالمية » . وهكذا فإن الحوار يعبر عن « الاستيقاظ التاريخي لحقائق القوة الجديدة »[٣] . إتجاه ثالث رأى في الحوار امتداداً لعلاقات ووشائج بين المنطقة العربية وبين بلدان اوروبا الغربية ، « قامت في جوهرها على اساس القوة ، تارة بالعنف بصورة فظة سافرة ، وتارة بصورة مستترة عبر المبادلات غير المتكافئة ، مادية كانت ام روحية »[٤] .

المدرسة الثانية تبنت مفاهيم نظرية الاعتماد المتبادل ، ومن ثم فإن الحوار ليس نتيجة لعلاقات القوى و« السياسات العليا » للأمن والبقاء والهيمنة وتحقيق المصالح القومية بالتحالف او بالصراع كما تركّز المدرسة الاولى ، ولكن هو نتيجة تعاظم تفاعلات الاعتماد المتبادل في المجالين : الاقتصادي والاجتماعي . هذه التفاعلات وجدت تعبيراً لها في الحوار ، ومن ثم فإن العقبات التي تعترضه والتوقف المتكرر لمجراه ما هما إلاّ مسائل وقتية لن تلبث التفاعلات التحتية ان تتجاوزهما وتتخطاهما . فعندما واجه الحوار انقطاعاً بعد مبادرة السادات للتسوية مع اسرائيل عام ١٩٧٧ ، ذكر احد المعلقين على الحوار « انه من المؤكد ان اوروبا الغربية والعالم العربي يحتاجان بعضهما بعضاً في مجالات كثيرة . إنهما بمعنى حقيقي يعيشان اعتماداً متبادلاً : اياً كان ما ينتج عن الحوار العربي ـ الاوروبي كمحاولة استكشافية ، فإنه من المستبعد اننا راينا نهاية البحث عن نظام شامل للتعاون العربي ـ الاوروبي »[٥] .

إن غرض هذه الدراسة هو ان نؤصّل لظاهرة الحوار العربي الاوروبي وفق المصطلحات والمفاهيم التي ارتبطت بكلتا المدرستين في التنظير للعلاقات بين الدول ، لكي نتجاوز الدراسات الوصفية والاحكام المتسرعة على طبيعة الحوار ، ولكي نجد الشروط التي يُتصور ان الحوار عندها سوف يزدهر ، وتلك الشروط التي من المنتظر ان يتراجع ويُشجب عندها . ولكن قبل ان نقوم بهذا الفحص فإنه من الضروري ان نحدد المقومات الاساسية لكلتا المدرستين في تفسير العلاقات الدولية .

منهج سياسة القوة او النموذج الواقعي

خلال عقدي الاربعينات والخمسينات من هذا القرن ، والى درجات متفاوتة فيما بعد ذلك ، فإن علماء السياسة قد مالوا الى وصف السياسة الدولية على انها تمثل ظاهرة من الظواهر التي

---

(٢) *Economist*, 21/6/ 1975, p. 25.

(٣) Ibrahim A. Obaid, «Political Preconditions for Cooperation with Western Europe,» in: Edmond Volker, ed., *Euro-Arab Cooperation* (Leyden: Sijthoff, 1976), pp. 171-176.

(٤) عصام الزعيم ، « رؤية ماركسية للحوار العربي ـ الاوروبي » ، **السياسة الدولية** ، السنة ١١ ، العدد ٤٢ (تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٥) ، ص ٩٢ .

(٥) Alan R. Taylor, «The Euro-Arab Dialogue: Quest for an Interregional Partnership,» *Middle East Journal*, vol. 32, no. 4 (Autumn 1978), p. 443.

انظر ايضاً في هذا الاتجاه :

David Allen, «The Euro-Arab Dialogue,» *Journal of Common Market Studies*, vol. 16 (June 1978), p. 342.

توجد فيها وحدات مستقلة تسمى بالدول القومية في حالة صراع اساسي . الملك المتوج لهذا الاتجاه الذي سُمِّي بالواقعي **هانز مورغنتاو** ؛ اكد بطريقة واضحة انه « لما كان هذا العالم بطبيعته يقوم على مصالح متعارضة والصراع فيما بينها ، فإن المبادىء الاخلاقية لا يمكن التوصل اليها بشكل كامل ولكن كل ما يمكن تحقيقه هو الاقتراب منها من خلال عملية مستمرة وغير مضمونة لتسوية هذا الصراع »[٦] .

بعض هؤلاء « الواقعيين » **كمورغنتاو ونيبر** أعادوا طبيعة الصراع الدولي الى الطبيعة الانسانية،فكما ادعى مورغنتاو نفسه،فإن انانية الانسان لها حدود،ولكن بحثه عن القوة Power ليس له حدود »[٧] . البعض الآخر من هذه المدرسة ركزوا بشكل أكبر على طبيعة النظام الدولي كنظام متميز بما يسميه **والتز** بالفوضى الدولية[٨] . فوجود دول متخاصمة وقوية في غياب حكومة عالمية وقانون دولي ينظم حلّ الصراعات فيما بينها ، يخلق مأزقاً امنياً للنخب الحاكمة في هذه الدول ، بحيث يؤدي الى ان يتنافس الجميع لكي يحصلوا على المزيد من عناصر القوة ولكي يزيد إحساسهم بالامن ، الا أن ذلك غالباً ما يؤدي الى نتيجة عكسية لأن الحصول على الامن المطلق امر صعب في ظل محاولة الجميع الاستزادة من هذه العناصر .

أياً كانت الاسباب وراء طبيعة العلاقات بين الدول ، فإن « الواقعيين » يتّفقون على ان هذه العلاقات تنطوي على « صراع لا ينتهي على القوة ومن اجل المصالح »[٩] . هذه المقولة تقود الى ثلاث مقولات اخرى حول الحياة السياسية . فجوهرها اولاً هو الصراع او النضال الذي قد يأخذ اشكالاً متنوعة ، وهو ثانياً صراع ليس له نهاية ، ثم ثالثاً فإن موضوع هذا الصراع هو الحصول على مزيد من القوة . من هنا فإن السعي وراء القوة هو الهدف الحقيقي للدول والذي تنضوي تحته باقي الاهداف الاخرى . القوة هنا تعرف بأنها القدرة على التحكم في عقول الآخرين وافعالهم[١٠] . هذا التعريف يمكن تطبيقه على العلاقات المختلفة داخل الدول وفيما بينها ، فنزعة الانسان والامم للبحث عن القوة تجد اصولها في الطبيعة الانانية الكامنة في الانسان والتي تنبع من غريزة حب البقاء .

بعد ان قرر الواقعيون ان غريزة البقاء هذه هي الدافع الرئيسي للأمم في تحركاتها السياسية الخارجية فإن الواقعيين قاموا بالتفتيش بين ثنايا التاريخ عن النظام الدولي الذي عليه ان يحفظ هذه المصلحة ، وتوصلوا الى انه لما كانت السياسة الدولية تتميز بالتكرارات والاستعادات التاريخية[١١] ، فإنه من الممكن التوصل الى معرفة القوانين التي تحدد هذا النظام . ومن ثم فقد توصل مورغنتاو وآخرون الى ان النظام القائم على توازن القوى هو اكثر

---

(٦) Hans J. Morgenthau, «Another Great Debate: The National Interest of United States,» *The American Political Science Review*, vol. 46, no. 4 (December 1957), p. 962.

(٧) Hans J. Morgenthau, *Scientific Man Versus Power Politics* (Chicago, Ill.: University of Chicago Press, 1946), p. 193.

(٨) Kenneth N. Waltz, *Man, the State and War* (New York: Columbia University Press, 1959), chap. vii.

(٩) Hans J. Morgenthau and Kenneth W. Thompson, eds., *Principles and Problems of International Politics* (New York: Knopf, 1952), p. 34.

(١٠) Hans J. Morgenthau, *Politics among Nations* (New York: Knopf, 1967), p. 34.

(١١) Hans J.Morgenthau, *Truth and Power: Essays of a Decade, 1960-1970* (New York: Praeger, 1970), p. 251.

النظم قدرة على الحفاظ على هذه المصلحة . هذا التوازن هو « العامل الدائم في السياسة الدولية » كما انه قانونها الاساس . ويمضي مورغنتاو للقول الى « ان هذا القانون كان تاريخياً ـ على اتساع العالم بأسره ـ الوسيلة التي تستخدمها الأمم التي ارادت ان تحافظ على استقلالها »[١٢] .

توازن القوى هذا يتحدد عن طريق توزيع المراكز النسبية لعناصر القوة بين الامم . ولقد تعرف مورغنتاو على نوعين من هذه العناصر التي تحدد هذه المراكز : اولهما عوامل محسوسة وملموسة وهي تلك التي تتعلق بالجغرافيا والموارد الطبيعية والاستعداد العسكري والسكان . وثانيهما العوامل غير المحسوسة وهي تلك التي تتعلق بالشخصية القومية والروح المعنوية ونوعية الحكومة وكفاءة الدبلوماسية[١٣] . عناصر القوة هذه تؤثر على الطريقة التي تسعى بها الدول لتحقيق اهدافها القومية كالحفاظ على الامر الواقع او التوسع الامبريالي او الحصول على مكانة دولية . فسياسة الحفاظ على الامر الواقع تعني العمل على توزيع القوى القائم ، اما الامبريالية فهي سياسة تسعى للتأثير على هذا التوزيع والتوازن القائم وتغييره لمصلحة امة بعينها . واخيراً فإن الحصول على مكانة دولية هي سياسة تسعى الى ترك انطباع لدى الامم الاخرى بالقوة الفعلية التي لدى دولة من الدول، او القوة التي تتصور انها لديها وتريد الامم الاخرى ان تحمل هذا التصور نفسه .

« الواقعي » يرفض وجهة النظر القائمة في العلاقات ان الامم اصبحت « عالماً واحداً » ، على العكس فإنه يرى العالم الآن اقل تكاملاً مما كان عليه في عصور سابقة[١٤] . الواقعيون لا يعتقدون ايضاً ان الانسانية يمكن أن تعتمد على التفاهم الودي بين الدول ، او الاعتماد الاقتصادي المتبادل ، او وسائل الاتصال الحديثة ، او برامج التبادل الثقافي ، او على شاكلتها ، لخلق عالم اقل عنفاً[١٥] . السلام بين الشعوب يمكن تحقيقه فقط اذا ما كان هناك توازن في مراكز القوى بين الامم . الحروب تحدث عندما يحدث اختلال في هذا التوازن نتيجة زيادة مركز قوة إحدى الدول وهو الامر الذي يؤدّي الى عدم توازن شامل في علاقات القوى .

بهذا الفهم للسياسة الدولية على أنها صراع من اجل القوة يسيطر عليها استخدام العنف المنظم ، فإن **كوهين وناي يلصقان** ثلاثة مقومات بالاتجاه الواقعي : (١) ان الدول تشكل وحدات متماسكة وهي الفاعل الاساس في العلاقات الدولية ؛ (٢) ان القوة العسكرية يمكن استخدامها بطريقة مؤثرة لتنقية سياسة بعينها ؛ (٣) ان هناك اولويات محددة للموضوعات التي تتناولها الدول في السياسة العالمية ، وفي مقدمتها الموضوعات التي تتعلق بالامن العسكري للدول[١٦] . ويؤكد كوهين وناي أن « هذه المقومات « الواقعية » تحدد نموذجاً مجرداً للسياسة العالمية . إنهم (الواقعيون) يسمحون لنا أن نتخيل عالماً تتميز فيه السياسة بكونها تعبيراً عن الصراع الفعلي او المحتمل بين الدول في الوقت الذي تكون فيه القوة العسكرية ممكنة الاستخدام في اي وقت . كل دولة تحاول

---

(١٢) Morgenthau, *Politics among Nations*, p. 9.

(١٣) Ibid., pp. 106-114.

(١٤) Morgenthau, *Scientific Man Versus Power Politics*, p. 86.

(١٥) Morgenthau, *Politics among Nations*, pp. 502-504.

(١٦) Robert O. Keohane and Joseph S. Nye, *Power and Interdependence: World Politics in Transition* (Boston, Mass.: Little, Brown, 1977), pp. 24 and 25.

ان تدافع عن اراضيها ومصالحها من تهديدات حقيقية او متخيلة . التكامل السياسي بين الدول قليل ويستمر فقط الى الدرجة التي يخدم فيها المصالح القومية للدول الاكثر قوة . الفاعلون عابرو القوميات Transnational Actors إمّا انهم غير موجودين على الاطلاق وإمّا انهم ذوو اهمية قليلة من الناحية السياسية : الاستخدام الكفء او التهديد باستخدام القوة العسكرية يسمح فقط للدول بالحفاظ على بقائها . وعندما ينجح رجال الدولة في المواءمة بين مصالحهم القومية كما يحدث في نظام فعّال لتوازن القوى ، فإنهم يستطيعون الحصول على نظام مستقر »[١٧] .

نموذج سياسة الاعتماد المتبادل المعقد

على نقيض النموذج الواقعي ، فإن نموذج الاعتماد المتبادل يقف ليؤكد على الابعاد التعاونية في الطبيعة الانسانية وفي العلاقات بين الدول . فمن منطلق ليبرالي فإن هذا النموذج يعتد بقوى التعليم والتفاعلات الثقافية والتنمية الاقتصادية والتجارة الدولية والتقدم التكنولوجي لكي يعزز من امكانيات السلام الدولي والكرامة والحريات الانسانية . هذا النموذج يرى العالم على انه يمثل « مجتمعاً » من الدول التي تتفاعل فيما بينها على مستوى عالٍ له ديناميكياته الذاتية في مجالات التبادل الدبلوماسي والاقتصادي والاجتماعي . خلال هذه التفاعلات فإن الدول ترتبط فيما بينها بعملية مستمرة للمواءمة الحساسة لتصرفات كل واحدة منها ، مقيَّدة في ذلك عادة ـ ولكن ليس هذا ضرورياً دائماً ـ بالسلوك الاجتماعي والسياسي والتوجهات الثقافية لسكانها . وقد طرح **دافيد ميتراني** منذ اربعة عقود ، حجة مؤداها ان وسائل التكنولوجيا والاتصال الحديثة والنمو الاقتصادي والمشاكل الاجتماعية والبيئية على المستويات الاقليمية والعالمية سوف تمثل ضغوطاً لا تقاوم من اجل التعاون الدولي[١٨] . تأثراً بنظرية ميتراني « الوظيفية » وبحركة التوحيد الاوروبي ، فإن مجموعة كبرى من الادب السياسي ظهرت لكي تفسّر عمليات التكامل الاقليمي في اوروبا ومناطق اخرى من العالم : **كارل دويتش** استخدم المنهج السبرانطيقي(Cybernetic Approach) لكي يفسر تأثير الاتصالات بين المجتمعات وما ينتج عنها من تغييرات في التوجهات العامة لهذه المجتمعات[١٩] .

نظرية « الوظيفية الجديدة » التي روَّج لها **إيرنست هاس** والتي ركَّزت على معامل الانتشار Spilling over لمصالح النخبة السياسية والمؤسسات الحكومية انطلاقاً من احد ابعاد التعاون الاقتصادي الى ابعاد اخرى[٢٠] . كلتا هاتين النظريتين لم تعتبرا « الدولة القومية » الوحدة الرئيسية للتحليل ولم تعطيا اهتماماً كبيراً لفكرة « المصالح القومية » التي يركز عليها الواقعيون . لقد وجه دارسو التكامل جهودهم في اتجاه الابعاد غير الصراعية التي تعزز من مجالات التقدم السلمي في العلاقات الدولية ، وكما ذكر هاس أن « السبب الرئيسي لدراسة التكامل

---

(١٧) Ibid., p. 24.

(١٨) David Mitrany, *A Working Peace System* (Chicago, Ill.: Quadrangle Books, 1966).

(١٩) Karl W. Deutsch, *Nationalism and Social Communications* (Cambridge, Mass.: MIT Press, 1953), and Karl W. Deutsch, et al., *Political Community and the North Atlantic Area* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1958).

(٢٠) Ernst B. Haas, *The Uniting of Europe* (Stanford, Calif.: Stanford University Press, 1958).

الاقليمي هو سبب قيمي Normative ، فالتفاعل بين الوحدات تقدم معملاً معاشاً لملاحظة الخلق السلمي لأنواع جديدة ممكنة من المجتمعات الانسانية على مستوى عالٍ جداً من التنظيم »[٢١] .

إن الركود الذي حدث في حركة التوحيد الاوروبي في اواخر الستينات ، والزيادة في حجم المشكلات ذات الصبغة العالمية ، كأزمة الطاقة والنظام النقدي العالمي ، وسّعت من آفاق دراسة الاعتماد المتبادل الاقليمي لكي تشمل انواعاً من الاعتماد المتبادل بين اقاليم مختلفة من العالم ، وخاصة ان عقد السبعينات شهد انواعاً متعددة من « الحوارات » بين الشمال والجنوب ، او بين دول المجموعة الاوروبية والكوميكون ، وفي عام ١٩٧٤ الحوار العربي ـ الاوروبي .

الكتّاب الذين تأثروا بالنظرية الماركسية عن الامبريالية الاقتصادية ركّزوا على علاقات الاعتماد المتبادل غير المتكافئة ، خاصة بين بلاد « المركز » الرأسمالي الصناعي ، وبلاد « الهامش » المتخلفة والاقل نمواً . فكل من **فرانك**[٢٢] **وغالتونغ**[٢٣] **وروس سانتوس**[٢٤] **وامين**[٢٥] أعلوا من شأن فكرة « التبعية » بين البلدان النامية من جانب والدول الرأسمالية في اوروبا الغربية وامريكا الشمالية واليابان ، حيث طرحوا ان التبعية الاولى للثانية هو نتاج انماط غير متعادلة او غير متساوية للتنمية بين المجموعتين من المجتمعات . وعكس ادب « التبعية » غياب إمكانية التنمية المستقلة للدول الأقل نمواً نتيجة « التشوهات الهيكلية » الناجمة عن الشروط غير المتكافئة للتجارة بينهم وبين الدول المتقدمة ؛ والتأثير السلبي للشركات متعددة الجنسيات .

ومن ثم فإن دارسي التبعية حاولوا ان يطرحوا مقولتهم على انها نقيض لفكرة الاعتماد المتبادل ، لأن هذا المفهوم الاخير يقوم على مقولة التحكم المتبادل لكي يصف علاقات متكافئة[٢٦] . الا انه فيما عدا مدرسة التبعية فإن مفهوم الاعتماد المتبادل لا يعني بأي طريقة المساواة ، فعلاقات الاعتماد المتبادل هي علاقات بطبيعتها غير متكافئة ، وإنما يتوقف ذلك على خصائص موضوع العلاقة وتوجهات النخب الحاكمة بالاضافة الى مستويات القوة الكلية لاطراف العلاقة . وهكذا فإن كوهين وناي يستخدمان تعبير الاعتماد المتبادل لكي يشيرا الى درجة من درجات التأثير المتبادل[٢٧] ، على ان يُترك للباحثين تحديد كثافة كل علاقة ودرجة

---

(٢١) Ernst B. Haas, «The Study of Regional Integration: Reflections of the Job and Anguish of Pretheorizing,» in: Leon N. Lindberg and Stuart A. Scheingold, eds., *Regional Integration: Theory and Research* (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1971), p. 4.

(٢٢) Andre Gunder Frank, *Capitalism and Underdevelopment in Latin America: Historical Studies of Chile and Brazil* (New York: Monthly Review Press, 1969).

(٢٣) Johan Galtung, «A Structural Theory of Imperialism,» *Journal of Peace Research*, vol. 8, no. 2 (Autumn 1971), pp. 81-117.

(٢٤) Theotonio Dos Santos, «The Structure of Dependence,» in: K.T. Fann and Donald Hodges, eds., *Readings in U.S. Imperialism* (Boston, Mass.: Sargent, 1971).

(٢٥) Samir Amin, *Unequal Development* (New York: Monthly Review Press, 1976).

(٢٦) James A. Caporaso, «Dependence, Dependency, and Power in the Global System: A Structural and Behavioral Analysis,» *International Organization*, vol. 32, no. 1 (Winter 1978), p. 18.

(٢٧) Robert O. Keohane and Joseph S. Nye, «International Interdependence and Integration,» in: Fred Greenstein and Nelson Polsby, eds., *Handbook of Political Science: International Relations*, vol. 8.

التكافؤ فيها[١٨] . وبناء على ذلك فإن كوهين وناي يقترحان ثلاث خصائص رئيسية لنموذج الاعتماد المتبادل :

١ ـ إن فواعل دولية ـ غير الدول ـ تشارك بصورة مباشرة في السياسة العالمية . فهناك قنوات متعددة تصل المجتمعات ببعضها البعض وتشمل علاقات غير رسمية بين النخب الحاكمة بالاضافة الى تلك الرسمية ، كما ان هناك علاقات غير رسمية تقوم بين نخب غير حكومية ، كما ان هناك منظمات عابرة للقوميات كالمنظمات الدولية والشركات والبنوك متعددة الجنسيات تلعب دوراً مهماً في تلك العلاقات .

٢ ـ إن قائمة الموضوعات في علاقات الدول ذات طبيعة خاصة ، فالموضوعات غير مرتبة بطريقة واضحة او وفق اولويات متفق عليها . إن غياب هذا الترتيب والاولويات بين الموضوعات يعني ان موضوع الامن بمعناه العسكري لا يتصدر دائماً قائمة هذه العلاقات .

٣ ـ ان القوة العسكرية لا تستخدم فيما بين الدول عندما يسود علاقاتها الاعتماد المتبادل المعقد . « فالقوة العسكرية ليست وسيلة مؤثرة » في هذه الحالة فهناك حالة عدم اتصال بين التوزيع الكمي للموارد (او عناصر القوة المتاحة لكل طرف) والتعرض الذي يواجهه كل طرف بصدد موضوع بعينه ، فالموضوعات المدرجة في قوائم العلاقات في هذه الحالة سوف تكوِّن علاقة ضئيلة مع الموضوعات التقليدية كالأمن او هيكل القوى السائد في علاقة معينة ، فالعلاقات عابرة القومية والتحالفات البيروقراطية الدولية والفاعلون غير الحكوميين من كل نوع ، يلعبون دوراً حاسماً في عمليات صنع القرار . المؤسسات والمنظمات الدولية سوف تقوم بمهمة وضع قائمة الموضوعات ، كما تلعب دوراً مساعداً في عملية صنع التحالفات العابرة للقوميات وتجعل الدول الضعيفة قادرة على اخذ المبادرة والمساومة .

في مكان المركز من نموذج الاعتماد المتبادل يوجد دور المساومة بين الاطراف . ولكي نفهم هذا الدور فإن كوهين وناي يريان ان نتاج اي عملية تساومية حول موضوع من الموضوعات سوف يتوقف على مدى الحساسية والتعرض اللذين يعايشهما كل طرف بصدد موضوع بعينه . الحساسية تعكس درجة الاستجابة لأحد الاطراف في إطار سياسته الموضوعة سلفاً[٣٠] ، بينما التعرض يقوم على مقدار التكاليف اللازمة لتغيير السياسة الموضوعة بتبني خيارات اخرى تطلب تغييرات هيكلية[٣١] . بمعنى آخر فإن الحساسية تعني مقدار التكلفة الذي يقع على احد الاطراف نتيجة تحرك طرف خارجي قبل تغيير السياسات الموضوعة ، اما التعرض فيتضمن تلك التكاليف التي تقع حتى بعد ان يتم تغيير هذه السياسات[٣٢] . بعد ان وضعنا المقومات الرئيسية لمنهجي القوة والاعتماد المتبادل المعقد ، فلنحاول الآن ان نفحص الحوار العربي ـ الاوروبي طبقاً لكل منهج .

---

(٢٨) Ibid., p. 368.

(٢٩) Keohane and Nye, *Power and Interdependence: World Politics in Transition*, pp. 24 and 25.

(٣٠) Ibid., pp. 11 and 12.

(٣١) Ibid., p. 13.

(٣٢) Ibid.

منهج سياسة القوة والحوار العربي - الاوروبي

من وجهة نظر المنهج « الواقعي » فإن الحوار العربي - الاوروبي ما هو الا منبر لتنظيم التفاعلات بين مجموعتين من الدول القومية . موضوع هذا التنظيم هو المصالح القومية لكل الدول المشتركة . الحوار هنا هو إحدى الوسائل التي يمكن بواسطتها للدول العربية والاوروبية ان تعزز من امنها وتزيد من قدراتها وتوسع من نفوذها الى جانب تحقيق اهداف اقتصادية اخرى . الجغرافيا والتاريخ يوضحان لنا أن الصراع والخصام كانا السمة الرئيسية للعلاقات بين الاقطار الاوروبية والعربية . فمن اوروبا زحفت جيوش اليونان والرومان والصليبيين والانكليز والفرنسيين وغيرهم لكي تقهر وتسيطر وتستعمر اقطاراً عربية . وفي عصرنا الحاضر كانت اوروبا هي التي زرعت اسرائيل في قلب الارض العربية . وإسرائيل في حقيقتها ليست مجرد دولة تفصل بين عرب المشرق وعرب المغرب ، او أنها فقط تشكل حالة قهر استعماري للشعب الفلسطيني ، ولكنها ايضاً - وبشكل رئيسي - تمثّل تهديداً دائماً للأمن العربي .

عناصر اخرى اضيفت لتلك العلاقة التخاصمية بين الاقليمين . فمرحلة التنمية غير المتماثلة وغير المتساوية التي تعيشها دول الاقليمين تخلق مناخاً من الشك والريبة والخوف ؛ إذا اضيف الى الماضي الاستعماري فإنه يؤكد على مجموعات من عُقد التفوق والضعة التي تؤثر سلباً في مدركات كل اقليم للاقليم الآخر. هنالك ايضاً درجة غير متساوية من التكامل داخل كلا الاقليمين،فبينما ترتبط دول اوروبا الغربية ببعضها البعض من خلال الخوف من الاتحاد السوفياتي ومنظمتي السوق المشتركة وحلف الاطلنطي ، فإن الاقطار العربية تعيش وسط ترتيبات اقليمية اقل ترابطاً بكثير من مثيلاتها الاوروبية . في النهاية فإن الصبغة الثقافية والحضارية للاقليمين تمثل عنصراً آخر للحساسية خاصة من الجانب العربي . فالاسلام والمسيحية كانا تاريخياً في مكانين متعارضين من علاقات القوة . وقد عكس هذه الحساسية احد المعلقين العرب على الحوار حينما أشار الى « ان لدينا (العرب) فترة عشرين عاماً فقط لكي نحول مجتمعاتنا ثقافياً واقتصادياً وصناعياً ولكن هذه المهمة يجب تحقيقها دون ان نفقد قيمنا وتقاليدنا الاسلامية »(٣٣) .

وعلى الرغم من كل هذه العوامل ، فإن التاريخ القريب للعلاقات الاوروبية - العربية قد شهد وجود بعض الاسس لتعاون محدود فيما بين الاقليمين لكي يعزز كل منهما - بطريقة غير مباشرة على الاقل - من اهدافه السياسية والامنية . بالنسبة لأوروبا فإن الاقليم العربي يمثل لها نوعين مختلفين - وإن كانا متصلين - من المشكلات الامنية . الاول ناتج عن ان الاقليم العربي موضع طموحات ورغبات سوفياتية ، والثاني ان الصراع العربي - الاسرائيلي يحمل في طياته إحتمال مواجهة بين القوتين الاعظم وهذا الامر الذي ستكون فيه اوروبا الضحية الرئيسية . بالنسبة للعرب فإن هناك نوعين من التهديد لهما طبيعة ملحّة . فمن جانب هناك احتلال اسرائيل للاراضي العربية ، ومن جانب آخر هناك خوف دائم من احتمالات المواجهة ، او الاتفاق بين القوتين الاعظم وهو الامر الذي سوف يؤثر على اقدار المنطقة .

حرب تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٧٣ أظهرت هذه « المآزق » الامنية لكلا الاقليمين . فالحرب مثّلت اربعة انواع من التهديد للدول الاوروبية : (١) التهديد لأمن الجناح الجنوبي لاوروبا

---

(٣٣) Obaid, «Political Preconditions for Cooperation with Western Europe,» p. 173.

نتيجة نشوب العمليات العسكرية بين العرب واسرائيل ؛ (٢) استخدام سلاح النفط من جانب البلدان العربية من خلال وسائل متنوعة منها المقاطعة وتخفيض الانتاج ورفع الاسعار ؛ (٣) قيام الولايات المتحدة بإمداد اسرائيل بالسلاح من قواعدها في اوروبا ؛ (٤) قيام الولايات المتحدة بإعلان حالة التعبئة في قواعدها الاستراتيجية في اوروبا رداً على اقتراح سوفياتي بإرسال قوات سوفياتية للشرق الاوسط لوضع قرارات مجلس الامن موضع التنفيذ . هذه التهديدات الاربعة للأمن الاوروبي واجهت اوروبا بحقيقة ان الموقف في الشرق الاوسط يختزن داخله إمكانية حدوث كارثة نووية ، فقرار التعبئة الامريكي خلال الحرب دون مشاورة مسبقة مع حلفائها الاوروبيين في حلف الاطلنطي اظهر لاوروبا درجة التعرض الذي تعيشه في حالة مواجهة بين الدولتين الاعظم في الشرق الاوسط .

سلاح النفط مثّل نوعاً آخر من التهديد الامني لاوروبا . أولاً : إن آلة الحرب التي يمتلكها حلف الاطلنطي تعتمد بصورة اساسية على الامدادات النفطية القادمة من الاقليم العربي ، ومن ثم فإن انقطاع النفط عن اوروبا الغربية خلال مواجهة سوفياتية ـ امريكية شاملة تضع الامن الاوروبي في موقع بالغ الحرج . ثانياً : إن النتائج السياسية التي تترتب على استخدام سلاح النفط كدرجة ضغط هي دائماً شيء محتمل لتعزيز اهداف سياسية في حالة الصراع العربي ـ الاسرائيلي[٣٤] . ثالثاً : إن الاستخدام غير المتساوي لسلاح النفط بين الدول الاوروبية قد هدد الترابط داخل الجماعة الاوروبية . فبينما حازت فرنسا وبريطانيا مركز الدول المفضلة التي تستمر تدفق النفط لها وفق المعدلات السائدة قبل الحرب ، فإن هولندا قوطعت بشكل كلي . الدول الاخرى الاعضاء في الجماعة الاوروبية عانت بدرجات مختلفة من الخفض غير المتساوي في وارداتها النفطية[٣٥] . رابعاً : إن استخدام سلاح النفط شكل تهديداً للأمن الداخلي والاستقرار السياسي والاقتصادي للدول الاوروبية . هذا التهديد ـ كما وصفه كيسنجر ـ مثّل « ارضاً خصبة للصراع الاجتماعي والفوضى السياسية ، ومن ثم فإن الحكومات المعتدلة والحلول المعقولة للمشكلات سوف تقع تحت وطأة هجوم قاس . المجتمعات الديموقراطية سوف تصبح معرضة للضغوط المتطرفة من اليسار واليمين لدرجة لم يتم تجربتها منذ العشرينات والثلاثينات »[٣٦] .

بالنسبة للدول العربية ، فإن حرب اكتوبر أظهرت محدودية القدرات العسكرية العربية في ظل الامداد الامريكي الهائل لاسرائيل بالسلاح خلال الحرب وبعدها والقيود التي فرضها السوفيات على امداد السلاح للعرب نوعاً وكماً مما أظهر ضرورة تنويع مصادر السلاح العربي . بالاضافة الى ذلك فإن وجود التزام امريكي تجاه اسرائيل دون ان يقابله التزام سوفياتي بالدرجة نفسها للبلدان العربية ، قد اظهر لها إشكالية الاعتماد الكلي على أيٍّ من القوتين الاعظم . العرب ايضاً ادركوا انه في حالة الصراع الطويل المدى مع اسرائيل فلا بديل لهم عن تدعيم قاعدتهم الصناعية وتعزيز قدراتهم الاقتصادية . بالاضافة الى هذه المشاكل الامنية التي اظهرتها الحرب فإن فرصاً جديدة

---

(٣٤) Thomas O. Enders, «OPEC and the Industrial Countries: The Next Ten Years,» *Foreign Affairs*, vol. 53, no. 4 (July 1975), pp. 625 and 626.

(٣٥) Max Jansen, *History of European Integration, 1945-1975* (The Netherlands: Europa Institute, 1975), p. 127.

(٣٦) اقتطفت من :

Mary Manksch, *Energy and Europe, EEC Energy Policy in the Context of the World Energy Crisis* (Brussells: European News Agency, 1975), p. 4.

اصبحت متاحة كما افرزت توجهات سياسية لم تكن مطروحة من قبل في البنية السياسية داخل الوطن العربي . فسلاح النفط خلال الفترة ما بين ١٩٧٣ ـ ١٩٨٠ لم يعزز فقط القوة التساومية العربية في مواجهة القوى الاخرى في العالم ، بل قدّم فرصاً جديدة لايجاد البُنى التحتية اللازمة لاقتصاد عربي متقدم . النفط ايضاً كان أداة للتغيير حيث تحولت دول راديكالية لكي تصبح دولا محافظة كما تحولت دول صغرى الى قوى عظمى اقليمية . فسياسة الاعتماد المتزايد لمصر على اموال النفط القادمة من المملكة العربية السعودية واقطار الخليج العربي الاخرى (١٩٧٣ـ ١٩٧٨) سرعان ما قادت الى انهاء الحقبة الناصرية[٣٧] . هذا بدوره ادى الى تغيير في توجهات النخب الحاكمة في الوطن العربي من الاتجاه الثوري القومي المعادي للغرب بصفة عامة خلال عقدي الخمسينات والستينات الى توجهات محافظة ذات صبغة معادية للسوفيات .

إن تأثيرات حرب تشرين الاول / اكتوبر على كلا الاقليمين خلقت القواعد السياسية لاقامة الحوار العربي ـ الاوروبي ، إلا ان اهداف بلدان المجموعتين من الحوار ظلت مختلفة . بالنسبة للجماعة الاوروبية فإن الحوار يبدو كأنه احدى القنوات التي تزيد من النفوذ السياسي والاقتصادي في مناطق تقليدية لها . الحوار ايضاً هو طريق تعبر به اوروبا الغربية عن نفسها سياسياً باداء دور شبه مستقل في السياسة العالمية والذي يناسب القوة الاقتصادية الاوروبية . الحوار بعد ذلك يضع الجماعة الاوروبية في حالة علاقة صداقة مع البلدان العربية وهو الامر الذي يمكن أن ينقذ اوروبا من مقاطعة نفطية وربما يساعد على إعادة تدوير اموال النفط الى البنوك الاوروبية . وفي النهاية فإن الحوار يُعدّ فتحاً للاسواق العربية ومجالاً لزيادة الاستثمارات الاوروبية .

بالنسبة للعرب ، فإن اولويات الاهداف مختلفة عن تلك الاوروبية ، « فالقضية الفلسطينية هي الاساس الاول للحوار »[٣٨] . وفي تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٤ اعلن د. **احمد صدقي الدجاني** ـ عضو الوفد العربي للحوار ـ لزملائه الاوروبيين ان « المسالة الفلسطينية ، والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وتحرير الاراضي العربية المحتلة هي جوهر الحوار العربي ـ الاوروبي »[٣٩] . هذا التكييف « لجوهر » الحوار لا يعني فقط اعترافاً اوروبياً بالحقوق الفلسطينية ، ولكنه يعني ايضاً ضغطاً اوروبياً على اسرائيل والولايات المتحدة لكي تسوّي الصراع العربي ـ الاسرائيلي وفقاً للأهداف العربية في الامن واستعادة الحقوق القومية . أكثر من ذلك فإن البلدان العربية تريد من الحوار أن يعبر عن قوتها العالمية المتقدمة التي احسّت بها منذ النصف الثاني من السبعينات . كما علّق احد المعلقين السعوديين على الحوار بأن « العرب في النهاية قد عادوا للظهور ... ولكننا ما زلنا في مرحلة تحوّل كما هو امر كل المراحل التاريخية . على الرغم من ذلك فإن عصراً جديداً قد بدا خلال السنوات الاخيرة والذي تراكمت مقوماته خلال عقود متعددة سبقت ولكنها الآن حقيقة مشهورة »[٤٠] . هذا الادراك الذاتي للقوة العربية المتنامية اذا ما صاحبها تحالف طويل المدى مع اوروبا الغربية فإن ذلك يمكن أن يعزز من مركز القوة لكلا

---

(٣٧) Don Peretz, «Energy: Israelis, Arabs and Iranians,» in: Joseph S. Szliowicz and Bard E. O'Neil, eds., *The Energy Crisis and U.S. Foreign Policy* (New York: Praeger, 1975), p. 89, and Nadav Safran, «Engagement in the Middle East,» *Foreign Affairs*, vol. 33, no. 6 (October 1974), pp. 45-63.

(٣٨) Ahmad Sidqi Al-Dajani, «The PLO and the Euro-Arab Dialogue,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 9, no. 3 (Spring 1980), p. 83.

(٣٩) *Felex Mediterranei* (Brussels), (15 June 1975).

(٤٠) Obaid, «Political Preconditions for Cooperation with Western Europe,» p. 71.

الاقليمين في السياسة العالمية . المعلق السعودي ذكّر الاوروبيين ان عليهم ان يدركوا ان مستقبلهم سوف يتوقف على « رغبتهم لاعادة توجيه انفسهم في اتجاه البلدان العربية ، بالدرجة نفسها التي يتوجهون بها ناحية الولايات المتحدة »[٤١] . فالنفط ورأس المال العربيان هما عنصران « ضروريان لأوروبا لكي تقابل احتياجات تقدمها التكنولوجي ، ولكي تواجه التوسع الاقتصادي والتجاري لامريكا واليابان »[٤٢] . في النهاية فإن البلدان العربية تريد ان تساهم الدول الاوروبية في خططها التنموية . فهذه البلدان بدأت خططاً صناعية طموحة ، ومن ثم فإنها تحتاج التكنولوجيا والآلات والخبرات الاوروبية . الحوار ـ من وجهة النظر العربية ـ يجب ان يؤدّي الى مساعدة اوروبية للعرب في عملية اقامة بُناهم التحتية والمدارس والمستشفيات والاهم من ذلك مصادر بديلة للطاقة عندما تأخذ مصادرهم الهيدروكربونية في النفاد[٤٣] . من وجهة نظر المنهج « الواقعي » فإن هذه الاهداف المختلفة للطرفين ، والتي هي في بعض الاحيان متناقضة ، تعكس كيف ان كلا الاقليمين قد وضعا الموضوعات السياسية والامنية على رأس اولوياتهما من الاشتراك في الحوار .

الشكل التنظيمي للحوار يعكس ايضاً هذه السمة.في الجانب الاوروبي فإن الحوار تمّ التعامل معه من خلال«اللجنة السياسية»المكونة من ممثلين لوزارات الخارجية في الدول الاعضاء في الجماعة الاوروبية . هذه اللجنة تتفرع من المجلس الاوروبي لوزراء الخارجية والتي انشئت نتيجة التمييز بين الموضوعات السياسية وتلك الاقتصادية « لكي تتعامل مع موضوعات السياسة العليا High Politics وفقاً للمفهوم الدبلوماسي التقليدي »[٤٤] ، خارج الإطار المؤسسي للجماعة الذي تركت له الموضوعات الاقل اهمية والمتصلة بالاقتصاد كما اعتقد المؤسسون لهذه اللجنة . **ديفيد آلن** وصف الحوار العربي ـ الاوروبي على انه « اكثر التعبيرات وضوحاً عن التعاون السياسي الاوروبي في مجال العمل في الوقت الراهن »[٤٥] . على الجانب العربي فإن الحوار تم التعامل معه من خلال لجنة الحوار العربي ـ الاوروبي المتفرعة عن مجلس الجامعة العربية الذي يتكوّن من وزراء خارجية البلدان الاعضاء . اكثر من ذلك فإن الوفود الممثلة في اللجنتين الاوروبية والعربية قد فوّضوا فقط في ان يعطوا توصيات للمجلس الاوروبي ومجلس الجامعة ، وفقاً للتصور بأن القرارت يمكن أن تتخذ من خلالهما .

مجرى الحوار يعكس ايضاً الاولوية التي أعطيت للموضوعات الامنية والسياسية . ففي المذكرة المشتركة التي صدرت في القاهرة في ١٤ حزيران / يونيو ١٩٧٥ ، وصف الطرفان الحوار بأنه « نتاج الارادة السياسية المشتركة التي برزت على اعلى مستوى بقصد إقامة علاقات خاصة بين المجموعتين »[٤٦] . وفي الاعلان النهائي للقاء دمشق في ١١ كانون الاول / ديسمبر ١٩٧٨ ذكر « إن الجانبين قد اتفقا على ان استمرار الصراع العربي ـ الاسرائيلي يشكل تهديداً للامن والسلام في الشرق الاوسط وللأمن والسلام العالميين . في هذا الاطار فإن الجانبين يعيدان تأكيد اقتناعهما بأن الامن الاوروبي مرتبط بأمن اقليم البحر المتوسط والاقليم العربي »[٤٧] .

---

(٤١) Ibid., p. 171.

(٤٢) Ibid, pp. 171 and 172.

(٤٣) Ibid, p. 173.

(٤٤) Allen, «The Euro-Arab Dialogue,» p. 324.

(٤٥) Ibid., p. 323.

(٤٦) سعيد ، الحوار العربي ـ الاوروبي : دراسة للنهج الاوروبي ازاء الحوار ، ص ١٠٢ .

(٤٧) «Bull., EC. 12-1978,» point 1.4.2.

الجانب العربي ، بسبب احتلال اراضيه وبسبب الغياب المستمر لحل المسألة الفلسطينية ، ركّز على الجوانب السياسية والامنية للحوار عن طريقين : الاول ، منذ بداية الحوار والعرب يدعون الى أن تعقد الاجتماعات على اعلى مستوى ممكن من التمثيل السياسي ، ومن ثم فإنه بعد مرور خمس سنوات على بداية الحوار العربي ـ الاوروبي حصل العرب على وعد من الجانب الاوروبي لعقد اجتماع في صيف ١٩٨١ على مستوى وزراء الخارجية . هذا الاجتماع ، الذي لم يقدر له ان يحدث ، كان من المقصود ان يؤدي الى اجتماع آخر على مستوى رؤساء الدول والحكومات(٤٨) . الثاني نجم عن تركيز الجانب العربي المستمر على المطالبة بالاستنكار الاوروبي للاحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية ، والاعتراف الاوروبي بحق الفلسطينيين في تقرير المصير ، والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني في اية تسوية سلمية للصراع العربي ـ الاسرائيلي .

الجانب الاوروبي ظل متردداً في الاستجابة لهذه المطالب . فبينما نبذت واستنكرت الدول الاوروبية تدريجياً الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية واعترفت بحقوق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير ، فقد رفضت ان تعتبر منظمة التحرير كممثل وحيد للشعب الفلسطيني . بالاضافة الى ذلك فإن الجانب الاوروبي رفض ان يترجم استنكاره للاحتلال الاسرائيلي الى سلوك تصويتي في الامم المتحدة او الى ضغوط اقتصادية على اسرائيل . « فصيغة دبلن » التي قضت بأن يمثل كل جانب وفد موحد دون اعتبار لجنسيات الدول المشتركة كانت احدى الوسائل التي استخدمها الجانب الاوروبي لكي لا يعترف بمنظمة التحرير(٤٩) . في الوقت نفسه فإن علاقات اسرائيل الاقتصادية بالجماعة الاوروبية استمرت في نموها ، حتى انه بعد شهر واحد تقريباً من بدء الحوار في ١١ ايار / مايو ١٩٧٥ فإن اسرائيل وقعت اتفاقية جديدة مع الجماعة بهدف انشاء منطقة للتجارة الحرة بينهما(٥٠) .

عكست الاستجابة الاوروبية للمطالب العربية احد القيود « الامنية » على السلوك الاوروبي ، فالجانب الاوروبي لم يكن يودّ ان يكون الحوار اداة للتخلي عن التحالف الامريكي ـ الاوروبي ، وخاصة ان الولايات المتحدة احتفظت بموقف نقدي ومعارض للحوار . فالولايات المتحدة وهي تريد ان تحتفظ بنصيب الاسد في إدارة عملية تسوية الصراع العربي ـ الاسرائيلي استمرت في انتقاد ما اسمته « بالتنازلات السياسية » التي قدمتها الجماعة الاوروبية للبلدان العربية(٥١) . بالاضافة الى ذلك فإن الولايات المتحدة كانت دائماً ضد اي نوع من المعاملات التجارية التفضيلية من جانب الجماعة خارج القارة الاوروبية(٥٢) ، ومن ثم فقد حافظت دائماً على الاحتجاج على اية ترتيبات

---

(٤٨) «Bull., EC. 11-1980,» point 1.3.3.

(٤٩) سعيد ، **الحوار العربي ـ الاوروبي : دراسة للنهج الاوروبي ازاء الحوار** ، ص ٨٩ .

(٥٠) المصدر نفسه ، ص ٩١ ـ ٩٤ .

(٥١) Sergio Minierbi, «The EEC and Israel,» in: Avi Shlaim and G.N. Yonnopoulos, eds., *The EEC and the Mediterranean Countries* (London: Cambridge University Press, 1976), pp. 245-256, and «The 9th Gen. Rep. EC.,» pp. 210 and 211.
Joseph S. Szliowicz, «The Embargo and U.S. Foreign Policy,» in: Szliowicz and O'Neil, eds., *The Energy Crisis and U.S. Foreign Policy*, p. 134.

(٥٢) Warner J. Feld, *The European Community in World Affairs* (Port Washington, N.J.: Alfred, 1976), p. 151.

تجارية بين اوروبا ودول البحر المتوسط والاقليم العربي خاصة والتي يمكن أن تشكل تمييزاً حقيقياً ضد التجارة الامريكية[٥٣] .

في المجال الاقتصادي ، فإن مجرى الحوار يعكس الاهداف المختلفة للطرفين العربي والاوروبي . فهناك اختلافات حادة بينهما في مجالات التصنيع والتكنولوجيا والتجارة والتمويل . فبينما تقيم البلدان العربية اهمية كبرى لمسألة التصنيع ، فإن الجماعة الاوروبية ترى ان ذلك يمكن أن يقلل من تميّزها الاقتصادي[٥٤] . فالمنتجات الصناعية تشكل ٨٠ بالمائة من الصادرات الاوروبية للبلدان العربية ، ومن ثم فإن زيادة القدرة الصناعية العربية سوف يقوّض سوقاً مهماً للاستيراد من اوروبا الغربية . وفيما يتعلق بتحويل التكنولوجيا « فإن الاوروبيين يريدون ان يحتفظوا بحدود على التقدم التكنولوجي العربي »[٥٥] . بالنسبة للتجارة فإن العرب يتوقعون لانجاز اتفاقيات بين الاقليمين للتعامل التفضيلي ، بينما اوروبا تريد ان تتفاوض بخصوص هذه الاتفاقيات مع كل بلد عربي على حدة . بالنسبة للمسائل التمويلية فإن الجماعة الاوروبية مهتمة بأن تُستثمر الاموال النفطية العربية في دول الجماعة ، كذلك هناك رغبة في ان تُستثمر في البلدان العربية المنتجة للنفط . الا أن الجانب العربي قد طالب بأن تكون هناك ضمانات ضد التأثيرات السلبية للتضخم الاوروبي المتزايد ، وهو شرط لا يوجد احد من الجماعة الاوروبية على استعداد لأخذه في الاعتبار[٥٦] .

إن جوهر هذه الخلافات في الحقل الاقتصادي هو توازن القوى الهيكلي بين طرفي الحوار . فالجانب العربي ـ وهو الشريك الاضعف في الحوار ـ يحاول ان يعزز من قدراته التفاوضية من خلال التفاوض الجماعي مع الجماعة الاوروبية ، التي تحاول من جانبها أن تجعل خطط التنمية العربية وفق حدود لا تجعل الوطن العربي منافساً ـ حتى على المدى الطويل ـ للصناعة والتكنولوجيا الاوروبيتين . كذلك فإن الدول الاوروبية ترغب في ان يستمر الحوار ولكن ليس الى الدرجة التي تثير الحساسيات في التحالف الاوروبي ـ الامريكي وهو الامر الذي له اهمية « امنية » اكثر من تلك التي يعنيها التعاون مع البلاد العربية . ومن ثم فإن الدول الاوروبية اشتركت في الوكالة الدولية للطاقة التي انشئت تحت وصاية الولايات المتحدة للرد على نفوذ منظمة الاوبك ، كما ان هذه الدول أيّدت صراحة او ضمناً اتفاقيات كامب ديفيد التي عارضتها الجامعة العربية .

الخلاصة اذاً ان الحوار ما هو الّا احدى القنوات التي يمكن ان تنظم تفاعل المصالح القومية للاقليمين من خلال الدبلوماسية بحيث تعكس هيكل توازن القوى بين الطرفين ، وهذا بدوره كان سبباً في محدودية النتائج التي توصل اليها الحوار ثم توقفه في النهاية . فالجانب العربي ـ رغم وجود سلاح النفط على الاقل خلال الفترة ما بين ١٩٧٣ و ١٩٨١ ـ لا يزال يتكوّن من بلدان نامية منقسمة على نفسها وغير قادرة على ان تمارس ضغوطاً ذات قيمة على اوروبا لتحقيق الاهداف العربية . والجانب الاوروبي هو الآخر يعوقه التحالف الامني مع الولايات المتحدة الى جانب ان قوته الاقتصادية لم تترجم بعد الى مقدرة سياسية وعسكرية في السياسة العالمية .

---

(٥٣) Mordechai E. Kreinin, «U.S. Trade Interests and the EEC Mideterranean Policy ,» in: Shlaim and Yonnopoulos, eds., *The EEC and the Mideterranean Countries*, pp. 47 and 48.

(٥٤) Taylor, «The Euro-Arab Dialogue: Quest for an Interregional Partnership,» p. 437.

(٥٥) Ibid., p. 438.

(٥٦) Ibid., p. 439.

الحوار العربي ـ الاوروبي ومنهج الاعتماد المتبادل

طبقاً لمنهج الاعتماد المتبادل فإن الحوار العربي ـ الاوروبي ليس نتاج الموضوعات السياسية والامنية المتصدرة لقائمة الاولويات في الاقليمين كما يدّعي اصحاب منهج سياسة القوة او المنهج الواقعي،وانما هو في الحقيقة نتاج نمو علاقات الاعتماد المتبادل في المجالات الاقتصادية والاجتماعية بين الاقليمين:العربي والاوروبي.الحوار لم يبدأ مع حرب تشرين الاول/اكتوبر ـ على الرغم من انها قد تكون عاملاً مساعداً في ظهوره على السطح ـ ولكن بدأ قبل وقت طويل من الحرب من خلال السياسة الاوروبية المتوسطية وسياستها تجاه دول افريقيا والباسفيك والبحر الكاريبي المسماة بمجموعة مؤتمر لومي . ان تاريخ علاقات الجماعة الاوروبية بالبلدان العربية يرجع الى معاهدة روما التي انشأت الجماعة عام ١٩٥٧ عندما اضيف في ملاحق المعاهدة تأكيد لرغبة الجماعة لكي « تصل الى اتفاقيات انتساب Association مع تونس والمغرب بحيث تقدم للتنمية الاقتصادية في البلدين »[٥٧] . ومن ثم فخلال فترة الستينات ، فإن تونس والمغرب والجزائر ـ بعد حصولها على الاستقلال ـ عقدت اتفاقيات متعددة للتعامل التفضيلي في المجالات التجارية مع الجماعة وفقاً لما جاء في ملاحق المعاهدة . وفي عام ١٩٦٥ فإن لبنان وقع اتفاقية تفضيلية مع الجماعة في مجالات التجارة والمساعدة التكنولوجية . وفي عام ١٩٦٩ واثناء المشاورات التي قامت بين الجماعة واسرائيل لعقد اتفاقية تجارية تفضيلية فإن فرنسا طالبت بربط هذه الاتفاقية بفتح الباب امام البلدان العربية « لكي يؤكد التوازن في علاقات الجماعة مع دول الشرق الادنى »[٥٨] . وطبقاً لذلك فإن الجماعة توصلت الى اتفاقيات تجارية تفضيلية مع مصر وسوريا والاردن في الفترة ما بين اعوام ١٩٦٩ و ١٩٧٣ . هذا بالاضافة الى ان اربعة بلدان عربية اخرى هي الصومال والسودان وموريتانيا وجيبوتي الاعضاء في مجموعة مؤتمر لومي توصلت الى اتفاقية تفضيلية مع الجماعة عام ١٩٧٥ تُعطي لهذه البلدان حقوقاً تفضيلية في دول السوق الاوروبية مقابل اعطاء هذه الدول حقوق الدول الأولى بالرعاية[٥٩] . نتيجة لهذه الاتفاقيات فإن اعتماداً متبادلاً قد نما بين الاقليمين ، ففي الفترة ما بين اعوام ١٩٦٠ و ١٩٧١ فإن نمواً كبيراً في تجارة الجماعة مع ثمانية بلدان عربية جنوب البحر المتوسط اصبح حقيقة لا يمكن تجاهلها . الجدول الرقم (١) يظهر معدل هذا النمو .

في عام ١٩٧١ بلغت صادرات الجماعة الاوروبية لهذه البلدان وحدها ٢٦,٨ بالمائة من صادراتها لكل بلدان البحر المتوسط بينما شكلت الواردات ٤٩,١ بالمائة من واردات الجماعة[٦٠] من جانب آخر فإن الجماعة تعد اكبر شريك تجاري للوطن العربي . ففي الفترة ما بين اعوام ١٩٧٠ و١٩٧٣ فإن الوطن العربي صدّر ما بين ٤٣ بالمائة و٧٠ بالمائة من صادراته الى السوق الاوروبية واستورد ما بين ٤٤ بالمائة و٤٨ بالمائة من وارداته من الجماعة الاوروبية[٦١] . هذا التطور ما لبث ان

---

(٥٧) Roberto Aliboni, «Development of the Maghreb and Its Relations with the EEC,» in: Shlaim and Yonnopoulos, eds., *The EEC and the Mediterranean Countries*, p. 179.

(٥٨) Warner, *The European Community in World Affairs*, p. 148.

(٥٩) Taylor, «The Euro-Arab Dialogue: Quest for an Interregional Partnership,» p. 437.

(٦٠) Gean Paolo Papa and Jean Petit Lauvent, «Commercial Relations between the EEC and the Mediterranean Countries: An Analysis of Recent Trends in Trade Flows,» in: Shlaim and Yonnopoulos, eds., *The EEC and The Mediterranean Countries*, pp. 260-304.

(٦١) Obaid, «Political Preconditions for Cooperation with Western Europe,» p. 172.

تصاعد بعد ذلك حتى ان كلود شيسون احد المسؤولين في الجماعة الاوروبية اعلن عام ١٩٧٧ انه « خلال السنوات الثلاث السابقة ، فإن العالم العربي اصبح اكبر عميل تجاري للجماعة الاوروبية »[٦٢] . الجدول الرقم (٢) يقدم دليلاً على ذلك بمقارنة نصيب الوطن العربي من واردات وصادرات الجماعة بنصيب كل من اليابان والولايات المتحدة وهما الشريكان الرئيسيان للجماعة في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية .

جدول رقم (١)

معدل نمو صادرات وواردات الجماعة الاوروبية
في تعاملها مع ثمانية بلدان عربية ، للسنوات ١٩٦٠ ـ ١٩٧١ (١٩٦٠ = ١٠٠)

النشاط التجاري	الاردن	تونس	الجزائر	سورية	لبنان	ليبيا	مصر	المغرب
الصادرات	١٢٦	١٥٥	٧٦	١٣٣	١٢٩	٤,٣	٩٩	١٣٦
الواردات	٢٦٦	١٣٢	١١٩	١٥١	١٦٧	—	١٩١	١١٥

المصدر : احتسبت من :

Gean Paolo Papa and Jean Petit Lauvent, «Commercial Relations between the EEC and the Mediterranean Countries: An Analysis of Recent Trends in Trade Flows,» in: Avi Shlaim and G.N. Yonnopoulos, eds., *The EEC and the Mediterranean Countries* (London: Cambridge University Press, 1976), pp. 260-304.

جدول رقم (٢)

نصيب الوطن العربي والولايات المتحدة واليابان
من صادرات وواردات الجماعة الاوروبية ، للسنوات ١٩٧٤ ـ ١٩٧٩
(نسبة مئوية)

عام النشاط التجاري	الصادرات			الواردات		
	الوطن العربي	اليابان	الولايات المتحدة	الوطن العربي	اليابان	الولايات المتحدة
١٩٧٤	٤,٥	١,٢	٦,٩	١١,٨	١,٨	٨,٣
١٩٧٥	٦,٣	٠,٩	٦,٥	١٠,٣	١,٩	١٠,٠٠
١٩٧٦	٦,٥	٠,٩	٥,٦	١٠,٣	٢,١	٨,٢
١٩٧٧	٦,٩	٠,٩	٦,١	٩,٥	٢,٣	٧,٥
١٩٧٨	٦,٨	١,٠	٦,٤	٨,١	٢,٤	٧,٨
١٩٧٩	٦,٩	١,١	٥,٩	٩,٢	٢,٢	٧,٨

المصدر : احتسبت من :

EUROSTAT, 1974-1979.

(٦٢) *International Herald Tribune*, 28/1/ 1977.

وإذا تم حساب النشاط التجاري للجماعة الاوروبية على اساس التجارة خارج الجماعة فقط Extra- Community Trade اي باستبعاد التجارة بين دول الجماعة ، فإن نصيب الوطن العربي سوف يصل الى ١٣,٥ بالمائة من صادرات الجماعة ـ وذلك اكثر من مجموع الصادرات الى الولايات المتحدة واليابان معاً وسوف يشكل ٢٠ بالمائة من واردات الجماعة[٦٣] . وإذا ما اضيف عامل النفط الى العلاقات الاوروبية ـ العربية فإن حجم الاعتماد المتبادل يكون اكثر بكثير مما نُوِّه به مسبقاً . فخلال الفترة ما بين الاعوام ١٩٧٥ و ١٩٧٩ فإن البلدان العربية المصدرة للنفط قدمت ما بين ٤٦ بالمائة و ٤٩ بالمائة من كل واردات الوقود للجماعة الاوروبية . هذه النسبة اذا تم حسابها وفقاً لمعايير واردات الوقود من خارج الجماعة فإنها سوف ترتفع لتقارب ٦٠ بالمائة في المتوسط خلال هذه الفترة[٦٤] . وفي مجال النفط الخام فقط فإن البلدان العربية تسد ٧٠ بالمائة من واردات الجماعة[٦٥] . إلا ان عامل النفط لا يجب ان يحسب فقط من زاوية امداد دول الجماعة بالطاقة ، وإنما ، بالاضافة الى ذلك ، يجب ان يؤخذ في الحسبان تاثيره على مجموعة واسعة ومتنوعة من الموضوعات التي تتصل بنظام النقد الدولي ، والمعونات للدول النامية ، والحوار بين الشمال والجنوب ، وموضوعات اقتصادية وتحويلية اخرى[٦٦] .

نتيجة لكل هذه العوامل مجتمعة وانتشار ظاهرة الاعتماد المتبادل لكي تشمل مجالات مرتبطة ومعقدة كالتجارة والمال والطاقة ، فإن الحوار العربي ـ الاوروبي اصبح ضرورة لتنظيم هذه العلاقات المتشابكة ، ومن ثم فإن حرب تشرين الاول / اكتوبر لا تزيد عن كونها عاملاً مساعداً في قيام الحوار الذي كان سارياً في الواقع منذ عقد كامل قبل البداية الرسمية له . ولذا فإن الحوار الذي بدأ بمحتوى سياسي وامني ، قد اشهر الاعتماد المتبادل المعقد بين الاقليمين .

في مجال التنظيم فإن الهيكل المؤسسي للحوار بدأ على مستوى اللجان السياسية من قبل الطرفين ، وسرعان ما دخلت اطراف اخرى فيه . على الجانب الاوروبي ، كما ذكر مسبقاً ، فإن الحوار جرى باشراف اللجنة السياسية الاوروبية . هذه اللجنة التي قامت للتمييز ما بين المسائل السياسية وغير السياسية ، وتعقد اجتماعاتها في عاصمة الدولة التي تشغل مقعد الرئاسة في الجماعة ، الا في حالات استثنائية فتعقد الاجتماعات في بروكسل حيث يوجد مقر الهيئة الاوروبية (The European Commission) . الا أنه خلال مجرى الحوار فقد تبين استحالة التمييز ما بين الامور السياسية وتلك غير السياسية واصبحت معظم الاجتماعات تعقد في بروكسل حيث تزايد تدريجياً الدور الذي تلعبه الهيئة الاوروبية . وهكذا فإن الحوار اظهر للجانب الاوروبي ان التمييز ما بين موضوعات السياسة العليا High Politics للسياسة والامن والامور الاقل اهمية ـ كما يعتقد اصحاب المنهج الواقعي ـ كالاقتصاد هو مسألة لا يمكن تطبيقها في حالة الاعتماد المتبادل المعقّد . فالحوار ، حقاً قدم لانشاء علاقة جديدة وفريدة بين اطاري المؤسسة الاوروبية[٦٧] .

على الجانب العربي فقد قدم الحوار لتنمية دور سكرتارية الجامعة العربية في تحقيق التكامل

---

(٦٣) Taylor, The Euro-Arab Dialogue: Quest for an Interregional Partnership,» p. 429.

(٦٤) *EUROSTAT, 1977-1979*, 3 vols.

(٦٥) Taylor, «The Euro-Arab Dialogue: Quest for an Interregional Partnership,» p. 429.

(٦٦) Allen, «The Euro-Arab Dialogue,» p. 331.

(٦٧) Ibid., p. 340.

العربي . من المفيد ان نذكر هنا أن الجامعة تمثل درجة اقل من التكامل السياسي والاقتصادي من تلك التي تسود الجماعة الاوروبية . ورغم ذلك فإن عملية الحوار مع اوروبا اثبتت اهمية سكرتارية الجامعة في التنسيق ما بين المواقف العربية المختلفة . في هذا المجال ذكر احد المعلقين الاوروبيين أنه خلال المراحل المتأخرة من الحوار فإن وفد الجامعة العربية « ظهر اكثر استعداداً من الاوروبيين »[٦٨] . حتى ان كثيراً من « الوفود الاوروبية اندهشت من نوعية الكثير من الممثلين العرب والنظام الذي كانوا قادرين على الاحتفاظ به لكي يقفوا مواقف تفاوضية مشتركة »[٦٩] .

بالاضافة الى اشتراك بيروقراطيات الجامعة العربية والجماعة الاوروبية كأطراف فاعلة في الحوار ، فإن عدداً كبيراً من التكنوقراط ورجال الصناعة اصبحوا ذوي اهمية متزايدة للحوار . فنتيجة انشاء سبعة مجالات عمل لكي تتعامل مع شؤون البنية التحتية والزراعة والتعاون العلمي والتكنولوجي والتجارة والمال وتحويل التكنولوجيا والتعاون الثقافي والاجتماعي بين المنظمتين ، فقد كان من الضروري الاعتماد على عدد كبير من المؤسسات الاوروبية والعربية المتخصصة لكي تتعامل مع تعقيدات المفاوضات المتعددة الاطراف في هذه المجالات .

بالنسبة لجدول اعمال الحوار فقد ظل دائماً مرناً . فرغم ان الموضوعات الامنية ، كالصراع العربي ـ الاسرائيلي والمسألة الفلسطينية ، تصدرت هذا الجدول في بداية الحوار ، إلا انها لم تسيطر عليه وما لبثت الموضوعات الفنية والاقتصادية والاجتماعية الاخرى ان برزت على السطح تبعاً لاهميتها ، وللصعوبات التي اكتنفت عملية التعامل معها كموضوعات متزايدة الاهمية . حقاً انه يمكن القول ان هذه الموضوعات أبقت الحوار مستمراً رغم التناقضات السياسية كالاعتراضات الامريكية ومسألة تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية والعلاقات الاوروبية ـ الاسرائيلية واخيراً معاهدة السلام المصرية ـ الاسرائيلية . في كل مرة حينما بدا ان هذه الموضوعات سوف تعوق استمرار الحوار ، وتؤدي الى توقفه احياناً لفترة من الفترات ، فإن الطرفين ما لبثا ان توصلا الى حل وسط كصيغة دبلن او نزع الصفة السياسية عن الموضوع او تجاهله والاستمرار في بحث مجالات التعاون الاخرى . اكثر من ذلك فإن الحوار نجح في التوصل الى نتائج محدودة في الموضوعات غير السياسية . هذه النتائج رغم تواضعها فإنها اعلان عن قوى الاعتماد المتبادل بين الاقليمين . فبعض التقدم تم التوصل اليه في مشروعات تحسين البنية التحتية والزراعة في البلدان العربية ، كما ان بعض الدراسات التمهيدية جرى العمل فيها ، كتحسين الموانىء في سوريا ومشروع للري في الصومال وانتاج اللحوم في السودان وزراعة البطاطس في العراق[٧٠] . والجدول رقم (٣) يظهر قائمة اخرى من الدراسات التمهيدية التي اتفق على العمل فيها في مجالات التصنيع والمسائل الاجتماعية والثقافية والتعاون العلمي والتكنولوجي .

الحديث عما اذا كان هناك تقدم سوف يحدث اكثر من مجرد اجراء الدراسات التمهيدية، فإن هذا يجب ان ينظر له من خلال الحاجة الى خطط طويلة المدى ، خاصة في المجالات شديدة الحساسية مثل التصنيع والتمويل والتجارة ونقل التكنولوجيا . فهناك دائماً المنطق المثار ان وضع

---

(٦٨) Ibid., p. 341.

(٦٩) سعيد ، الحوار العربي ـ الاوروبي : دراسة للنهج الاوروبي ازاء الحوار ، ص ١١٧ ـ ١١٩ .

(٧٠) «Bull. EC. 12-1978,» point 1.4.2.

مشروعات الحوار المتنوعة موضع التنفيذ سوف يخلق قوة اقتصادية عربية منافسة تحرم اوروبا من اسواقها ، الا ان هناك منطلقاً آخر هو منطق الاعتماد المتبادل الذي يروِّج الى ان تصنيع البلدان العربية برأسمال عربي سوف يعطي اوروبا إمكانية لزيادة صادراتها التكنولوجية وسلعها الرأسمالية في المراحل الاولى للتصنيع ، وبعد فترة فإن ذلك سوف يعطي ميزاتٍ تسويقية طويلة المدى لاوروبا نتيجة خلق مجتمعات عربية ذات توجهات استهلاكية بشكل اكبر مما هي عليه الآن . ولقد لخّص كلود شيسون وجهة النظر هذه في مؤتمر عن اوروبا والوطن العربي عام ١٩٧٦ حيث ذكر انه « حينما نساعد هذه الدول لكي تتصنع فإننا نخلق منافسة لصادراتنا ... ولكن معدل التنمية يتم بشكل اسرع من هذه المنافسة . فكما هو واضح الآن ... فإن صادراتنا من الصلب للدول النامية تتزايد رغم ان قدرة هذه الدول على انتاج الصلب تتزايد هي الأخرى ، لأن هذه القدرة تتسع بسرعة اقل مما تتزايد بها متطلباتهم » .

جدول رقم (٣)

نصيب كل من الجانبين العربي والاوروبي في عدد من الدراسات التمهيدية

الدراسة التمهيدية	إجمالي التكاليف (بالدولار الامريكي)	النصيب	
		الجامعة العربية	الجماعة الاوروبية
التصنيع			
١ ـ انشاء مراكز للتوثيق العربي ـ الاوروبي في مجال المقاييس	٤٥٠٠٠٠	٣٦٠٠٠٠	٩٠٠٠٠
٢ ـ دراسة عن الصناعات البتروكيماوية	١٦٥٠٠٠	١٣٢٠٠٠	٣٣٠٠٠
٣ ـ دراسة عن صناعة تكرير النفط	١٦٥٠٠٠	١٣٢٠٠٠	٣٣٠٠٠
٤ ـ دراسة عن سياسة وبرامج التعليم والتدريب في مجالات القياس والتحكم النوعي	١٣٥٠٠٠	١٠٨٠٠٠	٢٧٠٠٠
المسائل الاجتماعية والثقافية			
٥ ـ نشر محاضر ندوة البندقية حول وسائل واشكال نشر المعرفة الاوروبية عن الثقافة واللغة العربية	٢٠٠٠٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠
٦ ـ مخطوط كاتلوج عن المؤسسات الثقافية والعلمية العربية والاوروبية	٦٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠
٧ ـ المساعدة الفنية لانشاء مركز لتدريب معلمين للنطق العربي	٨٨٠٠٠٠	٧٠٤٠٠٠	١٧٦٠٠٠
التعاون العلمي والتكنولوجي			
٨ ـ دراسة حول انشاء معهد عربي للموارد وتحلية المياه	٦٠٠٠٠٠	٤٨٠٠٠٠	١٢٠٠٠٠
٩ ـ دراسة لانشاء معهد عربي للتدريب الفني	١٠٠٠٠٠٠	٨٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠
١٠ ـ اجراء مسح لمعاهد التعليم البحري في العالم العربي	١٦٠٠٠٠	١٢٨٠٠٠	٣٢٠٠٠
كمية اضافية لندوة هامبورغ عن العلاقة بين الحضارتين العربية والاوروبية	١١٥٠٠٠	٥٧٥٠٠	٥٧٥٠٠
الاجمالي	٣٦٩٦٠٠٠	٢٩١٤٥٠٠	٧٨١٥٠٠

المصدر : احتسبت من :

Alan R. Taylor, «The Euro-Arab Dialogue: Quest for an Interregional Patnership,» *Middle East Journal*, vol. 32, no. 4 (Autumn 1978), p. 346.

مستقبل الحوار العربي ـ الاوروبي

في الاقسام السابقة من هذه الدراسة طرحنا العناصر الرئيسية لنظريتين من النظريات السائدة في العلاقات الدولية ثم ناقشنا الحوار العربي ـ الاوروبي في ضوء هذه العناصر . من هذا الفحص لكلتا النظريتين يستطيع المرء التوصل الى عدد من الاستنتاجات المبدئية :

١ ـ ان كلتا النظريتين لا تقدم تفسيراً شاملاً للحوار وتفاعلاته ، فالنظرية « الواقعية » التي تركز على منهج القوة لا تساعدنا على فهم استمرار الحوار ووجوده رغم الاهداف المتعارضة للطرفين ، كما أنها لا تشرح اسباب النمو المتزايد لدور الهيئة الاوروبية والجامعة العربية في الحوار ، كما انها ايضاً لا تفسر غياب ضغوط عسكرية اوروبية لتحقيق اهداف الجماعة ، وخاصة ان هناك انعداماً في توازن القوى بين الطرفين . نظرية الاعتماد المتبادل تفشل ايضاً في تفسير محدودية انجازات الحوار وحركته البطيئة وتوقفه من وقت لآخر . إن النظرية كذلك لا تقدم تفسيراً معقولاً لغياب الحماس لدى الطرفين للتوصل الى درجات اعلى من الالتزام ببرامج التعاون المستقبلي بينهما رغم عمق ظاهرة الاعتماد المتبادل بين الطرفين .

٢ ـ إن فحص الحوار على ضوء المنهاجين يشير الى خطأ التصور السائد من ان الحوار يعكس اهتماماً سياسياً عربياً وتركيزاً اقتصادياً اوروبياً . فمن الواضح ان عناصر ودوافع سياسية واقتصادية تلعب دورها بدرجات مختلفة في موقف كلا الطرفين .

٣ ـ ان فهم الحوار العربي ـ الاوروبي يتطلب استيعاب نمطين من اتجاهات العلاقات الدولية الاول هو الاتجاه الذي ساد بعد الحرب العالمية الثانية عندما ساد نمط علاقات القوة التي سيطر عليها نظام القطبية الثنائية خلال فترة الحرب الباردة . والثاني هو اتجاه الاعتماد المتبادل الذي نما من خلال التطور في التجارة العالمية ، واستقلال الدول المستعمرة سابقاً ، والثورة في وسائل التكنولوجيا والاتصال . ان كلا الاتجاهين يتعلقان ببعضهما البعض بطريقة ديالكتيكية . ففي بداية السبعينات فإن نظام الحرب الباردة ـ الذي مثّل الاتجاه الاول ـ ما لبث ان استبدل تدريجياً باتجاه الوفاق او الانفراج الدولي . بهذا الاحلال فإن بذور تعدد الاقطاب في النظام الدولي كان بطريقه الى الوجود . في مثل هذا النظام فإن قوى دولية جديدة كأوروبا الغربية والاقليم العربي يمكن أن تلعب دوراً اكبر في السياسة العالمية . ومن ثم فإن عملية الاعتماد المتبادل اصبحت قادرة على الاعلان عن نفسها من خلال « حوارات » متعددة خلال فترة الوفاق ، فما علينا الا ان نلاحظ اوجه الشبه بين الحوار العربي ـ الاوروبي والحوار بين الشمال والجنوب لكي ندرك ان كليهما ينبع من علاقات الاعتماد المتبادل نفسها .

الخلاصة اذاً هي ان مستقبل الحوار العربي ـ الاوروبي يرتهن باستمرار نظام الانفراج الدولي الذي سمح بظهوره ، الا أنه مع الوجود السوفياتي في افغانستان وتزايد الحضور العسكري الامريكي في الشرق الاوسط واعتماد اشكال التدخل المباشر وغير المباشر من قبل الدولتين الاعظم وتكثف انشطة الحرب الباردة الامريكية والسوفياتية في اماكن مختلفة من اركان المعمورة ، فإن قوى الاعتماد المتبادل لا بد من أن تنحني لعوامل القوى والامن . الجماعة الاوروبية سوف تكون اكثر ميلاً لكي تتبنّى بشكل متزايد الموقف الامريكي من السياسة العالمية ، كما ان الاستقطاب في

السياسة العالمية سوف يقود الى استقطاب اكثر حدة مما سبق في الوطن العربي وهو ما سيقود بالتالي الى وضع عقبات جديدة في وجه تنسيق الموقف العربي .

الصراع العربي ـ الاسرائيلي هو الآخر يمثل احد المعوقات في طريق الحوار ، فاستمرار احتلال الاراضي العربية من قبل اسرائيل وعدم حل المشكلة الفلسطينية يضعان الحوار تحت ضغوط حادة وهو ما يمكن البرهنة عليه من نظرة خاصة على فترات الركود والتوقف في تاريخ الحوار ، فالصراع العربي ـ الاسرائيلي يرفع من شأن الابعاد السياسية والامنية للحوار ويطغى على ابعاد الاعتماد المتبادل من ناحية ، كما يؤدي الى تشرذم المواقف العربية والاوروبية من ناحية اخرى ، وهو الامر الذي يجعل تنسيق المواقف بين الاقليمين اكثر صعوبة .

٤ ـ هناك ايضاً عوامل اخرى يجب ان تؤخذ في الحسبان ، فالنخب الحاكمة في كلا الاقليمين يجب ان تؤمن ان استمرار الحوار مفيد لكلا الطرفين . فمن الواضح خلال المناقشة السابقة ان هناك وجوداً لاتجاهي القوة والاعتماد المتبادل بين اعضاء الفريقين ، ومن ثم فإن سريان الاعتقاد ان الحوار سوف يؤدي الى اتساع الفوائد بحيث يأخذ كل طرف نصيباً اكبر منها عما هو سائد الآن يمكن ان يعطي الحوار اتجاهه الفكري الضروري.

٥ ـ في النهاية فإنه كلما استطاع كل اقليم ان يعجل ويعزز من عملية الاعتماد المتبادل الداخلي واستقلاله السياسي في مواجهة النظام العالمي ، فإن احتمالات اكبر سوف تبزغ في طريق الحوار العربي ـ الاوروبي. ومن دون زيادة الترابط داخل كل اقليم فإن الحوار سوف يكون موضوعاً للتلاعب من قبل كل دولة داخله تحاول ان تحقق اهدافاً وطنية ضيقة . إن منطق الاعتماد المتبادل يتطلب اتساع رقعة الوحدات المشتركة فيه □

حول التاريخ والهوية في الوطن العربي(*)
(القسم الثالث)

عونـي فرسـخ

كاتب في القضايا القومية . صدر له كتابان حول « الظروف الاقليمية في الوطن العربي » و « الوحدة في التجربة » .

- ١ -

دخلت الامة العربية بعد ان انجزت تكوينها القومي ، مرحلة اختبار حقيقي لمستوى وفاعلية ذلك التكوين . اذ استجدت مع بداية العصر العباسي الثاني متغيرات على مستوى قمة المجتمع وقاعدته كانت في مصلحة كل من استهدف العرب ووحدتهم . ولقد توأصلت الجهود ـ المحلية والاجنبية ـ المعادية قرابة احد عشر قرناً ، دون ان تغير اياً من مقومات الوجود القومي العربي ، وفي هذا برهان على ان التعريب لم يأت متسقاً مع التطور التاريخي للمنطقة فحسب ، وإنما كان الاحتمال القومي الوحيد الممكن ايضاً . اذ لو كان ممكناً ان تفرز المنطقة مركباً قومياً غير عربي لتحقق ذلك خلال مرحلة تجاوزت الالف عام ، تميزت بسقوط السلطة السياسية العربية ، وسيطرة قيادات معادية للعرب غالباً ، الى جانب التخلف والاحتراب الداخلي والعدوان الخارجي ، وسيادة دعوات اليأس والقنوط والتشرذم على اسس عرقية او طائفية .

ولم تعكس تلك القرون الفعّالية القومية العربية فقط ، وانما ابرزت ايضاً « قوانين الصمود » التي مكّنت الامة العربية ان تجتاز اقسى مراحل تاريخها بكفاءة . وحين يواجه عرب القرن العشرين مساع محلية وخارجية غايتها أن تحقق في هذا الجزء من العالم ما استحال تحقيقه طوال قرون حافلة بالتناقضات الدينية والاجتماعية والطبقية ، فإن « قوانين الصمود » آنئذٍ تشكل بوصلة لكل معني بالمستقبل العربي . وبذلك تصبح دراسة الامس بعضاً من الدراسات المستقبلية ، وتغدو ركناً من ادب المقاومة .

ولقد شملت قرون المعاناة والصمود مرحلتين تاريخيتين بينهما تباين واضح في صلة السلطة المهيمنة بالامة العربية ، وفيما يتصل بالتنظيمات الادارية وعلاقتها بوحدة الوطن العربي . كما انه لم

(*) سلسلة من ابحاث حول التاريخ العربي نشر القسمان الاول والثاني منها في : **المستقبل العربي** ، السنة ٥ ، العددان ٤٩ ـ ٥٠ (آذار / مارس ـ نيسان / ابريل ١٩٨٣) .

يكن بين المرحلتين تطابق كامل في البنى والعلاقات الاجتماعية السائدة . وذلك على الرغم من ان الامة العربية خرجت من المرحلة الاولى على حال لا تكاد تختلف عن تلك التي خرجت عليها في نهاية المرحلة الثانية . ومن المنطقي والحال كذلك ان نفصل بين المرحلتين كي يتيسر فهم الظروف المحيطة بالتحديات القائمة في كل منهما بشكل اوضح . وعليه فسوف نقدم اولاً قراءة لما اصطلح على تسميته « عصر الانحطاط » ، والذي يمتد من صدر العصر العباسي الثاني ـ اواسط القرن التاسع الميلادي ـ وحتى الغزو العثماني ـ اوائل القرن السادس عشر ـ ثم نقدم قراءة لقرون التسلط العثماني التي تمتد حتى مطلع العصر الحديث .

وبداية نوضح اننا لسنا في سبيل التاريخ ، وإنما قراءة التاريخ لفهم الظروف التي احاطت بالامة في مواجهة تحديات المرحلتين ، ولاستقراء « القوانين » التي مكنتها من تقديم الاستجابة الاقدر على الرد . ولما كان من المستحيل عملياً الإحاطة بكل ذلك في عجالة ، كما انه من قبيل الادعاء ان يحيط باحث واحد بتجارب احد عشر قرناً من الزمن ، فإن اقصى ما نطمح اليه لفت نظر المفكرين والمثقفين والمناضلين العرب لحقل غني بالدلالات .

- ٢ -

اولى سلبيات « عصر الانحطاط » تدهور فاعلية المركز الخلافي ، وبروز قادة الجند ذوي الاصول الجنسية غير العربية ، والملاحظ اولاً ان هذا المتغير لم يأت نتيجة هزائم خارجية ، وإنما بفعل صراعات داخلية وتطورات في بنية المجتمع القائم . فلقد كانت جيوش الفتح والدولة الاموية تنتسب للقبائل العربية والموالي المستعربة ، وكان الجند متطوعين يشكلون جيشاً « قومياً » من ناحية انتساب عناصره للامة . وفي العصر العباسي الاول اعتمد على الفرس ـ خاصة الخراسانيين ـ مع استمرار وجود العرب كجند وقادة ، وبذلك بقي للجيش صلة باجزاء من المجتمع . غير ان المعتصم استحدث الجيش المحترف ، وشكله من الترك والديلم وغيرهم . وصارت بدعة المعتصم سنة لمن جاء بعده . وهكذا اقيم فصل تعسفي بين الامة وجيشها .

وأدخل المعتصم قادة الجند في لعبة السلطة ، ويسر لهم التدخل في تعيين الخلفاء ، بحيث اصبح الخليفة اداة بيد القادة وجواري القصر،وكل منهم مجلوب ومرتزق ، ولا يمت لجمهور الامة بنسب . وبهذا امتد الانفصام ليشمل قمة السلطة ، ولم يعد قاصراً على الجيش المحترف .

وكان المتبع في صدر الاسلام ان يأخذ الجند اعطيات من بيت المال . وفي العصر العباسي الثاني استبدل ذلك باقطاعهم ارضاً يزرعونها . واتسع منح الاقطاعيات بضغط من الجند ، حتى نشأت ارستقراطية عسكرية مالكة للارض . وابتداء من اوائل القرن الهجري الرابع اصبح الجند « طبقة جديدة » من المكونات الاساسية للمجتمع ، وذات تأثير على مجريات الامور في كل مجال .

وتفردت « الطبقة الجديدة » بقصورها وعلاقاتها الاجتماعية . وكادت صلتها بجمهور الامة لا تخرج عن علاقات الغلبة والتبعية ، وكأنها سلطة اجنبية . لكن الجمهور لم يعتبرها كذلك ، وتجاوب بشكل عفوي مع كل عمل إيجابي اقدمت عليه ، ولم يتأتَ ذلك نتيجة ادراك ايجابية تلك الاعمال فحسب ، وإنما كان ايضاً بفعل احساس الغالبية بأن القادة يمارسون مسؤولياتهم في دولة عربية اسلامية ، يشكل الوطن العربي عمودها الفقري ، وتعتبر الامة العربية دعامتها الاساسية . وتقع

حواضرها الفاعلة في الارض العربية، ويشخصها خليفة نسبه العربي شرط ولايته عند غالبية الفقهاء . وبذلك كانت الدولة في نظر جمهورها امتداداً طبيعياً للدولة التي انشأها النبي العربي في المدينة المنورة .

ولقد بالغ كثير من المؤرخين في ابراز النسب غير العربي للقادة المبدعين ، وادعى بعضهم ان ليس للامة العربية دور في إيجابيات ذلك العصر . وفات الجماعتين ان اولئك القادة لم يمثلوا سلطة اجنبية قائمة خارج حدود الوطن العربي ، خلافاً لكل من قناصل روما وولاة العثمانيين ومندوبي الاستعمار الاوروبي . ثم ان أياً منهم ـ مهما بلغت قوته وتعاظمت ايجابياته ـ كان يستند في شرعيته لاعتماد الخليفة العربي النسب[١] . علاوة على كونهم جميعاً صهروا في البوتقة العربية الاسلامية ، بل ان غالبيتهم اقتلعوا من جذورهم اطفالاً ، وانشئوا تنشئة عربية اسلامية خالصة . وهم بأي مقياس اخذ بعض من المجتمع الذي يحكمون .

يقيناً ان رموز « الطبقة الجديدة » هم الذين قادوا الامة لتحقيق النصر ، ولكنهم فعلوا ذلك باعتبارهم من مكونات المجتمع ، وبفعل عطائه غير المحدود . وصحيحاً ان « الطبقة الجديدة » عمقت التناقضات القائمة في دولة الخلافة ، وأذكت الصراعات الاجتماعية والاختلافات المذهبية ، واعاقت نمو الشرائح الاجتماعية الاخرى ، فأسهمت بقدر غير يسير في تخلف الامة العربية . لكنها ما كان في مقدورها ان تفعل ذلك كله لولا ان بنية المجتمع كانت تسمح به . وكما لا يصح تاريخياً الادعاء بأن الامة العربية لم تحقق نصر حطين وعين جالوت وتحرير القدس ، فإنه لا يصح ايضاً قصر المسؤولية على القيادات دون القواعد، واعتبارها العلة الوحيدة للتخلف والتدهور . والصحيح تاريخياً ان الامة العربية بقيادة المماليك وامثالهم تخلفت كثيراً وعانت كثيراً ، وقدمت عطاء غير محدود ، وحققت انتصارات اكدت مقدرتها الفذة على صهر البشر والاستجابة للتحديات .

- ٣ -

وثانية سلبيات ذلك العصر التمزق السياسي،وبروز «الدول»في سائر انحاء الدولة العربية الاسلامية . سواء بفعل تمرد الحكام وولاة الاقاليم ، او نتيجة وصول بعض قوى المعارضة للسلطة في بعض النواحي . وكانت المحصلة التاريخية لذلك انسلاخ الاجزاء غير العربية عن جسد الدولة ، واتخاذها مساراً تاريخياً خاصاً . في حين احتفظ الوطن العربي بوحدته حتى سقط تحت السيطرة العثمانية . وكأنما كانت قرون التمزق اختباراً لفاعلية النزوع القومي في دولة ذات توجه ديني ، وخلال مرحلة من حياة البشرية كان للخلافات المذهبية والدينية دور تاريخي ملموس . ولقد انتصر عامل النزوع القومي في المنطقة العربية وخارجها ، بحيث استقلت فارس وما وراءها واسبانيا وسائر الاطراف الاوروبية التي دانت للسلطان العربي الاسلامي ، ولم تتأثر وحدة الوطن العربي في شيء .

وأوحى التمزق السياسي ضمن الدائرة العربية لكثيرين قولهم بأن وحدة الارض العربية التي انجزت في سنوات الفتح الاولى (١٤ ـ ٥٠ هـ ـ ٦٣٦ ـ ٦٧٠ م) انهارت عملياً قبل مضي قرنين من الزمن ، ومن الباحثين المعاصرين من يرى في ذلك التمزق جذوراً تاريخية للتجزئة العربية المعاصرة .

---

(١) من ابرز الامثلة ان المستعصم بالله ـ آخر الخلفاء العباسيين ـ عزل شجرة الدر بعد ان نصبها امراء المماليك وقضاة مصر سلطانة . وكانت مصر يومها الاقليم القاعدة لدولة الخلافة ، وكان المماليك قد حققوا نصراً حاسماً على الصليبيين واسروا ملك فرنسا لويس التاسع الذي جاء مصر بـ ١٢٠٠ سفينة .

وفي تقديرنا ان كلا القولين يفتقر للعلمية والموضوعية ، ولم يضع مقولة التمزق على المحك فعلاً .

وبالعودة لما سموه « دولاً » يتضح ان اياً منها ـ مهما بلغ بها الاتساع ، او طال بها الزمن ـ لم تمتلك مقومات الدولة المتعارف عليها : الاقليم ، والشعب ، والسلطة .

فمن ناحية الاقليم ، لم يكن اقليم اي من « دول » المرحلة ذا حدود طبيعية او سياسية ، واضحة او نهائية ، او معترف بها من قبل الآخرين . وانما كان الاقليم منطقة نفوذ لسلطة محلية ، تتسع او تضيق تبعاً لما تمتلكه السلطة المحلية ، وكل من السلطات المحلية الاخرى ، والمركز الخلافي من ضعف وقوة . وكان كل صاحب سلطة ينكر على اقرانه مناطق نفوذهم ، ويحاول ان يمد سيطرته على مناطقهم . ثم ان « الحدود » لم تكن مانعة للانتقال والاقامة داخل حدود الدولة العربية الاسلامية . ولم يكن الحال كذلك بالنسبة لهذه الدولة مع جاراتها . فقد كانت الحدود هنا فواصل مانعة ، تقوم على حمايتها ثغور مقامة غالباً عند موانع طبيعية توقفت عندها الفتوحات بعد ان فقدت زخمها . كما تمتعت حدود دولة الخلافة باستقرار نسبي حتى ايام الضعف . وكان تنقل الافراد بين دار الاسلام ودار الحرب محدوداً للغاية ، وكاد يقتصر على التجار والموفدين الرسميين ، وكان يعد انتقال اجانب لدولة اجنبية . وبذلك تكون دولة الخلافة قد تمتعت باقليم محدود المعالم ، واضح الحدود ، مميز لهوية ابنائه ، وفي هذا دلالة على ان افتقار « دول » الساحة العربية للاقليم لم يكن من خصائص المرحلة ، وانما كان مؤشراً على افتقارهم للمقوم الاول من مقومات الدولة في كل زمان .

ومن ناحية الشعب ، لم يكن هناك تمايز على مستوى المركب البشري بين اي من الدول ضمن الدائرة العربية ، في حين كان التمايز القومي واضحاً بين العرب وسواهم في دولة الخلافة ، وفيما جاورها من دول . وكان « الشعب » في كل « دولة » يعتبر رعية السلطة القائمة فيها ، ومن رعايا الخليفة في وقت واحد . وكانت التبعية للسلطة المحلية تتبدل بتبديل الحكام وتبعاً لتمدد الحدود وتقلصها . ثم ان الفرد والجماعة حين الانتقال من منطقة نفوذ الى اخرى ، كانوا يعتبرون من رعايا السلطة حيث ينتقلون ، وتسقط تبعيتهم لسلطة المنطقة التي قدموا منها . ولم يكن يقبل من مواطن امتناعاً عن اداء التزامات الرعايا بحجة انه يتبع دولة عربية اخرى . كما لم يحمل الشعب مطلقاً هوية الدولة التي يقيم فيها ، او ينتسب لصاحب سلطتها . ولم يذكر ان «شعب» اي من تلك « الدول » تمسك باستقلالية كيانية ، باعتبارها تحقق مصالحه ، او تجسد شخصيته المميزة . وبالمقابل لم يسع غالبية الحكام لكسب ولاء شعبي يتجاوز حدود الطاعة وتمويل الخزينة ، والذين سعوا لولاء شعبي ـ وهم القلة النادرة ـ فإنهم لم يقصروا طموحهم على مناطق نفوذهم ، وانما اجتهدوا لكسب الولاء لمذهبهم على مدى دولة الخلافة ، وحيثما انتشر الاسلام .

لا الشعب كان خاصاً بدولة ما ، ولا الدول عنيت بولاء شعب تختصه ؛ بل كانت الامة واحدة ، وولاؤها السياسي لدولة الخلافة . وفي ذلك اقرار ضمني من الحكام والمحكومين بوحدة الامة والوطن . كما ان فيه برهاناً على ان افتقار « دول » الساحة العربية للشعب المميز لم يكن من سمات المرحلة ، وإنما كان مؤشراً على افتقارها للمقوم الثاني من مقومات الدولة حتى بمعايير ذلك العصر .

ومن ناحية السيادة ، كانت السلطة الاسمية للمركز الخلافي ، اذ كان يصدر مراسيم تعيين الملوك والسلاطين او يعتمد قرارات تعيينهم . وحين اقام الفاطميون خلافتهم بمصر ، ونازعوا العباسيين السيادة،فعلوا الامرين باسم الامة،وعلى امتداد دولة الخلافة،وليس باسم شعبهم ولم يقصروه على

دولتهم . وكانت كل رموز السيادة المعروفة يومها تكاد تكون قاصرة على الخليفة : لـه الخطبة ، وفي حالات يذكر اسمه اولاً في الدعاء ، ثم يرد اسم صاحب السلطة المحلي . وللخليفة السكة ، فباسمه تسك النقود ، وان كانت قد حملت بعض اسماء الحكام بعد اسم الخليفة احياناً . وكانت الراية للخليفة دائماً ، وهي مرفوعة في كل الاقاليم ، الا حين نازعه الفاطميون منصبه ، ورفعوا رايتهم باسم الامة كلها . وكان للمركز الخلافي مخصصات مالية تصله بين الحين والحين . ونـادراً ما تمتعت السلطـة المركزية في الامبراطوريات القديمة بما تجاوز تعيين حكام الاقاليم وعزلهم ، وفرض الجباية وتحصيلها ، وتجييش الجيوش لمواجهة الاعداء الخارجيين . وذلك كله مارسه المركز الخلافي ـ حتى ايام ضعفه ـ وطالما لم تظفر اي من كيانات التمزق في الساحة العربية بسيادة كاملة مطلقة ، فإنها تكون فاقدة للمقوم الثالث من مقومات الدولة .

ولو عقدنا مقارنة بين ما كان قائماً في الساحة العربية من دولة الخلافة وما كان قائماً في اوروب المعاصرة لتبين ان دويلات التمزق العربيـة كانت اقـرب الى الاقطاعيـات القائمـة في داخل الـدول الاوروبية ، منها الى كيانات تلك الدول في بداية تكونها القومي ، بل ان المواطن في الاقطاعيات العربية امتلك من حرية الحركة والتنقل ما لم يتوفر للقن الاوروبي المعاصر له .

وبقراءة تاريخ علاقات دول المرحلة فيما بينها ، وكذلك علاقاتها بالمركز الخلافي ، يتضح انها لم تقم على اساس عدم التدخل في الشؤون الداخلية للآخرين ، وإنما كان الطابع العام للمرحلة اصطراع الدول فيما بينها ، وتصارعها مع المركز ، على الرغم من وجود المخاطر الخارجية ، ونادراً ما تهادنت الاطراف العربية الاسلامية او تحالفت . ولم تعكس فترات اللاصراع ـ النادرة ـ تسليماً ولو ضمنياً من اي دولة بشرعية دولة خليفة اخرى . وانما ظل الرفض المتبادل للشرعية هـو القاسم المشتـرك للعلاقات المتبادلة طوال المرحلة .

وليس هناك مؤشرات تاريخية على محاولات لتغيير او تعديل اي من مقومات الوجـود القومي العربي ضمن الدائرة العربية ، خلافاً لما تم في الدول الاسلامية خارج هذه الدائرة . حيث تم بعث الحياة في اللغة والآداب والتراث والتاريخ وسائر السمات القومية الخاصة . كما لم يرد اي ذكر لجهود محلية رسمية او شعبية ، ولو على ابسط المستويات ، لكسر امتداد الوطن العربي ، من خلال تعطيل او عرقلة تفاعلات ابناء الامة الواحدة . ومع ان عدم الاستقرار كان هو الاصل طوال المرحلة ، وبرغم الحروب والدمار وما لحق بالطرق والخانات من اضرار ، فإن التفاعلات العربية ـ بشرياً واقتصادياً وثقافياً وعلمياً ـ تواصلت زماناً واتصلت مكاناً ، وكـادت تحافظ عـلى وتيرتهـا التي كانت في صـدر الاسلام . وكان هناك اختلاف جوهري في مدى ومستوى التفاعلات الحياتية ضمن الدائرة العربية ، وفيما بينها وبين بقية انحاء دولة الخلافة .

وكخلاصة يتضح ان التمزق السياسي الذي شهدته المرحلة لم يؤد مطلقاً لتجزئة كيانية ذات استقرار نسبي ، ولم يشكل اساساً موضوعياً لمشاعر اقليمية ، او يولد سمات قطرية خاصة . ولقد استمرت السمات القومية التي استقرت في صدر الاسلام هي السمات الاكثر بروزاً على مدى الساحة بين المحيط والخليج . وفي ذلك برهان على عدم دقة الاستنتاجات التي استندت على ظاهرة تعدد الدول في الوطن العربي خلال عصر الانحطاط ، كما ان فيه مؤشراً آخر على فاعلية النزوع القومي للمنطقة .

- ٤ -

وثالثة سلبيات المرحلة تفاقم حدة الصراعات المذهبية والطائفية والطبقية . ولم يكن العامل القومي غائباً عن الجدل الاجتماعي للمرحلة. ومن المؤرخين ـ السابقين والمعاصرين ـ من اعتبره عاملاً اساسياً . وكثيراً ما ذكر ان الفرس ـ بصورة خاصة ـ غلفوا مشاعرهم القومية بأقنعة مذهبية واجتماعية . وانهم فعلوا ذلك لأنهم ينقمون على العرب الذين اسقطوا سلطانهم[٢] . والثابت تاريخياً ان الشعوبية التي بدت في صدر الاسلام كدعوة للتسوية ، تأسيساً على مبدأ الاخوة الاسلامية ، استمرت في العصر العباسي الاول رغم ان الكفة فيه مالت للفرس دون العرب ، وتواصلت في العصر العباسي الثاني بعد سقوط السيادة العربية على مستوى القمة[٣] . وفي ذلك تأكيد للخلفية العنصرية لتلك الظاهرة .

ونلاحظ فيما يتعلق بالشعوبية والزندقة ، اللتين تواصلتا في صدر المرحلة ، انهما كادتا تكونان وجهين لعملة واحدة . فالشعوبية ، التي عرفت بأنها عنصرية معادية للعروبة ، انطوت على موقف جاهلي لا اسلامي : فهي اولاً دعوة تفوّق عنصري في مواجهة عروبة حضارية جاءت تطبيقاً للحديث النبوي « من تكلم العربية فهو عربي » . وهي ثانياً افتخار بامجاد فارس قبل الاسلام وتصغير لمكارم الاخلاق عند العرب ، التي اقرها وأتمها الاسلام . ولقد فطن الائمة والفقهاء والمحدثون يومها للعلاقة الجدلية بين العروبة والاسلام ، فلم يعرف لمن ينتسبون منهم لأصول غير عربية موقف شعوبي . وبالمقابل فإن الزندقة ـ التي جسدت المروق والردة عن الاسلام ـ انطوت على موقف عنصري لا عربي ، الامر الذي يعكسه وعي رموزها وفلاسفتها للعلاقة الجدلية بين العروبة والاسلام[٤] .

وكما لم تلغِ الاخوة الاسلامية عامل النزوع القومي ، فإن الصراعات المتفاقمة لم توهن من فاعليته . اذ لم يتشرذم الناس على اسس عرقية او طائفية برغم كل ما انطوت عليه تلك القرون من احتراب داخلي ، ودسائس ومؤامرات وتحريض وممارسات خاطئة وثارات متبادلة . ولقد دفع بهم العدوان الخارجي وعذابات القرون لمزيد من الانصهار والتبلور. واي مقارنة بين واقع الحال عند بداية المرحلة ونهايتها تظهر ان الهوية العربية للمنطقة باتت اكثر وضوحاً ، عما كانت عليه ايام تفرد العرب بقيادة دولة موحدة الارض ، منيعة الحدود ، عزيزة الجانب .

وشهدت منطقة الوطن العربي خلال القرون الاخيرة للمرحلة دخول الناس افواجاً في الاسلام ، بحيث صار دين الاكثرية الساحقة ، وقيل في تفسير ذلك ان المماليك ـ كرد فعل للممارسات الاوروبية المعادية للاسلام ـ خرجوا على القاعدة التي حكمت العلاقة بأهل الكتاب ، والمتمثلة بالآية القرآنية (لا اكراه في الدين) . وقيل ان الغزو الاوروبي المسيحي اوقع المسيحيين العرب في حرج شديد الطف ما يقال فيه انه خيّرهم بين الوقوف مع بني دينهم أو الوقوف مع بني قومهم ، ويبدو ان المسيحيين العرب في معظمهم اختاروا الحل الثاني . فكان المسعى الصليبي وبالاً على المسيحية العربية من حيث ظن او

---

(٢) مالت اغلب التفسيرات الى اعتبار اغتيال عمر بن الخطاب ثأراً فارسياً ساسانياً من العرب المسلمين نفذه ابو لؤلؤة المجوسي بتحريض من المرزبان .

(٣) عبد العزيز الدوري ، **الجذور التاريخية للشعوبية** (بيروت : دار الطليعة ، ١٩٦٢) .

(٤) في شعر ابي نواس وامثاله عداء لايخفى للعروبة والاسلام .

صوّر انه دفاع عنها[٥] . وللمؤرخ توينبي رأي خلاصته ان الصراعات الداخلية والعدوان الخارجي « دفعت المجتمع الاسلامي للتماسك الروحي . تجاه الجائحة التي كانت تهدد باقتلاعه من اساسه »[٦] . وأياً كان التعليل فإن ما تحقق تسبب في توسيع قاعدة الاغلبية ، وجعلها الاكثرية في كل نواحي الوطن ، الامر الذي اسهم في تعزيز تماسك الامة العربية خلال اقسى مراحل تاريخها . وبهذا لم يؤدِ الاسلام يومئذٍ دوراً تحررياً تمثل في فعّاليته النضالية ضد الغزاة فحسب ، وانما ادّى دوراً قومياً ايضاً ، من حيث اسهامه مع عامل النزوع القومي والعدوان الخارجي ، في تمكين الامة العربية من اجتياز المرحلة الخطرة بنجاح كبير . وبذلك تكون المرحلة قد ابرزت استمرار جدلية العروبة والاسلام على الرغم مما اصابهما معاً من ضعف وتراجع .

- ٥ -

وكانت السلبية الرابعة افراز المرحلة لبذور التعصب الطائفي والتخلف الفكري . واذا كان صحيحاً ان الصراعات المحلية والدسائس الخارجية لم تؤد الى تشرذم ابناء الوطن العربي على اسس عرقية وطائفية فإن الصحيح ايضاً ان الممارسات والافكار الخاطئة تركت بصماتها في النفوس . وافتقد المجتمع التسامح والانفتاح اللذين ولدتهما جدلية العروبة والاسلام في القرون الاولى ، وحل محلهما تعصب وانغلاق تعمقا مع الايام . ولقد ابرزت المرحلة انعكاس واقع الامة على التجزئة الاجتماعية بين ابنائها . فحين كانت الامة في مرحلة نهوض تصرف الجميع باعتبارهم ابناء مجتمع واحد ، وكان لابناء الاقليات اسهام ايجابي وابداع ملحوظ . اما حين قلب المد جزراً ، فإن الصوت الاعلى صار للرموز الاكثر تخلفاً . والشواهد المجتمعية في كل زمان ومكان تدل على انه في مراحل التخلف والتفكك تطفو على السطح المفاهيم والممارسات الاشد قتاماً ، وتجد الدسائس الخارجية من يستجيب لها بانفعال وتشنج ، وتسود حالة من الفعل ورد الفعل : فمن بين صفوف الاغلبية يتعالى صراخ الداعين للتزمت دفاعاً عن الذات ، ومن بين صفوف الاقليات يبرز دعاة التمايز ينادون باقتناص الفرص وتحقيق المكاسب . ويغدو موقف كل طرف مضاعفاً ومضخماً لموقف الطرف الآخر . وتفرز التجزئة الاجتماعية اوراماً في بنية الامة لا تختلف كثيراً عن الاورام السرطانية في الجسد الانساني . لكن حيوية الامم تقاس دوماً بقدرتها على تفريغ تلك الاورام من سمومها .

وبالنسبة للامة العربية فإن المرحلة وإن اتسمت بافراز بذور التعصب والتخلف الفكري ، الا ان الواقع العربي في المجالين كان اقل قتاماً مما كان على مدى الساحة العالمية من ناحية ، واكثر تقدماً مما احاق بالامة العربية في المرحلة اللاحقة من ناحية ثانية . وليس ثمة مجال للمقارنة بمعاناة الانسان في الارض العربية بفعل التعصب والانغلاق خلال العصور الوسطى ، وما شهدته اوروبا من محاكم تفتيش ابادت المخالفين في العقيدة ولاحقت كل فكر حر بالتحريق والتشريد . كما ان البون بعيد بين ما كان قبيل الغزو العثماني ، وما آلت اليه الامور بعد ان احكم سلاطين بني عثمان قبضتهم على الديار . وفي تقديرنا ان احتفاظ الربوع العربية ببعض ما كان فيها من تسامح يعود يومها لثلاثة عوامل متفاعلة :

---

(٥) فكتور سحاب ، « من يحمي المسيحيين العرب » ، **المستقبل العربي** ، السنة ٤ ، العدد ٣٠ (آب / اغسطس ١٩٨١) .

(٦) فؤاد محمد شبل ، **حضارة الاسلام في دراسة توينبي للتاريخ** ، المكتبة الثقافية ، ٢١١ (القاهرة : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٨) .

- كون الانفتاح من السمات القومية العربية ، بدا في الجاهلية ، وتألق في صدر الاسلام ، ولم يخبَ في ظلامات العصور الوسطى .

- كون التسامح في صلب العقيدة الاسلامية . ثم ان من مبادىء الاسلام اعتبار المسيحية واليهودية ديانتين سماويتين احترامهما فرض ، وصيانة حقوق اهل الذمة من اتباعهما واجب . والخروج على هذه وتلك يمس العقيدة ويناهضه جمهور الفقهاء .

- كون الوطن العربي يومها - برغم ما لحقه من تدهور وانحطاط - متقدماً اقتصادياً وحضارياً على الدول المعاصرة ، كما انه كان قياساً بمعاصريه في مستوى متقدم كثيراً على السلطنة العثمانية قياساً بمعاصريها .

وكان طبيعياً والحال كذلك ان يجسد الوطن العربي - برغم كل تخلفه - البؤرة الحضارية للانسانية آنئذٍ ، وان تأتي ممارسات نخبه وجماهيره متقدمة على ممارسات الآخرين . كما لم يكن غريباً ان تشهد مدينة القدس تصرفات متناقضة لفاتحين : غودفري وصلاح الدين . وكان الغريب فعلاً لو ان صلاح الدين انتقم لجريمة غودفري في المدينة المقدسة . وكان طبيعياً كذلك ان تفقد المنطقة العربية تفوقها النسبي بعد ان اختلت المعادلة مع مطلع القرن السادس عشر .

وقدمت المرحلة البرهان العملي لمصداقية القول : « إذا عز العرب عز الاسلام ، واذا ذل العرب ذل الاسلام »[٧] . فالتدهور الذي اصاب الحياة العربية احدث ردة دينية . فكما استفاد العرب من الطاقة التي منحهم اياها الاسلام من اللحظات الاولى ، فإن الاسلام تضرر مما اصاب العرب من نكسة فيما بعد . وكما تفاعلت النهضتان القومية والدينية في القرون الاولى فكان الابداع في كل المجالات ، كذلك تفاعلت الكبوة القومية مع الردة الدينية فتسارع التدهور على كل صعيد . ولعل الامام محمد عبده خير من عبّر عن حقيقة التأثيرات المتبادلة بين العروبة والاسلام حين يقول : « كان الاسلام ديناً عربياً ، ثم لحقه العلم فصار علماً عربياً ، بعد ان كان يونانياً ، ثم أخطأ خليفة في السياسة ، فاتخذ من سعة الاسلام ما كان يظنه خيراً له ، ظن ان الجيش العربي قد يكون عوناً لخليفة علوي... فأراد ان يتخذ له جيشاً من الترك والديلم وغيرهم ... هنالك استعجم الاسلام واصبح ديناً اعجمياً »[٨] .. ويضيف الامام في اسى « خليفة عباسي اراد ان يصنع لنفسه ولخلفه ، وبئس ما صنع بأمته ودينه »[٩] . ويستعرض تأثيرات قادة الجند في احكام قبضتهم على الدولة ، وما لحق بالدين والفكر بتأثير القادة المتأثرين بالوثنية وعادات الامم الاخرى ، سواء كان على مستوى الشعائر ، او القول بأن المتأخر ليس له ان يقول بغير ما يقول به المتقدم ، او بنشر الآراء التي تجعل امور الجماعة من اختصاص الحكام دون سواهم . وكان ان عانت الامة بشتى مذاهبها وطوائفها نتيجة الوهن الذي بدا بأحد طرفي الجدلية الاقدر على الفعل في الارض العربية ، ثم ما لبث ان اصاب الطرف الآخر بالوهن . فكان ان تفاعل وهن العروبة مع الوهن الذي اصاب الاسلام . وان اكتوى العرب مسلمين ومسحيين بنيران التعصب الطائفي والانغلاق الفكري .

---

(٧) كثيراً ما اعتبر هذا القول حديثاً نبوياً ،وقد حاولنا التحقق منه في الصحيحين ، البخاري ومسلم ولم نوفق .

(٨) محمد عبده ، « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » مقالات نشرت في جريدة المنار التي كان يصدرها الشيخ محمد رشيد رضا بالقاهرة في مطلع القرن .

(٩) يعلق السيد محمد رشيد رضا على ذلك : هو المعتصم : بئس ما صنع في نصر البدعة على السنة وبئس ما صنع في تمكين الترك من سلب ملك الامة .

والى جانب ذلك كله أبرزت المرحلة نبل القيم الحضارية العربية الاسلامية ، وتحولها الى بعض السمات القومية للامة العربية . كما تأكد بالممارسة ان الاسلام يظل صمام الامان الذي يحول دون تشوه القيم الحضارية للانسان العربي ، بفعل ارهاب الغزاة وممارساتهم اللاانسانية . وحين احاقت الهزائم بالغزاة فرضت القيم المتأصلة في الذات العربية على المنتصرين ان تتميز ممارساتهم عن تلك التي مورست ضدهم عندما كانوا مستضعفين في ارضهم . ولقد اقتفى التابعون سنة الاولين . وكما خلد فعل الرسول الكريم يوم قال لاهل مكة « اذهبوا فانتم الطلقاء » . كذلك خلد موقف صلاح الدين تجاه الاسرى من اللاتين حين استعاد القدس .

- ٦ -

تلك كانت ابرز السلبيات في حين كان الصمود في وجه الغزاة ابرز ايجابيات المرحلة . فبدءاً من اواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) لم يعد الصدام مع اوروبا قاصراً على المحورين التقليديين : بيزنطة والاندلس ، وانما قام الى جانبهما ثلاثة محاور : طلائع الاستعمار ممثلة بالحملات الصليبية ، ومحاولة قتل التجارة العربية عن طريق القرصنة وقرارات المقاطعة والحرمان الكنسية ، ثم الاعمال التبشيرية في قلب آسيا . ولم يسلم الجناح الشرقي للوطن العربي من البربرية الغازية ، اذ اجتاحه المغول والتتار ، وخلال بضع سنين في الحالين هلك ملايين البشر ، وحولت معالم الحضارة الى ركام محترق .

وكان بين الغزاة تحالف وتعاون . فقد عقد هولاكو حلفاً مع كل من هيتوم ملك « ارمينيا الصغرى » ويوهمند السادس ملك انطاكية الصليبي[١٠] . واخذت حملته على بلاد الشام صفة الحرب المغولية الصليبية الارمنية المشتركة . وحين احتل حلب استعاد هيتوم الاقاليم والقلاع التي كان قد استولى عليها ولاة حلب ، واسترد بوهمند الاراضي التي كان قد حررها الايوبيون . اما تيمورلنك فقد تلقى وعوداً بالمساعدة من بيزنطة ، وعقد اتفاقات تجارية مع البندقية . وقد اشارت المصادر التاريخية الى اتصال المبشرين بالمغول والتتار لتنصيرهم وتسخيرهم في صراع اوروبا مع الدولة العربية الاسلامية . كما كان للوزراء اليهود في بلاطات المغول دور في تأصيل روح التعصب الطائفي في المنطقة[١١] .

وكأنما عقد الغزاة فيما بينهم اتفاقاً على ضرب مستقبل المنطقة ، وليس تدمير حاضرها فحسب . ولقد كان الدمار قاسماً مشتركاً لتصرفاتهم ، فالاوروبيون حاولوا انهاء الاحتكار العربي لتجارة المنطقة ، والآسيويون دمروا كل شيء حتى تخوم مصر . ولقد كانت افظع اعمال التخريب التي ارتكبها

---

(١٠) انظر : فؤاد عبد المعطي الصياد ، **مؤرخ المغول الكبير : رشيد الدين فضل الله الهمذاني** ، (القاهرة : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧) ، و
René Grousset, *The Empire of the Steppes: A History of Central Asia*, trans. from the French by Naomi Walford (Brunswick, N.J.: Rutgers University Press, 1970).

(١١) من ابرز هؤلاء سعد الدولة ، وزير السلطان ارغون خان (٦٦٣ - ٦٩٠ هـ) ، المشهور بعدائه للمسلمين . وبعد مقتله انتقم الجمهور من يهود فارس والعراق . ولم ينج من الانتقام الا يهود مدينة شيراز تقديراً لعدل واليها السابق اليهودي شمس الدولة . وفي الحادثة بشقيها السلبي والايجابي دلالة واضحة . انظر : الصياد ، المصدر نفسه ، نقلاً عن : ابن الفوطي ، **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة** ، وقف على تصحيحه والتعليق عليه مصطفى جواد (بغداد : المكتبة العربية ، ١٣٥١ هـ) ، و**تاريخ وصاف** .

هولاكو تدميره المتقن للسدود ونواظم الري التي كان بناؤها المحكم منذ القدم ، وتجديدها ورعايتها في القرون الهجرية الاولى من اهم عوامل الازدهار الاقتصادي في القرون الهجرية الاولى . يضاف الى ذلك ان الحروب المتوالية تسببت في عدم استقرار له انعكاساته السلبية في منطقة للتجارة وحركة القوافل اثر في ازدهارها منذ فجر التاريخ .

ولقي الغزاة من افرازات التخلف العربي سنداً ، اذ وجدوا من الحكام من هادنهم ومن سار في ركابهم ، عله يحتفظ بنفوذه في ظل السادة الجدد[١٢] . كما وجد من ابناء الارض العربية من دفعه التعصب الطائفي وقصر النظر للسير في ذيل القافلة ينفس عن حقد مكبوت ، وفي ظنه ان الغزاة خالدون في الارض . وقام الى جانب الجماعتين من غشيت ابصارهم ، فطفقوا يدعون لليأس والقنوط ، بعضهم فعل ذلك بسبب عجزه امام معضلات الواقع الجسام ، وبعضهم نتيجة قصوره عن فهم حقائق دينه ووقائع دنياه وفي تاريخ المنطقة تفاصيل مذهلة لممارسات المتخاذلين والخائنين والساقطين .

وصمدت الامة في وجه الغزاة وافرازات واقعها المتخلف ، وتصدت بشكل اسطوري للتحالف الثلاثي الاوروبي والآسيوي والمحلي ، ولادراك حجم الانتصار الذي تحقق نذكر بأن اوروبا وظفت طاقاتها طوال قرنين كاملين في خدمة الصليبيين ، ولم تبخل على القراصنة طوال قرنين آخرين . اما هولاكو فقد دانت له الارض ما بين الصين وبلاد الشام . في حين اكتسح تيمورلنك شرق آسيا كله ، وانتصر على الروس ، وهزم العثمانيين واسر سلطانهم بايزيد . ولقد انتصرت الامة العربية في مرحلة سمتها العامة التخلف والتمزق والتدهور على كل المستويات .

وبقراءة معركة الامة مع الغزاة يتضح انها مرت بثلاثة مواقف متوالية :

ـ تلقي الصدمة بسلبية تكاد تكون تامة ، ولقد كان التمزق والاحتراب الداخلي ، وانشغال الحكام بنزواتهم ، وقهر الشعب وشل فاعلية الفرد والجماعة سبب تدني مستوى المقاومة رسمياً وشعبياً . وتسبب النصر السهل نسبياً في غطرسة الغزاة وغرورهم ، وتصورهم ان المنطقة دانت لسلطانهم ابد الدهر . وكل ذلك يعكس حالة انسانية عامة ، فكل الامم عبر التاريخ لم تتصد بكفاءة للغزاة حين دهموها وهي في حالة تخلف وتفكك ، وكل الغزاة اغتروا بالنتائج الاولية لعدوانهم . وما شهدته الساحة العربية يومئذٍ لا يمس جوهر الامة العربية في شيء ، وانما يعكس ابعاد التخلف الذي كانت تعانيه حين اقتحم الغزاة حدودها .

ـ استيعاب الضربة الصاعقة من خلال موقف سلبي تجاه الغزاة : وكانت التناقضات القومية والدينية والاجتماعية علة سلبية جماهير الشعب تجاه الاعداء . فمن جهة شكل العامل القومي اساساً موضوعياً لانعدام التفاعل الايجابي بين الامة العربية وكل من قاهريها الاوروبيين والآسيويين، وكان في حكم الحتمية التاريخية ان يفرز التناقض القومي حالة صدامية بين العرب واعداء عروبتهم . ومن جهة

---

(١٢) من المتآمرين مع الصليبيين :شاور الوزير الفاطمي بمصر ،وكمشتكين وزير الملك الصالح اسماعيل في حلب ، وراشد بن سنان رئيس الحشاشين، وسيف الدين غازي امير الموصل ، وجميع هؤلاء حاربوا ضد صلاح الدين الايوبي .
ومن المتآمرين مع المغول : بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، والوزير العباسي ابن العلقمي . كما ان الخليفة العباسي المستعصم تخاذل ولم يقاتل ، وامر الناس في بغداد ان يلقوا بسلاحهم وفي ظنه انه بذلك ينقذ ما يمكن انقاذه .

ثانية أدت الاختلافات الدينية والمذهبية دوراً إيجابياً في اذكاء حدة التناقضات بين الطرفين ، وكان مستحيلاً ان لا تستعاد روح الجهاد والفداء الاسلامي في مواجهة عدو يعلن عداوته الصريحة للاسلام ، كما كان للخلاف المذهبي بين كتلة الصليبيين وارثوذكسية نصارى الشرق ، دور في الصراعات القائمة[١٢] . ومن جهة ثالثة فجّرت الممارسات غير الانسانية للغزاة تناقضات اجتماعية وطبقية غير محدودة . وكان ان تفاعلت العوامل الاجتماعية والدينية والقومية في تعميق سلبية هي ايجابية بحد ذاتها ، وبانعدام التفاعل الايجابي مع الغزاة بقيت جذوة المقاومة متقدة ومتواصلة .

ـ واخيراً ، ومن خلال التحدي والاستجابة المتواصلين ، كان يبرز من بين الصفوف قادة قادرون على تحريك الجمهور الرافض . ومن التقاء ارادة الفعل عند القادة ، مع حالة الرفض المتجذرة في اعماق الجماهير ، كان ينهض من تحت الركام اعصار جارف ، يغسل الارض من ادران التخلف ، ويقلب انتصارات الغزاة الى هزائم متوالية .

واختلف المؤرخون في تعليل الانتصارات الكاسحة ، وغالباً ما كان التركيز على كفاءة القادة ، وفي تصورنا انه توفر لاولئك الابطال العوامل الموضوعية للنصر ، اذ كانت الامة العربية قد انجزت كلا من مرحلتي « التكوين القومي » و« الاستقرار القومي » قبل ان يدهمها الغزاة ، كما انها كانت ـ برغم كل تخلفها ـ متقدمة حضارياً على غزاتها ، وامكاناتها المادية ـ برغم كل الهدر القائم ـ كانت اكبر من امكاناتهم . فكان ميزان القوى الحقيقي في مصلحة القيادة العربية على كل الصعد القومية والحضارية والمادية ، وكان الابداع القيادي تحريك طاقات الامة الكامنة . وبفعل ذلك هزموا غزاة ميزتهم الاساسية انهم فاجأوا الامة العربية في مرحلة من التفكك والعجز عن استثمار ما هو متوفر لديها من طاقات .

ـ ٧ ـ

والى جانب ابراز جوهر الامة على حقيقته فإن ايجابية عصر الانحطاط قدمت عدداً من المؤشرات التي يمكن اعتبارها « القانون العربي » لمواجهة العدوان الخارجي . وهو قانون كما ابرزته التجربة يقوم على اربعة اسس :

الاول ـ التصدي للحرب النفسية هي البداية : في مواجهة طوفان ادبيات اليأس والقنوط ابدع الشعب ادب مقاومة على شكل قصص وحكايات واشعار ومواويل تتغنى بالشجاعة والبطولة والصبر على الاذى . وفي سيرة بني هلال وامثالها من تراث ذلك الزمن ما يعكس موقفاً نضالياً حين تغدو الكلمة هي السلاح الوحيد .

الثاني ـ المبادرة الشجاعة اولى الخطوات على الدرب : كان نور الدين زنكي اول من رفع الرأس ، ففتح في جدار الخوف ثغرة سرعان ما اصبحت الباب الذي عبر منه صلاح الدين . ولقد كان هولاكو صادقاً حين سأل المستعصم قبل ان يأمر بقتله : « لِمَ لَمْ تسرع الى شاطىء نهر جيحون لتحول دون

---

(١٢) مما يذكر ان بطريرك انطاكية عاد اليها في ركاب صلاح الدين ، معيداً الى الاذهان عودة بنيامين اسقف الاسكندرية اليها بعد فتحها بقيادة عمرو بن العاص . وكان نصارى الشرق ضحايا التعصب الديني الاوروبي في الحالين ، وكان الاسلام نصيرهم في كل مرة .

عبوري »[١٤] . ولقد ادرك السلطان قطز ان قوة الغزاة الحقيقية كامنة في حالة الرعب الجماعي التي يخلقها ارهابهم ، وتحقق لهم انتصارات سهلة . واثبت بالممارسة العملية ان المبادرة الشجاعة قادرة على اختراق حاجز الخوف الذي يشل فاعلية الامة[١٥] . فحين جاءه انذار هولاكو كان المسير لفلسطين هو الرد . وكان التحرك سريعاً ومفاجئاً وبضربة خاطفة حرر غزة ، وسجل اول نصر على « الفاتح » الذي لم يتصد له احد ، وسرعان ما تطاولت قامات الرجال ، وتقاطرت النجدات من بلاد الشام تدعم جيش مصر . وكان الصليبيون في حالة تردد ، وقد اذهلتهم الصحوة المفاجئة فاتخذوا موقف الحياد ، ولم يعد مستحيلاً على قطز وبيبرس ان يسجلا نصر عين جالوت ، وانزلت بالمغول وحلفائهم الارمن الهزيمة الساحقة ، وقبل ان ينقضي عام على انذار هولاكو كان شمل جيشه قد تبدد في بلاد العرب ، وكان نائبه قد اعدم[١٦] . وكانت اسطورة الجيش الذي لا يقهر قد غدت من بعض الذكريات .

الثالث ـ الوحدة اداة النصر : كان اول ما شغل به كل من تصدى للاعداء السعي لجمع الشتات العربي الاسلامي . ولقد كان النهوض في حد ذاته ميسراً لذلك ومعجلاً به ، ويتضح ذلك في كل من سيرة عماد الدين زنكي ، وصلاح الدين الايوبي والملك الصالح والسلطان قطز ، والظاهر بيبرس . وما كان ممكناً تحقيق الانتصارات الحاسمة لو لم يقم نور الدين زنكي « دولة الطوق » من حول الارض المحتلة ، ولو لم يحتفظ بها صلاح الدين ثم يعيدها المماليك بعد ان فككها ورثة صلاح الدين .. ولقد بذل كل من القادة المنتصرين جهداً ووقتاً ، وخاض حروباً لتحقيق « اداة النصر»، بما لا يقل عما بذله في مقارنة الاعداء . فصلاح الدين مثلاً امضى اغلب سنوات حكمه يصارع حتى مد سلطانه من وادي النيل وسواحل افريقيا الشمالية الى وادي الفرات . ومن تخوم حلب الى اليمن وعدن . ولقد حارب في اليمن وبلاد الشام ليقيم دولة متماسكة عظيمة الامكانيات ، وحتى يتيسر له توظيف امكانيات الامة المادية والبشرية التوظيف الامثل . ولم يقعده عن ذلك تحالف بعض « ملوك » عصره مع الصليبيين ، وتآمر من حوله مع الاعداء ، وخوضه المعارك على الجبهتين .

الرابع ـ مصر « الاقليم القاعدة » العربي : شكلت مصر اعتباراً من انتقال الفاطميين اليها « الاقليم القاعدة » للامة العربية . وحين وهنت سلطة الفاطميين ، وتراجعت حدودهم الشرقية الى عسقلان على الشاطىء الفلسطيني ، استقل بالسلطة في كل بلد كبير من بلاد الشام والعراق حاكم بأمره ، وشغل بمغازاة جيرانه ومعاداتهم « وفي اثناء هذا السبات الذي استولى على مصر نزل الصليبيون الشام ولم يجدوا من يردهم »[١٧] . غير ان صلة مصر بأمتها لم تنقطع ، رغم انكفائها على ذاتها ، ولعل غلطة الصليبيين الكبرى انهم لم يستولوا على النقب ، ويقطعوا الاتصال البري بين مصر والمشرق

---

(١٤) الصياد ، **مؤرخ المغول الكبير : رشيد الدين فضل الله الهمذاني** ، نقلاً عن : رسالة فتح بغداد الملحقة بكتاب **تاريخ جهانكشاي**، وقد ذكر في الرواية ان هولاكو اجاع الخليفة المستعصم ثم قدم له صحناً مملوءاً بذهب اخذ من خزائنه ، وسأله : ان كنت تعرف ان الذهب لا يؤكل فلم احتفظت به ولم توزعه على جنودك حتى يصونوا لك ملكك الموروث ؟ ولم لم تحول هذه الابواب الحديدية الى سهام ؟

(١٥) عقد الدكتور يوسف ادريس مقارنة جيدة بين اعتماد هولاكو على الرعب الجماعي لتحقيق النصر وبين اعتماد الصهاينة لذلك ، انظر : يوسف ادريس ، « تكتيك هولاكو »، **الموقف العربي** ، السنة ٤ ، العدد ١٢٣ (٢١ ـ ٢٧ شباط / فبراير ١٩٨٢) .

(١٦) هو صهر هولاكو وورد اسمه بصيغ مختلفة : كانبوقا ، كتبوقا ، وكيتوبوقا ، كتبغا ، كتبوغا.

(١٧) حسين مؤنس ، **مصر ورسالتها** ، اخترنا لك ، ١٧ (القاهرة : دار المعارف ، [د.ت.]) ، ص ٩٢ ـ ٩٣ .

العربي[١٨] . كما احتفظت مصر باسطول نشط في البحر الاحمر ، ابقى صلتها بالحجاز واليمن واطراف الجزيرة والحواضر والثغور العربية في جنوب شرق اسيا والشواطىء الشرقية لافريقيا . كما لم تتأثر حركة القوافل والتفاعلات المختلفة مع الشمال الافريقي وقلب القارة السوداء . وبذلك احتفظت مصر بقدر غير يسير من ازدهارها وعمارها ، مما يسر لها النهوض بمهمة الاقليم القاعدة على المستوى النضالي والحضاري . ويبدو ان الدور الذي لعبته مصر في الحياة العربية خلال هذه المرحلة نبّه القوى الاستعمارية في العصر الحديث لأهمية عزل مصر . وجعل ذلك في مقدمة اهدافها الاستراتيجية .

- ٨ -

وكان لتدني حدة المواجهة مع العدوان الخارجي ، بعد دحر التتار وطرد الصليبيين ، تأثيرات سلبية وايجابية على الجدل الاجتماعي الداخلي : فمن جهة افتقدت السلطة التعاطف الشعبي فتقوت روح التمرد على الاستبداد والظلم . ومن جهة ثانية ترهلت الفئة الحاكمة وتفاقمت صراعاتها . ولقد تسبب ضعف سلطة المماليك في انكفاء مصر على ذاتها من جديد ، وفي تشرذم القوى في بلاد الشام مرة اخرى . فتكرر قبيل الغزو العثماني في مطلع القرن السادس عشر ، ما حدث قبيل الغزو الصليبي في اواخر القرن الحادي عشر. والعمق الاسلامي الذي حقق اتساعاً بتحول المغول الى الاسلام ، لم يعد داعماً كما كان ، وانما اخذ يضغط على المنطقة العربية من خلال الدعوات الباطنية والفرق المذهبية ، العاملة على تمزيق الصفوف ، واقامة الصراعات الطائفية بين المسلمين .

ولقد شهد القرنان الرابع والخامس عشر صراعات عنيفة بين الصفويين والعثمانيين ، عسكرية ومذهبية وسياسية ، انتهت لمصلحة العثمانيين الذين جسدوا فاعلية القوة الاسلامية غير العربية ، وغدوا ممثليها الصاعدين بعد احتلال القسطنطينية ، وتحويلهم البحر الاسود لبحيرة عثمانية ، وتقدمهم في القرم . وشكل صعود العثمانيين تهديداً لسلطة المماليك في بلاد الشام ومصر في وقت كانت عامة الشعب ترى في انتصارات العثمانيين نسخة جديدة من الفتوحات العربية في صدر الاسلام .

وبعد ان فشلت اوروبا في انتزاع السيطرة التجارية من يد العرب على البر وفي المتوسط ، اتجهت نحو المحيط الاطلسي مستفيدة من الانجازات العلمية والتقنية التي حققتها في القرن الاخير ، خاصة القدرة على بناء السفن عابرة المحيطات . ولقد نجح البرتغاليون في عبور رأس الرجاء الصالح فشكلوا تحدياً خطيراً للقوة العربية الاسلامية في المحيط الهندي . وآذن الصراع في المنطقة أن يأخذ ابعاداً جديدة .

لم يكن يومها الصراع ذا بعد واحد ، وإنما كانت له ابعاد شتى متفاعلة : فهو خلاف ديني ومذهبي بين الاسلام والمسيحية ، وفيما بين المذاهب المختلفة للديانتين . وهو تنافس اقتصادي وتجاري غايته السيطرة على البحار ومصادر السلع والاسواق ، وهو صراع قومي وسياسي يستهدف التوسع ومد النفوذ . الا انه بشكل عام محكوم بالمصالح الحقيقية والمتصورة لاصحاب النفوذ ، وكل الدوافع الاخرى مسخرة لخدمة اغراضهم ، وليس ادل على ذلك من التحالفات التي كانت تقوم بين اطراف الصراع، بصرف النظر عن اختلاف العقائد والقوميات .

---

(١٨) لقد وعي الصهاينة الدرس تماماً ، فأصروا ان يكون النقب كاملاً لهم عند التقسيم . ولعل هذا يفسر مصرع الوسيط الدولي برنادوت ، الذي اقترح اعطاء النقب للعرب في خريف سنة ١٩٤٨ .

ووقعت القوة العربية بين شقي رحى . ولما كان صراعها الاول مع اوروبا فقد تحركت باتجاه مهادنة العثمانيين ، وعقدت معهم هدنة ـ اقامها سلطان مصر قانباي مع بايزيد الثاني ـ بعد معركة طرسوس بين الطرفين التي هزم فيها العثمانيون سنة ١٤٩١م ـ ثم تحالفت القوتان وتعاونتا في معركة بحرية قرب الاسكندرية ضد فرسان القديس يوحنا سنة ١٥١٠ م . لكن جهود العثمانيين كانت مركزة في اوروبا الوسطى وضد الصفويين ، فلم يقدموا للقوة العربية الا دعماً محدوداً . كما انهم لم يقدموا دعماً يذكر لهذه القوة اثناء مواجهتها اساطيل اوروبا في المحيط الهندي . في حين تحالف شاه فارس ـ عدو العثمانيين ـ مع قراصنة اوروبا ضد القوة العربية . ولقد واجهت ثغور السواحل الشرقية وكذلك السفن العربية النار والدمار ، معتمدة بصورة اساسية على القوة المحدودة والمبعثرة للامارات العربية على شواطىء الجزيرة وشرق افريقيا. ولولا المساندة التي قدمها الاسطول المصري لوقف عرب هذا الجزء من الوطن وحدهم في مواجهة الطوفان . وحقق المصريون انتصارات اولية على الاسطول البرتغالي عند ديو على ساحل الهند ، لكن خيانة سلطان جيوجارت اغضبت القائد المصري فانسحب بسفنه ، وبرحيله ثبت البرتغاليون انفسهم سادة للبحار سنة ١٥٠٨ م . ولقد احرقوا المدن والموانىء العربية من موزامبيق حتى ساحل البنادر وخليج عدن ، كما احرقوا واغرقوا سفن العرب حيث وجدوها[١٩] . وبالسيف والنار طويت صفحة من تاريخ سواحل المحيط الهندي وبدأت صفحة جديدة ، تختلف جذرياً عما كان في ظل السيادة العربية على البحر والتجارة .

وأغرى ضعف المماليك العثمانيين بحيث تحولوا بشكل مفاجىء عما اعتادوه من تحرك في جوارهم وانعطفوا للمنطقة العربية ، فسجلوا نصراً سريعاً في مرج دابق سنة ١٥١٦ ، وتوالى تقدمهم بحيث احتلوا القاهرة بعد عام ، ووضعوا حداً نهائياً لاستقلال المنطقة العربية . والملاحظ ان الغالبية الساحقة من العرب لم تواجه العثمانيين بمقاومة تذكر ، بسبب نظرة العرب اليهم كرموز جدد لطبقة الجند التي اعتادت ان تحكم المنطقة ، وباعتبارهم اكثر قدرة من المماليك على التصدي المجدي للعدو التقليدي .

ولم يختلف مصير قلب الوطن العربي عن اطرافه ، وان اختلفت القوة صاحبة السلطة المباشرة هنا وهناك . والثابت ان مطلع القرن السادس عشر جاء للمنطقة بضربتين متفاعلتين : السيطرة الاوروبية على البحر ، والتسلط العثماني على البر . وبفقدان السيادة البرية والبحرية خسرت الامة العربية ما تبقى لها من فاعلية ، ما عدا احتفاظها بمقومات صمودها القومي . وبدأت مرحلة جديدة في تاريخها اتسمت بثلاث سمات :

الاولى : التبعية السياسية لقوة اجنبية غازية بينها وبين اهل المنطقة تمايز قومي وذلك لأول مرة منذ الفتح العربي الاسلامي . ذلك لأن غالبية الوطن العربي في القرون السابقة كانت خارج سيطرة الصليبيين والمغول . ثم ان الشعب العربي في المناطق المحتلة استمر على ولائه لدولة الخلافة القائمة في الارض العربية . وكأنما القرن السادس عشر اعاد المنطقة من جديد للسيطرة الاجنبية التي انتهت قبل تسعة قرون .

الثانية : فقدان المنطقة استقلالها الاقتصادي لاول مرة منذ فجر التاريخ ، وتحولها تدريجياً الى

---

(١٩) جلال يحيى ، **الاستعمار والاستغلال والتخلف** (القاهرة : الدار القومية ، ١٩٦٥) .

سوق تابعة وخاضعة لمقتضيات السوق في اوروبا الاستعمارية ، على الرغم من ان الاستعمار الاوروبي المباشر تحقق تدريجياً ولم يشمل سائر الارض العربية الا بعد اربعة قرون .

الثالثة : ان الطموحات العربية في منطقة القلب والاطراف كانت مشدودة طوال المرحلة الممتدة حتى العصر الحديث في اتجاهات واحدة ، برغم توزعها بين الحنين لعصر الامة الذهبي،وبين التطلع للحاق بالغرب الاوروبي . اذ لم يثر العثمانيون برغم طول سيطرتهم اي طموح للاقتداء بهم عند العرب ، خلافاً لطموحات التغريب التي لم تخل منها الساحة العربية هنا وهناك .

وباستمرار فاعلية الوجود القومي العربي من جهة ، وبتفاعل التناقض القومي مع التناقضات التي فجرتها التبعية للسوق الاوروبية من جهة ثانية ، وبتأثير الافتقار لطموحات وآمال ذات خاصية قطرية او جهوية مميزة من جهة ثالثة ، فإن وحدة المسيرة والمصير لم تتأثر كثيراً برغم سيطرة الاوروبيين على البحار وتسلط العثمانيين على معظم البر العربي في مطلع القرن السادس عشر .

- ٩ -

لم يكن العثمانيون للامة العربية كما كان المماليك . وكان من المستحيل ان يكرروا دور هؤلاء . فقد جاء العثمانيون كشعب متبلور ، وله طموحات قومية ، وبين يديه امجاد عسكرية فتح الارض العربية بعض منها . وبحكم ذلك فإن العلاقة بين العرب والترك خضعت منذ البداية لمنطق التناقض القومي ، رغم الاخوة الاسلامية التي جمعت بين الطرفين ، والتي كان لها اثرها الملموس في تيسير السيطرة العثمانية على الارض العربية . في حين كان المماليك وامثالهم - برغم كل السلبيات التي احاطت بمقدمهم ومقامهم - من مكونات المجتمع العربي الاسلامي ، ولم يشكلوا بالتالي تناقضاً قومياً مع الامة التي يحكمون ، لا في البدء ولا في الختام . ولعل هذا كان السبب الاول لعجز العثمانيين عن ان يحققوا للمنطقة وبشعبها مثل الذي حققه اسلافهم من صمود في وجه التحديات الخارجية ، ومن قدرة على الاحتفاظ بالدور الريادي على كل المستويات الحضارية .

وكان السبب الثاني لعجز العثمانيين عن ان يحققوا للمنطقة وبشعبها الصمود والتقدم يعود للخصائص الذاتية للاتراك . فقد كانوا قوماً محاربين يفتقرون للخلفية الحضارية ، وكانوا محافظين وبطيئي الحركة - استاتيكيين - ولم يكونوا حركيين متطورين - ديناميكيين - وبفعل ذلك لم يدركوا مكمن القوة الحقيقي في صراعات ذلك القرن . وكان المجال الحيوي الذي يشد ابصارهم الاناضول وما حوله ، ولم يكن المجهول البعيد يثير الكثير من طموحاتهم ، ولذا شغلوا بصراعات غير مجدية في المتوسط ، وبنزاعات دامية مع الصفويين وبحروب متواصلة في القرم ومع روسيا ، ولم يمارسوا مثل الفعّالية العربية في قلب افريقيا والمحيط الهندي . وتركوا المجالين الحيويين لطلائع الاستعمار الاوروبي تحقق فيهما انتصارات مجانية .

ولو عقدت المقارنة بين الامكانيات التي توفرت للعثمانيين وتلك التي كانت لدى طلائع الاستعمار الاوروبي ، لتبين ان الامكانيات المادية التي توفرت للاولين لم يتوفر مثلها لمعظم الدول الاوروبية النشطة في مجال الاستعمار . اذ باستيلاء العثمانيين على الوطن العربي تحكموا بالموقع الاستراتيجي والتجاري الفريد ، وبموقف المسلمين منهم كمجسدين جدد للفاعلية الاسلامية توفرت لهم فرص تعاون ايجابي مع منطقة تمتد من شواطىء الاطلسي حتى تخوم الصين ، ومن نهر الفولغا حتى المحيط الهندي وقلب افريقيا . وباحتواء الاناضول على الغابات امتلكوا الاخشاب اللازمة لبناء السفن . وكانت المعرفة

العربية لا تقل عن مثيلتها الاوروبية سواء في الحرف والصناعة او في الملاحة وريادة البحار . وكان العلم العربي في مستوى نظيره الاوروبي ومتفاعلاً معه . وكانت العسكرية العثمانية قد امنت استقراراً داخلياً ومنعة خارجية ، ولم تكن روح المغامرة عند ابناء المنطقة قد سحقت كلياً . وحتى التقنيات الاوروبية المتطورة والتحولات العلمية المستجدة كان من الممكن اقتباسها . والثابت ان العثمانيين استخدموا المدافع وتقنية عسكرية حديثة قبل نهاية القرن الخامس عشر . كما عقد سليمان القانوني وفرنسوا الاول ـ ملك فرنسا ـ اتفاقية صداقة وتجارة سنة ١٥٣٥ ، كانت تسمح لهم اقتباس ما لدى حلفائهم والاستفادة من تراث المنطقة العربية في تمثل حضارة الآخرين ،تماماً كما فعل العرب المسلمون من قبل ومحمد علي فيما بعد .ويقيناً ان الامكانيات التي اتيحت لسليم الاول او سليمان القانوني لا مجال لمقارنتها بما تيسر لمحمد علي بعد ثلاثة قرون .. ولكن العقلية هي التي ميزت محمد علي برغم ضآلة الامكانات . وقد ذكر اكثر من مؤرخ ان العثمانيين كانوا مؤهلين لوراثة امبراطورية المغول في الهند ، ودور العرب في افريقيا والمحيط الهندي اكثر بكثير من البرتغاليين وسواهم لو اقتصر الامر على الامكانات المادية التي كان يمتلكها اطراف الصراع في العالم آنئذٍ .

- ١٠ -

ولم يعوّض العثمانيون فقدان التجارة بدعم اي نشاط اقتصادي آخر ، على الرغم من توفر الامكانات المادية والبشرية الميسرة لذلك . وكانت الطبيعة العسكرية للقوم ، وفكرتهم البسيطة والساذجة عن الدولة تدفع بهم الى استغلال ما هو متاح على نحو لا يترك تراكمات للتنمية والتطوير. وكان الجيش اداة السلطة في توسعها وتثبيت سلطانها ، وبالتالي جهازها الاول والاولى بالرعاية . وكان على « الرعية » ان تمول « الدولة المحاربة » ، التي شغلت بالجباية ولم تعنَ بأي نشاط انتاجي . ولم تنته الامور للجمود على ما كان في المرحلة السابقة ، وانما كان التدهور السريع قاسماً مشتركاً لكل الانشطة بعد التحول المفاجيء في قمة السلطة .

فالتجارة لم تبتل بتحول طرق الملاحة ، وما تبعها من فقدان المنطقة لامتيازها فحسب ، وإنما استجدت امور ابرزها : العبث بالعملة الذهبية والفضية ، مما تسبب في تراجع استخدامها بعدما كان الدينار العربي العملة الاولى في معظم اسواق المتوسط والمحيط الهندي قبيل الغزو العثماني بسنوات معدودة . وكان العبث بالموازين والمكاييل والمقاييس وانعدام الرقابة على الاسواق ثاني المستجدات . وقد شهدت المرحلة ظاهرتين تتصلان بالغش التجاري : ان كان المتضرر اجنبياً او متمتعاً بالحماية الاجنبية ، انصفه القناصل واخذوا له حقه . واما حين يكون من الاكثرية المغلوبة على امرها فلم يكن امامه الا ان يردد بحسرة واحداً من الامثال التي افرزتها المرحلة . وكان المستجد الثالث الذي ابتليت به التجارة الداخلية سيطرة الاجانب والفئات المشمولة بالحماية الاجنبية على الاسواق . وكان الايطاليون والفرنسيون والمالطيون واليهود وبعض ابناء الاقليات العربية هم « بنادر » التجار . وقد جاء « التطور الجديد » نتيجة تدهور التجارة العربية من جهة ، وبسبب فتح الاسواق امام السلع الاجنبية ، وحصر وكالاتها بأولئك « التجار » من جهة ثانية . واذا كان السلطان سليم الاول قد عقد سنة ١٥١٧ م اتفاقية مع تجار البندقة ثبت بموجبها امتيازاتهم القديمة واعطاهم امتيازات اخرى ، فإن خلفاءه توسعوا في منح الامتيازات . وبدلاً من ان تحافظ البرجوازية العربية على بنيتها ضمرت وتراجع دورها الاقتصادي والاجتماعي عما كان في القرون الماضية .

وفي قطاع الزراعة ضوعفت الضرائب ، والقي عبؤها ـ نتيجة تدهور التجارة والحرف ـ على

الفلاحين بصورة اساسية . وعهد للملتزمين بالجباية فأقاموا السوط والسخرة . وشجعت الدولة الوقف الاهلي ، مما تسبب باهمال الارض . واتسع نطاق الاقطاع سواء باسهام السلطة في منح الاقطاعيات ، او بفعل هجر الفلاحين الارض للالتحاق بالجندية او فراراً منها ، او بسبب بيع كثيرين اراضيهم لدفع بدل العسكرية او لتجهيز المجندين من ابنائهم . وكمحصلة لجملة الضغوط ارهق الفلاحون وتخلفوا وعجزوا عن تطوير اساليبهم ؛ فتدنت الانتاجية الحدية للارض ، وتناقصت المساحة المزروعة ، وطغت عليها الصحراء .

واصيبت الحرف بضربة قاسية بسبب تدهور التجارة ، ونتيجة افتقار الحواضر العربية للخلفاء والسلاطين واثرياء التجار وتنافسهم على العمران ومظاهر الترف . كما كان لفقدان الجيوش المحلية آثار سلبية على صناعة السلاح وبناء السفن واعداد المهمات العسكرية . ومن جهة اخرى اقدم السلطان سليم على نقل خيرة الصناع والحرفيين لعاصمته ، وقدر ما اخذه من القاهرة وحدها بخمسمائة حرفي . واستقطبت اسطنبول فيما بعد كل ذي ابداع . وتسببت هجرة العقول والخبرة الفنية في العجز عن تطوير الحرف القائمة . وتفاعل ذلك مع ما لحق نظام الطوائف ، الذي حقق تقدماً في العهد المملوكي ، وبعد ان كان التقدم في السلم المهني خاضعاً لمعايير فنية ، صارت رئاسة الطوائف تباع وتشترى ، كما اقام الولاة العثمانيون طوائف لمهن غير انتاجية ، كالسقائين والقردتية[٢٠] . وبحيث انتهت الامور بعجز الحرفيين وقصورهم عن مواكبة التطور . ثم جاءت الضربة القاضية حين فتحت الاسواق للسلع الاوروبية ، التي اقبلت عليها الصفوة ، وبذلك تراجعت الحرف تماماً .

لم تكن محنة الاقتصاد العربي منذ مطلع القرن السادس عشر ، انه لم يواكب التطور الاوروبي ، وانما الى جانب ذلك وقد يكون اشد منه خطورة ، انه دفع الى الوراء . وتفاعلت العمليتان بحيث ضاعفت كل منهما تأثير الثانية ، وفي زمن قصير للغاية فقد الوطن العربي كل تفوقه ، وصار التقدم الاوروبي والتخلف العربي يسيران في خط متواز بحيث تتسع الفجوة بينهما يوماً بعد يوم .

وبفقدان السيادة القومية ، وكنتيجة لانهيار الاقتصاد العربي ، وبتأثير التخلف الفكري للاتراك العثمانيين[٢١] ، وعملية التجهيل المتعمد التي نفذها الاستعمار وطلائعه ، وبتفاعل ذلك كان التراجع الفكري والتدهور الادبي والفني . وبات منطقياً القول ان عصر الانحطاط العربي ان كان قد بدأ في القرن العاشر الميلادي فإنه في القرن السابس عشر قد تأكد .

وهناك من يرى ان العثمانيين وان كانوا قد عمقوا التخلف في الوطن العربي الا انهم حالوا دون سقوطه مبكراً في حوزة الاستعمار الاوروبي . وبذلك جسّدوا الفعّالية الاسلامية على الرغم من اسقاطهم الفعّالية العربية . ونلاحظ ان هذا القول يغفل عدة حقائق تاريخية ابرزها :

ـ لقد صمدت المنطقة العربية للغزاة طوال القرون السابقة بقواها الذاتية ، ولم تتجه اوروبا للاطلسي الا بعد ان عجزت عن اقتحام الثغور العربية على المتوسط في القرن الخامس عشر .

---

(٢٠) جلال يحيى ، مصر الحديثة ١٥١٧ ـ ١٨٠٥ (الاسكندرية : منشأة المعارف ، ١٩٦٩) .

(٢١) يكفي الاشارة الى ان الدولة التي استخدمت البارود والمدافع ما ان ظهرا في اوروبا ، لم تقم مطبعتها الاولى الا سنة ١٧٢٩ في عهد السلطان احمد الثالث . وقد اغلقت سنة ١٧٤٢ بعد ان طبعت ١٧ كتاباً فقط . انظر :

Bernard Lewis, *The Middle East and the West* (New York: Harper Torch Book, 1961), p. 37.

ـ لم يقدم العثمانيون اي دعم ولو كان رمزياً للدويلات العربية الاسلامية في الاندلس ، وكانوا يومها اعظم قوة عسكرية في اوروبا ، كما كان بامكانهم التحالف مع مصر لتقديم الدعم المطلوب .

ـ اتاح صراع العثمانيين والصفويين للاستعمار فرصة التفرد بالجناح الشرقي للوطن العربي . كما تسبب ضعف مساندة العثمانيين لمصر في اضعاف فعّاليتها في المحيط الهندي ، بل ان خشية المماليك غدر العثمانيين بهم ، جعلهم يواجهون التسلل البرتغالي في المحيط الهندي بجزء بسيط من طاقاتهم .

ـ بتحول طرق التجارة ، وبفتح اسواق المنطقة للتجارة الاوروبية ، وبمنح الامتيازات على عهد سليم الاول وسليمان القانوني ، فإن استغلال الوطن العربي اقتصادياً بدأ في القرن السادس عشر ، وان كان استعماره تحقق في وقت لاحق .

ـ خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر شغل الاوروبيون باكتشاف العالم الجديد واستعماره ، وشغلتهم حروبهم الاستعمارية في اوروبا وفي المستعمرات بصورة اساسية . وفي سنة ١٥٨٠ وقعت اسبانيا والسلطنة هدنة حدت من الصراع في المتوسط ، كي يتفرغ الاسبان لحربهم في الاراضي الواطئة ، والعثمانيون لمحاربة الصفويين .

ـ لقد صمدت مراكش في وجه الاوروبيين والعثمانيين. واستطاع محمد المهدي المعروف بالشيخ السعدي ان يطرد البرتغاليين من بعض الثغور المغربية بعد احتلال دام ٧٢ سنة . ثم توجه لاسترداد الجزائر من العثمانيين فاحتل تلمسان واضطرهم لتوقيع اتفاقية لتثبيت الحدود سنة ٩٦١ هـ . وبعدها اتجه نشاط الدولة السعدية بالمغرب نحو الجنوب وتمكنت في عهد ابي العباس احمد المنصور السعدي ان تمد سلطانها حتى غانا .

ـ حالت التوازنات الدولية خلال القرنين الثامن والتاسع عشر دون سقوط « رجل اوروبا المريض » ، وبفضل ذلك تأخر احتلال ما تبقى من الوطن العربي وليس بفضل العثمانيين وفعلهم .

لقد كان اسهام العرب في تحمل عبء « الدولة المحاربة » ليس الا اسهاماً في حروب العثمانيين لمد نفوذهم ، او دفاعاً عن حدودهم ، او مساهمة في التصدي لصراعات داخلية ، كان الجنود العرب فيها اداة السلطة الغاشمة في قهر الشعوب الخاضعة لسلطانها ، ولم يكن لهذا الاسهام من الجهاد الاسلامي إلا الاسم ، تماماً كما لم يكن للسلطة من دور اسلامي غير اتخاذ سلطانها من بين القابه المتعددة لقب « الخليفة » .

ـ ١١ ـ

واذا كانت الامة العربية قد عانت من الخلافات المذهبية قبل الغزو العثماني ، فإن العثمانيين ـ من خلال سلبيات معالجتهم لمشاكل الطوائف ـ تسببوا في تفاقم المشكلة الطائفية ونقلها من ظاهرة دينية مضمونها الاختلاف في الاجتهادات بين ابناء الامة الواحدة ، الى معضلة قومية واجتماعية ، وذلك عندما اصبحت الطائفية من مكونات تيارات الارتماء في حضن الاجنبي والسلطة الفاسدة ، ومن مسببات الصراعات الاجتماعية والطبقية في الساحة العربية . ولادراك ما تحقق في العهد العثماني من نقل المشكلة من الاجتهادات الدينية للصراعات الدنيوية ، لا بد من وقفة قصيرة مع المستجدات التي تسببت في تلك النقلة الخطرة .

بداية ليس اظلم للحقيقة من اتهام العثمانيين بالتعصب الديني بشكل مطلق ، كما انه من ابرز

الاكاذيب التاريخية الزعم بأنهم اضطهدوا المسيحيين واليهود دينياً واجتماعياً ، وأفادوا اهل السنة على حساب الآخرين . والثابت تاريخياً ان محمد الفاتح بعد سقوط القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م نظم شؤون الكنيسة الارثوذكسية واعتبرها كنيسة وطنية واخضعها لسلطة البطريرك ، الذي منح رتبة الباشوية الشرفية ، وجعل له محكمته الخاصة ، وسجنه الخاص وترك له امر توزيع الجزية على الطوائف والافراد والاشراف على تحصيلها منهم ، بالرغم من ان مقدار الجزية المفروض كان يقدره موظفو الباب العالي بالتعاون مع السلطة الكنسية . ولقد تمتع البطريرك الارثوذكسي بسلطة تامة على اتباع كنيسته باستثناء السلطة المدنية[٢٢] . وكان الارثوذكس ـ بطوائفهم المتعددة ـ هم الغالبية الساحقة لمسيحيي الشرق آنئذٍ . وحين طرد اليهود من الاندلس سنة ١٤٩٣ ، اصدر السلطان بايزيد الثاني مرسوماً يقضي بحسن معاملتهم في سلطنته[٢٣] . وبلغ النفوذ اليهودي اوجه في عهد السلطان سليم الثاني (١٥٦٦ ـ ١٥٧٤) وان كانت الجماعتان قد عوملتا كاهل ذمة ، فإنه لا مجال لمقارنة ذلك مطلقاً بما حدث في اسبانيا بعد سقوط الدويلات العربية في الاندلس سنة ١٤٩٢ ، حيث أُبيد المسلمون وشُرد اليهود . كما انه لا مجال لمقارنة وضع اهل الذمة في السلطنة بحال البروتستانت في فرنسا[٢٤] . او الكاثوليك في انكلترا المعاصرتين . ناهيك عن حال المسلمين واليهود حيثما وجدوا في الممالك الاوروبية في بداية عصر النهضة .

تلك هي الحقيقة يوم كانت السلطنة في اوج قوتها ، وحين ضعفت تحكمت بالمسألة الطائفية ثلاث مسائل : لا يتحمل العثمانيون وزرها وحدهم ، وإنما تشاركهم المسؤولية والوزر القوى الاستعمارية الاوروبية والزعامات الطائفية المحلية . اما المسائل الثلاث فهي :

ـ الامتيازات والحماية الاجنبية للطوائف ، الممنوحتان بداية والمفروضتان فيما بعد ، وكان الكاثوليك اول من ظفروا بها نتيجة لنفوذ فرنسا في السلطنة ، بعد اتفاقية فرنسوا وسليمان القانوني . ولقد تعززت البعثات التبشيرية الكاثوليكية حين انشأ البابا جروجوري الخامس الهيئة الدعائية الكاثوليكية سنة ١٦٢٢[٢٥] . ومع الايام صار لكل طائفة من يحميها : الارثوذكس روسيا ، والكاثوليك فرنسا ، والبروتستانت انكلترا ، واليهود اكثر من دولة ، حتى الطوائف الاسلامية غير السنية نالت بعض الامتيازات وشملت بالحماية الاجنبية .ولقد لعب سفراء الدول الكبرى في العاصمة ، وقناصلها في الولايات ، دوراًمهما في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية لشعوب السلطنة . اذ انحاز كل منهم لطائفة من السكان ، يدافع عن مصالحها مقابل اعتراف الطائفة بفضل السفير والقنصل وولائها لدولته .

ـ الصراعات بين الطوائف المسيحية لاقتسام نصارى الشرق من جهة ، وكانعكاس للصراعات السياسية الاوروبية من جهة اخرى . وكان واضحاً ان النشاط التبشيري غير مجدٍ في الاوساط

---

(٢٢) انظر :

Hamilton R. Gibb and Harold Bowen, *Islamic Society and the West: A Study of the Impact of Western Civilization on Moslem Culture in the Near East* (London, New York: Oxford University Press, 1950-), vol. 11, p. 216.

(٢٣) المصدر نفسه .

(٢٤) نذكر بمذبحة سانت بوثليمو في باريس حيث ذبح ثلاثون الف بروتستانتي في ليلة واحدة .

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٢٣١ و ٢٣٢ .

الاسلامية ، مما جعل المبشرين الاوروبيين يتجهون للطائفة الارثوذكسية ، وكثيراً ما سمعت شكواهم لدى الباب العالي ، وتوسط السفراء عنده ضد « تعصب » الكنيسة الارثوذكسية وتصديها لمحاولة الكنائس الاخرى تحويل اتباعها عن عقيدتهم(٢٦) .

ـ التدخلات السياسية ، ومحاولة الدوائر الاستعمارية استغلال ضعف السلطنة وتوظيف المسألة الطائفية في مخططات اعادة رسم خريطة المنطقة على النحو الذي يؤمن استمرار الاستغلال الاستعماري لشعوبها . فالكنيسة الارثوذكسية التي اعتبرها محمد الفاتح كنيسة وطنية ، ما لبثت ان اقتدت بالكنيسة الكاثوليكية ، ووضعت نفسها في حماية روسيا ، وشجعت الحركات الاستقلالية في البلقان .

وبتفاعل الامتيازات والحماية والصراعات المحلية والتدخلات الاجنبية اتخذ الشكل الطائفي مساراً جديداً لم يتم التحرر منه بعد ، اذ وجد في بلادنا ـ وما زال ـ من يرون في الدول الاجنبية أمّاً رؤوماً وسنداً حامياً . وحين يقارن الوضع بالموقف الذي اتخذه غالبية المسيحيين العرب ابان الحروب الصليبية تدرك خطورة النقلة التي تحققت في هذا المجال . والملاحظ ان المبشرين والقناصل والرؤساء الروحيين للطوائف استغلوا ضعف السلطنة الى ابعد حد . ومارسوا نوعاً من الارهاب الفكري كانت غايته ابتزاز مزيد من المكاسب والامتيازات . وبفعل ذلك ضخمت الطائفية بشكل مفتعل ، جعل صداها اكبر بكثير من واقعها ، واظهرها خلافاً لحقيقتها ، وبدت الدولة التي مارست اقل تعصب تجاه مخالفيها في الدين ـ قياساً بأوروبا المعاصرة ـ مجسدة للتعصب . واكثر من ذلك فإن الدراسة الموضوعية لما كان في العهد العثماني تثبت ان المحصلة النهائية للممارسات لم تكن وبالاً على المسيحيين ـ كما صور ذلك كثيرون وادعوه ـ وإنما على العكس تماماً . وكما كانت الحروب الصليبية وبالاً على المسيحيين العرب فإن العهد العثماني ، كان وبالاً على الاكثرية المسلمة التي طالما اتهم بمحاباتها .

فالقيادات الروحية حققت مكانة اجتماعية ومكاسب مادية على حساب وحدة الجماعة والموقف من القوى الاستعمارية من جهة ، واستطاعت ان تحكم قبضتها على **رعاياها** وان تستغلهم الى ابعد حدود الاستغلال من جهة اخرى. ولقد قام في الوطن العربي منذ مطلع القرن الثامن عشر **اقطاع ديني** رعته السفارات وراعته السلطنة العثمانية ، ومن خلال الرعاية والمراعاة نمت سلطته وتنامت ثروته ، ولم تعد علاقته باتباعه دينية فحسب ، وانما غدت علاقة مركبة : دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية . وصار **الاكليروس**(٢٧) . من مكونات المجتمع العربي ، ومن المحاورين في جدله الاجتماعي .

ولم تخرج « القواعد الطائفية » عطلاً من المكاسب ، وإنما نالت بعض الغنم الذي اصابه الكبار . اذ ظفرت بنصيب ملموس من الوكالات التجارية للسلع الاجنبية ، وشملتها الحماية الاجنبية على نحو او آخر ، فقلت معاناتها قياساً بالسواد الاعظم للغالبية ، كما تيسر لها التعليم في المدارس التبشيرية والبعثات الخارجية ، وتهيأت لها فرص الوظائف في الدولة والمصارف والمصالح الاجنبية . ثم ان حرمانها من حق **الجهادية** كان نعمة عليها ولم يكن نقمة ، فقد جنّبها الفرار من الارض خشية التجنيد ، او بيعها لدفع البدلات العسكرية ، ونجا ابناؤها من معاناة حروب لا تعنيهم .

---

(٢٦) المصدر نفسه .

(٢٧) لا مجال مطلقاً لمقارنة الدور السياسي والاجتماعي للقيادات الروحية المسيحية واليهودية بدور ورجال الدين المسلمين .

واستثمرت الطوائف ـ قيادة وقواعد ـ فساد السلطنة ، وحققت مغانم غير يسيرة من خلال ما هو معروف عن كل سلطة فاسدة في كل زمان ومكان من لجوئها ـ نتيجة خشيتها من الاكثرية ـ الى الاعتماد على ادوات من الاقليات . ولم يكن ذلك قاصراً على قمة الهرم السياسي في السلطنة ، وانما كان تقليداً متبعاً على كل المستويات . وفي الوقت الذي كانت السلطة تتعامل مع الطوائف دون حرج وبلا حدود ، وتتساهل في منح الامتيازات ، وكانت تبارك دعوات التشنج والتعصب والتشكيك بالاقلية في اوساط الاغلبية . وبالممارسات الخاطئة على المحورين تعمق التعصب وترسبت في اعماق النفوس احقاد وعقد تبرز على السطح كلما وجدت من يحركها .

غير ان المشكل الطائفي لم يكن يعمل في فراغ ، وكما اثر في الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فقد تأثر به . ويبدو ذلك بوضوح في ان المشكلة الطائفية ، برغم النقلة الخطرة التي حققتها ، لم تستطع ان تقسم المجتمع بشكل عمودي ، وظلت الصراعات الطائفية ـ برغم كل تحريك لها ـ في مستوى ادنى من الصراعات الاكثر عمقاً في الواقع العربي ، ونلحظ ذلك في مجالات ثلاثة :

ـ حيث احتدمت الصراعات القبلية في العهد العثماني بين القيسيين واليمانيين كان الصف الواحد يضم اتباع الطوائف المختلفة ، وكان الولاء القبلي يقدم على الولاء الديني ، وفي بعض الحالات تسبب في تغيير ديموغرافي يستهدف فرضه التضامن القبلي برغم الاختلافات المذهبية[٢٨] .

ـ حيث تفاقمت الصراعات ضد الاقطاعيين والملتزمين كان ابناء المصلحة الواحدة ينسون انتماءهم الطائفي حين يصطرعون .

ـ واخيراً حين تحرك التناقض القومي مع الترك كان لابناء الاقليات دور قيادي لم تحل دونه بذور الشك التي ولدتها الحماية والامتيازات في اوساط الاغلبية .

واكثر من ذلك فإن المؤسسة الدينية افرزت طلائع تصدت للطائفية بجرأة نادرة ، وبوعي مبكر . واذا كانت الكثرة الغالبة تعرف الشيء الكثير عن مواقف الافغاني ومحمد عبده والكواكبي وامثالهم ضد فساد السلطنة ، دون ان يخدعهم لقب الخليفة عن فعاله . فإن القلة النادرة قرأت تحذيرات المطران يوسف الدبس[٢٩] ، من استجابة ابناء طائفته للدعوة الاستعمارية التي تسعى لاستغلالهم من خلال ادعائها الحرص على مصالحهم ، ويذكر بالمآسي التي تسببت بها الاستجابة للدعوة البيزنطية في صدر الاسلام ، فيقول : ان الدين بالنسبة للدول الكبرى ليس الا وسيلة يتوسل بها الساسة لتحقيق مصالح معينة ، فإذا استطاع الاصيل ان يحقق غرضه مباشرة فسيكون الوكيل مزعجاً ، وسيجري التخلص منه بأي وسيلة ، وغالباً تكون خيبة الامل كبيرة والثمن باهضاً[٣٠] . والمطران الماروني من خلال وعيه على المصلحة الحقيقية لابناء طائفته ، ومعرفته الجيدة بالتجربة التاريخية للمنطقة ، يتخذ الموقف الذي ينسجم مع السياق التاريخي لتجربة الناس مع الدين في الارض العربية .

---

(٢٨) كمثال نذكر ما حدث في منطقة رام الله (فلسطين) اوائل القرن الثامن عشر حين نقل المسلمون اليمانيون من « بيرزيت » ليستبدلوا بالمسيحيين القيسيين من « عين عريك » واصبحت بيرزيت قيسية تضم مسلمين ومسيحيين ، بعد ان كانت تضم مسلمين من الجماعتين . وغدت « عين عريك » يمانية تضم مسيحيين ومسلمين بعد ان كانت تضم مسيحيين من الجماعتين .

(٢٩) المطران يوسف الدبس ، مطران بيروت الماروني اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحالي .

(٣٠) يوسف الدبس، **من تاريخ سورية الدنيوي والديني** (بيروت : المطبعة العمومية الكاثوليكية ، ١٩٠٥) ، نقلاً عن : سحاب ، « من يحمي المسيحيين العرب؟ » .

- ١٢ -

وانعكس وهن السلطنة على الولايات العربية ، فبدأت تشهد حركات تمرد متصاعدة بدءاً من اواخر القرن السابع عشر . وكان التمرد الاكبر في « الاقليم القاعدة » حيث اعلن علي بك الكبير استقلاله بمصر سنة ١٧٦٩ . وكعادة مصر كلما نمت طاقاتها الداخلية تحركت خارج الحدود ، كذلك فعل علي بك الكبير اذ سير جيوشه الى اليمن والحجاز وبلاد الشام ، فتضامن معه ظاهر العمر في فلسطين وشكلا تهديداً للسلطنة . واذا كان جيش مصر يومها يعكس بعداً قومياً من خلال تشكيله[٣١] ، فإن التحرك بمصر وبلاد الشام لم يكن كل التمرد العربي . فالحركة الوهابية[٣٢] التي اعتبرت عند جمهرة الباحثين حركة دينية لم تخل من ملامح قومية جسدتها الدعوة لخلافة عربية ، تعيد السيادة المفتقدة ، وتواصل تحرك المنطقة العربية بشكل مطرد . حتى بلغ اوجه في عهد محمد علي وتوجه جيشه بقيادة ابنه ابراهيم لبلاد الشام وباتجاه الاناضول .

وقام تحرك المنطقة العربية الجديد ، وكما عكسه الاقليم القاعدة ، على اربعة محاور :

- تحرري ، يسعى للخلاص من التسلط العثماني ، ويتصدى للقوى الاستعمارية الطامعة . فتصاعد التمرد ضد السلطنة ، ورد نابليون خائباً ، ودحرت حملة فريزر امام رشيد سنة ١٨٠٧، وصمدت القاهرة في وجه الضغوط الاستعمارية ، وحققت في هذا المجال ما لم تستطعه اسطنبول . بل ان هذه تحالفت ، ومن منطلق الضعف ، مع الدول الاستعمارية لتواجه تحرك محمد علي في مصر وبلاد الشام .

قومي ، يعكسه التفاعل على مستوى الصفوة والجماهير ، وكما في تجربة علي بك الكبير ، كذلك تكرر الامر في مواجهة الحملة الفرنسية، فبعد تمرد القاهرة الاول سنة ١٨٠٠ لجأ عمر مكرم وبعض القادة لفلسطين ، واشارت تحريات الفرنسيين الى وجود مراسلات بين قادة مصر وشخصيات شامية لتنظيم المقاومة . وتعتبر ثورة المغاربة في منطقة الحيرة من اعنف انواع المقاومة التي لقيها الفرنسيون بمصر . كما نظم الشيخ الكيلاني (المغربي) حملة ضمت حوالى (٦٠٠) مجاهد انطلقوا من مكة المكرمة الى ينبع وركبوا البحر للقصير والتحقوا بالمقاتلين بمصر[٣٣] . ولقد لعب الدارسون والمجاورون العرب في الازهر دوراً واضحاً في تحرك جماهير القاهرة ضد الولاة الترك والغزاة الفرنسيين . ثم ان تحقيق ابراهيم باشا لانتصارات كاسحة في بلاد الشام ما كان ليتحقق لولا التجاوب العربي معه ، ولو قورنت جيوشه وظروفه بجيش نابليون وظروفه لاتضحت فعالية تضامن جماهير الشعب العربي مع الاول ومقاومتها للمستعمر الاوروبي .

- ديمقراطي ، تظهره حركة ومطالب جماهير القاهرة بقيادة عمر مكرم سنة ١٨٠٥ . والقاهرة

---

(٣١) بلغ جيش علي بك الكبير حوالى الثلاثين الفاً معظمهم من العرب المغاربة والشاميين والحضارمة والسودانيين . وقد ضم بعض الاتراك والاحباش .

(٣٢) مؤسسها محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ - ١٧٩٢) .

(٣٣) ذوقان قرقوط ، **تطور الفكرة العربية في مصر، ١٨٠٥ - ١٩٣٦** (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٢) .

يومها « تشبه ايام باريس المجيدة في مطلع الثورة الفرنسية »[٣٤] . وتعتبر الوثيقة التي قدمت للوالي التركي احمد خورشيد، اولى الوثائق الدستورية العربية ، ولقد تضمنت اشتراط عدم فرض ضريبة الا بموافقة المشايخ والاعيان[٣٥] . وكان تعيين محمد علي بقرار من « الفلاحين اولاد العرب » ـ على حد تعبير الجبرتي[٣٦] ـ اول تراجع لسلطان عثماني امام ارادة الشعب ، وسابقاً لتحرك الطليعة التركية في سبيل الدستور بسنوات .

ـ حضاري ، يسعى لتجاوز التخلف واستعادة الدور المفتقد . وكان التحرك على كل المستويات الاقتصادية والاجتماعية ، ولم يقتصر على مصر وحدها ، وانما بدا التحرك في تونس وبلاد الشام . لكن تجربة محمد علي كانت هي الاظهر . ولقد سبقت محاولة اليابان بحوالى نصف قرن . غير انها ضربت ما ان فرض على مصر الانكفاء الى داخل حدودها . وقدمت المرحلة مؤشراً على ان ضرب الفاعلية القومية لمصر ينتهي بتصفية فعّاليتها الوطنية ومشروعها التحضيري . تماماً كما ان نموها الحضاري ونهوضها الوطني يتسببان دوماً بتنامي فعّاليتها القومية ، وقدرتها على التأثير حضارياً في محيطها العربي .

كان التناقض القومي مع الترك والاستعمار الاوروبي ، متفاعلاً مع الصراعات الاجتماعية والتناقضات الاقتصادية المتفاقمة في الولايات العربية الدافع الحقيقي لتحرك جماهير الشعب والصفوة من ابنائه . وكانت طموحات اصحاب النفوذ تتقاطع مع تطلعات الشعب والصفوة . وفي تولية محمد علي ، التي جاءت استناداً لقرار شعبي ، وبموجب وثيقة متعاقد عليها[٣٧] ، ما يبرز قوة التحرك الجماهيري . وفي تفرده بعد ذلك وتسلطه ما يشبه مآل الثورة الفرنسية . وكان التحرك الاوروبي لانقاذ السلطنة وتحجيم طموحات حاكم مصر ، برهاناً آخر على ان الاستعمار حمى السلطنة من ان يودي بها تحرك المنطقة العربية ، وليست السلطنة هي التي حمت المنطقة العربية من الاستعمار .

وكنتيجة للصمود في وجه التحديات الخارجية وبصورة خاصة حملة نابليون على مصر وفلسطين تولدت طاقة شعبية حركت الجدل الاجتماعي وسرعت من وتيرته . ولم يكن ذلك الجدل بفعل حملة « التنوير » الفرنسية وكنتيجة للافكار التي بشر بها نابليون . اذ كان الصراع هو الذي حكم العلاقة بين الغزاة وجماهير الشعب وصفوته . والثابت ان التحرك بمصر لم يتوقف طوال القرن السابق للحملة . والجدل الاجتماعي الجديد لم يخرج عن التصور الاسلامي للدور القيادي لعلماء الدين والفقهاء ، خلافاً لما كان عليه موقف الكنيسة من الثورة الفرنسية . ولقد قاد عمر مكرم والعلماء جماهير الشعب للمحكمة ، وطلبوا الى القاضي عقد « مجلس شرع » يختصمون فيه للوالي . واحتكم الطرفان للقرآن

---

(٣٤) Georges Douin, *Mohamed Aly Pacha du Caire (1805-1807): Correspondance des consuls de France en Egypte* (Caire: La Société royale de géographie de l'Egypte, 1926).

والقول لقنصل فرنسا في القاهرة دروفي .

(٣٥) محمد صبري ، **تاريخ العصر الحديث : مصر من محمد علي الى اليوم** ، ط ٢ (القاهرة : مطبعة مصر ، ١٩٢٦) .

(٣٦) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي ، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار** ، تحقيق وشرح حسن جوهر وعمر الدسوقي وابراهيم سالم ، ٧ ج (القاهرة : لجنة البيان العربي ، ١٩٥٨ ـ ١٩٦٥) .

(٣٧) جاء في الوثيقة ما نصه « تم الامر بعد المعاهدة والمعاقدة على سيره بالعدل واقامة الاحكام والشرائع والاقلاع عن المظالم ، والا يفعل امراً إلّا بمشورته ـ السيد عمر مكرم ـ ومشورة العلماء وانه متى خالف الشروط عزلوه واخرجوه». انظر : قرقوط ، **تطور الفكرة العربية في مصر، ١٨٠٥ ـ ١٩٣٦** .

والسنة ، واختلفا حول تفسير قوله تعالى ﴿ واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ﴾[٣٨] . واخيراً قدم الشيخ محمد المهدي ـ احد علماء الازهر ـ الفتوى الشرعية التي تبرر عزل الحكام الذين ينحرفون عن سنن العدل[٣٩] .

وكما يسرت لنابليون انتصاراته تصفية الثورة الفرنسية ، كذلك فعلت انجازات محمد علي بالجدل الاجتماعي الذي اوصله لمقعد الحكم . وتفاعلت مكانة القائد مع المخاطر الاجنبية ، وتوفرت الظروف الضاغطة فتراجعت الحركة على المحور الديمقراطي اولاً . ثم توقفت على المحاور الثلاثة الاخرى حين تمكنت القوى الاجنبية من القائد الفرد . فجمد المشروع الحضاري ثم تمت تصفيته ، وعطلت الفاعلية الوطنية ما ان ضربت الفاعلية القومية.

ـ ١٣ ـ

وشهد مطلع القرن التاسع عشر نشاطاً استعمارياً مكثفاً في حوض البحر المتوسط ، اسهمت في تصاعده عوامل شتى ، من بينها بروز فرنسا والحروب النابليونية . كما كان تدهور اوضاع السلطنة العثمانية من بين تلك الاسباب . وكان هناك قوتان رئيسيتان ترتبان امرهما للاستيلاء على الجزء العربي من ممتلكات **رجل اوروبا المريض** : الاستعمار الانكليزي العريق والبرجوازية الفرنسية الصاعدة . وكانت هناك قوة ذات وزن مالي واجتماعي ترنو الى ان يكون لها نصيب من العملية الاستعمارية الجديدة ، تلك هي الرأسمالية اليهودية الموجهة للمصارف والصحافة الناشئة . ويذكر ان المليونير اليهودي الايرلندي **توماس كوريت** ارسل عام ١٧٩٨ رسالة الى عضو حكومة المديريين **بول باراراس** ينصح فيها الفرنسيين المتطلعين الى استعمار الشرق العمل على خلق جسر لهم في فلسطين ، وذلك بجعلها وطناً قومياً لليهود[٤٠] . وقد اهتم باراراس بالرسالة الى حد دفع نابليون ، وهو يجهز حملته على مصر ، ان يعقد اجتماعاً مع الشخصيات السياسية اليهودية الفرنسية ، صدر على اثره بيان موجه ليهود العالم جاء فيه « اما البلاد التي ننوي قبولها بالاتفاق مع فرنسا فهي اقليم الوجه البحري في مصر ، مع حفظ منطقة واسعة المدى يمتد طولها من مدينة عكا الى البحر الميت ، ومن جنوب هذا البحر الى البحر الاحمر»[٤١] .

وجاء نابليون الشرق ، ومضى الى فلسطين من مصر ، وحين استبد به اليأس بعد ان حطم كبرياءه اناس مصر البسطاء واعراب صحرائها ، وبعد ان اذلت شموخه اسوار عكا العنيدة ، اطلق نداءه المعروف الى اليهود « ورثة فلسطين الشرعيين » من اجل دولتهم في ارض الاجداد[٤٢] .

---

(٣٨) كان تفسير السيد عمر مكرم : اولي الامر العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل وهذا رجل ظالم ، وجرت العادة من قديم الزمان ان اهل البلاد يعزلون الولاة ، وهذا شيء من زمان ، حتى الخليفة والسلطان ان سار فيهم بالجور فإنهم يعزلونه ويخلعونه ، انظر : المصدر نفسه .

(٣٩) جاء في الفتوى : ان الشعوب طبقاً لما جرى به العرف قديماً ، ولما تقضي به الشريعة الاسلامية لها الحق في ان يقيموا الولاة ، ولهم ان يعزلوهم اذا انحرفوا عن سنن العدل وساروا بالظلم . لأن الحكام الظالمين خارجون عن الشريعة ﴿ واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك في الناس اماماً ، قال : ومن ذريتي ، قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ (سورة البقرة،الآية ١٢٤) ، انظر : المصدر نفسه .

(٤٠) هنري كوستون ، **امبراطورية المال** .

(٤١) ايلي ليفي ابو عسل ، **يقظة العالم اليهودي** .

(٤٢) صدر النداء امام اسوار عكا في ٤ / ٤ / ١٧٩٩ ، ونشر في الجريدة الرسمية الفرنسية في ٢٠ / ٤ / ١٧٩٩ .

ولم يطلق نابليون نداءه الا بعد ان تيقن من عجزه عن خداع الشعب العربي بوعود التحرر والعدالة ونصرة الاسلام . وادراكه استحالة النفاذ للمنطقة من خلال ابنائها . ولقد تنبّه الى ان مقتل من سبقوه من الغزاة راجع الى عدم وعيهم انهم امام منطقة لها تاريخ وتراث وحضارة وفيها نزوع قومي عريق وعميق ، وبفعل ذلك امتلكت قدرة فذة على الصمود في مواجهة الغزاة الاجانب . فهي قد تهزم ويحقق فيها المعتدي انتصارات ساحقة لكنها سرعان ما تمتص الضربة الصاعقة وتفرض على قاهريها اما ان يذوبوا فيها او تلفظهم ، وبذلك ينقلب النصر الى هزيمة ، وتعود للارض حريتها وللشعب حيويته . ومن منطلق الحرص على دوام الاستغلال الاستعماري للمنطقة جاءت دعوته لاقامة حاجز بشري . ولقد اختار اليهود وفي تصوره انهم اقدر الناس على تمزيق وحدة المنطقة لمصلحة الاستعمار الفرنسي الناشىء ، فهم غرباء عنها ومرتبطون بها في وقت واحد : هم غرباء عنها نتيجة انتساب غالبيتهم الساحقة لأمم شتى واوطان متعددة[٤٣]. وهم مرتبطون بها على نحو اسطوري بسبب وعد توراتي بفلسطين وما بين الفرات والنيل . ثم ان انعزاليتهم ووضعهم المأسوي في اوطانهم اضعفا انتماءهم الوطني وعمقا تعلقهم الاسطوري بأرض الميعاد . وكمحصلة لهذه المعادلة الصعبة سيكون مقدمهم مفجراً لصراعات دائمة : فبحكم التناقض القومي لن يتفاعلوا مع العرب بشكل ايجابي ، وبحكم الارتباط الاسطوري سيكون تشبثهم بالارض اشد مما كان لجميع الغزاة السابقين ، وبحكم تقوقعهم على الذات سوف يمتنعون عن الذوبان في الامة العربية ، ذات القدرة الهائلة على استيعاب الجماعات. ومن تفاعل العوامل الثلاثة ستشهد المنطقة صراع وجود ولا وجود .

وبعد دحر نابليون وهزيمة فريزر ، وبروز محمد علي في مصر استعادت المنطقة العربية بعضاً من فاعليتها التي فقدتها بشكل كامل في مطلع القرن السادس عشر. وشد الاقليم القاعدة ابصار امته من جديد . وصارت القاهرة عاصمة ذات وزن دولي ، وبنمو طاقة مصر الوطنية تنامت فاعليتها العربية . واستفاد محمد علي من تأزم علاقات الدول الكبرى خاصة بريطانيا وفرنسا . ولما كانت الاولى تمثل الخطر الاكبر على المشرق العربي فقد كان منطقياً ان يولي وجهه شطر فرنسا ، وان يبعث اليها المبعوثين ويستقدم الخبراء . ونمت العلاقة الفرنسية المصرية دون ان تتأثر باحتلال فرنسا للجزائر سنة ١٨٣٠ ، وضغطها على الشمال الافريقي .وقدم محمد علي تجربة رائدة للقوى الصغرى في العصر الحديث ، اذ استطاع ان يعزز قدراته مستعيناً بقوة كبرى ، دون ان يقع في مستنقع التبعية . واثبت بالبرهان العملي انه بالامكان النفاذ من شقوق التناقضات بين الدول الكبرى حين تكون صراعاتها في اوجها .

وبتسارع ملحوظ نمت طاقة مصر . وبدأت تتحول من كيان قطري الى نواة مشروع قومي ، ومن سلطنة شرقية تقليدية الى دولة تمارس نشاطات ملموسة لتجاوز التخلف والجمود . وبتحالف محمد علي وبشير الشهابي ـ امير جبل لبنان ـ تقدمت جيوش ابراهيم باشا في بلاد الشام واتمت تحريرها . وسرعان ما افرزت المرحلة التجربة النقيض لتلك التي قدمها محمد علي ، اذ عجلت المخاطر المتصاعدة في المشرق العربي بتلاقي القوى الكبرى ، واتفاقها على المواجهة الحاسمة .

---

(٤٣) كان نابليون يدرك ان اليهودية دين وليست قومية . وحين توج امبراطوراً جمع وجهاء الطائفة اليهودية الفرنسية بحضور ممثلين ليهود البلاد التابعة لامبراطور فرنسا واستصدر منهم فتوى تاريخية يعترفون بموجبها انهم بفرنسا ليسوا امة ، وانما هم فرنسيون يدينون باليهودية .

وفي ١٥ / ٧ / ١٨٤٠ عقدت « اتفاقية لندن » بين : انكلترا ، وروسيا ، والنمسا ، وبروسيا ، وتركيا . واتفق على التدخل العسكري. وفي ١٠ / ٩ / ١٨٤٠ نزلت القوات المتعددة الجنسيات (الانكليزية ، النمساوية ، العثمانية) في جونية بلبنان ، وفرضت الهزيمة على القوات العربية المشتركة . واختلفت التفسيرات حول صمت الصديق الفرنسي[٤٤] .

كان واضحاً يومها ان منطقة القلب في الوطن العربي تحظى باهتمام استعماري خاص . اذ كانت المنطقة التي تكثف فيها نشاط وتنافس الدول الكبرى . في حين ان نشاط فرنسا لاستعمار المغرب العربي ونشاط بريطانيا لاستعمار الجناح الشرقي للوطن العربي لم يواجها بنشاط اوروبي مضاد وفعّال . وبدراسة المشروعات الاستعمارية التي وجهت للمنطقة القلب ، يتضح انه كان هناك ثلاثة مشروعات متكاملة :

ـ المشروع اليهودي في فلسطين ، بجهد انكليزي بالدرجة الاولى . واذا كان الصهاينة اول من نبّه لاقامة حاجز بشري غريب في فلسطين ، ونابليون اول من دعا للفكرة ، فإن الانكليز اول من باشروا وضعها موضع التنفيذ . ولقد ارسلت الكنيسة الاسكتلندية ، الشديدة الصلة بالحكومة البريطانية ، لجنة برئاسة د. كيت الى بلاد الشام ، « لجمع ادق التفاصيل عن الدولة اليهودية في فلسطين ، وامكانية نقل اليهود من اوروبا اليها »[٤٥] . وبضغط انكليزي مدعوم بمساعي المصارف التي تسيطر عليها الرأسمالية اليهودية ، اصدر السلطان عبد المجيد سنة ١٨٤٩ فرماناً يجيز لليهود امتلاك الارض في الديار المقدسة . وفي سنة ١٨٥٤ نجح المليونير موسى مونتيفيوري بشراء قطعة ارض في ضواحي القدس ، واقامة الحي السكني اليهودي المعروف باسمه عليها . وما كان ذلك ممكناً لولا مساعدة كل من القنصل الانكليزي والاسقف الانجليكاني في المدينة ، وكذلك فاعلية المال اليهودي لدى الموظفين الاتراك والاقطاعيين العرب ، في مرحلة اتسمت بتدهور السلطنة وضرب التحرك العربي الذي برز في السنوات السابقة .

ـ عزل مصر وتعطيل فاعليتها كاقليم قاعدة عربي . ولقد اشارت لذلك صراحة احدى رسائل روتشليد لبلمرستون مؤرخة في آذار / مارس ١٨٤١ ، جاء فيها قوله « ان هزيمة محمد علي وحصر نفوذه في مصر ليست كافية . لأن هناك قوة جذب بين العرب ، وهم يدركون ان عودة مجدهم القديم مرهونة بامكانيات اتصالهم واتحادهم . اننا لو نظرنا الى خريطة هذه البقعة من الارض فسوف نجد ان فلسطين هي الجسر الذي يوصل بين مصر وبقية العرب في آسيا . وكانت فلسطين دائماً هي بوابة الشرق . والحل الوحيد هو زرع قوة مختلفة على هذا الجسر وفي هذه البوابة ، لتكون هذه القوة بمثابة حاجز يمنع الخطر العربي ويحول دونه » . وتضيف الرسالة « فليس مما يخدم الامبراطورية ان تتكرر تجربة محمد علي سواء بقيام دولة قومية في مصر ، او بقيام اتصال بين مصر

---

(٤٤) وجه وزير خارجية بريطانيا بلمرستون انذاراً لفرنسا حمله السفير بباريس لرئيس الوزراء الفرنسي يتضمن التهديد بخسارة فرنسا اسطولها وتجارتها وجيشها في الجزائر. ويذكر كوستون في : **امبراطورية المال** ، « ان آل روتشيلد استخدموا نفوذهم لدى بلاط لويس فيليب وحملوه على الرغم من معارضة حاشية الملك على التخلي عن محمد علي باسم الدفاع عن السلام في اوروبا.» انظر : عودة بطرس عودة ، **القضية الفلسطينية** (القاهرة : دار مكتبة الفكر ، [د.ت.]) .

(٤٥) ورد ذكر البعثة في تقرير لموفد فرنسا لدراسة اوضاع لبنان « بارتو » ارسل لرئيس الوزراء الفرنسي غيزو بتاريخ ٦ / ١١ / ١٨٩٠ ، وورد فيه ان الدكتور كيت صاحب كتاب واسع الانتشار في بريطانيا حول تحقق النبوءات ، انظر : عادل اسماعيل ، **وثائق دبلوماسية وقنصلية** ، ج ٦ ، ص ٢٨٣ .

والعرب الآخرين»[٤٦] . ولم يكن محمد علي من حيث المبدأ مؤمناً بالعروبة، او معارضاً للمصالح الاجنبية في مصر ، وفي تجربته مؤشرات شتى على انه كان ضد طموحات الشعب العربي بمصر وخارجها . وكان عماد الحكم في عهده افراد الاسرة واتباعها ، وعناصر مرتزقة من المماليك والاوروبيين وابناء الاقليات الدينية[٤٧] . ومنذ توليه السلطة اجاز تملك الاجانب للارض ، ومنح كل التسهيلات للرأسمالية الاوروبية ، وفتح ابواب البلاد للاجانب ، وشجع اقامتهم واستقرارهم . لكن نمو امكانيات مصر في عهده تسبب في تنامي قدرتها الوطنية وفعّاليتها القومية ، على الرغم من نوايا النظام وممارساته . ولذلك حرصت اتفاقية لندن (١٨٤٠) على تحجيم النظام ، واضعاف مصر ، وتأمين الضمانات للرأسمال الاوروبي والحماية « لجمهرة المهاجرين الذين كانوا من حثالة البحر الابيض المتوسط »[٤٨] .

ـ اثارة النزاعات الطائفية ومحاولة خلق كيانات تابعة . وتركز النشاط في جبل لبنان بصورة رئيسية وعلى اساس توزيع الادوار . ولقد استطاع الفرنسيون دفع الزعامات العليا في الاكليروس للقيام بدور تاريخي في تجميع الطائفة المارونية وتعميق وحدتها ، تحت ستار انقاذها من الهيمنة المقطعجية الدرزية ، كما وقف الانكليز وراء هؤلاء . ودفعت الامور الى حد التأزم ، حتى انتهت بمذابح ١٨٦٠ . وتمت ولادة المتصرفية بالشكل المعروف تاريخياً ، فأعلن النظام الاساسي لتجربته العملية بتاريخ ٩ تموز / يوليو ١٨٦١ متضمناً سبع عشرة مادة نصت على الركائز الطائفية التي لا تزال تتحكم بلبنان الى اليوم[٤٩] .

ـ ١٤ ـ

وقرب نهاية القرن التاسع عشر أخذ التحرك العربي يسفر عن توجه قومي بتسارع ملحوظ ، بعد ان كان ذا مضمون قومي تحت واجهات غير قومية في العقود الماضية . فعلي بك الكبير الذي اعتمد في تشكيل جيشه على عناصر من شتى انحاء الوطن العربي ، وتضامن مع ظاهر العمر في فلسطين ، لم يكن قائداً قومياً وان عكس فاعلية عربية . وكذلك الحال مع ابراهيم باشا الذي طالما اشاد في منشوراته بمفاخر الامة العربية وبمجدها التالد . والذي روي عنه قوله « لقد جئت مصر صبياً ، ومنذ ذلك الحين فإن شمسها غيرت دمي وجعلته عربياً خالصاً»[٥٠] . والذي قيل في مشروعه « انه يعلن صراحة عن موقفه في العمل على احياء قومية عربية ، وعلى ارجاع وطن العرب للعرب ، واشراكهم في جميع المناصب سواء ما يتعلق منها بالادارة الداخلية ام بالجيش »[٥١] .

---

(٤٦) انظر : محمد حسنين هيكل ، **حديث المبادرة** (بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، ١٩٧٩) .

(٤٧) تناولت مذبحة المماليك حوالي الف مملوك من اثني عشر الفاً . انظر : انيس صايغ ، **الفكرة العربية في مصر** (بيروت : مطبعة هيكل الغريب ، ١٩٥٩) .

(٤٨) دافيدس لانديز ، **بنوك وباشوات** ، ترجمة د.عبد العظيم انيس (القاهرة : دار المعارف بمصر ، [د.ت.]) .

(٤٩) مسعود ضاهر ، **الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية ، ١٦٩٧ ـ ١٨٦١** (بيروت : معهد الانماء العربي ، ١٩٨١) .

(٥٠) Georges Douin, *La Mission du Baron de Bois Le Comte: L'Egypte et La Syrie en 1833* (Cairo: Imprimerie de l'Institut Français d'archéologie orientale du Caire, 1927).

(٥١) من تقرير دي بوالكمت بعد مقابلته ابراهيم باشا اثر عودته من كوتاهيه . انظر : المصدر نفسه ، و قرقوط ، **تطور الفكرة العربية في مصر، ١٨٠٥ ـ ١٩٣٦** .

غير ان حروب علي بك الكبير وابراهيم باشا اثرت بشكل غير مباشر في بعث الوعي العربي ، فهي اولاً اعادت الصلة بين الشعب العربي وجيش يجسد فاعليته ، وهي ثانياً جددت التفاعل بين الاقليم العربي القاعدة وبين ما حوله،وهي ثالثاً هزت صورة العثمانيين في نظر جماهير الشعب التي كانت تنظر لتسلطهم باستسلام قدري . ثم ان دعم الاوروبيين للاتراك تسبب في اضعاف روح الاخوة الاسلامية معهم لمصلحة التناقض القومي ضدهم .

وجاءت الدعوة الطورانية ونزعة التتريك اللتان برزتا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فتعمق التمايز القومي ، ومن خلال التحدي شهدت المنطقة وعياً قومياً عربياً واضحاً . وكان لتزايد الاتصال باوروبا تأثيره غير المباشر في بلورة هذا الوعي . اما العمل الاوروبي المباشر وغير المباشر فقد كان مركزاً باتجاه تعميق الطائفية والتجزئة ، ويرقب بقلق التطورات الجارية في الارض العربية خشية ان تتمخض عن حركة قومية عربية فاعلة ، يعكس ذلك بوضوح تقرير دي بوالكمت عن جيش ابراهيم واتصالاته مع محمد علي بشأن مشاركة الجنود العرب في الجيش . ولقد ورد في التقرير قوله « وهناك من ناحية اخرى امر لا نستطيع حتى الآن ان نتكهن بنتائجه ونعني بذلك تلك الحروب التي وضعت اوزارها منذ عهد قريب ، وما سوف تبثه في نفوس الامة العربية من شعور بالقومية وروح العسكرية على يد جيوش محمد علي الجرارة ، مما يوقظ فيها الشعور بقوتها من جديد ، ويولد في ابناء العرب الرغبة في ان يحكموا انفسهم بانفسهم »[٥٢] . ويبدو ان تحذيرات دي بوالكمت كان لها تأثيرها في معارضة محمد علي ترقية الضباط العرب الذين ابلوا بلاء حسناً في حرب الشام الى رتبة يوزباشي ، فكتب الى ابراهيم باشاابنه يقول :« من المعلوم يا ولدي ان مثل هذا العمل سوف يترتب عليه نتائج خطيرة ولو بعد مئة عام »[٥٣].

وما ان أهلّ القرن العشرون حتى كان التحرك العربي قد وصل مستوى تنظيم الحركات القومية على الاسس الحديثة ، فبرزت « العهد » و«العربية الفتاة » وغيرهما من المنظمات ، وانتسب اليها المناضلون من شتى ربوع المشرق العربي . واتخذ نضال الطلائع اسلوبين قوميين : الاول سياسي حيثما تصدت المنظمات القومية للتسلط العثماني ومحاولات التتريك . وثانيهما تراثي اينما كان التمسك باللغة العربية والاسلام من ابرز اسلحة مقاومة الغاء الهوية التي مارسها الاستعمار الاستيطاني الفرنسي والايطالي . اما مصر فقد شهدت حركة احياء نشطة لكل ما ابدعه العرب منذ العصر الجاهلي ، ومحاولات جادة لتبسيط اللغة العربية وتهذيب اساليب الكتابة بها ، واستقطبت كفاءات عربية ضاقت بها مجالات الابداع في بلدانها ، فأسهم ذلك كله في يقظة العرب وتفاعلهم وتعميق وعيهم القومي .

ودخلت الامة العربية القرن العشرين وهي تملك كل مقومات الامة المتعارف عليها . وبالامكان القول بأنها خرجت من المرحلة كما دخلتها دون ان يتأثر اي من مقومات وجودها القومي . ولقد اعترف بذلك الاعداء صراحة كما يتضح من التقرير الذي عرف باسم **كامبل بنرمان** والصادر عن خبراء الاستعمار سنة ١٩٠٧ فقد ورد فيه نص « انه على حدود الساحل الجنوبي للبحر المتوسط ، من الرباط الى غزة ، وعلى الساحل الشرقي من مرسين واضنة ، وعلى الجسر البري الضيق الذي يصل آسيا بافريقيا وتمر فيه قناة السويس ـ شريان حياة اوروبا ـ وعلى جانبي البحر الاحمر ، وعلى طول ساحل المحيط الهندي وبحر العرب حتى خليج البصرة ، في هذه المنطقة الحساسة يعيش شعب واحد ، تتوفر له من وحدة تاريخه

---

(٥٢) قرقوط ، المصدر نفسه ، نقلاً عن : د. محمد فؤاد شكري .

(٥٣) المصدر نفسه ، نقلاً عن : د. عبد العزيز نوار .

ودينه ، ووحدة لسانه وآماله كل مقومات التجمع والترابط والاتحاد »[٥٤] .

- ١٥ -

ووضع مخطط التجزئة الاستعماري ليضمن استمرار الاستغلال الاجنبي للارض والانسان العربيين وكثفت الجهود لاقامة اسرائيل . وحقق المخطط المرسوم غايته ، وتعمقت التجزئة بحيث جاءت تجزئة القرن العشرين اعمق اثراً واشد تأثيراً من التمزق الذي ساد خلال عصر الانحطاط. وتسببت النكسات العربية المتوالية في تراجع الحركة القومية العربية ، وكان من نتائج التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها الاقطار العربية في عقد السبعينات ان تراجعت التفاعلات العربية ـ العربية لمصلحة التفاعلات العربية ـ الاجنبية . وافرزت النكسة القومية والمتغيرات المستجدة حساسية اقليمية وردة انفصالية ، وتلوح في بداية الثمانينات ملامح مخطط امبريالي ـ صهيوني غايته المضي قدماً من التجزئة الى التفتيت .

ولقد تركت مستجدات القرن العشرين ، خاصة متغيرات العقدين الاخيرين ، انطباعاً لدى البعض بأن ما عجزت عنه قرون التخلف الاحد عشر الماضية امكن تحقيقه خلال نصف القرن المنصرم ، الامر الذي يطرح تساؤلاً حول واقع مقومات الوجود القومي العربي في الخمس الاخير من القرن العشرين . وعند الاجابة نلاحظ انه على الرغم من نجاح مخطط التجزئة السياسية ، وبرغم كل محاولات تخريب مقومات الوجود القومي العربي ، فإن ما تبرزه الدراسة المقارنة لهذه المقومات اليوم بما كانت عليه حالها حين وضعت لجنة بنرمان تقريرها توضح ان مسيرة العقود الماضية شهدت اثراء لكل منها بشكل واضح وملموس ، وفشلاً غير يسير لمحاولات تخريبها والعبث بها :

اللغة : شهدت تطوراً في اساليب الكتابة والخطابة استهدفت التيسير ونفض ما ران عليها خلال عصر الانحطاط . كما اغتنت بما اقتبس واشتق من مفردات واكبت بها التطور العلمي والتقني . وشهدت اللهجات العامية تطوراً ، اذ تزايد اقتباسها من الفصحى وتفاعلها فيما بينها .

التاريخ : المهم في التاريخ تأثيره في التركيب البشري للامة ، وانعكاسات احداثه في تعزيز الهوية القومية والعكس . ولقد شهد القرن العشرون تعميقاً للانتماء العربي . ففي المغرب صفي الاستعمار الاستيطاني الفرنسي والايطالي ، وفي المشرق غابت محاولات التتريك ، وفي فلسطين يعمد شعبها عروبته بالدم في كل يوم . وعلى امتداد الساحة العربية تنامى الاحساس بالانتماء العربي . وبكل ذلك زادت الهوية العربية بروزاً عما كانت عليه في مطلع القرن .

التراث : اسهمت التجزئة السياسية ، والنضال في سبيل الاستقلال القطري ، ودعم الانظمة للسيادة القطرية ، وانفعال المواطن بالرموز الدالة على الوطن . كل ذلك اسهم في بروز تراث اقليمي عربي . لكن الشيء الواضح ان الانتماء القومي كان هو الاقوى بحيث تنامى التفاعل العربي بتسارع في كل مجالات الابداع الادبي او الفني او العلمي او الرياضي . ولعبت مصر دورها الطليعي التقليدي . وكل نواحي تراثنا القومي ارقى من التراث الاقليمي في اي قطر ، وهي في الوقت نفسه ارقى واغنى واكثر تعبيراً عن الانتماء العربي مما كانت عليه عام ١٩٠٧ .

---

(٥٤) النص الكامل للتقرير في : انطون سليم كنعان ، **فلسطين والقانون** (دمشق : إتحاد المحامين العرب ، ١٩٥٧) .

الحياة الاقتصادية : تطورت الحياة الاقتصادية في الاقطار العربية . واتسمت المسيرة بأنها بدأت مبكرة حيث الثروة التقليدية ، وحققت بعض الاقطار سبقاً ملحوظاً . لكن تدفق النفط كاد يردم الهوة بين سائر الاقطار العربية . وبرغم كل التطور الذي تم ما برحت جميع الاقتصاديات العربية في مرحلة ما قبل الصناعة . وكل قطر يعتمد على محصول رئيسي - زراعي او استخراجي - ثم ان للدولة في كل منها دوراً في النشاط الاقتصادي ، سواء جاء ذلك نتيجة الاعتماد على الري في الزراعة ، او بسبب عوائد النفط ، او نتيجة توجهات عقائدية . وليس بين الاقتصاديات العربية تناقض ملموس ، وانما هي اقرب الى التكامل في كل مجال من مجالات الانتاج . وبرغم كل المتغيرات التي استجدت في العقدين الاخيرين ، وكانت في مصلحة التفاعل العربي الخارجي ، الا ان العامل الاقتصادي بدأ يلعب دوراً اوضح في تعميق الشعور القومي العربي . ففي الاقطار النفطية - الخليجية منها بصورة خاصة - شعور متزايد بأهمية الدور القومي للوافدين العرب في حفظ الهوية . وبالمقابل نجد في الاقطار غير النفطية شعوراً متنامياً باهمية عوائد النفط في التنمية الاقتصادية . علاوة على ادراك الطلائع في كل مكان ان لا مجال لتجاوز التخلف الاقتصادي الا من خلال التكامل القومي . والسوق العربية الواحدة .

وعلى الرغم من التخلف والتفكك الاقتصادي الا ان اشتراك جميع الاقطار العربية بسمات اقتصادية واحدة ، وعدم القدرة على بلورة اقتصاد قطري قادر على الصمود ، وبانعدام التناقض الاقتصادي بين الاقطار العربية ، وبنمو دور العامل الاقتصادي في تعميق الشعور القومي . كل ذلك يدفع الى القول بأن الحياة الاقتصادية - كاحدى الخصائص القومية - كانت خلال القرن العشرين في اتجاه تعميق الانتماء العربي ، وليس في اتجاه ابراز ولاء اقليمي على حساب الولاء للامة والوطن ، وذلك على الرغم من اننا ما زلنا بعيدين عن التكامل الاقتصادي العربي والسوق العربية الواحدة .

التكوين النفسي : اثرت التغييرات المستجدة ، وبصورة اساسية تنامي الوعي القومي ، واتساع الصلات وتزايد الهجرة بين الاقطار العربية ، والتقدم في وسائل الاعلام ، والتقليد المتزايد لاسلوب الحياة الاوروبية ، وكذلك تنامي الاقتباس من العادات والتقاليد فيما بين الاقطار العربية ، اثر ذلك كله في ان كثيراً من الخصائص القطرية اخذت تتراجع ، في حين لم تتأثر السجايا القومية التي يتسم بها كل العرب . وصار المتنقل بين الاقطار العربية لا يجد مثل ما كان من فروقات في مطلع القرن العشرين .

يتضح مما سبق ان كلا من مقومات الوجود القومي العربي قد نما خلال ما انصرم من سنوات هذا القرن . وان الامة العربية احتفظت بكل خصائصها كأمة ، على الرغم من نجاح مخطط تجزئة الارض العربية . وواضح كذلك ان مقومات الوجود القومي العربي لم تحقق فاعليتها في فرض الوحدة . وهذا هو التناقض الرئيسي في الواقع العربي المعاصر . ويبدو ان الامبريالية المعاصرة ادركت ذلك بوضوح فجاءت بمخطط التفتيت لتقضي بشكل نهائي على مقومات الوجود القومي التي لم يخدشها مخطط التجزئة ، ادراكاً منها انه بدون قتل مقومات الوجود القومي للامة فإن استغلالها لن يكتب له الدوام .

إنهم يحاولون غير مدركين انهم من خلال تحدياتهم يخلقون التحدي المضاد . ولطالما اثبت انسان هذا الجزء من العالم انه قادر على امتصاص الصدمات واعادة الحرية للارض والحيوية للشعب .. ولن تختلف نتائج المواجهة الراهنة عن سابقاتها التي توالت منذ فجر التاريخ □

التنشئة السياسية للطفل العربي : دراسة لتحليل مضمون الكتب المدرسية(*)

د. نادية حسن سالم

استاذ مساعد بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة.

تهدف هذه الدراسة الى التعرف بالدور الذي تمارسه المدرسة في التنشئة السياسية وذلك من خلال تحليل الثقافة السياسية المتضمنة في كتب المواد الاجتماعية والتربية القومية الموجهة الى طلاب المرحلة الابتدائية في كل من مصر والاردن وسورية ولبنان . وذلك في مبحثين ، يتضمن المبحث الاول تعريف مفاهيم التنشئة السياسية والثقافة السياسية واهمية المواد المدرسية في تنشئة الطفل سياسياً وفروض الدراسة والمنهج المستخدم ، اما المبحث الثاني فيشتمل على نتائج دراسة تحليل مضمون كتب المواد الاجتماعية والمدرسية .

اولاً : تعريف المفاهيم

١ ـ التنشئة السياسية

يعرّف الموندوبول التنشئة السياسية بأنها اكتساب المواطن للاتجاهات والقيم السياسية التي يحملها معه حينما يجند في مختلف الأدوار الاجتماعية(١) . كما يمكن تعريف التنشئة السياسية بأنها كيفية تعلم الفرد لمعايير اجتماعية عن طريق مختلف مؤسسات المجتمع مما يساعده على ان يتعايش سلوكياً معه(٢) .

وتحدد دائرة المعارف للعلوم الاجتماعية التنشئة السياسية بأنها : التلقين الرسمي وغير الرسمي المخطط وغير المخطط ، والقيم والممارسات السياسية وخصائص الشخصية ذات الدلالة

(*) تقتصر هذه الدراسة على الكتب المدرسية في مصر والاردن ولبنان وسورية .

(١) كمال المنوفي ، « التنشئة السياسية في الفقه السياسي المعاصر » مصر المعاصرة ، السنة ٦٥ ، العدد ٣٥٥ (كانون الثاني / يناير ١٩٧٤) ، ص ١٧٥ ـ ١٩٦ .

(٢) فيصل السالم ، « التنشئة السياسية والاجتماعية في الكويت » مجلة العلوم الاجتماعية ، السنة ٨ ، العدد ٣ (تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨٠) ، ص ٨٣ ـ ١٠٧ .

السياسية ، وذلك في كل مرحلة من مراحل الحياة عن طريق المؤسسات المختلفة في المجتمع[٣] . وعناصر مفهوم التنشئة السياسية :

أ ـ التنشئة السياسية هي عملية تلقين لقيم واتجاهات سياسية ولقيم واتجاهات اجتماعية ذات دلالة سياسية .

ب ـ التنشئة السياسية عملية مستمرة بمعنى ان الانسان يتعرض لها طيلة حياته منذ الطفولة وحتى الشيخوخة .

ج ـ تلعب التنشئة السياسية ادواراً رئيسية ثلاثة : نقل الثقافة السياسية عبر الاجيال ـ تكوين الثقافة السياسية ـ ثم تغيير الثقافة السياسية .

وخبرات التنشئة التي يكتسبها المواطن تحدد سلوكه السياسي وذلك بالمشاركة او بعدم الاهتمام وتأييد او رفض النظام السياسي[٤] . إن مفهوم الثقافة السياسية ليس مفهوماً حديثاً فيرى البعض مثل « سيدني فربا »[٥] ان اعمال مونتسكيو وتوكفيل وباجوت تقدم مساهمة ايجابية في دراسة الثقافة السياسية وان كان البعض مثل مارييندال يرى ان تلك الاعمال أكثر ارتباطاً بمفهوم الشخصية القومية ؛الا ان دراسة تأثير السمات الشخصية على السلوك السياسي دراسة حديثة في مجال علم السياسة خصوصاً في اعمال هارولد لاسويل والاعمال الخاصة بالشخصية المسيطرة التي ترى ان السلوك السياسي هو اسقاط للحاجات الفردية والمشاعر في المجال السياسي ، ولكن لم يتطور هذا المفهوم الا باعمال فربا[٦] . وتعرف دائرة المعارف الدولية للعلوم الاجتماعية[٧] الثقافة السياسية بأنها مجموعة الاتجاهات والمعتقدات والقيم التي تنظم وتعطي معنى للنظام السياسي .

ويمكن النظر الى مفهوم الثقافة السياسية كتطور طبيعي للاتجاه السلوكي في التحليل السياسي . فهو يحاول أن يسد الثغرة التي تنمو في الاتجاه السلوكي بين مستوى التحليل الميكرو الذي يعتمد على التفسيرات النفسية للسلوك السياسي للفرد ومستوى التحليل الماكرو الذي يعتمد على المتغيرات السائدة في علم الاجتماع السياسي للفرد ، فهو يقدم محاولة لربط علم النفس بعلم الاجتماع حيث يمكن استخدامه في التحليل السياسي الديناميكي .

اما باي[٨] فيرى ان الثقافة السياسية هي مجموعة القيم والمعتقدات السياسية الاساسية السائدة في اي مجتمع والتي تميزه عن غيره من المجتمعات وتخلق نوعاً من الملاءمة الاجتماعية

---

(٣) F. Greenstein, «Political Socialization,» in: *International Encyclopaedia of the Social Sciences*, vol. 14, p. 557.

(٤) Richard Wilson, «Political Socialization 'and Development,» *World Politics*, vol. 18, no. 2 (January 1981), pp. 153-178, and Pely N.Tannenbamm and Jack M. Mcleod, «On the Measurement of Socialization,» *Public Opinion Quarterly*, vol. 16, no. 1 (Spring 1967), pp. 27-38.

(٥) Sidney Verba, «Comparative Political Culture,» in: Lucian Pye and Sidney Verba, *Political Culture and Political Development* (Princeton, N.J. Princeton University Press, 1965), p. 7.

(٦) «Political Culture,» in: *International Enceclopaedia of the Social Sciences* (1975), vol. 13, p. 210.

(٧) Ibid., p. 210.

(٨) Pye and Verba, *Political Culture and Political Development*, p. 7.

لسلوك الافراد ، وتعطي للعمليات السياسية شكلاً ومضموناً بالطريقة نفسها التي تعطي بها الثقافة بوجه عام ملاءمة الحياة الاجتماعية . وتنتقل الثقافة السياسية من خلال عملية التنشئة السياسية في المراحل الاولى.

ويتفق هتشنر[٩] مع التعريف السابق وان كان يركز على أساليب التنشئة الاجتماعية كمصدر من مصادر تعلم الثقافة السياسية . ويحدد نورمان ادلر[١٠] مصادر تعلم الثقافة السياسية بالخبرة غير السياسية التي تؤثر على الاتجاهات في المواضيع السياسية وتعتمد على التنشئة المبكرة في العائلة والمدرسة . اي عملية تعلم القيم والاتجاهات السياسية والقيم والانماط الاجتماعية ذات الدلالة السياسية والخبرة السياسية واثرها على الثقافة السياسية عن طريق التفاعل مع الحكومة والمواقف السياسية المختلفة . وكذلك الذاكرة السياسية التي تتكون من خبرات الافراد في المواقف السياسية المختلفة . ويمكن القول ان الثقافة السياسية هي مجموعة القيم والمعتقدات والاتجاهات السياسية السائدة في مجتمع معين .

٢ ـ ابعاد الثقافة السياسية

يمكن تحديد الابعاد الاساسية للثقافة السياسية من خلال الموضوعات التالية :

أ ـ مفهوم السلطة : في كل مجتمع تقاليد معينة يمكن من خلال دراستها التعرف الى الانماط والعادات وكيفية اتخاذ القرار وتنفيذه . فهي تهتم بالوسائل اكثر من الغايات وبالطريقة او بالاجراءات التي يتم عن طريقها اتخاذ القرار اكثر من اهتمامها بمضمون او هدف القرار . وترتبط هذه الاجراءات بالمفهوم السائد عن السلطة . فإذا تصور المواطنون ان القرارات السياسية قد اتخذت من خلال الانماط والعادات والكيفية المتفق عليها فإن هذه القرارات تصبح لها شرعية في نظرهم ، ومن ثم يجب قبولها والخضوع لها . وهكذا ففي كل نظام سياسي تصور سائد لكيفية اتخاذ القرارات من خلال اي مؤسسات ، ودور المواطنين في هذه العملية.

ب ـ الغاية من استخدام السلطة : نادراً ما يقبل شعب مفهوم السلطة دون ان يتضمن ذلك تفسيراً للغاية من استخدام السلطة ولأي اهداف واغراض تستخدم ، بمعنى ان هناك اهدافاً عامة استقرت في الضمير الجماعي للمواطنين . والسلطة السياسية يجب ان تسعى لتحقيق هذه الاهداف التي ينتظر المواطنون من السلطة ان تسعى للعمل على انجازها وتحقيق اغراضها .

ج ـ المشاعر والاحاسيس : يشمل هذا الجانب دور الانفعالات والعواطف السياسية في استقرار النظام او عدم استقراره . ويقصد بذلك استخدام المشاعر القومية والوطنية ومدى استغلال الزعيم السياسي لهذه المشاعر او الانفعالات للقيام بسلوك سياسي ما كان المواطنون يقومون به دون عملية الاستغلال هذه[١١] .

---

(٩) Gilleter Hitchner and Carol levine, *Comparative Government and Politics* (New York: Dod and Moud, 1967), p. 37.

(١٠) Norman Adler and Charles Marrington, *The Learning of Political Behavior* (New York: Folesman, 1970), p. 70.

(١١) Lucian Pye, *Politics Personality and Nation Building* (New Haven, Conn.: Yale University Press, 1962), p. 122.

د ـ الثقة وعدم الثقة : يهتم هذا الجانب بالقيم المتعلقة بالثقة وعدم الثقة والشك . فقد يكون اصدار القرار مشوباً بنوع من الشك في مدى شرعية مصدري القرار ، وقد يتعدى ذلك الى الشك في العمل مع الآخرين والنظر اليهم على أنهم خطرون . فتختلف الثقافات السياسية تبعاً لتحديد من هو الشعب ، ونظرته الى الآخرين وفيما اذا كانت المؤسسات العامة او الافراد جديرين بالثقة .

هـ ـ الانتماء القومي : ويقصد بذلك قضية الهوية ، والى اي الجماعات يشعر الافراد بالانتماء والارتباط . فقد يكون مستوى الولاء للعائلة او القبيلة منخفضاً او قد يرتفع الى مستوى ولاء قومي . أضف الى ذلك الولاءات الفئوية والسلالية والدينية المختلفة .

و ـ المساواة والحرية : يهتم هذا الجانب بالاتجاه نحو القوة والعلاقة بين متخذي القرار السياسي والشعب . هل هي علاقة قائمة على المساواة ام على عدم المساواة ؟ وفي بعض المجتمعات التقليدية تكرس ثقافاتها السياسية تبرير عدم المساواة وتقديم تبريرات معنوية وخلقية على عكس بعض الثقافات السياسية الاخرى التي تركز على الحرية واحترام حقوق الافراد والمساواة بين المواطنين .

ز ـ تطويع قدرات النسق السياسي للتنمية الاقتصادية : يقصد بها قدرة المؤسسات السياسية على تحريك وتخصيص الموارد الاقتصادية ، وذلك من خلال المشاركة الشعبية في خطط التنمية ، والموقف من الملكية الخاصة والملكية العامة ، ونوعية العمل الذي تركز عليه الدولة للمشاركة الفعالة في خطط التنمية[١٢] .

٣ ـ دور المدرسة في التنشئة السياسية للاطفال

يشكل الاطفال جزءاً من المجتمع السياسي ، ولذلك فهم يكتسبون نظم القيم والاتجاهات السياسية السائدة في هذا المجتمع والتي من شأنها أن تؤثر على سلوكهم السياسي حينما يدخلون مرحلة البلوغ السياسي . ويسلم علم الاجتماع السياسي بأن معاهد التعليم تلعب دوراً مهماً في عملية التنشئة السياسية . وتمارس المدرسة هذا التأثير عن طريق التوجيه للمذهب السياسي الذي غالباً ما يقدم في مقررات دراسية رسمية كالمواطنة والتاريخ . ويهدف تدريس المواطنة في كل الدول الى تعريف المواطن بحكومة بلده وتحديد السلوك المتوقع منه ثم غرس مشاعر الحب والولاء القوي في نفسه . ويترتب على تعلم التاريخ القومي تعزيز الاحساس بالتفاخر والهوية القومية[١٣] .

والبعض مثل اليزابيث يرى ان المدرسة تلعب دوراً كبيراً في عملية التنشئة اكثر من دور العائلة . وترى ان نمو الارتباط بالامة او القومية تبدأ بالتعرف الى الرموز القومية كالعلم والحرية . وفي المرحلة الثانية يبدأ مفهوم الامة في الوضوح وبعض المفاهيم كالحرية وحق التصويت . وفي المرحلة الثالثة يبدأ التعرف الى الدول الاخرى[١٤] . وتمثل الكتب المدرسية والمدرسون عناصر مهمة في عملية التعليم في المدارس . منذ بدء التاريخ المدون . وتدل السجلات التاريخية على ان الكتب المدرسية كانت مستخدمة منذ امد طويل وربما يرجع ذلك الى ايام اليونان والرومان في العصر

---

(١٢) Ibid, p. 529.

(١٣) المنوفي ، « التنشئة السياسية في الفقه السياسي المعاصر » ص ١٩١ .

(١٤) Elizabeth Y. Yem,«Attitude Development in Childhood Education toward Foreign People,» *Journal of Education* (Boston University), vol. 152, no. 2 (February 1970), pp. 17-35.

القديم ، واليوم تشكل الكتب المدرسية اداة اساسية للتعليم الرسمي في جميع مراحل التعليم وتشكل الكتب المدرسية في المدارس الابتدائية الدعامة الاساسية للتعليم اذ يعتمد المدرسون على الكتب المدرسية اعتماداً كثيفاً . وتعد الكتب المدرسية بخاصة التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية مصدراً اساسياً يستمد منه الطالب اتجاهاته وآراءه السياسية ، وكذلك صوره عن البلاد المختلفة . فالكتب المدرسية تزود التلاميذ بما يحتاجون اليه من معلومات عن التاريخ وحضارات العالم الذي يعيشون فيه[١٥] .

ويتبين من الدراسات المتعلقة بالتنشئة السياسية ان التعليم المكتسب في المدرسة الابتدائية له تأثير دائم ، بل انه يمكن ارجاع المواقف التي يتخذها الكبار ازاء السلطة السياسية الى التجارب التربوية الاولى . ومثلما يؤدي التعليم المقصود الى تعزيز المواقف الايجابية كذلك يمكن أن تنشأ مواقف سلبية نتيجة اخطاء الحذف او التحريف خلال عمليات التعليم .

٤ ـ فروض الدراسة

الفرض الاول : ان محتوى المواد الدراسية يرتبط بالتغيرات التي تحدث في المجتمع وخصوصاً التغيرات في الواقع الاقتصادي والسياسي ، فالظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في كل من الاردن وسورية ولبنان ومصر تنعكس في محتوى المواد الدراسية خصوصاً مواد التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية .

الفرض الثاني : إن التنشئة السياسية من خلال عملية التعليم المدرسي تمثل تجسيداً لمدلول الاستقرار السياسي ، فالنظام السياسي في عملية حفاظه على نفسه ليظل ثابتاً في مواجهة التغيرات من جيل الى جيل ، يعمد الى العملية التعليمية لنقل القيم والاتجاهات السياسية المقبولة في النظام السياسي من جيل الى آخر . ويتبين من ذلك ان التنشئة خلال العملية التعليمية تؤدي الى استمرارية الاوضاع القائمة التي تؤكد الاستقرار بمعنى الرضاء عن النظام السياسي واستمرارية نظام الحكم القائم[١٦] .

٥ ـ منهج الدراسة وادواتها

اتبعت الدراسة منهجاً تجريبياً يعتمد على تحليل المضمون كأداة للبحث ، حيث تم حصر اهم الابعاد السياسية المتضمنة في كتب التاريخ والجغرافيا والتربية القومية ، كالانتماء القومي ومفهوم السلطة والروح الجماعية ومسؤولية المواطن .

٦ ـ عينة الدراسة

اختيرت الكتب المدرسية في التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية في المرحلة الابتدائية ، وهي في مصر المواد الاجتماعية للصف الثالث والمواد الاجتماعية للصف الرابع الابتدائي ، وصور من تاريخ مصر الاسلامية للصف الخامس الابتدائي ، وجغرافية جمهورية مصر العربية للصف الخامس

---

(١٥) اياد القزاز ، « صورة الوطن العربي في المدارس الثانوية الامريكية ،» **المستقبل العربي** ، السنة ٣ ، العدد ٢٦ (نيسان / ابريل ١٩٨١) ، ص ٢٣ ـ ٣٩ .

(١٦) المنوفي ، « التنشئة السياسية في الفقه السياسي المعاصر ،» و
David A. Sears, «Political Socialization,» In: F. Greenstein, *Micro Political Theory* (Addizon: Wesley), pp. 96-136.

الابتدائي ، والتلميذ في بلده تربيـة قوميـة للصف الخامس الابتـدائي ، والوطن العـربي والعالم الخارجي للصف السادس الابتدائي وتاريخ مصر الحديث للصف السادس الابتدائي .

اما الاردن ، **التاريخ العربي الحديث والمعاصر لطلبة المرحلة الابتدائية** ؛ ولبنان **تاريخ العرب الحديث والتـاريخ الجـديد والمصـور في تاريـخ لبنان ودروس الجغـرافيا المصـورة والجديد في الجغرافيا للمرحلة الابتدائية** ؛ وسوريا **تاريخ العرب الحديث وجغرافية الـوطن العربي والتربية الاجتماعية والوطنية للمرحلة الابتدائية**[١٧]. ولقد اعتمدت الدراسة في تحليل الكتب المدرسية السابق ذكرها على بحث نجلاء بشور «القضية الفلسطينية والـوحدة العـربية ، في مناهج التعليم في الاردن وسوريا ولبنان » .

ثانياً : نتائج الدراســة

يتضمن هذا البحث عرضاً للنتائج الكمية والكيفية وذلك من خلال النقاط التالية : ١ ـ الانتماء القـومي ؛ ٢ ـ مفهوم السلطـة ؛ ٣ ـ الروح الجمـاعية ؛ ٤ ـ مسؤوليـة المواطن ـ دور المـواطن في المجتمع .

١ ـ الانتمـاء القومـي

ويقصد بذلك قضية الهوية . الى اي الجماعات يشعر الافراد بالانتماء والارتباط . وقد اظهرت نتائج تحليل المضمون الكمية ان الكتب المدرسية المصرية تؤكد فرعونيـة مصر بنسبة ٥٤ بـالمائـة وتؤكد الانتماء المصري بنسبة ٣٠ بالمائة بينما الانتماء العربي لا يشغل سوى ١٦ بالمائـة فقط من محتوى المواد المدرسية . ان الكتب المدرسية تؤكد فكرة الوطنية المصرية بوصفها شيئاً مستقلاً عن القومية العربية وعن القومية الاسلامية . وعلى سبيل المثـال يؤكد كتـاب التربيـة القوميـة للصف الخامس : « انت مصري وانا مصري وكلنا مصريون . كلنا مصريون يحب بعضنا بعضاً ، وطننا له تاريخ مجيد نفخر به ونعتز به »[١٨] .

اما الصف الرابع فيقدم للطفل الحضارة المصرية القديمة وذلك من خلال التركيز باستمرار على كلمة اجدادك القدماء والتركيز على الانتماء للوطن مثل : « لا يوجد قطر اجمـل من وطنك » ، « كـان اجدادك اعظم سكان العالم »[١٩] . وتخاطب الكتب الاطفال بقولهم : وهكذا نجح اجدادك بقيادة البطل احمس في طرد العدو الغاصب[٢٠] . وخلال التعرض لحضارة الاغريق والرومان في مصر يذكرون : وقد تأثر الاغريق بحضارة اجدادك المصريين القدماء ونقلوا منها الشيء الكثير الى بلادهم ، ونقلها منهم الى شعب اوروبا قوم آخرون هم الرومان القدماء واجداد شعب ايطاليا الحالي، نقل الرومان بذلك

---

(١٧) نجلاء نصير بشور ، **القضية الفلسطينية والوحدة العربية في مناهج التعليم في الاردن وسوريا ولبنان** (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٨)، ص ٨ ـ ١٠ .

(١٨) اجلال السباعي وسيد محمود عطا ، **التلميذ في بلـده : تربيـة قوميـة للصف الخامس الابتـدائي** (١٩٨١) ، ص ٨ .

(١٩) **جغرافيا ، سنة رابعة** ، ص ٦٧ .

(٢٠) **تاريخ ، سنة رابعة** ، ص ١٢٦ .

حضارة اجدادك المصريين القدماء الى بلاد اوروبا التي كان حظها ضئيلاً جداً في الحضارة في ذلك الوقت[٢١] .

ثم يظهر خلط بين العروبة والاسلام ، فالعروبة قومية بينما الاسلام دين موجه للناس كافة ، لا فرق فيه بين عربي واعجمي الا بالتقوى . وحين يتعرضون لاحوال العرب قبل الاسلام يشيرون الى العرب بقولهم « تعتبر شبه الجزيرة العربية موطن العرب الاصلي وتقع في الجنوب الغربي من قارة آسيا ، ويطلق العرب على بلادهم اسم جزيرة العرب ، ويقصدون بالعرب سكان شبه الجزيرة العربية »[٢٢] . وعن احوال العرب قبل الاسلام لم يكن في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ما يسمى الدولة او الحكومة العربية ؛ فقد كان العرب يعيشون قبائل متفرقة متعادية لا تخضع لحكومة ما ، بل كانت كل قبيلة دولة مستقلة بنفسها ، يحكمها شيخ منها بمشورة العقلاء من رجالها[٢٣] .

ويتحدثون عن الفتح الاسلامي لمصر « واصبحت مصر منذ هذا التاريخ ولاية تابعة للخلافة الاسلامية . وكان عمرو بن العاص اول والٍ عربي عليها »[٢٤] . ومن نتائج الفتح الاسلامي لمصر :

- ان مصر اصبحت منذ هذا التاريخ ولاية عربية اسلامية تابعة للخلافة الاسلامية ، يعين الخليفة عليها حاكماً من قبله يعرف بالوالي .

- ان المصريين تحرروا من ظلم واضطهاد الروم ونعموا بالحرية الدينية والمساواة تحت حكم العرب المسلمين .

- ان كثيراً من العرب هاجروا الى مصر بعد الفتح ، وسكنوا القرى والمدن وتزوجوا من السكان ، واختلطوا بهم اختلاطاً كاملاً ، شاعت بفضله الثقافة الاسلامية في البلاد . حتى اصبح من الصعب القول بأن فلاناً من اصل عربي وان فلاناً من اصل قبطي .

- ان كثيراً من المصريين بعد الفتح اعتنقوا الاسلام ليعتصموا بأمته ويستظلوا بوداعته وطمأنينته وبساطته . ولم يلبث الاسلام ان ازداد انتشاراً بين المصريين حتى اذا انقضت على الفتح مائتان من السنين صار المسيحيون اقلية في مصر واصطبغت البلاد بالصبغة الاسلامية .

- إن اللغة العربية كانت ولا تزال ضرورة لفهم القرآن الكريم ، ولذلك اضطر من اسلم من المصريين الى تعلم شيء من القرآن الكريم . وبذلك بدأ المصريون الذين انتشر بينهم الاسلام يتعلمون اللغة العربية[٢٥] .

ومن الواضح ان كتب المواد الاجتماعية تركّز على أن الفتح العربي جاء على اقوام وشعوب اقدم واكثر حضارة من العرب الفاتحين انفسهم ، مما يؤدي الى الخلط بين فكرة القومية والدين . ويتضح من ذلك ان الخلاف الذي استمر على مستوى الفكر المصري بين مؤيدي فكرة

---

(٢١) المصدر نفسه ، ص ١٤٤ .
(٢٢) يوسف محمود الصيرفي وشعبان درويش البركاوي ، صور من تاريخ مصر الاسلامية للصف الخامس الابتدائي (١٩٨١) ، ص ١٩ .
(٢٣) المصدر نفسه ، ص ١٩ .
(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .
(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٥٨ .

العروبة وفكرة الوطنية المصرية والقومية الاسلامية ظهر في اثناء تحليل محتوى بحث المواد الاجتماعية . اذ انه على الرغم من ان الاسلام قد انتشر في مساحة اوسع جداً من المساحة العربية او التي صارت عربية ، فأندونيسيا وحدها فيها مسلمون اكثر من كل البلدان العربية ، بل في ايران وباكستان وبنغلاديش والصين وافريقيا انتشر الاسلام . ولكن لماذا نجح الانتشار العربي المسلم في صبغ منطقة شاسعة بالصبغة العربية فصارت اللغة هي العربية والشعور بالانتماء عربياً ، في حين انه في اماكن اخرى اعطي الناس الدين وحده ولم تتغير لغتهم ولا انتماؤهم القومي[٢٦] .

وأول اشارة الى الوحدة العربية تأتي في السنة السادسة الدراسية ، حين يذكر المؤلف ادراك محمد علي ان مصر والبلاد العربية المجاورة لها يجب ان تكون في اطار دولة واحدة حتى تستطيع مقاومة العدوان الخارجي . واستطاع ان يضم الحجاز ونجد والسودان والشام مع مصر تحت حكمه[٢٧] . ثم في فقرة اخرى تفككت الوحدة العربية مع بقاء مصر والسودان تحت حكم اسرة محمد علي . ثم يأتي انفصال فكري وكأن الوحدة العربية ليست قدراً مصيرياً وانما هي عملية استراتيجية عسكرية . وفي فقرة اخرى تبنت مصر فكرة انشاء جامعة الدول العربية ، وبذلت اقصى ما تستطيعه من جهد للتعاون مع شقيقاتها داخل الجامعة لتساعد البلاد العربية الاخرى للحصول على استقلالها[٢٨] .

وإما عن ثورة ٢٣ تموز / يوليو ١٩٥٢ وعن العروبة فقد ظهرت في التاريخ للسنة السادسة باعتبارها سياسة خارجية لدولة مصر كما يتضح فيما يلي :

- مساعدة السودان على التحرر من سيطرة الاستعمار البريطاني وتحقيق استقلاله سنة ١٩٥٦ .

- كما ايدت كل من تونس والمغرب الاقصى في التحرر من الاستعمار الفرنسي .
- تأييد الثورة الجزائرية ومساعدتها بكل الوسائل ، حتى نالت الجزائر استقلالها عام ١٩٦٢ .

- أيدت مصر ثورة العراق سنة ١٩٥٨ عندما اعلنت الجمهورية والغت النظام الملكي .
- مساندة الشعب العربي في جنوب اليمن وفي الخليج العربي ، حتى تحقق له الاستقلال والتحرر من سيطرة الاستعمار البريطاني .

- اتحدت مصر مع سوريا سنة ١٩٥٨ وكونتا الجمهورية العربية المتحدة . ولكن قوى الرجعية[٢٩] والاستعمار افضت الى انفصال سوريا عن مصر سنة ١٩٦١ .

- دخلت مصر عضواً في ميثاق طرابلس سنة ١٩٦٩ الذي يضم سوريا وليبيا والسودان .
- تم اعلان اتحاد الجمهوريات العربية بين مصر وليبيا وسوريا سنة ١٩٧١[٣٠] .

---

(٢٦) احمد بهاء الدين ، « اي مصر يريدون ؟» **الاهرام** ، ٧/ ٥ / ١٩٧٨ .

(٢٧) عبد العزيز سليمان وبرنيس احمد رضوان ، **تاريخ مصر الحديث للصف السادس الابتدائي** ، (١٩٨١) ص ٦٧ .

(٢٨) المصدر نفسه ، ص ١٤٣ .

(٢٩) ذكرت كلمة رجعية لاول مرة في كتب المواد الاجتماعية والتربية القومية من السنة الثالثة حتى السادسة .

(٣٠) سليمان ورضوان ، **تاريخ مصر الحديث للصف السادس الابتدائي** ، ص ١٩٦ ـ ١٩٩ .

وآخر فقرة عن البلاد العربية « حققت حرب تشرين الاول / اكتوبر وحدة الصف العربي فقد تسابق جميع العرب الى المساهمة في الجهد الحربي » . وقطعت الاقطار العربية المنتجة للنفط تصديرها الى الدول التي وقفت بجانب اسرائيل مما جعل تلك الدول تتراجع عن سياستها ، ونادت بانسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة[٣١] . وأبرزت حرب تشرين الاول / اكتوبر اهمية الموقع الجغرافي للوطن العربي عندما اغلق الاسطول المصري مضيق باب المندب امام الملاحة الاسرائيلية[٣٢] .

ويلاحظ من تحليل كتب المواد الاجتماعية اللبنانية غياب كلمتي الوحدة العربية والامة العربية بل حتى في كتب التربية . وعند الحديث عن الامة ومكوناتها لا ترد اشارة للامة العربية وانما يذكر الوطن اللبناني والدولة اللبنانية فقط .

اما الكتب السورية فتفوق الى حد ما الكتب الاردنية في التعابير الوحدوية . واكبر مثال على ذلك الفرق بين كلمتي عالم ووطن ، اذ ان نسبة الفارق بين الكلمتين في الكتب السورية اكثر منها في الكتب الاردنية مع تفوق كلمة وطن في كلتا الحالين وكذلك في كلمة شعب عربي قطري وشعب قطري .

ويلاحظ ايضاً على سبيل المثال ان كتاب التاريخ للصف الخامس الابتدائي في لبنان ، والذي يظهر لبنان شيئاً منفصلاً عن العرب لا يربطه بهم وبقضاياهم رابط سوى احتلالهم له فترة من الزمن ، كان قد ثار عليهم بها . ويذكر الكتاب في فصل تحت عنوان **العرب في لبنان** . « واما جبال لبنان العالية فلم تكن فيها مدن كبيرة ، ولذلك لم يحاول العرب مهاجمة سفوحها وقممها . وهكذا تخلصت البلاد كلها من الحكم البيزنطي ودخلت في ظل العرب »[٣٣] .... و« ولقد وثق اللبنانيون بالعرب فعاشوا معهم كاخوة طالما ادوا الصلاة تحت سقف واحد » .

ولم توضح كتب المواد الاجتماعية والتربية القومية في الاردن وسوريا مفهوماً للوحدة . فقد حددت في بعض الاحيان ضرورتها ، وفي الكتب المدرسية محاولات لاعطائها مفهوماً ولكنه غير واضح[٣٤] .

٢ ـ مفهوم السلطة

ويقصد به المفهوم السائد عن السلطة ، هل هي سلطة مركزية ، ام هناك تمايز في الوظائف والادوار ، بمعنى تقسيم العمل في اطار المؤسسات السياسية ، وان تكون هناك وظائف متعددة وادوار متباينة لها ، وان كان التخصص والتمايز لا يقصد بهما عزل الابنية بعضها عن بعض ـ الانفصال الوظيفي ـ بل ان التخصص يتم في اطار التكامل الوظيفي للنسق وافتراض العلاقة الوثيقة بين الابنية المختلفة . وهل كتب التربية القومية والمواد الاجتماعية تؤكد دور السلطة المركزية ، وهي الحكومة التنفيذية ، باعتبارها مصدر القرار في جوانب الحياة المختلفة للمواطن كافة ، ام تؤكد دور المواطن والشعب؟ وتبين من التحليل الكمي ان ٩٤ بالمائة مما كتب عن الخدمات والسلطة السياسية يركز على دور الحكومة ، بينما ٦ بالمائة فقد تركز على دور المواطن في الكتب المصرية .

---

(٣١) المصدر نفسه ، ص ١١٣ .

(٣٢) المصدر نفسه ، ص ١١٤ .

(٣٣) بشور ، **القضية الفلسطينية والوحدة العربية في مناهج التعليم في الاردن وسوريا ولبنان** ، ص ٤٨ ـ ٤٩ .

(٣٤) المصدر نفسه ، ص ٤١ .

وعلى سبيل المثال وبالنسبة للاسرة تنص كتب المواد الاجتماعية على التالي :

- خدمات الحكومة للأسرة .
- تضمن الحكومة العمل لكل فرد من الاسرة ليكسب عيشه منه .
- توفر الحكومة التعليم لكل طفل في الاسرة ، ولذلك انشأت المدارس بالمجان .
- توفر الحكومة المسكن الصحي للاسرة ، فانشأت لذلك المساكن الشعبية الكثيرة لسكن الاسر المحدودة الدخل .
- توفر الحكومة الحدائق والاندية ليلعب فيها اطفال الاسرة .
- توصل المياه النقية والكهرباء للقرى والمدن في البيئة المحلية حتى تستفيد منها الاسر التي تسكن في القرية او المدينة[٣٥] .

وفي فقرة اخرى قضت الحكومة على الاهمال والتكاسل وقضت على البطء في قضاء مصالح الجماهير[٣٦] . وأيضاً عنيت الدولة بتوفير المساكن الصحية في المدن وفي القرى وتهتم الحكومة بتوفير المساكن في المدن . كذلك انشأت الحكومة المساكن لعمال المصانع ، واهتمت ايضاً بتوفير الماء النقي والعلاج[٣٧] .

وتهتم الحكومة بالفلاح فتشجعه على امتلاك الارض التي يزرعها ، فتقدم له البذور الجيدة والاسمدة المناسبة وتعلمه احسن الطرق لزراعة ارضه وتربية حيواناته[٣٨] . وتهتم الحكومة بالصانع فتبني له المساكن الصحية وتوفر له العلاج بالمجان ، وتكافىء الصانع المجتهد ، فتشرك العمال بنصيب أرباح مصنعهم ، وتدفع له اجره اذا مرض، وتؤمن عيش حياته وحياة اولاده اذا عجز عن العمل ، وتوفر له سبل الحياة في شيخوخته [٣٩] . وتهتم الحكومة بصيادي الاسماك فتقدم لهم المعونات المالية وتعلمهم الطرق الحديثة في صيد السمك . وتوفر لهم العلاج وتعتني بصحتهم وتوفر لاولادهم التعليم وتساعدهم على بيع ما يصيدون من اسماك[٤٠] .

حتى في الحكم المحلي الذي يرمي اساساً الى اشراك المواطنين في اتخاذ القرارات المحلية ، يذكر على انه منحة من الحكومة وليس حقاً للمواطن كما يتضح فيما يلي : لكي تشرك الحكومة اهالي القرى والمدن في الحكم ، انشأت في كل قرية او مجموعة من القرى المتجاورة في المحافظة مجلساً قروياً يعرف بمجلس محلي القرية . وانشأت في كل مركز من مراكز المحافظة مجلساً محلياً يعرف بمجلس محلي المركز[٤١] . ويكرر الكتاب التالي « الحكومة جعلت اعضاء هذه المجالس منتخبين انتخاباً مباشراً على ان يكون نصف عددهم على الاقل من العمال والفلاحين »[٤٢] .

---

(٣٥) يوسف محمود الصيرفي ، يوسف خليل يوسف وحليم ابراهيم جريس ، **المواد الاجتماعية للصف الثالث الابتدائي** (١٩٨١) ، ص ٥٩ .
(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٥٩ .
(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٤٠ ـ ٤١ .
(٣٨) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .
(٣٩) المصدر نفسه ، ص ٩١ .
(٤٠) المصدر نفسه ، ص ٩٥ .
(٤١) يوسف محمود الصيرفي ، يوسف خليل يوسف وحسين الصاوي ، **المواد الاجتماعية للصف الرابع الابتدائي** (١٩٨١) ، ص ١٣ ـ ١٤ .
(٤٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٢ .

وفي كتاب السنة الخامسة يتعرض الكتاب للتقسيم الاداري لجمهورية مصر ونظام الادارة المحلية فينص على : « قد حققت حكومة الثورة في مصر منذ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٦٠ املاً عظيماً لأهالي القرى والمدن فجعلتهم يشتركون في ادارة شؤونهم المحلية والتعرف على مشكلاتهم بانفسهم والعمل على حلها »[٤٣] .

أما عن اعمال الادارة المحلية لم تذكر كتب التربية القومية او المواد الاجتماعية شيئاً عن السيادة الشعبية ، أو الرقابة على اجهزة الادارة المحلية انما اعمالها :

- كنس الشوارع ورشها وازالة القمامة وعمل المجاري .
- توفير مياه الشرب ، وتوفير وسائل الانارة الكهربائية في الطرق .
- اقامة المجازر للكشف عن الحيوانات قبل ذبحها .
- تحسين مرافق المدينة او القرية وشق شوارعها ورصفها .
- انشاء الميادين والحدائق العامة .
- الاشراف على دور السينما والمسارح والمعارض[٤٤] .

حتى التنظيمات السياسية والاحزاب ما هي الا عطاء من الحكومة مثل « عملت حكومة الثورة على ايجاد تنظيم سياسي يضم قوى الشعب العاملة والعمال والفلاحين والمثقفين والرأسمالية الوطنية غير المستغلة . وكان الاتحاد الاشتراكي يضم هذه الفئات الوطنية واخيراً تقرر السماح بقيام الاحزاب السياسية وكلها تقوم بالعمل السياسي في ظل مبادىء السلام الاجتماعي والوحدة الوطنية والاشتراكية الديمقراطية »[٤٥] .

وتتشابه الكتب جميعها رغم الفوارق في العرض في سوريا والاردن ولبنان في خلق الطالب البعيد عن تحمل مسؤولية المشاركة في قضايا المجتمع . وعلى سبيل المثال كتب التربية اللبنانية في وصفها للمواطنة الصالحة تؤكد انها للحفاظ على كيان الدولة بشكل مجرد عن الوضع الحالي ، تبعد الفرد عن المشاركة في هذا الكيان . فيذكر كتاب التربية الوطنية في لبنان « لا شك في ان الدولة ضرورية للحياة الاجتماعية لأن سلطتها هي التي تعين حقوق الافراد وواجباتهم وتؤمن احترام الحقوق وتنفيذ الواجبات . ولولا هذه السلطة لاعتدى الناس بعضهم على بعض ولكانت حياتهم واموالهم عرضة للظلم والعدوان . والدولة هي التي تمنع الظلم وتقيم العدل وهي التي تحافظ على كرامة الوطن وتدفع عنه كل عدوان أجنبي ، فتضمن بذلك السيادة الداخلية والخارجية » .

اما كتاب التربية السورية فيذكر : « انت في كل ساعة من ساعات حياتك تشعر انك تنعم بما تقدمه لك الدولة . فالخبز تشرف عليه الدولة ، واللحم الصحي تشرف عليه الدولة ، والشارع الذي تقطنه شقته الدولة ، والمدرسة التي تتعلم بها اقامتها الدولة »[٤٦] .

٣ ـ الروح الجماعيـــة

وأول ما يسترعي الانتباه ان كتب التاريخ تركز على دور الافراد اكثر منها على دور الجماهير

---

(٤٣) السباعي وعطا ، **التلميذ في بلده : تربية قومية للصف الخامس الابتدائي** ، ص ١٣٢ .
(٤٤) المصدر نفسه ، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .
(٤٥) سليمان ورضوان ، **تاريخ مصر الحديث للصف السادس الابتدائي** ، ص ١٩٦ .
(٤٦) بشور ، **القضية الفلسطينية والوحدة العربية في مناهج التعليم في الاردن وسوريا ولبنان** ، ص ٦١ ـ ٦٤ .

والجماعات ، وكأن المحور الاساسي للتاريخ هو الفرد وليس حركة جماعات[٤٧] . كما ان تدريس التاريخ يضفي عليه طابع تدريس التاريخ الوقائعي ، فمن النادر ان يوجد فيه التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والتاريخ الفكري ، هذه الجوانب التي تمكن من التعرف الى حياة المجتمع المصري والعربي والاسلامي . اذ ما زالت المقررات تركز الحديث على الحروب وعلى المعارك وعلى سقوط الحكام[٤٨] . فعلى سبيل المثال انه في العصر الفرعوني والحديث عن مينا « ظهر في الجنوب حاكم عظيم من بلدة طيبة محافظة سوهاج الحالية اسمه مينا او نارمر استطاع ان يغزو القطر الشمالي (الوجه البحري) ويهزم ملكه فضم بذلك القطر الشمالي الى القطر الجنوبي وجعل منهما مملكة واحدة قوية وكان ذلك منذ خمسة آلاف سنة »[٤٩] . وايضاً طرد احمس الهكسوس من الدلتا ودك حصونهم وقضى عليهم نهائياً في الدلتا وسيناء وطردهم من جنوب فلسطين[٥٠] . ثم يذكر الكتاب : هنيئاً لمصر ببطلها العظيم احمس محرر الوطن المقدس من الهكسوس اعداء البلاد وموحد وادي النيل من الشمال الى الجنوب .

ويتضمن كتاب السنة الخامسة صوراً من تاريخ مصر الاسلامية ويرى ان تاريخ مصر في تلك الفترة هو تاريخ احمد بن طولون او حمارية او قطز او صلاح الدين الايوبي . حتى الثورات تطلق باسم من تزعم الثورة دون اشارة الى دور الجماهير في تحريك الاحداث ، مثل الشيخ الشرقاوي والسيد عمر مكرم وعرابي ومصطفى كامل وسعد زغلول . فعلى سبيل المثال تناول كتاب تاريخ مصر الحديث للصف السادس ثلاث صفحات من تاريخ سعد زغلول ونشأته ، وكل ما كتب عن ثورة ١٩١٩ صفحة واحدة[٥١] وما كتب عن محمد فريد $\frac{1}{4}$ صفحة بينما محمد علي فقد كتب عنه ٣١ صفحة .

كما أنه يتضح من التحليل ان الكتب تبرز البطولات الفردية دون توضيح ادوار الجمهور الجماعية والتعاونية بالنسبة للافراد المختلفين في الاعمال البطولية كما يتضح فيما يلي :

فالشخصيات التاريخية والسياسية المتضمنة في الكتب هي ثمانية وخمسون قائداً او زعيماً او مناضلاً . واكثر الشخصيات التي تناولتها الكتب المدرسية بالعرض والتحليل هي : محمد علي ، اذ حصل على ١٩ بالمائة من عدد الصفحات التي تناولت الشخصيات ، يليه الرئيس انور السادات ١٢ بالمائة ، ثم الرسول عليه السلام ٧ بالمائة ، ثم نابليون ٧ بالمائة ، وعرابي ٥ بالمائة ، والخديوي اسماعيل ٥ بالمائة ، وسعد زغلول ٥ بالمائة ، وصلاح الدين الايوبي ٤,٥ بالمائة ، ثم مينا ٤ بالمائة ، وتحتمس ٤ بالمائة ، ومصطفى كامل ٤ بالمائة ، وجمال عبد الناصر ٢ بالمائة ، واحمس ٢ بالمائة ، وابو بكر الصديق ٢ بالمائة ، وعمر بن الخطاب ١,٥ بالمائة ، وقطز ١,٥ بالمائة .

اما بقية الشخصيات فحصلت على ٠,٥ بالمائة ، مثل خفرع ومنقرع وسيزوستريس وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب وطارق بن زياد وجوهر الصقلي وعلي بك الكبير ومحمد فريد وعلي مبارك ورفاعة الطهطاوي ومحمد كريم وكليبر ومينو .

---

(٤٧) المصدر نفسه ، ص ٤٧ .

(٤٨) « ندوة **المستقبل العربي** : التاريخ العربي : كيف نقرأه ، كيف نكتبه » ادارة عادل حسين ، **المستقبل العربي** ، السنة ٣ ، العدد ٢٥ (آذار / مارس ١٩٨١) ، ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .

(٤٩) الصيرفي ، يوسف والصاوي ، **المواد الاجتماعية للصف الرابع الابتدائي** ، ص ٨٦ .

(٥٠) المصدر نفسه ، ص ١٢ .

(٥١) سليمان ورضوان ، **تاريخ مصر الحديث للصف السادس الابتدائي** ، ص ١٣٣ .

ويلاحظ ان الشخصيات الفرعونية نالت أكبر قدر من التناول في المجموع ، وكذلك محمد علي . فعرضت الكتب المدرسية توليه الحكم وقضاءه على خصومه ثم الحملة الانكليزية بقيادة فريزر على مصر عام١٩٠٧،ثم القضاء على الزعامة الشعبية والتخلص من المماليك ، ثم سياسة محمد علي الداخلية : القوات المسلحة والاسطول والاصلاحات الاقتصادية والصناعة والتجارة والمواصلات والنهوض بالتعليم . ثم انضمام البلاد العربية وتفكك الوحدة العربية مع بقاء مصر والسودان تحت حكم اسرة محمد علي[٥٢] . اما الرئيس انور السادات فعرضت الكتب اذاعته لبيان الثورة في الاذاعة يوم ٢٣ تموز / يوليو ١٩٥٢ ثم ثورة التصحيح والانفتاح وحرب ٦ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣ ومبادرة السلام سنة ١٩٧٧[٥٣] .

ويظهر التركيز ايضاً على دور الافراد اكثر منه على دور الجماهير والجماعات في كتب المواد الاجتماعية للبنان والاردن وسوريا . فعلى سبيل المثال كتاب التاريخ الابتدائي للبنان يركز على الاسماء ٣٧١ مرة مقابل ٤ مرات على الشعب ، وتاريخ السادس الابتدائي للاردن ٥٧٩ مرة للاسماء مقابل ٤ مرات للجماهير ، وتاريخ السادس الابتدائي لسوريا ٢٨٤ مرة للاسماء مقابل ١٥ مرة للجماهير . ولا يظهر في الكتب اللبنانية ابراز لدور الافراد فقط وإنما عدم اهتمام بالطبقات الشعبية . ومثال على ذلك من كتاب تاريخ لبنان للصف الخامس حيث وصفت هذه الطبقات بالجهل « على اثر الحركة العامية فقد خشي المشايخ واصحاب الاملاك ان تمتد ثورة الفلاحين الموارنة الى القائمقامية الدرزية وخشي العثمانيون ان يزول النظام الذي وضعوه لتفريق اللبنانيين . وخافت الدول الاجنبية على امتيازاتها فعمل هؤلاء جميعاً على اثارة حرب اهلية طائفية في صفوف الطبقة الجاهلة ادت الى احداث مؤسفة سنة ١٨٦٠ » .

وكذلك يظهر ايضاً اعطاء الدور للافراد وليس للجماعات بشكل واضح في الحديث عن الحروب ، فيقال هزم فلان فلاناً ولا تذكر هوية الجماعات المتقاتلة وكأن الحرب بين شخصين ، ومثال على ذلك من كتاب التاريخ اللبناني للصف الخامس الابتدائي : « كان صلاح الدين الايوبي وزيراً في مصر سنة ١١٦٩م ولما آنس من نفسه القوة خلع العاضد آخر خلفاء الفاطميين واصبح سلطاناً لدولة تحيط بالصليبيين من الشمال والشرق والجنوب . ولقد حدثت مناوشات بسيطة بين الفريقين كانت اشدها معركة حطين التي انتصر فيها صلاح الدين الايوبي انتصاراً ساحقاً فقتل عدداً وافراً من جنودهم ، واسر اكثر زعمائهم وقوادهم . واستولى على معظم مدنهم من بينها القدس الشريفة » .

اما في كتب الاردن فقد كان التركيز في كتب التاريخ ولجميع الفترات على الافراد . ولكن التركيز الاكبر في تاريخ العرب الحديث كان على افراد العائلة الهاشمية مثل الحسن بن علي وفيصل وعبدالله . فحيثما ذكروا ذكرت معهم عبارات التبجيل والتكبير ، واعطي لهم الدور الاول والاخير في تحرير الوطن والدفاع عن القضايا التحررية . فقد ذكر « المنقذ الاعظم الحسين بن علي على انه محور النضال العربي » . وعلى سبيل المثال كتاب التاريخ للسادس الابتدائي يذكر عن الحسين : « لقد كان للحسين بن علي رسالة واية رسالة انها رسالة الحرية والاستقلال والوحدة العربية التي ضحى بحياته في سبيلها »[٥٤] .

وعند ذكر الثورات او النضال الذي قام بها العرب في مناطق مختلفة من الوطن العربي ضد

---

(٥٢) المصدر نفسه ، ص ٤٨ ـ ٧٨ .

(٥٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢٤ .

(٥٤) بشور ، **القضية الفلسطينية والوحدة العربية في مناهج التعليم في الاردن وسوريا ولبنان** ، ص ٥٠ ـ ٥٢ .

الاستعمار ، يذكر الزعيم او القائد وكأنه وحده الذي ثار ووحده الذي قاومته الدول المستعمرة . فمثلاً يذكر كتاب التاريخ للمرحلة الابتدائية في الاردن ثورات الجزائر باسماء زعمائها : (١) ثورة الامير عبد القادر ؛ (٢) ثورة محمد بن عبدالله ؛ (٣) ثورة لالا فاطمة ؛ (٤) ثورة سيدي الشيخ ؛ (٥) ثورة المقراني والشيخ حداد .

٤ ـ مسؤولية المواطن : دور المواطن في المجتمع

تحمل الكتب مسؤولية المشاركة في الدفاع عن المجتمع للنظام السياسي او الجيش او المقاومة الشعبية ، ولا يوجد سوى فقرة واحدة عن دور المقاومة الشعبية في الحروب التي خاضتها مصر على مر تاريخها . فالمقاومة الشعبية ضئيلة جداً في مواجهة الحروب النظامية التي يخوضها الجيش ، كما ان الكتب لا تشير الى اي عدو لمصر بل تدعو الى التعاون مع شعوب العالم . كما ذكرت تلك الكتب المقاومة العربية للاستعمار بشكل مقتضب ومختصر جداً . ولا تستعمل كثيراً تعابير مثل كفاح ، ثورة شعبية وجماهير او نضال . واتضح من التحليل الكمي لمضمون كتب المواد الاجتماعية والتربية الوطنية ان مسؤولية المشاركة في الدفاع عن المجتمع من واقع الجيش تمثل ٨٤ بالمائة ، بينما المقاومة الشعبية تمثل ١٦ بالمائة ، وذلك على مر التاريخ حتى منذ العصر الفرعوني . فما كتب على سبيل المثال عن تحتمس الثالث : « اهتم تحتمس الثالث بجيش مصر فزاد في عدده وعدته وقسمه فرقاً يتكون منها قلب الجيش وجناحاه وزوده بالخيول والعجلات الحربية ، وتفنن في تدريب الجنود وبنى اسطولاً عظيماً حتى يتمكن من الهجوم براً وبحراً . فارتقى بذلك الفن العسكري المصري واصبح جيش مصر في عهده من اقوى جيوش العالم »[٥٥] .

« وقام تحتمس الثالث بسبع عشرة حملة برية وبحرية »[٥٦] . وكذلك في عصر محمد علي يشير كتاب تاريخ مصر الحديث للصف السادس : « استطاع محمد علي بفضل تكوين الجيش المصري الحديث والاسطول ان يضم الحجاز ونجد والسودان والشام مع مصر تحت حكمه »[٥٧] . « وفي عهد اسماعيل اهتم بالنهوض بالجيش المصري مرة اخرى وزاد عدده وتوسعت مصر في عهد اسماعيل حتى جنوب السودان »[٥٨] .

والفقرات الوحيدة عن المقاومة الشعبية وذلك من خلال ثورة القاهرة الاولى حيث اشار كتاب التاريخ : « هاجم المصريون القوات الفرنسية رغم ان اسلحة المصريين كانت قديمة جداً وقتلوا اعداداً كبيرة من الفرنسيين وطردوهم من اجزاء عديدة من القاهرة »[٥٩] . « ثم قاد السيد عمر مكرم كفاح الشعب المصري ضد الجنود العثمانيين وحذر خورشيد الذي اصر على تنفيذ سياسته في ارهاق الأهالي بالضرائب »[٦٠] . والفقرة التالية عن عرابي : « بدأت الثورة عندما تزعم احمد عرابي ضباط الجيش المصريين وطلب عزل وزير الحربية عثمان رفعت بك الشركس »[٦١] .

---

(٥٥) الصيرفي ، يوسف والصاوي ، **المواد الاجتماعية للصف الرابع الابتدائي** ، ص ١٢٦ .
(٥٦) المصدر نفسه .
(٥٧) سليمان ورضوان ، **تاريخ مصر الحديث للصف السادس الابتدائي** ، ص ٥٠ .
(٥٨) المصدر نفسه ، ص ٨٣ .
(٥٩) المصدر نفسه ، ص ٣٣ .
(٦٠) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ .
(٦١) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ .

وفي اثناء تعرض الكتب المدرسية لحروب ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ تشير الى الدور الذي قام به الجيش النظامي في الحرب ، مع اغفال دور المقاومة الشعبية . « الحكومة تبذل جهوداً كبيرة لتزود قواتنا المسلحة بالمعدات والاسلحة الحديثة ، وتدرب قواتنا على أحسن تدريب . فقامت الدولة بشراء الاسلحة الحديثة من الدول المتقدمة ، وانشأت المصانع الحربية لتوفر للقوات المسلحة ما تحتاج اليه من آلات ومعدات وذخائر . وانشأت الكثير من المدارس العسكرية الفنية لتزود القوات المسلحة بالفنيين في مختلف المجالات العسكرية ، ثم يتعرضون لدور القوات البرية والبحرية والجوية وقوات الدفاع الجوي »[٦٢] .

وتركّز كتب المواد الاجتماعية في الاردن وسوريا ولبنان على الفرد للقيام بمسؤوليته في الدفاع عن وطنه وتحريره وما على الفرد الا ان يعمل حيث هو في المصنع او المتجر او المدرسة ويقوم بواجبه فيها تاركاً السياسة لاهلها . وفيما يلي تصنيف تبعاً لعدد الاسطر للمواضيع التي ركزت على المقاومة الشعبية او الجيش النظامي :

تصنيف تبعاً لعدد الاسطر للمواضيع التي ركزت على المقاومة الشعبية او الجيش النظامي

البلد	الكتاب	المقاومة الشعبية (٪)	الجيش النظامي (٪)
الاردن	تاريخ السادس الابتدائي	١٤,٧	٨٥,٣
سورية	تاريخ السادس الابتدائي	٣٢,٥	٦٧,٥
لبنان	تاريخ الخامس الابتدائي	—	١٠٠

ويلاحظ مما سبق تفوق ذكر الجيش النظامي فقط[٦٣] .

اكدت الدراسة الفروض السابقة ، اذ وضح من التحليل الكمي والكيفي للكتب المدرسية للمرحلة الابتدائية في مصر وسورية والاردن ولبنان ان هناك تشابهاً رغم الفوارق في العرض في تكوين الطالب البعيد عن تحمل مسؤولية المشاركة في قضايا المجتمع بما يضمن الاستقرار السياسي للانظمة السياسية العربية . كما ظهر أن هناك ارتباطاً قوياً بين الاوضاع السياسية والاقتصادية السائدة في كل بلد عربي ومضمون المواد الدراسية . وعلى سبيل المثال في مصر فإن اعلان سياسة الانفتاح الاقتصادي وما تبعها من اجراءات سياسية كقيام الاحزاب مثل الاطار الفكري الذي تم في ضوء تعديل محتوى المواد الدراسية في السبعينات ، خاصة مواد التاريخ والجغرافية والتربية الوطنية .

ويتضح من الدراسة ان اعادة كتابة المناهج الدراسية العربية أمر حتمي وحيوي لتكوين المواطن العربي الواعي بكل ما يحدث في الكون السياسي ، وبصورة تتجاوز الخلافات القطرية وتعمق الاحساس القومي بالعروبة وبدور الجماهير والشعوب في احداث التاريخ □

---

(٦٢) السباعي وعطا ، **التلميذ في بلده : تربية قومية للصف الخامس الابتدائي** ، ص ٥٨ .

(٦٣) بشور ، **القضية الفلسطينية والوحدة العربية في مناهج التعليم في الاردن وسوريا ولبنان** ، ص ٦٥ - ٦٦ .

جغرافية الاردن السياسية :اثر المتغير الصهيوني في حركية حدوده

د . محمد مصالحة

خبير في الإدارة العامة لشؤون الاعلام ـ جامعة الدول العربية .

ـ ١ ـ

تُعنى الجغرافيا السياسية بدراسة العلاقة بين جغرافية الدولة وحدودها مع من يجاورها من الدول وبين تأثير ذلك على استراتيجيتها السياسية والعسكرية ، وينصب علم الجيوبوليتيك على دراسة الدولة في بيئتها الجغرافية وتأثير الموقع الجغرافي في سياستها . وقد ميّز علماء الجيوبوليتيك بين مفهومين :

ـ مفهوم واسع تقوم فيه الجغرافيا السياسية على الدراسة الجغرافية للدولة من منطلق سياستها الخارجية ، وتستمد مادتها من الدراسات الاكاديمية للجغرافيا والسياسة والتاريخ .

ـ مفهوم ضيق اتّسم به الفكر الالماني النازي الذي انطلق من فكرة المجال الحيوي للدولة ،فهي « كائن حي تتمدد اطرافه اي حدوده السياسية » تحت ضغوط النمو لهذا الكائن .. اي الدولة .

والجغرافيا السياسية واحدة من فروع الجغرافيا البشرية التي تدرس النشاطات الانسانية في مجال البيئة الطبيعية ، بيد ان الاولى في اكثر تعريفاتها تحديداً انما تبحث في اثر الموقع الجغرافي على علاقات الدولة بالدول الاخرى ولا سيما التي تتقاسم معه الحدود السياسية .

وجغرافية الدولة او الموقع الجغرافي للوحدة السياسية يعتبر من المتغيرات الثابتة بين كل العوامل الاخرى المؤثرة في السياسة الخارجية للدولة ، ويضيف البعض عامل التاريخ كمتغير ثابت ايضاً في السياسة الخارجية[١] ، اما العوامل المتغيرة التي تؤخذ في الاعتبار في التأثير على سياسة الدولة فهي اوضاعها الداخلية ، نفسية شعبها ، درجة المشاركة في الحياة السياسية ، القدرات الاقتصادية والبشرية والعسكرية ، وميزان القوى الاقليمي والدولي السائد في وقت ما[٢] .

---

(١) محمد حسنين هيكل ، « بصراحة »، الاهرام ، ١٥ / ٦ / ١٩٦٧ .

(٢) Margerett Sprout Roy, *Foundations of International Politics* (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice - Hall , 1967), pp. 6 and 7.

وفي ضوء هذا التحديد فإن الجغرافيا السياسية معنية بتحليل ثبات الحدود السياسية وحركيتها ، وكيفية ترسيمها ، وأثر عوامل القوة والضعف في تحديد المدى الجغرافي « الاقليمي » للدولة ، واثر الموقع الجغرافي على صنع القرار السياسي للصفوة الحاكمة على ضوء الاهداف والمصالح التي ترمي الى تحقيقها .

ويتعيّن علينا ونحن نبحث تحديداً في موضوع الحدود السياسية في نطاق الجغرافيا السياسية ، ان نميِّز بين التعبيرين : ـ الحدود Boundaries والتخوم Frontiers ـ اللذين استخدما من قبل الكتّاب المعاصرين في الجغرافيا السياسية كمترادفين في كثير من الاحيان ، بينما يمكن أن نشير الى اختلاف جوهري لا يمكن اغفاله بينهما ؛ ذلك ان الحدود هي الخطوط الفاصلة بين وحدات المجتمع الدولي المتجاورة ، اما التخوم فهي اقاليم انتقال ثقافية وقومية بين امتين كما هو الشأن بالنسبة للمنطقة الممتدة من خليج الاسكندرون حتى نهر الفرات التي تفصل بين القومية التركية شمالاً والقومية العربية جنوباً ، وبتفريق آخر فإن التخوم ظاهرة جغرافية وطبيعية ، اما الحدود فهي ظاهرة سياسية وقانونية .

ولعله من باب المألوف القول بأن تقسيمات الحدود في معظم دول العالم الثالث التي استقلت بعد انتهاء الحقبة الاستعمارية كانت نتيجة مادية لصراعات القوى على المستوى الدولي .. وان نزاعات الحدود تُحسم عادة إمّا بالوسائل السلمية وإمّا بالصراع المسلح. غير انه يلاحظ ان الدول عادة ما تركن الى قوتها العسكرية لتسوية هذه النزاعات[٣] بما يكفل تحقيق مطالبها الاقليمية « توسيعاتها الحدودية » .

وانطلاقاً من تحديد هذه المفاهيم الى واقعها التطبيقي في منطقة الشرق الاوسط . نلمس ان الظاهرة الصهيونية منذ ان انطلقت فكراً حتى تجسيمها مشروعاً في « دولة » قد لعبت كمتغير قوي في تجزئة الخريطة الجغرافية لسوريا الكبرى وتحديداً مع تصميم بنود اتفاق سايكس ـ بيكو عام ١٩١٦ التي ارست دعائم هذه التجزئة وتوزيع المنطقة الى مجموعة من الكيانات السياسية .

ويأتي اعلان بلفور عام ١٩١٧ باقامة « وطن صهيوني » في فلسطين كمرحلة ارساء للمشروع الصهيوني برعاية بريطانيا في المنطقة .. ولتتم في ضوء منطلقاته عملية الترسيم للحدود السياسية للجغرافيا بين فلسطين وشرق الاردن اللتين كانتا تشكلان نسيجاً بشرياً وجغرافياً متصلاً في العهد العثماني وما قبله . وبطبيعة الحال يمكن ان نفرق بين فترتين متمايزتين في المخطط الصهيوني وخطواته التنفيذية .

ـ ٢ ـ

وتمتد الاولى منذ عام ١٩١٧ حتى عام ١٩٤٨ تاريخ اعلان قيام الدولة العبرية في جزء من فلسطين .. وفيها كان الضاغط الصهيوني على بريطانيا وفرنسا وبرعايتهما هو المتغير الرئيسي في تحديد ملامح الخريطة السياسية للمنطقة .

---

(٣) اسماعيل صبري مقلد ، **الاستراتيجية والسياسة الدولية** (بيروت : مؤسسة الابحاث العربية ، ١٩٧٧) ، ص ٣٣ وما بعدها .

في هذه المرحلة كانت الحركة الصهيونية بمختلف مؤسساتها تعمل عبر مراكز الثقل في النظام الدولي لتأمين اوفر مساحة ممكنة لفلسطين الانتداب المرشحة لاقامة الوطن اليهودي فيها .. وبعبارة اخرى عملت على فرض المنطقة الاسرائيلية على الخريطة السياسية من خلال المنافذ التالية :

ـ المنفذ الدولي : وذلك بتضمين وعد بلفور في صك الانتداب البريطاني على فلسطين بتحويل عصبة الامم وتحدد ذلك في ميثاق الانتداب عام ١٩٢٢.. وبالتالي اكتساب الشرعية الدولية للمشروع الصهيوني[٤] .

ـ المنفذ الاستيطاني : القائم على الغمر البشري اليهودي لبعض الاجزاء الفلسطينية الساحلية .. وقد وصل التعارض بين الوجود الاستيطاني الصهيوني والوجود العربي مرحلة خطرة عام ١٩٢٦ حيث بدا ان نمو الوطن القومي اليهودي بهذه الصورة امر يهدد الوجود القومي العربي في فلسطين[٥] .

في هذه المرحلة بدأت عملية التناطح السياسي بين الحركة الصهيونية والجانب العربي حول الحدود الشرقية لفلسطين « الانتداب » ، وتحديداً حول غرب نهر الاردن والاقليم الواقع شرقه ، والتي كانت ضمن المنطقة الخاضعة للانتداب البريطاني ذلك ان بريطانيا حينئذٍ حاولت التخفيف من اثر خطيئتها على العرب لعدم التزامها الوفاء بوعودها في المساعدة باقامة دولة عربية مستقلة تشمل الولايات العربية تحت الحكم العثماني في ضوء ما ورد في مراسلات الشريف حسين ـ مكماهون ، وعبرت عن هذا التخفيف باستثناء اقليم شرق الاردن من وعد بلفور واقامة امارة فيه عام ١٩٢١ . وعززت هذا الاستثناء في صلب المادة ٢٥ من ميثاق الانتداب ومعنى ذلك حظر الهجرة اليهودية الى هذه المنطقة : حينئذٍ ورد أول تحديد للحد الفاصل بين القطرين في برقية جوابية بعث بها هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني في فلسطين لحكومته في ٣٠ / ٨ / ١٩٢٢ على النحو التالي :

« .. يبدأ الخط الفاصل من نقطة على ساحل البحر الاحمر تقع على بعد ميلين غرب العقبة ويتجه شمالاً في وسط وادي عربة متبعاً خطاً يمر وسط البحر الميت ووسط نهر الاردن حتى التقاء نهر الاردن باليرموك مع السماح لشرق الاردن بأن يأخذ اللسان ثم في وسط نهر اليرموك حتى نقطة 24H32A على اليرموك ، وان شرق الاردن ستثير معارضة قوية اذا ثبتت انكلترا جداً آخر غير الذي يسير في وسط نهر الاردن [٦] ... وردت الحكومة البريطانية على مندوبها بأن الحد يستمر في وسط نهر اليرموك حتى التقائه بالحدود السورية ، وقد أيدت وزارة الخارجية الاميركية مسار هذا الخط لدى استفسار بريطانيا منها عن الحد السياسي بين شرق الاردن وفلسطين »[٧] .

ويلاحظ ان هناك اختلافاً بين هذا التحديد الجغرافي وبين ما ورد في اتفاقية سايكس ـ بيكو يتمثل في انه اضاف لفلسطين«الانتداب»: صحراء النقب ، النصف الغربي من نهر الاردن،الاتصال بخليج

---

(٤) محمد مصالحة ، « سياسة الاردن نحو القضية الفلسطينية » (اطروحة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٨٢) (غير منشورة) .

(٥) محمد توفيق محمود ، **الجغرافيا السياسية لاسرائيل** (القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٧) ، ص ٧٠ .

(٦) محمد محمود الديب ، **حدود فلسطين** (القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٩) ، ص ٩٢ وما بعدها .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

العقبة بساحل طوله ٤ اميال كنتيجة للضغوط الصهيونية التي ترمي الى توسيع المجال الجغرافي للمشروع الصهيوني .

كانت الضغوط التي مارستها الحركة الصهيونية مبكراً لتعيين هذا التحديد للجغرافيا السياسية لفلسطين وشرق الاردن قد اتخذت مسارين :

المسار الفكري : حيث عبّرت مختلف كتابات مفكري الحركة امثال هاري ساكر وهيرتزل وماكس نورد وجاستر ووايزمن وكابلانسكي وسواهم عن تصور فضفاض للجغرافيا السياسية لفلسطين « التاريخية » التي يحلمون بإقامة دولتهم عليها .

فقد كتب **هربرت ساميد** عام ١٩١٥ يقول[٨] : « .. إن فلسطين تتمتع بأفضل ما يمكن من الحدود الطبيعية فالبحر غرباً والصحراء شرقاً وجنوباً .. وان البلاد الواقعة شرق الاردن (جلعاد وحوران) لم تنعم بالاستقرار خلال تاريخ العهد القديم لكنها ذات حدود طبيعية واضحة المعالم تمتد من جبل الشيخ (الحرمون) الى اليرموك جنوباً ومن نهر الاردن الى طرف الصحراء » .

مسار العمل السياسي : ونقصد به ، جماع المحاولات الصهيونية السياسية عبر مؤسسات الحكم ، وجماعات الضغط ، واجهزة الاعلام في الدول الغربية ولاسيما بريطانيا التي كانت تمسك بناصية الامور في تلك المنطقة من اجل حملها على تأييد تصورها الاقليمي للدولة اليهودية المقترحة او « فلسطين الكبرى » .

وفي هذا الشأن نستذكر مذكرة هربرت صموئيل للحكومة البريطانية التي ذكر فيها ان حدود فلسطين الشرقية تشمل شرق الاردن حتى الخط الحديدي الحجازي . وقد جهدت الحركة الصهيونية في مختلف مقترحاتها حول الوطن اليهودي وحدوده بعد اصدار وعد بلفور لكي تخلق الانطباع بأن الوعد يشمل شرق الاردن ايضاً[٩] .

وفي عام ١٩١٩ تقدمت المنظمة الصهيونية الى مؤتمر الصلح بفرساي بمذكرتها الشهيرة وجاء بضمنها بصدد الحدود مع شرق الاردن « ضرورة تثبيت حدود معينة لفلسطين التاريخية بضم جنوب لبنان وحرمون وشرق الاردن اليها » . وشرحت المذكرة اسباب هذا التحديد لتأمين اسس اقتصادية ، ومنافذ طبيعية ، ومصادر مياه تجعل فلسطين تشتمل في حدودها على اكبر قدر من الاتساع لتضم شعباً نامياً وكبيراً[١٠] .

وهكذا كانت الاسانيد التاريخية ، والاحتياجات الاقتصادية ، والمياه الضرورية للحياة هي التي استهدى بها المنهج الصهيوني الفكري والسياسي في تصوره لحجم الرقعة الجغرافية اللازمة لاقامة « دولة يهودية » .. وبناء عليه رسمت الحدود الجغرافية بين شرق الاردن وغربه بحيث تضمن لهذه الدولة المقبلة :

---

(٨) لمزيد من التفصيل انظر : اسعد رزوق ، **اسرائيل الكبرى** (بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، ١٩٦٩) ، ص ٢٣١ .

(٩) حسن صبري الخولي ، **سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين** (القاهرة : دار المعارف ، [د.ت.]) ، ج ١ ، ص ١٤ وما بعدها .

(١٠) لمزيد من التفصيلات عن المذكرة انظر : عبد الوهاب الكيالي ، **المطامع الصهيونية التوسعية** (بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، ١٩٦٦) ، ورزوق ، **اسرائيل الكبرى** .

- « حقاً » في مياه نهر الاردن واستثماره في مشاريعها الزراعية والكهربائية وهو ما تكشّف عنه تطور الاحداث عام ١٩٦٤ بتحويل مياه الاردن كلياً لارواء اراضي النقب في فلسطين المحتلة .

- اقتسام البحر الميت وثرواته المعدنية مع شرق الاردن وهي مشروعات بدأت بواكيرها إبان الحكم الانتدابي البريطاني على فلسطين وشرق الاردن .

- تحقيق هدف استراتيجي يتمثل في فصل جناحي الوطن العربي عن بعضهما من خلال ربط فلسطين الانتداب بخليج العقبة وضم صحراء النقب الى المنطقة التي سيقام عليها المشروع الصهيوني في وقت لاحق .

وبهذا يتضح ان المشروع الصهيوني الذي حمل في بدايته اسم « وطن قومي لليهود في فلسطين » لم يكن في مدلوله التطبيقي سوى مشروع استعماري توسعي يتطابق في مضامينه مع فكرة المجال الحيوي لدى النازية ، والامبراطورية الرومانية التي راودت احلام موسوليني ودفعت بهما الى انتهاج سبيل القوة لاعادة صياغة الجغرافيا السياسية لاوروبا في العقد الاربعيني .

وطيلة الفترة التي سبقت انشاء اسرائيل عام ١٩٤٨ لم يخفِ زعماء الحركة الصهيونية والوكالة الصهيونية بمختلف فصائلها تطلعاتهم التوسعية نحو شرق الاردن وان نظرتهم للحدود السياسية مع شرق الاردن انما تنطلق من افتراض عدم وجودها واغتنام الفرص لدفع هذه الحدود نحو الشرق .

في عام ١٩٣٦ - ١٩٣٧ ابان محاولات لجنة بيل البريطانية اعلن وايزمن امام اللجنة ، وقبل انشاء الدولة اليهودية : « .... اعرف ان الله قد وعد اسرائيل بفلسطين ولكن لا اعرف حدوداً وضعها لها واظن انها كانت اوسع من المقترحات الخاصة بالحدود الآن .. وربما شملت شرق الاردن ايضاً ومع ذلك فقد فقدنا القسم الشرقي ويطلب الينا التخلي عن بعض من القسم الغربي »[١١] .

بيد ان انشاء إمارة شرق الاردن عام ١٩٢١ جاء ضربة للمخطط الصهيوني في اقامة دولة « اسرائيل الكبرى ».. ذلك الهدف الذي تحقق مرحلياً عام ١٩٤٨ حينما اعلن بن غوريون عن قيام اسرائيل كدولة « بلا حدود » لأن من شأن ذلك ان تغل يده وتشل حركته في المستقبل[١٢] .

- ٣ -

وقد انتهت هذه الفترة من المخطط الصهيوني عام ١٩٤٨ **بقيام اسرائيل على جزء من فلسطين** ، وقد تفاعلت عدة عوامل في تحديد موضوع الخطوط الفاصلة للجغرافيا السياسية بين فلسطين وشرق الاردن الذي عُرف عام ١٩٤٦ بالمملكة الاردنية الهاشمية التي حصلت لتوها على الاستقلال من بريطانيا . ومن بين هذه العوامل :

- انتهاء الانتداب البريطاني وانسحاب قواته من فلسطين عشية ١٤ / ٥ / ١٩٤٨ مفسحة

---

(١١) عادل محمود رياض ، **الفكر الاسرائيلي وحدود الدولة** (القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٧) ، ص ٧٨ .

(١٢) ايغال آلون ، **تكوين الجيش الاسرائيلي** ، ترجمة عثمان سعيد وناجي علوش (بيروت : دار العودة ، ١٩٧١) ، ص ٣٠ .

المجال لاندلاع الحرب العربية ـ الاسرائيلية الاولى ، وقد اخفق الانتداب متعمداً في تمكين اهل فلسطين من نيل استقلالهم الوطني كما كان متوقعاً من الانتدابات الاجنبية في بقية اقطار المنطقة .

ـ اقرار الامم المتحدة لتقسيم فلسطين الى دولتين : عربية ويهودية مع تدويل الاماكن المقدسة ، والذي رفضه العرب ؛ ومنهم الفلسطينيون .

ـ دخول القوات الاردنية والعراقية الى شرق فلسطين مع بقية الجيوش العربية للدول المتاخمة لحماية عروبة فلسطين .. وتبع ذلك توقيع اتفاقية للهدنة بين الاردن واسرائيل في رودس عام ١٩٤٩ .

وفي عام ١٩٥٠ دُمجت شرق فلسطين او الضفة الغربية مع الاردن وامتدت الجغرافيا السياسية لشرق الاردن لتعبر النهر غرباً وتخلق وضعاً جديداً للمدى الاقليمي الاردني عما كان عليه حتى عام ١٩٤٨ وتصبح حدوده الغربية عبارة عن خطوط هدنة عسكرية مع الكيان الاسرائيلي الجديد ... كما سنشرح بعد قليل .

ومنذ ذلك الحين يصبح الحديث عن جغرافية الاردن السياسية من الغرب مرتبطاً بعلاقة الاردن بالقضية الفلسطينية وبمجمل الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وتداخل متغيرات القوة والدبلوماسية ، والنظام الاقليمي العربي والنظام الدولي في موضوع الحدود السياسية الغربية للاردن .

إن العودة الى الجغرافيا التاريخية مهمة في هذه الحالة .. تلك الجغرافيا التي تُعنى بجغرافية الماضي باعتبارها اداة اتصال الجغرافيا السياسية بالتاريخ .. لتكوين ما يمكن تسميته بالجغرافيا السياسية التاريخية التي تختص بدراسة البعد الزمني للظاهرات التي تدخل ضمن موضوع الجغرافيا السياسية .

ومن ناحية الجغرافيا التاريخية ، نشير الى ان لفظة شرق الاردن او Trans jordan قد اطلقت لأول مرة اثناء فترة الاحتلال الصليبي لهذه المنطقة[١٣] على الاقليم الممتد الى الشرق من نهر الاردن ، اما المنطقة غرب النهر فهي فلسطين وقد شكّل الاقليمان جزءاً جغرافياً واحداً من سوريا الكبرى كان يطلق عليه سوريا الجنوبية حتى عهد الانتداب بعيد الحرب العالمية الاولى ، وفيما يمكن اعتبار غرب النهر من وجهة نظر جغرافية الجهة الساحلية لشرق الاردن فإن شرق النهر هو العمق الداخلي لفلسطين التي تم تحديدها جغرافياً في السنوات الاولى لعهد الانتداب كما أسلفنا .

لم يكن هناك تمييز اداري وجغرافي سياسي منفصل لشرق الاردن حتى ذلك الوقت فقد كان سنجق عجلون (اللواء الشمالي) تابعاً لسنجق حوران في سوريا الشمالية ، وقضاء البلقاء (منطقة الوسط شرق النهر) تابعاً لمتصرفية نابلس غرب النهر . اما منطقة العقبة ومعان (في الجنوب)فكانت تابعتين للحجاز[١٤] .

وتبعاً للترسيم الحدودي عام ١٩٢٢ ،فإن شرق الاردن قد تكوّن من قطاع جغرافي طولي يمتد من نهر اليرموك شمالاً الى خليج العقبة جنوباً ومن الازرق وباير شرقاً الى نهر الاردن والبحر الميت ووادي

---

(١٣) يوسف درويش غرانمة ، **شرق الاردن في عصر دولة المماليك** (عمان : المطابع التعاونية ، ١٩٧٩) ، ص ٣٧ .

(١٤) منيب الماضي وسليمان الموسى ، **تاريخ الاردن في القرن العشرين** (عمان: ١٩٥٩) ، ص ٧ .

عربة غرباً مع نتوء مستطيل يتجه جنوب الشرق حيث الحدود العراقية ـ الاردنية تخترق منطقة صحراوية فاصلة تتناثر فيها الواحات .

وفي دراسة الجغرافيا السياسية للاردن يمكن بوضوح ان نميّز بين نوعين من الحدود السياسية :

الحدود الاردنية ـ العربية : وتشمل حدود الاردن مع كل من سوريا شمالاً والعراق شرقاً والسعودية جنوباً وهي حدود اتسمت بالاستقرار بعد ان تم تعيينها في عهد الانتداب البريطاني والفرنسي على المنطقة ، فقد عينت اتفاقية « حبراء » الموقعة عام ١٩٢٥ مع الحكومة السعودية الحدود السياسية بين البلدين ، بينما عُينت الحدود العراقية ـ الاردنية في تشرين الثاني / نوفمبر سنة ١٩٢٦ ، اما الحدود مع سوريا وفلسطين فقد عينت عام ١٩٢٠ بين الدولتين المنتدبتين بريطانيا وفرنسا[١٥] .

الحدود الاردنية الغربية : وهي اداة الارتباط الجغرافي والبشري والسياسي بين الاردن والقضية الفلسطينية منذ نشأتها وحتى اليوم ، كما أنها عنصر التغير الحدودي الواضح في الجغرافيا السياسية للاردن .. وقد تميزت هذه الحدود بالحركية وعدم الاستقرار طيلة العقود الستة الماضية . كما سنوضح في وقت لاحق .

وبصورة عامة يمكن إجمال الخصائص التالية للجغرافيا السياسية الاردنية :

ـ انها جعلت من الاردن دولة شبه برية لا تملك شاطئاً بحرياً وبالتالي منافذ بحرية باستثناء شريط صغير على لسان خليج العقبة جرى تحديده في اتفاقية لتعديل الحدود مع السعودية عام ١٩٧٧ ، وقد اسفر الوضع السابق على التعديل عن حركة تجارية عبر الاقطار المجاورة وجعلها ترتبط تطوراً او تراجعاً بنمطية العلاقات السياسية مع هذه الاقطار، وكذلك بحركة الملاحة في قناة السويس التي اغلقت مرتين منذ نشأة الصراع العربي ـ الاسرائيلي .

ـ انها جعلت من الاردن دولة ذات حدود طويلة بصورة لا تتناسب مع مساحته الصغيرة(٩٦الف كلم٢)وهي تعادل $\frac{١}{٢}$ مساحة سوريا، $\frac{١}{٥}$ مساحة العراق، $\frac{١}{١٦}$ من مساحة السعودية و٩ امثال مساحة لبنان .. ومثل هذه الحدود الطويلة كما يرى علماء الجيوبوليتيك تشكل عبئاً على المقدرة الدفاعية للدولة[١٦] .

ـ انها جعلت من الاردن دولة ذات موقع اتصالي بين الاقطار المجاورة ، ونقطة ارتكاز محورية لحركة تقطعه من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب ليكون بذلك حلقة اتصال مهمة بين شبه الجزيرة ومنطقة الخليج وبلاد الشام كما جعل منه هذا الموقع واحدة من مجموعة « دول المركز » في النظام الاقليمي العربي وتفاعلاته السياسية طوال العقود الماضية .

بيد ان الحدود الغربية للاردن على وجه الخصوص كانت الوحيدة بين بقية حدوده التي اثرت على

---

(١٥) انظر : مصالحة ، « سياسة الاردن نحو القضية الفلسطينية »، ص ٢٠ وما بعدها .

(١٦) S.W. Boggs, *International Boundaries: A Study of Boundary Functions and Problems* (New York: 1964), p. 16.

تشكيلة جغرافيته السياسية وقد مرت بثلاث مراحل : مرحلة الانتداب المحددة نهائياً عام ١٩٢٢ ؛ مرحلة الهدنة عام ١٩٤٩ ؛ مرحلة وقف اطلاق النار عام ١٩٦٧ .

وفي جميع هذه المراحل عملت الجغرافيا السياسية للاردن على خلق علاقة عضوية بينه وبين المسألة الفلسطينية ، وجعلت منه جزءاً من حزام الأمن العربي المواجه لاسرائيل ، ثم لفتت اليه انظار الدول الكبرى وبالتحديد طرفي النظام الدولي مع عقد الخمسينات ، واخيراً وليس اخراً ان يصبح طرفاً في اي مشروع لتسوية القضية الفلسطينية وحل الصراع العربي ـ الاسرائيلي[١٧] .

ولئن ثبتت الحدود الغربية على حالها في عهد الانتداب حتى عام ١٩٤٨ على الرغم من المطالبات الصهيونية فكرياً وسياسياً بأن تشمل الدولة اليهودية ضفتي الاردن باعتبارهما تشكلان وحدة جغرافية وتاريخية .. فإن خطوط الهدنة بعد عام ١٩٤٩ التي دفعت بحدود الاردن الغربية الى وسط الاقليم الفلسطيني لم تكن في نظر الاسرائيليين الا حالة « مؤقتة » تسبق التسوية النهائية وقد عبر عن هذا الموقف المشروع الاسرائيلي الى لجنة التوفيق الدولية عام ١٩٤٩ : « .. تعتبر حدود فلسطين الدولية ايام الانتداب حدوداً طبيعية لدولة اسرائيل وتكون المنطقة الوسطى لفلسطين (الضفة الغربية) كاستثناء مؤقت تحت السلطة العسكرية الاردنية الى حين التسوية النهائية »[١٨] .

وفي عام ١٩٥٥ اعلن بن غوريون امام الكنيست « يجب على مصر ان تغادر قطاع غزة في الحال وعلى الاردن اخلاء فلسطين الغربية بكاملها »[١٩] . وكانت الحدود الاردنية الغربية إن جاز تعبير ـ الحدود ـ في مرحلة الهدنة قد شهدت سلسلة متعاقبة من الاعتداءات الاسرائيلية والخرق المتعمد لترتيبات الهدنة وخطها الممتد بطول ٤٨٠ كلم وقد نشأت كنتيجة للعمليات الحربية عام١٩٤٨ على الجبهات العربية جميعاً ، وقامت على انقاض الحدود القانونية الدولية « للدولة اليهودية » في فلسطين بموجب قرار التقسيم عام ١٩٤٧ .

وتفردت خطوط الهدنة بين الاردن واسرائيل عن سواها بمجموعة من الخواص هي :

الخاصية الاستراتيجية : إذ اتصفت بالطول الممتد في مواجهة اسرائيل ، وبأنها تضغط على خاصرة اسرائيل في منطقة طولكرم ـ نتانيا لتصبح في هذا القاطع نحو ١٤ كلم ؛ مما جعل الجسم الاسرائيلي نحيلاً في هذه المنطقة مما يهدد مستوطناته المتناثرة .. وتعتبر هذه الخاصية بين الدوافع الصهيونية للتوسع الاقليمي عبر خطوط الهدنة نحو الشرق عام ١٩٦٧[٢٠] .

الخاصية الديموغرافية : بما أن خطوط الهدنة من شمال جنين حتى بيت لحم تخترق او تشطر كثيراً من المناطق والقرى الفلسطينية الآهلة بالسكان بصورة قسرية تجعل قسماً منها تابعاً لاسرائيل والآخر للاردن .. وقد تفصل احياناً بين بعض القرى وخراجها او بين افراد العائلة الواحدة .. وهو اكبر توضيح لحجم المأساة الفلسطينية بعد عام ١٩٤٩[٢١] .

---

(١٧) انظر : مصالحة، المصدر نفسه .

(١٨) **ملف وثائق فلسطين** (القاهرة : الهيئة العامة للاستعلامات) .

(١٩) رزوق ، **اسرائيل الكبرى** ، ص ٥٧٤ .

(٢٠) اكرم ديري وهيثم الايوبي ، **نحو استراتيجية عربية موحدة** (بيروت : دار الطليعة ، ١٩٦٨) ، ص ٦٠ .

(٢١) Elmer Berger, *Memories of Anti-Zionist Jew* (Beirut: IPS, 1976), p. 53.

الخاصية التداخلية : وتتمثل في وجود بعض المواقع كجبل سكوبس ، ومستشفى هداسا والجامعة العبرية التي يسمح للاسرائيليين بالمرور اليها عبر خطوط الهدنة تحت الحراسة . وقد عملت هذه الخواص مجتمعة على ان تصبح الحدود الاردنية الغربية (خطوط الهدنة) مصدر توتير عسكري وسياسي طوال الفترة الممتدة بين عامي ١٩٤٨ ـ ١٩٦٥ التي شهدت ٦٥٢٨ اعتداء اسرائيلياً ، بينما بلغت حوادث خرق الهدنة من الجانبين نحو ١٤٩٠٠ حادث لتصبح الاردن ثانية البلدان العربية بعد سوريا فيما يتعلق بعدد حوادث خرق الهدنة .

وفي مرحلة ما بعد حرب ١٩٦٧ ترتد حدود الاردن الغربية الى الشرق لتعود الى ما كانت عليه عام ١٩٤٨ إثر العدوان الاسرائيلي الذي اجتاح الضفة الغربية لنهر الاردن ويعلن موشيه دايان وزير الحرب الاسرائيلي حينئذٍ في آب / اغسطس سنة ١٩٦٧ اي غداة انتهاء الحرب : « هنالك حوالى مليون عربي لا نريدهم ، اعني لا نريدهم مواطنين في اسرائيل في القسم الاردني ولا نريد عودة مصر الى غزة وسيناء .. واعتقد ان على اسرائيل ان لا تتنازل بحال من الاحوال عن قطاع غزة لمصر او عن الجزء الغربي لنهر الاردن الى دولة الاردن »[٢٢] .

وبهذا الانتشار الجديد « للمنطقة الاسرائيلية » في كامل الارض الفلسطينية لا تتقلص الجغرافيا السياسية للاردن مجرد بضعة آلاف من الكيلومترات المربعة فحسب وانما تحمل المرحلة الجديدة التي فرضها المتغير الصهيوني عام ١٩٦٧ على هذه الجغرافيا تعقيدات حادة على اوضاع الدولة الاردنية سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وعسكرياً . ومن هذه التعقيدات : التعقيدات السياسية ـ الاجتماعية : فالنزوح القسري لعشرات الألوف من المواطنين العرب من فلسطين المحتلة الى الشرق وما رافقه من إقامة تجمعات سكنية في المخيمات في ظل ظروف اجتماعية قاسية بدا وكأنه عودة القهقرى لحركة التمدن التي يخطوها المجتمع الاردني .. انه حالة متكررة لما نتج عن حرب ١٩٤٨ كما أنها عملية توصيف قهرية جديدة لظروف مجتمع يحاول أن يتخلص من مظاهر التخلف في بنائه الاجتماعي ومن ذلك : حالة المخيمات وحالة البداوة[٢٣] .

من جانب آخر ظهرت المقاومة الفلسطينية المسلحة في مناخ الهزيمة العربية العسكرية امام القوات الاسرائيلية عام ١٩٦٧ كقوة تجييش سياسي وعسكري جماهيري قوي في معظم البلدان العربية المجاورة لاسرائيل .. في وقت كانت تعمل النخب الحاكمة العربية الى خفض درجة التسييس وعدم تصعيد المواجهة المسلحة مع اسرائيل ولا سيما انها في مرحلة التقاط الانفاس وترتيب اوضاع جيوشها واعادة تسليحها .. وكان هذان العاملان من اهم الاسباب الى حدوث الخلل في علاقة المقاومة بأنظمة الحكم العربية في وقت لاحق .

التعقيدات الاقتصادية : وتتمثل في الضغوط المتزايدة على اقتصاديات الاردن بنتيجة الاحتلال للضفة الغربية ومتطلبات الاحتياجات الطارئة للنزوح الجديد عبر الحدود الغربية ، وعرقلة خطتها التنموية . وفي هذا الشأن يقول الملك حسين « تدهورت اقتصاديات الاردن الى الحضيض .. خسرنا كل شيء وكان علينا أن نبدأ من الصفر الى جانب مشكلة تمويل السلاح والعناية باكثر من ٦٥٠ الف نازح من ابناء فلسطين »[٢٤] .

---

(٢٢) *UPI* (News Agency), 9 /8 / 1967.

(٢٣) انظر تفصيلات عن هذا الجانب في : حياة ياغي ، « مشكلات اللاجئين في مخيمات الاردن » (رسالة ماجستير ، الجامعة الاردنية ، كلية الآداب ، ١٩٧٣) (غير منشورة) .

(٢٤) الحسين بن طلال ، **مهنتي كملك** ، ترجمة غالب طوقان (عمان : الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٨) ، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

ويتصل بهذا الامر ومن زاوية جغرافية استكمال اسرائيل مشاريعها لتحويل مياه نهر الاردن قبيل الحرب مما يعد ضاغطاً كبيراً على تطوير التنمية الزراعيـة في وادي الاردن ومظهراً للتخـريب الاسرائيلي لجغرافية المنطقة ، ويدخـل في هذا السيـاق ايضاً مشـروع شق قناة البحـرين (الميت والمتوسط) في السنوات الاخيرة .

من جانب آخر افرزت حرب ١٩٦٧ ما يسمى بسياسة الجسور المفتوحة عبر خط وقف اطلاق النار ، وعلى الرغم من ان سلطات الاحتلال حاولت استثمار ذلك لمنافع اقتصادية وسياسية فإن اسباباً موضوعية فرضت هذه السياسة على الجانب الاردني ، لأن اغلاقها ـ اي الجسور ـ يعني حتماً قطع التواصل الاجتماعي بين العائلات العربية شرق النهر وغربه ، واعطـاء الفرصـة للاحتـلال ليلحق اقتصاديات الضفة الغربية بالاقتصاد الاسرائيلي[٢٥] .

التعقيدات العسكرية : لقد تزايدت الاعتداءات العسكرية الجوية والبرية الاسرائيلية عبر الخطوط الغربية للاردن واستهدفت مراكز النمو الزراعي والعمراني والتجمعات المدنية .. واتسمت بطابع المباشرة والكثافة مع غياب وجود قوات مراقبة دولية كما كان الحال قبل عام ١٩٦٧ ، وكانت الاهداف الواضحة من وراء ذلك خلق ضغط على حركة المقاومة وحملها على الارتداد الى المدن وارباك عملية اعادة تنظيم القوة المسلحة للاردن وبالتالي تصديع العلاقات التنسيقية بين الجيش والمقاومة والمواطنين بسبب الخسائر البشرية والاقتصادية المترتبة على ما تصفه اسرائيل بالعمليات الحربية الانتقامية .

ومن وجهة نظر اسرائيلية استراتيجية فإن دفع خطوط الهدنة الاردنية ـ الاسرائيلية الى الشرق قد اكسب اسرائيل ميزة دفاعية باحتلالها ارضاً عربية جديدة وفي هذا يقول آلون « ان خطوط الهدنة القديمة خاوية من اي قيمة استراتيجية والعودة اليها تعني العودة الى مصيدة موت محتملة »[٢٦] .

إن مراجعة متأنية لمشاريع التسوية الاسرائيلية فيما يخص « مشكلة الحـدود » مع الاردن تنطلق في عهد حكومات حزب العمل من اعتبارات التوسع الاقليمي تحت مبررات امنية ، وتعتبر في مجملها حدود اسرائيل الشرقية هي نهر الاردن والخط المار في منتصف البحر الميت وتضم لاسرائيل المساحة الواقعة بين النهر والمرتفعات الجبلية لتشكل حزاماً امنياً بعرض يتراوح بين ١٤ ـ ٢٤ كلم .. وانه يتعين غمر منخفض الاردن وضواحي القدس بالمستوطنات لتضمن عدم تعرض اسرائيل لاخطار عسكرية[٢٧] .

كما إن الاستراتيجية الاسرائيلية ازاء « مسألة الحدود » مع الاردن تنطلق في عهد الليكـود الحاكم من مقولات تاريخية ، ولهذا نجد ان تعبيرات الحدود التاريخية واسرائيل الكبرى ، وحدود ارض اسرائيل والحدود الدينيـة كُثُر تداولها في عهد الليكود الحاكم ، بينما شاعت في عهد حكومات

---

(٢٥) لمزيد من التفصيل انظر : اسامة الغزالي حرب ، **الاستراتيجية الاسرائيلية والمقاومة في الارض المحتلة** (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧٧) ، ص ٢٤ وما بعدها .

(٢٦) آلون ، **إنشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** ، ص ٦٣ وما بعدها .

(٢٧) انظر : محمد فيصل عبد المنعم وابراهيم كروان ، **التوسع الاسرائيلي ٦٧ ـ ١٩٧٣** (القـاهرة : مـركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، [د.ت.]).

حزب العمل من قبل تعبيرات الحدود الدفاعية ، والحدود الآمنة القابلة للدفاع ، والحدود المثالية .. بيد ان القاسم المشترك بين تسميات الحزبين هو الرغبة في الاستحواذ على الارض العربية .. إنهم يصفون الحدود ولا يعنونها فلقد عبرت عن ذلك غولدا مائير بقولها امام حشد يهودي استيطاني : « .. لم تعين لنا حدود .. ولن تعين فنحن الذين نعين الحدود في اي مكان واعلموا جيداً ان اي مكان تستوطنونه وتدافعون فيه عن البلاد سيكون ذلك المكان حدودنا »[٢٨] .

- ٤ -

إن الموقف الاسرائيلي من موضوع الحدود مع الاردن يلخص في النهاية استراتيجيتها الكلية من القضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في ارضه المحتلة واقامة دولته عليها .. وهذه الاستراتيجية تنطلق من مقولتها بعدم قيام اكثر من دولتين بين البحر المتوسط والصحراء .. وان تحريك الحدود الاردنية الغربية واعادتها الى خطوط الهدنة عام ١٩٤٩ ، بالقوة او الجهد الدبلوماسي ، يعني العودة الى جوهر القضية وهو موضوع الحقوق الفلسطينية وهو ما تشبثت اسرائيل برفضه مراهنة على قوتها العسكرية وضعف الموقف العربي القومي .

لقد رفضت اسرائيل حدود قرار التقسيم عام ١٩٤٧ ، وخطوط الهدنة عام ١٩٤٩ ، ومبدأ الانسحاب من خطوط وقف اطلاق النار عام ١٩٦٧ ، رغم كل المحاولات الدولية والعربية للتسوية .. لأنها تنزع لتطبيق مفهوم الحدود المفتوحة والمتحركة دائماً □

---

(٢٨) جورجي كنعان ، **سقوط الامبراطورية الاسرائيلية** (بيروت : دار الطليعة ، ١٩٨٠) ، ص ١٩ .

الهجـرة من المغـرب العـربـي
الى فرنسـا : ماضيهـا وحاضرهـا

د . رئيس حسين

باحث جزائري مقيم في فرنسا .

مقدمـــة

لقـد عـرفت فـرنسـا بحكم وضعهـا التـاريخي والسيـاسي والاقتصـادي والاجتمـاعي (الديموغرافي) حالة معينة تجعلها فريدة فيها ، ولا يشـابهها فيهـا من حيث عدد المهـاجرين الا المانيا بـالنسبة لـدول اوروبا الغـربية ، مـع الفارق الكبـير في الاسباب والمسببـات ، اذ كلتاهمـا تستقبلان على تـرابهما حـوالى ٤ ملايـين نسمة من الجَـاليات الاجنبيـة ذات الحاجـة الى العيش والاستقرار . واذا ما حاولنا أن ننظر الى هذه الظاهرة الانسانية فإننا نجدها مـوغلة في التعقيـد ، وليس هناك بوادر حـل مشاكلهـا على المـدى القريب ، لا من طـرف البلدان المستقبلـة ، كما هـو الشأن بالنسبة لفرنسا ، ولا من طرف البلدان الاصلية كما هو الحـال بالنسبـة للمغرب العـربي . فالاولى منكرة لجميل هؤلاء العمال الذين بذلوا جهوداً معقولة لصـالح الاقتصـاد والديمـوغرافيـة المحليـين ، وانهم إرث عهـد استعمار بـائد كـان السبب الاول في استجلابهم الى حيـاة الغـربـة والتمزق . والثانية متخذة سياسة الهـروب الى الامام ، كمـا يقال ، او سـالكة نهـج النعامـة دافنة رأسها في الرمال ، فبدلاً من مـواجهة سيـاسة صـارمة في حقـول التنمية والتخطيط ، لا زالت دار لقمان على حالها كما يقال . ولكي يتسنى لنا فهم ظاهرة هجرة ابناء المغرب العربي لفرنسا فلا بـد من تسليط بعض الاضـواء على الهجـرة الكلية المـوجودة في فـرنسا من مختلف دول العـالم ، لأنه ليست هذه الا جزءاً من تلك والعكس صحيح .

اولاً : المهاجرون في فرنسا

بعـد الاطلاع عـلى اوضاع الهجـرة والتي تمثل بـداً عاملـة تقريبـاً في مختلف القطـاعـات الاقتصادية في فرنسا ، نقف عند حقائق اولية مهمة ، منهـا ان وضع العـامل المهـاجر ، سـواء في حقل العمل ام في الوسط الاجتماعي مرتبط الى حد بعيد بنوع تركيبته الاجتمـاعية واصلـه العرقي

والجغرافي ، فالاطار المثقف ليس هو العـامل البسيط في اي مجـال من مجالات العمـل او الوجـود الاجتماعي ، والعامـل الاوروبي ليس هو العـامل الافـريقي او الآسيوي او المغربي بأي حـال من الاحوال ... الخ .

وما ينسحب عن ذلك من نتائج واثار ، قد تكون طفيفة اذا تعلق الامر بعاملـين او مهاجـرين من النوع نفسه للتركيبة الاجتماعية او الجغـرافية . وقـد تكون وخيمـة اذا كان الحـال بالنسبـة لمهاجرين يختلفان اصلاً ونوعاً . كما انه يمكن تقسيم الهجـرة الى نوعـين مختلفين من حيث مـدد الاقامة : الاول ، هجرة دائمة ذات طابع استقـراري ، والثاني هجـرة فصلية مؤقتـة . اما النـوع الذي يهمنا في هذه الدراسة فهو النوع المستقر ، وذلـك لما لـه من تأثـير وتأثـر بالغـين على جميـع الصعد : جغرافياً وتاريخياً واقتصادياً واجتماعيـاً وثقافيـاً . فمن خلال عمـل قامت بـه فرقـة من الخبراء كونتها وزارة العمل والمساهمة الفرنسية في شكـل دراسة مفصلـة واحصاء شـامل لهؤلاء العمال الاجانب سنة ١٩٨٠ ، تبين اولاً وقبل كل شيء ان عدد المهاجـرين في فرنسـا يقارب اربعـة ملايين نسمة موزعين حسب الجنسيات واصناف الحضور فوق التراب الفرنسي كما يلي :

جدول رقم (١)

توزيع عدد المهاجرين في فرنسا حسب الجنسية ودورهم الانتاجي

الجنسيـــة	منتجـون	غير منتجين	المجمـوع
ايطاليون	١٧٥٨٠٠	٢٩٠١٠٠	٤٦٥٩٠٠
بلدان المجموعة الاقتصادية الاوروبية الاخرى	٦٦٢٠٠	٨٦٨٠٠	١٥٣٠٠٠
اسبـــان	١٨٤٥٠٠	٣٢٢٨٠٠	٥٠٧٣٠٠
برتغاليـــون	٣٨٥٠٠٠	٤٣٨٠٠٠	٨٢٣٠٠٠
يوغسلافيـــون	٤٣١٠٠	٣٠٩٠٠	٧٤٠٠٠
اتـــراك	٣٦٣٠٠	٢١٦٠٠	٥٧٩٠٠
بولونيون	١٩٣٠٠	٧٧٩٠٠	٩٧٢٠٠
مغاربـــة	١٨١٤٠٠	١١٨٥٠٠	٢٩٩٩٠٠
جزائريـــون	٣٦١٠٠٠	٤٣١٠٠٠	٧٩٢٠٠٠
تونسيـــون	٧٣٧٠٠	٧٣٤٠٠	١٤٧١٠٠
افارقـــة آخـــرون	٥٠٧٠٠	٤١٩٠٠	٩٢٦٠٠
جنسيـــات اخرى	٦٥٨٠٠	١٢٤٣٠٠	١٩٠١٠٠
المجموع الكلي	١٦٤٢٨٠٠	٢٠٥٧٢٠٠	٣٧٠٠٠٠٠

المصدر : احتسبت من :

UNESCO, *Les Travailleurs immigrés en Europe: Quel statut?* (Paris: UNESCO, 1981), table 5, p. 61.

هذا وإن اول ملاحظة تقفز الى الذهن من خلال معاينة هذا الجدول هو ان اكبر جـالية تلـك التي تتمثل في الهجرة البرتغاليـة ، تليها الجـالية الجـزائريـة ثم الجاليـة الاسبانيـة ثم التركيـة والايطالية فالجالية المغربية (المراكشية) ، اما الجالية التونسية فإنها وبغض النظر عن مقارنتهـا مع تشكيلة الجنسيـات الاخرى ، تعتبـر في الدرجة السابعـة من بين اثنتي عشـرة تشكيلة ، وان

الهجرة الجزائرية تحتل الدرجة الثانية من حيث العدد بعد الجالية البرتغالية ، وان الجالية المراكشية تأتي بعد الجالية الايطالية محتلة بذلك المرتبة السادسة ، وبعدها تأتي الجالية التونسية . واذا ما جمعنا الجاليات المغربية على اساس انتمائها الجغرافي والحضاري الى رقعة واحدة ، فإنها تكوّن حوالى ١٢٥٠٠٠٠ نسمة ، وبذلك تعتبر الجالية الاولى في اوروبا الغربية (فرنسا) . كما ان هذا الجدول لم يشر الى بعض الهجرات الطارئة كالهجرة اللبنانية والايرانية والجنوب شرق ـ آسيوية (فيتنام وكمبوديا) . ويتوزع المهاجرون المذكورون اعلاه في مختلف مناطق فرنسا عموماً ، الا ان قرابة نصف هؤلاء (٥٠ بالمائة) يتركزون في ثلاث مناطق ، هي على التوالي : باريس وضواحيها ، ويتجمع بها ٣٣,٦ بالمائة من مجموع السكان الاجانب والذين يمثلون بدورهم ٧,١ بالمائة من مجموع السكان للمنطقة ، منطقة الرون الالبي (Rhône - Alpes) ويتركز بها ٣,٨ بالمائة من مجموع سكان المنطقة ، منطقة كوت دازور (Provence côte d'Asur) ويتركز بها ٩,١ بالمائة ويمثلون ٧,٦ بالمائة من مجموع سكان المنطقة . بالاضافة الى منطقة اخرى من فرنسا ، وهي تعتبر ذات اهمية ايضاً بالنسبة لايواء الجالية الاجنبية وهي بادوكالي (Pas de Calais) ، ويقطن بها ٥,٩ بالمائة من مجموع الهجرة الاجنبية في فرنسا . الا ان هذه الاخيرة في طريقها الى الافول لضعف استيعابها لليد العاملة الاجنبية . بعد هذا الاحصاء البسيط ينبغي الاشارة الى خاصيتين مفيدتين لهذه الهجرة : الاولى ، آثار الهجرة في المجتمع الفرنسي من حيث التركيب السكاني والزيادة الديموغرافية ، والثانية ، دور المنتجين في فرنسا ومقارنتهم بالمنتجين الفرنسيين ومدى تأثير كليهما على الآخر .

١ ـ آثار الهجرة في التركيبة السكانية الفرنسية

هناك آثار عديدة من وعلى هذه التشكيلات المهاجرة ، بحيث ان كل هجرة على حدة تمثل مجموعة من العادات والتقاليد والمقومات الحضارية تختلف عن تلك التي نجدها عند المجتمع الفرنسي او عند المجموعات المهاجرة الاخرى . وبالتالي ونتيجة للاحتكاك المتبادل بين الجميع لا بد من التأثر والتأثير ، ولضيق المقام سوف نقتصر على بعض الآثار البارزة فقط ، مثل زيادة السكان كأثر مباشر للجاليات الاجنبية على البنية الديموغرافية الاصلية للمجتمع الفرنسي . فعلى سبيل المثال ان النمو الديموغرافي في اوساط الهجرة للفترة الممتدة بين عام ١٩٥٠ وعام ١٩٧٠ بلغ حداً عالياً بحيث ترك بصماته على نسبة الزيادة السكانية الاجمالية لفرنسا بنسبة ٦ بالمائة . ويعود هذا الى قلة المواليد لدى الفرنسيين في هذه الفترة ، مع العلم ان هذه الزيادة في المواليد لدى المهاجرين ، وبالتالي في النمو الديموغرافي العام متفاوتة من ناحية الى اخرى في فرنسا تبعاً لتركز الهجرة : ففي منطقة باريس كانت نسبة الزيادة والمشاركة في النمو الديموغرافي العام تشكل ٣٥ بالمائة للفترة الآنفة الذكر نفسها ، وكانت بمنطقة الرون الالبي ٢١ بالمائة، بينما هي في منطقة الكوت دازور ٨ بالمائة . اضافة الى عامل ايجابي آخر يتجلى في التهافت على التجنس من طرف الاجانب ، وهذا يعدل من البنية السكانية الفرنسية لا محالة كذلك : فمنذ عام ١٩٤٦ لغاية ١٩٧٥ تبين ان قائمة الحاصلين على الجنسية الفرنسية في تعاظم مستمر ، بحيث يمثل ١٣٩٢٠٠٠ نسمة اي بزيادة ٢,٨ بالمائة من الزيادة الكلية للمجتمع الفرنسي . كما وان الشباب المهاجرين الى فرنسا يقدمون نموذجاً قيماً لتجديد عمر الهرم السكاني في هذا البلد ، وليس ذلك عائداً للاعداد الهائلة من الشباب الاجانب القادمين الى فرنسا فقط ، بل الى ما يمكن ان يقدموه من انجاب وتقوية

التوالد المرتفع . وقد لوحظ هذا بالاخص مع قدوم العائلات من مختلف بلدان المهاجرين . ولعل رصيد المغرب العربي كبير في هذه الحصة ، سيما اذا علمنا بقدوم نسبة كبيرة من هؤلاء من البلدان الثلاثة ، بحيث قصد التراب الفرنسي اكثر من ٥٠ الف امرأة من تونس و ٥٠ الف امرأة من مراكش ، واكثر من هذا العدد بقليل في شكل عائلات من الجزائر ، مما جعل تعديلاً في البنية العمرية للجالية ملحوظاً ، وذلك من خلال احصاء عام ١٩٨٠ الذي اظهر ان ٢٥ بالمائة من المهاجرين تقل اعمارهم عن ١٥ سنة ، خلافاً لما كان عليه سنة ١٩٦٢ اي ١٧ سنة . ان السن الوسط للمهاجرين تحول من ٣٥ الى ٣٠ سنة في الفترة المذكورة اي ما بين عام ١٩٦٢ و عام ١٩٧٥ . وقد تضاعف عدد المواليد في الفترة نفسها من ٣ بالمائة الى ٦ بالمائة . ولندع للقارىء التنبؤ بمستقبل التغيير الذي ستلعبه هذه الظاهرة في المجتمع الموجودة فيه ، من توفير يد عاملة وغيرها نتيجة هذه الزيادة السكانية .

٢ ـ الهجرة العاملة

حسب احصاء عام ١٩٧٥ فإن عدد المهاجرين العاملين (المنتجين) قد بلغ ١٥٨٤٣٤٠ شخصاً ، وان ترتيب هؤلاء اجتماعياً يختلف كلية عن تركيب المجتمع الفرنسي . ولنذكر اهم خصائص التباين هذه :

أ ـ اذا كانت الشريحة الفرنسية السكانية العاملة تمثل ٤١ بالمائة من مجموع الفرنسيين ، فإن الشريحة السكانية الاجنبية تمثل ٤٦ بالمائة من مجموع المهاجرين . معنى ذلك ان حصة الشريحة الاجنبية العاملة تمثل ٧,٣ بالمائة من المجموع السكاني الفرنسي ، بينما لا يمثل مجموع الهجرة الا ٦,٥ بالمائة من المجموع السكاني .

ب ـ ان حصة الشريحة العاملة من اليد العاملة الاجنبية الانثوية اقل من الحصة التي تمثلها اليد العاملة الفرنسية الانثوية ، وهي على التوالي ٢١,٥ بالمائة و٣٠,٧٥ بالمائة مقابل ارتفاع حصة الشريحة الاجنبية الذكورية امام حصة الشريحة الفرنسية الذكورية ، وهي على التوالي ٦٢,٤ بالمائة و ٥٢,١ بالمائة .

ونكتفي بهذه اللمحة السريعة ، رغم ان الموضوع يتطلب مزيداً من التتبع والاستنتاجات الكاشفة الجديرة بأن تذكر في بحث اطول . وانما فعلنا ذلك لمعرفة عوامل اساسية في الهجرة عامة ، ومن خلالها تعرفنا قليلاً على بعض ملامح الهجرة المغربية ، التي لا يمكننا اخذها بمعزل عن المحيط الاجتماعي الذي تعيش وتتفاعل فيه ، ومن خلاله ، ولنتناول الهجرة المغربية (المغرب العربي) بنوع من التفصيل .

ثانياً : الهجرة الجزائرية

١ ـ مرحلة ما قبل الحرب العالمية الاولى

يتفق اغلب الذين كتبوا عن الهجرة الجزائرية الى فرنسا بأنها تمت في بداية الامر في غفلة من الدهر ، ولم يستطع احدهم ان يحددها بالضبط (متى وكيف بدأت ؟) . وكل ما هناك ، وبكل

تـأكيد انهـا بدأت قبـل عام ١٨٧٤ ، السنـة التي صدر فيهـا مرسـوم يقيد الهجـرة الى فـرنسـا بالحصول على « اذن بالسفر » . ومن خلال تحقيق اجرته « الولاية العامة بالجزائر » بواسطة لجنة تكـونت خصيصاً لهـذا الغرض سنـة ١٩١٢ حول المهـاجرين الاوائـل ، تبـين كيف تحـول هؤلاء القادمون من مجرد مستخدمين في قطاع الـرعي والزراعـة الى عمال في المصـانع الفـرنسية ؛ وقـد استجلبهم المعمرون القادمون من الجزائر الى فرنسا ، كما هو موضح في الجدول رقم (٢):

جدول رقم (٢)

عدد العمال الجزائريين في المناطق الفرنسية وطبيعة اعمالهم ، قبل عام ١٩١٢

عدد العمال	المناطق المستقبلة	نوع الاعمال
٢٠٠٠	مرسيليا	المصابن، المصافي ، المرافىء
١٥٠٠	بلدوكاليه	المناجم ، مصانع تعدينية
٧٠٠ ـ ٨٠٠	باريس	مصانع سكر ، نقل ، ورشات

٢ ـ الهجرة الجزائرية خلال الحرب العالمية الاولى

كـان للحرب العـالمية الاولى الفضـل الاول في فتح بـاب الهجرة الجـزائريـة الى فرنسـا على مصراعيه . ومما ساعد على تزايد اعداد الوافدين من المهاجـرين بعض القوانـين التي اصدرتهـا السلطة الفرنسية لصالح الهجرة ، ومنها قانـون صدر عـام ١٩٤١ يرفـع القيود ويشجـع الهجرة التلقائية ، ثم عملية الاشـراف على الهجرة سنـة ١٩١٦ من قبل السلطـة الفرنسيـة نفسها ، حيث اسست « مصلحة عمال المستعمرات » وتنظيمها لصالح المتطلبات الفرنسية ، بحيث تحولت من يد وزارة الدفاع (الحربية الفرنسية) الى هذا النوع من نقل اليد العاملة الى فـرنسا ، ثـم تـوزيعها هناك . كما ان بداية عملية الحاق الشباب الجزائري بوحدات الجيش الفرنسي قبل مرحلة الخدمـة العسكرية دعمت من عملية الهجرة ، بحيث ان دفعة عام ١٩١٧ قد أجبرت على الالتحاق بالخدمـة العسكرية قبـل الأوان بسنة . وفي الـوقت نفسه كـانت الدولـة قد جنـدت عنوة ١٧٠٠٠ عـامل في الدفاع الوطني . وبذلك ازدادت الهجرة الجزائرية الى فرنسا بشكل واضح وباعـداد ضخمة كمـا هو مبين في الجدول رقم (٣) .

جدول رقم (٣)

حركة هجرة العمال الجزائريين بين فرنسا والجزائر، خلال فترة الحرب العالمية الاولى

السنـــة	الذاهبون الى فرنسا	العائدون الى الجزائر	الباقـي
١٩١٤	٧٤٤٤	٦٠٠٠	١٤٤٤
١٩١٥	٢٠٠٩٢	٤٩٧٠	١٥١٢٢
١٩١٦	٣٠٧٥٥	٩٠٤٤	٢١٧١١
١٩١٧	٣٤٩٨٥	١٨٨٤٩	١٦٣٦
١٩١٨	٢٣٣٤٠	٢٠٤٨٩	٢٨٥١

يتبين من الجدول اعلاه انه منذ عام ١٩١٦ وهي السنة التي صدر فيها مرسوم الاشراف الرسمي على الهجرة ظل عدد المهاجرين في ارتفاع ، وبقي كذلك طيلة الحرب الاولى ، اذ كان التجمع الكلي للهجرة قد بلغ ٢٧٠٠٠٠ نسمة منهم ١٢٠٠٠٠ في التجهيزات العسكرية ومعامل الذخيرة والمواصلات والمناجم وحفر الخنادق في جبهات القتال . ومن الملاحظ ان هذه الهجرة في الحرب الاولى لم تكن طواعية ، انما هي اجبارية اقتضتها ظروف الحرب من اجل الدفاع عن فرنسا ، وكتعويض للعمال الفرنسيين في الجبهة الذين ذهبوا للمشاركة في الحرب . فكان تصرف السلطة الفرنسية هذا ايذاناً ببداية الهجرة المكثفة . وقد اثار هذا العمل جدلاً طويلاً بين المعمرين الذين كانوا يفضلون ان تبقى هذه الاعداد الشابة بين ايديهم ليسخروها في القضايا الزراعية وحتى تظل بعيدة عن الاحتكاك بالواقع ، كما أثار النواب الجزائريون هذه المسألة وناضلوا من اجلها ، والتي ما زالت الى يومنا هذا سبباً من اسباب الخلافات بين فرنسا والجزائر .

٣ ـ الهجرة الجزائرية بين الحربين

كتب **فرحات عباس** قائلاً : « إن للاحداث الكبرى نتائج غير متوقعة على الرجال ، فقد كان من نتائج الحرب الكبرى ان تعرف الجزائريون على فرنسا وهم يكافحون عنها ...»[١] . وفعلاً فإن المهاجرين الجزائريين الى فرنسا بين عام ١٩١٤ وعام ١٩١٩ قد اكتشفوا كسابقيهم لفترة ١٨٧٤ ـ ١٩١٤ حياة جديدة تختلف عن حياتهم التعسة في بلادهم المحتلة . ذلك ان الاقامة في فرنسا قد اتاحت لهم التعرف عن طريق الاحتكاك على المجتمع الفرنسي ، بل مكنتهم من التعرف الى الطبقة العاملة من اجناس مختلفة فرنسية واوروبية وغيرها ،ومن الاطلاع على الاجواء السياسية في غمار الصراعات الفكرية التي يفتقرون اليها في بلادهم ، مما جعلهم ينخرطون في المنظمات النقابية الفرنسية بغية الدفاع عن حقوقهم المهضومة ، وكان عليهم ان يفهموا ما يجري حولهم من تجمعات وتظاهرات وغيرها . فكان هناك من يسألهم عن جنسياتهم وبلادهم فيتحرجون من الاجابة احياناً ، ولكن هذا كان يثير فيهم الحنين الى الوطن ويحرك لديهم مشاعر القومية الكامنة . وكانوا بدورهم يتساءلون عن مفهوم الحرية والديمقراطية والشيوعية وعن معنى حق الشعوب في تقرير مصيرها ، وما الى ذلك من المفاهيم والشعارات التي تتردد على اسماعهم عندئذٍ ؛ فاندفع الكثير من بينهم الى الانخراط في المنظمات والاحزاب السياسية كما حدث لرواد معروفين مثل **الحاج عبد القادر واحمد بهلول والحاج مصالي** ... الذين كانوا اعضاء في النقابات الفرنسية بادىء ذي بدء ، ثم اعضاء في الحزب الشيوعي الفرنسي ، ولا تسأل بعد ذلك عن دورهم الصحافي والسياسي في فرنسا مع مطلع هذا القرن ، فهو دور معروف في اوساط الهجرة على وجه الخصوص . وهناك احداث خارج فرنسا نفسها كانت اخبارها تجد صدىً في نفوس المهاجرين وكانوا يتتبعونها باهتمام بالغ مثل احداث شمال افريقيا والمشرق العربي والاسلامي ، منها احداث الحرب الريفية في مراكش ، وهذه الحرب ادت الى دعم روح التضامن الواسع لدى عمال شمال افريقيا . وعندما اتصل الامير خالد بالمهاجرين في فرنسا ، ولمس فيهم الشعور الوطني والاستعداد للعمل وروح التضامن ، شجعهم على تأسيس هيئة سياسية تجمع شمل عمال شمال افريقيا وتوحد بين اجزاء المغرب العربي .

---

(١) عبد الحميد زوزو ، **دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية بين الحربين (١٩١٤ ـ ١٩٣٩)** ([د.م.ن]: سنيد ، ١٩٧٤) .

وكان المعمرون يضجون لكل ما يتعلق بالهجرة الجزائرية الى فرنسا طلباً لمراقبة اشد واجراءات اعقد لخنقها . وامام الاجراءات التي صدرت للحد من الهجرة ، وموقف المعمرين المتصلب ضدها ، عمت موجة استياء كل الدوائر الجزائرية ، وعلى رأس هؤلاء **الامير خالد** الذي طالب بحرية هذه الهجرة ، كما انتقد فرحات عباس من جهته بشدة موقف المعمرين من الهجرة الجزائرية الى فرنسا . ووصف هذه الاجراءات المعرقلة بأنها « اجراء تعسفي » . كما ظهر على المسرح نواب مسلمون امثال **ثامي ودهان والسعدي** مطالبين بالغاء هذه الاجراءات ، كما قام المهاجرون في فرنسا عام ١٩٢٦ بالمطالبة بالغائها. وقد كان الدور الذي لعبه العمال الجزائريون في فرنسا ضد الحركة الفاشية سنة ١٩٣٤ وموقف « نجم الشمال الافريقي » المؤيد للجبهة الشعبية سبباً في الغاء الاجراءات السابقة . على كل حال لم تكن هذه الاجراءات والقرارات والمراسيم الا متاعب وعراقيل وضعت في وجه الجالية الجزائرية . هذا ونلاحظ ان حجم المهاجرين وتجمعهم كان على النحو التالي : ٣٤٩٨٥ شخصاً سنة ١٩١٧ ، بينما تدنى حجم الهجرة عام ١٩١٩ الى ٥٥٦٥ شخصاً ، ونلاحظ ان زيادة المهاجرين كانت مرتبطة بالمصلحة الفرنسية مباشرة مثلما حدث خلال المدة (١٩٢١ ـ ١٩٢٢ ـ ١٩٢٣) لحاجة الصناعة الفرنسية لليد العاملة الجزائرية ، من جراء ما اصاب فرنسا من خسارة ودمار نتيجة الحرب العالمية الاولى . وبناء على قاعدة العرض والطلب ، نشاهد ذلك يتكرر في كل الفترة الممتدة بين عام ١٩١٤ و عام ١٩٣٩ ، بحيث يقوى تجمع العمال القادمين من الجزائر الى فرنسا حسب القاعدة المذكورة . وان الظروف الفرنسية هي التي كانت تكيف حجم الهجرة سلباً او ايجاباً ، سواء عن طريق سن قوانين ، او اجراءات مشجعة او العكس من ذلك في اصدار قوانين مانعة مثبطة ومعرقلة .

اما اذا حاولنا أن نرتب مناطق التصدير للهجرة الجزائرية حسب اقدميتها ، فإن اكثرها كثافة سكانية واقلها مردوداً معاشياً هي التي لعبت دوراً حيوياً في تغذية هذه الموجات ، مثل منطقة بجاية ، مغنية ، ندرومة ، مازونة ، بناحية وهران ، ومناطق مشابهة في بلاد القبائل ، واخرى في الصحراء مثل بسكرة ، توقرت ، ثم تأتي منطقة النجود . اما المناطق الساحلية او السهلية المحاذية للساحل فإنها لحقت بهذه المسيرة بعد ذلك من الناحية التاريخية ، وكانت في بداية الامر هجرة انفرادية ثم تحولت تدريجياً مع الزمن الى هجرة جماعية . هذا واذا كانت مناطق الارسال لليد العاملة الجزائرية هي الاشد فقراً ، فإن المناطق المستقبلة الرئيسية هي الاكثر صناعة سيما في مجال التعدين في البداية .

وما كاد يحل عام ١٩٢٣ حتى كانت الجالية الجزائرية المهاجرة تنتشر في جميع المناطق الفرنسية ، باستثناء ست مقاطعات من بين ٨٩ مقاطعة . اما العدد الكلي للمهاجرين الجزائريين الى فرنسا لسنة ١٩٢٩ فكان يتراوح بين ٧٣ و ٧٤ الف نسمة ، وهو عدد لا يبعد حسب المصادر المختلفة عن الحقيقة . ومن احصاء سنة ١٩٢٣ ان تجمع المهاجرين كان يتركز في باريس وضواحيها بشكل ملحوظ ، بالاضافة الى مناطق المناجم والصناعة الفرنسية الاخرى وهي كثيرة . اذ كان يقدر عدد هؤلاء بناحية باريس بنحو ٦٠٠٠٠ شخص، وغالباً ما كان ابناء القرية او الجهة الواحدة يحترفون حرفة واحدة ، فمثلاً ان ابناء ذراع الميزان كانوا يعملون في مصانع رينو ، وابناء مجانة وقرقور كانوا يعملون في مصانع الغاز ، بينما ابناء المرسي والمسيلة وخراطة في معامل سيارات ... الخ . ولعل ما يميز الهجرة الجزائرية الى فرنسا بين الحربين انها كانت من النوع المؤقت ، اذ ان مدة الاقامة لدى المهاجرين كانت تتراوح بين ٨ و ١٨ شهراً ، وان نسبة ٥٠ بالمائة

منهم لا تتعدى مدة ٨ اشهر يعودون بعدها الى الجزائر لحصد المحاصيل الزراعية وحرث الارض قبل العودة من جديد الى فرنسا ، وان نسبة ٢٥ بالمائة منهم كانت اقامتها تطول لمدة ١٨ شهراً . ويبدو ان هذا النوع الاخير ممن ليست لهم ارتباطات بالارض الزراعية .

وتتميز كذلك الهجرة الجزائرية بأن الغالبية العظمى من المهاجرين كانوا شباناً . ففي سنة ١٩٣٨ سجلت « مصلحة الحجر الصحي البحري » ان ٨٠ بالمائة من المهاجرين تتراوح اعمارهم بين ٢٠ و ٤٠ سنة والباقي موزعون بين مختلف الاعمار . كما ان الهجرة الجزائرية في هذه المرحلة التاريخية كانت مقتصرة على الرجال وان الرقم الذي سجل عام ١٩٣٩ من المهاجرات لم يكن يتجاوز ٢٠ امرأة فقط . ولم تكن هجرتهن لغرض العمل بل لمرافقة ازواجهن مساعدة لهم على الاستقرار . كما ان هذه الهجرة في اغلب فتراتها وحركتها لم تكن تحت اشراف السلطة الفرنسية ، اللهم الا في بعض الفترات من سنوات الحرب ، وما عدا ذلك فكانت الهجرة تلقائية ... يسافر الجزائريون على نفقتهم ويبحثون عن شغل لهم بواسطة وسائلهم الخاصة . فكان من نتيجة انعدام اشراف منظم على هذه الهجرة ان عانى كثير من المهاجرين من محن التعطل ادت بالكثيرين الى البؤس والشقاء .

اما عن الدوافع والاسباب الحقيقية للهجرة فإنها عديدة ، نكتفي بذكر الاساسي منها كالاسباب الاقتصادية والعسكرية والتعليمية والنفسية .

أ ـ الدوافع الاقتصادية

حينما يتحدث بعض الكتّاب عن الدوافع الاقتصادية للهجرة الجزائرية يسرعون بالاشارة الى ارتفاع الاجور في فرنسا وانخفاضها في الجزائر . وقلما يشيرون الى استلاب الارض من اصحابها الشرعيين وتسليمها الى اوروبيين غرباء او الى شركات استغلالية كبرى . وهم لا يشيرون بتاتاً الى الاقتصاد الجزائري الذي كان طيلة الاحتلال اقتصاداً استعمارياً يخدم مصالح هؤلاء القلة من المعمرين ، ولا الى الاهمال الذي حل بالاهالي ، بل يركز هؤلاء الكتّاب على عامل الجذب وينسون عامل الطرد . ان عملية الاستيطان الرسمي لم تتوقف بمرور قرن عليها ، بل ظلت متواصلة وانه منذ الاحتلال الى سنة ١٩٣٤ كان النظام الفرنسي قد اقام ٩٧٢ قرية للمعمرين ونصّب ١٥٠٠٠٠ معمر ، ساعدهم على استثمار ١٦٥٠٠٠٠ هكتار ، وهو ما يعادل ٧٠ بالمائة من مجموع الملكية الاوروبية التي اغتصبت من المواطنين الجزائريين . اما الباقي فقد حصل عليه الاوروبيون بالشراء والتحايل والغصب . اضافة الى ان الملكية الاوروبية كانت من اخصب الاراضي واجودها ، وان المساحات التي بقيت في يد الاهالي لا تتجاوز ٢٥٠٠٠٠٠ هكتار ، يزرع منها ١٢٠٠٠٠٠هكتار شعيراً والباقي يزرع قمحاً . بينما كانت المساحة التي يستغلها المعمرون تعادل المساحة التي كانت عماد ٩٠ بالمائة من الاهالي البالغ عددهم آنئذٍ ٥١١٥٩٨٠ نسمة مقابل ١٥٠٠٠٠ نسمة من المستغلين المعمرين . واذا كان الهكتار عند الاوروبي ينتج ضعف ما ينتج الهكتار عند المواطن الجزائري ، فالشيء الذي يفسر هذا الفارق عائد الى نوعية الارض والامكانيات المادية والتقنية المتوفرة لدى الاوروبي دون غيره . وبذلك ترتب على اقصاء الاهالي من الاراضي الخصبة نحو الداخل نقصان في المساحة المزروعة ، اي نقصان في الثروة الزراعية والحيوانية بالاضافة الى استحواذ المعمرين على ٣ ملايين شجرة من الزيتون من ضمن ثماني ملايين كانت موجودة سنة ١٩٣٦ ، وعلى ١٤٥٠٠٠٠ شجرة من التين من ضمن ٧١٢٥٠٠٠ شجرة كانت ملكاً للاهالي من قبل . اما عدد الابقار فقد انخفض من ١٠٧١٠٠٠ رأس سنة ١٨٨٧ الى ٧٩٢٠٠٠ رأس

سنة ١٩٣٧ . مع العلم ان هذه المواد والثروة كلها تدخل في التركيب الغذائي الحيوي للسكان ، ناهيك عن التجارة الداخلية والخارجية والخدمات المختلفة التي كانت بين يدي الاوروبيين ، مع عدم وجود صناعة ثقيلة بامكانها تشغيل اليد العاملة المتزايدة . وكل ما كان موجوداً من النشاط الصناعي هو عبارة عن بعض المصانع الصغيرة تخدم الزراعة الاوروبية ، وورشات تصليح ليست انتاجية .

نخلص الى القول بأنه من خلال القاء نظرة عابرة عما ذكرناه ، لم نجد ما كان يمكن أن يمتص اليد العاملة في الجزائر ، وان العامل المهاجر لو وجد شغلاً دائماً في بلده بنصف الاجر الذي كان يتقاضاه في فرنسا لآثر البقاء على الهجرة ، وان ما يجذبه الى فرنسا هو الامل في ايجاد عمل دائم وليس ارتفاع الاجور . ولعلنا نقول في النهاية ان الدافع الرئيسي للهجرة الى فرنسا خلال هذه المرحلة المهمة من حياة الهجرة ، كان عامل الطرد فيه طاغياً على عامل الجذب نتيجة نظام اقتصادي شاذ أقيم خصيصاً لصالح الاقلية الاوروبية . وقد اصبح الوضع معه يفوق احتمال الاهالي له ، وبدت لهم فرنسا حينئذٍ مهرباً من الحالة المضنية السائدة في بلدهم .

ب ـ الاسباب العسكرية

كانت الهجرة الجزائرية الى فرنسا خلال الحرب العالمية الاولى اضطرارية ، ذلك لأن فرنسا نقلت تحت ضغط الحرب عدداً هائلاً من الجزائريين يقدر بنحو ٢٧٠٠٠٠ شخص بين جنود الجيش وعمال في المصانع او في الفلاحة . ولكن بعد ان وضعت الحرب اوزارها كان طريق الهجرة المكثفة قد عُبّد ، وغدت الهجرة ظاهرة قائمة كأمر واقع ، لأن الكثير من الجزائريين بعد تسريحهم من الخدمة العسكرية بقوا في فرنسا ، ومن عاد منهم الى الجزائر ما لبث ان عاد ليعمل في فرنسا .

ج ـ الدوافع التعليمية والنفسية

ان اكتشاف الجزائري المهاجر للانسان الاوروبي الذي يختلف عن المعمر الذي تركه في الجزائر ، جعله ينسج بعض الاحلام وهو يشعر بكرامة وحسن المعاملة ، اذا ما قيس ذلك بما يعانيه من حرمان وتوتر في بلده على ايدي المعمرين القساة القلوب . ولا داعي للخوض في موضوع التعليم في الجزائر في عهد الاستعمار ، انما نشير فقط الى انه كان هناك نظامان للتعليم الابتدائي ، احدهما خاص بالاوروبيين واجباري ، والثاني خاص بالاهالي وليس اجبارياً ، وكان يؤم هذا الاخير حوالى ١٠٠٠٠٠ تلميذ من بين ما يزيد عن مليون طفل في سن الدراسة . اما التعليم الثانوي فإن حظ الجزائريين فيه اقل من الاول بكثير ، في حين كان عدد الطلبة الجامعيين الجزائريين في فرنسا حوالى ٣٥ طالباً فقط سنة ١٩٣٠ . هكذا تتضافر العوامل والدوافع الاقتصادية والعسكرية والتعليمية والنفسية لتلتقي في نقطة واحدة هي الضيق بالوطن والبحث عن بديل ، ولم يكن ذلك البديل الا الهروب الى فرنسا ، البلد الذي كان يخاله الجزائري ارض الحرية . وما يمكن أن يقال عما قبل فترة الحرب الاولى وما بين الحربين ، يمكن أن يقال عما بعد الحرب الثانية . فقد وجدت فرنسا نفسها غداة انتصار الحلفاء في حاجة ماسة الى اليد العاملة الاجنبية ، فاستجلبت الجزائريين باعداد غفيرة ، اذ نجد ان عدد الجزائريين سنة ١٩٥٤ كان يمثل ٢١٢٠٠٠ نسمة على التراب الفرنسي . كما اثرت ثورة الجزائر التحريرية الاخيرة على استقرار حوالى ٣٠٠٠٠٠ شخص بسبب صعوبة التنقلات بين البلدين ، حيث منعتهم السلطة الفرنسية من العودة الى الوطن خوفاً من التحاقهم بصفوف جيش التحرير ، ورغم ذلك فإن الجالية

الجزائرية بفرنسا ، نشطت كغيرها من الفئات الاجتماعية الاخرى بشتى الوسائل في رفد مسيرة الثورة ، بجمع الاموال والقيام باضرابات عن الطعام والتنظيم السياسي لغاية عام ١٩٦٢ .

وهنا وجدت الجزائر نفسها امام آثار الدمار والخراب في جميع مرافق الحياة الزراعية والاجتماعية والاقتصادية ، وفراغ اداري ، وميزانية ما وجد فيها من مال لم يكن كافياً لتسيير البلد لمدة اسبوع . وقد بدأ الناس يبحثون عن عمل دون جدوى ، فلم يكن امامهم سوى الهجرة كحل مؤقت . وقد بلغ عدد المهاجرين سنة ١٩٧٠ نحو ٦٩٦٠٠٠ شخص، في حين كان الاقتصاد الجزائري في تردٍ . كان الاقتصاد الفرنسي في حاجة الى اليد العاملة ، على اساس ان الستينات في فرنسا تعتبر فترة ازدهار اقتصادي . وظلت الهجرة الجزائرية في تزايد رغم ظروف التمييز العنصري والمضايقة . وقبل توقف الهجرة الجزائرية من طرف الحكومة الجزائرية سنة ١٩٧٣ قبل اصدار القانون الفرنسي للحد من الهجرة الاجنبية الى فرنسا ، فإن العمال الجزائريين في الارض الفرنسية ظلوا عرضة لجميع انواع الملاحقة والتعسف .

وبغض النظر عن سياسة الجزائر وفرنسا فيما يخص الهجرة وكثرة الاتفاقيات التي جاءت اما معدلة لاتفاقية ايفيان سنة ١٩٦٢ او مكملة لها ، فإن النزاع المعروف بين الدولتين سواء فيما يخص قضايا الميزان التجاري او قضايا النفط والتأميم (الذي نتعرض له في بحث مستقل) ، ظل يعكس آثاره على الجالية الجزائرية بصورة سلبية ، سيما في عهد حكم جيسكار ديستان . وقد بلغ عدد المهاجرين الجزائريين الى فرنسا عام ١٩٧٥ نحو ٨٠٠٠٠٠ نسمة ، بالاضافة الى حوالى ٢٠٠٠٠٠ نسمة ممن يطلق عليهم « الفرنسيون المسلمون » الذين هم من اصل جزائري ، وهؤلاء الاخيرون الذين تعاونوا مع النظام الفرنسي سابقاً ، لا يعرف مستقبلهم بالضبط ، اذ لا زالوا مرفوضين من طرف المجتمع الذي دافعوا عنه بالامس ويوجدون بين ظهرانيه اليوم، وسوف يظل هؤلاء يعانون الأمرّين ما دام الدم العربي يسري في عروقهم وسمة الاسلام في قلوبهم .

ثالثاً : الهجرة المغربيـــة

ان هجرة المغاربة الى فرنسا قديمة ايضاً ، ولكن لا نعرف بالتحديد تاريخها ، وكل ما نعرفه ان المغاربة كغيرهم من الجزائريين والتونسيين قد استخدموا وسيقوا من طرف فرنسا للمشاركة في الحربين العالميتين دفاعاً عن الارض الفرنسية ، كما استخدموا في حرب الهند الصينية وغيرها من الحروب الاستعمارية . وان هذه الهجرة لم تعرف عدداً ضخماً الا بعد استقلال المغرب سنة ١٩٥٦ . ويتبين من احصاء لسنة ١٩٦٢ لليد العاملة المغربية، ان عدد المهاجرين قد بلغ ٨٤٢٣٦ نسمة ، ثم بلغ في عام ١٩٧٥ ٢٦٠٠٢٥ نسمة منهم ٦٩٤٥٥ امرأة . وقد بلغ عدد المهاجرين المغاربة حسب بعض المصادر لسنة ١٩٧٨ حوالى ٣٧٦٠٥٣ شخصاً منهم ٢٠٠ الف نسمة منتجون والباقي عبارة عن اطفال وبعض الملحقين بالعائلة ، او متقاعدين كما هو الحال بالنسبة للجالية الجزائرية . اما المناطق التي يوجد فيها المهاجرون المغاربة فهي تلك التي اشرنا اليها من قبل في صدد هذه الدراسة بالاضافة الى منطقة الالزاس واللورين . ولهذه الجالية كمثيلتها الجزائرية اسباب ودوافع اقتصادية وعسكرية في المرتبة الاولى ، ثم تأتي دوافع واسباب ثانوية اخرى مرتبطة في مجملها بالاستعمار وآثاره على الحياة الزراعية والصناعية . واغلب التشكيلة المهاجرة المراكشية من الفئات الاجتماعية الفقيرة التي لم تنل

حظها من الاقتصاد الوطني الذي هو بين ايدي فئة محظوظة من ذوي رؤوس الاموال ، سواء كانوا مواطنين ام اجانب ، فاضطرت الى الهجرة لكسب لقمة العيش وتحسين وضعها . ومن الملاحظ ان الهجرة المغربية رغم توقفها ظاهرياً بعد القرار الفرنسي لسنة ١٩٧٤ المتعلق بتحديد هجرة الاجانب الى فرنسا ، ثم توقيفها نهائياً ، فقد ظلت موجودة وقائمة بطريقة غير رسمية ، اي عن طريق التسرب . ويعمل اكثر المغاربة كغيرهم من الجزائريين في قطاعات البناء والتعدين والمصانع الاخرى ، ويشابهون اخوانهم التونسيين في العمل ببعض القطاعات الاخرى كالزراعة، التي لا يعمل فيها الجزائريون . هذا واذا كان للجزائريين منظمة اجتماعية « ودادية الجزائريين في اوروبا » فإن للمغاربة ايضاً منظمة تسمى « جمعية المراكشيين في فرنسا » بالاضافة الى « ودادية العمال والتجار المراكشيين في فرنسا » .

رابعاً : الهجرة التونسية

تعتبر الهجرة التونسية احدث من سابقتيها تاريخياً ، بحيث استطعنا ان نلاحظ ان عدد هذه الهجرة برز بشكل ملحوظ ابتداء من نهاية الحرب العالمية الثانية ، اذ كان هناك سنة ١٩٤٦ حوالى ٣٢٠٠ نسمة وفي سنة ١٩٥٤ حوالى ٤٨٠٠ نسمة ، مع العلم ان هذه الجالية كانت كغيرها من الجاليتين السابقتي الذكر (المغربية والجزائرية) وقد وجدت منذ زمن سابق في فرنسا ، الا انه لم يبق افرادها في فرنسا لاسباب نجهلها ، ورجعوا الى وطنهم الاصلي . ورغم ما اصاب الاقتصاد التونسي كغيره من الاقتصاد الجزائري والمغربي من تدهور بسبب آثار المد الاستعماري ، ولغاية عام ١٩٥٦ غداة استقلال تونس ، كانت وتيرة هذه الهجرة محدودة . اما بعد هذا التاريخ، وكما حدث سواء في المغرب او الجزائر ، فإن الاعداد المتزايدة من اليد العاملة التونسية قد اتخذت منعطفاً آخر ، وذلك بناء على اتفاقيات وقعت بين الحكومتين التونسية والفرنسية بهذا الشأن . ومن اهم هذه الاتفاقيات تلك التي تمت سنة ١٩٦٣. وبعدها انفتح باب الهجرة بشكل متزايد الى ان وصل عدد المهاجرين سنة ١٩٦٨ الى ما يقارب ٦١٠٢٨ نسمة ، ثم ليصل بعد ذلك سنة ١٩٧٥ الى ١٣٩٧٣٥ نسمة من بينهم ٤٠ الف امرأة ، وقد قفز هذا العدد الى ١٧٦١٥٤ نسمة سنة ١٩٧٨ من بينهم ٥٠ الف امرأة. ولهذه الجالية ايضاً هيئة تسمى « ودادية التونسيين في فرنسا » . اما المناطق او الفئات الاجتماعية المرسلة لليد العاملة التونسية الى فرنسا ، فهي تلك المناطق الزراعية الفقيرة ، سيما الممتدة منها على الحدود الجزائرية وجنوب البلاد . ان ٥٠ بالمائة من مجموع الجالية التونسية من اصل زراعي . ويعمل من هذه الجالية ٤٠ بالمائة في قطاع البناء مثل الجاليتين المغربية والجزائرية ، و١٠ بالمائة في القطاع الزراعي خلافاً للجالية الجزائرية ، و١٠ بالمائة في صناعة التعدين ، و ٦ بالمائة في السياحة و ٥ بالمائة في التجارة . والميزة المهمة للمهاجرين التونسيين هي ان اغلبهم يعودون الى وطنهم ولا يستقرون نهائياً في فرنسا ، وكذلك فإن ٦٠ بالمائة من الجالية التونسية من العزاب وحوالى الثلثين منهم ذكور . ويقدر العدد الكلي للجالية بنحو ٣٠٠٠٠٠ ، ثلثهم منتجون .

خاتمـــة

إن الهجرة من المغرب العربي الى فرنسا ليست وليدة اليوم على العموم ، بل لها جذور تاريخية بعيدة وعلاقة وطيدة بالاحتلال الاجنبي لهذا الربع من الوطن العربي . وان اليد العاملة القادمة من المغرب العربي ليست ذات اسباب اجتماعية بقدر ما هي عائدة الى عوامل اقتصادية وسياسية اقتضتها

ضرورة العيش ، وتحسين مستوى الدخل الفردي ، هرباً من البؤس ، والا كيف نفسر ظاهرة الرحيل الجماعي ؟ ان على العامل المهاجر ـ مقابل ما يتلقاه من لقمة العيش ـ بذل المزيد من الجهد العضلي لغرض خدمة التنمية والتصنيع والرقي الاجتماعي للبلد الذي يستقبله . وبالمقابل تضيع هذه الطاقة الانتاجية وتفلت من يد البلدان الاصلية المرسلة التي كان الاولى بها ان تستفيد منها بتطوير الحياة الاقتصادية والاجتماعية هناك . ان ظاهرة الهجرة في حد ذاتها تمثل معضلة اجتماعية مزمنة ، اذا لم يفكر المعنيون بالامر بشكل جدي في ايجاد حل لها . ومن المعلوم ان ابناء المغرب العربي يعانون من هذه الاشكالية نفسياً ، وهم يغادرون بلدانهم معرضين انفسهم وعزة جانبهم للذل والهوان من طرف اناس كثيراً ما نظروا اليهم شزراً . وانهم حريّون كغيرهم من شعوب الارض المتطورة ان يعيشوا عزيزي الجانب في اوطانهم ، وكفاهم نصف قرن ـ على الاقل ـ من المعاناة امام الآخرين ، وبلدانهم تزخر بالامكانيات . ان ظاهرة الهجرة واستمرارها بهذه الصورة تعد بحق وصمة ذل في التاريخ العربي المعاصر وخصوصاً إذا نظرنا الى العدد الهائل من المهاجرين الذين قدموا الى فرنسا غداة استقلال بلدانهم ، سواء بالنسبة لتونس والمغرب ، او الجزائر التي خسرت عشر سكانها قرباناً للحرية . اما اذا القينا نظرة على الجيل « الثاني » كما يقال عن هؤلاء الذين ولدوا وترعرعوا في احضان مجتمع آخر يخالف في نظامه ومظهره وقيمه كلية مجتمعهم الاصلي ، والذين يمثلون حوالى ٥٠ بالمائة من جاليات المغرب العربي ، فإننا نلاحظ انهم الضحية الكبرى التي لم تشارك لا من بعيد ولا من قريب في هذه النتائج السلبية والوضعية المزرية التي يعيشونها ؛ فمن نحو ٨٠٠ الف جزائري مثلاً يوجد نحو ٤٠٠ الف طفل ومراهق، منهم ٢٧٠٠٠٠ مسجلون في المدارس الفرنسية نظرياً ، بينما هم اقل من هذا العدد بكثير من الوجهة الفعلية . وكذلك فإن نتائج الدراسة تترجم في اغلب الحالات الى فشل كلي ، مما يفسح المجال لحياة التسكع والضياع . اما حالات النجاح فهي ضئيلة وتكاد تنحصر في الحصول على بعض الاختصاصات الفنية المتوسطة او الواطئة من حيث السلم العلمي والمهني . وما يقال عن الجزائريين يقال عن اخوانهم المغاربة والتونسيين . والجدير بالملاحظة ايضاً ان نسبة المهاجرات المغربيات في تزايد مقلق . وهذا يشكل خطراً محدقاً على الجالية في بنيتها ومستقبلها الحضاري والسياسي والاجتماعي ، بحكم ان وجود المرأة في الغالب يعني وجود الاسرة ، وهذا يعني بداهة وجود الاطفال ، وهؤلاء الأخيرون هم الذين سيدفعون الثمن ـ ان صح التعبير ـ ما دامت بلدانهم لا ترعاهم ولا تقدم لهم ما يحتاجون اليه من عناية تربوية وثقافية . اما النزر اليسير مما قُدّم ويقدم لتعليم اللغة العربية وتنظيم بعض الرحلات الى الوطن ، فلا يسمن ولا يغني من جوع ، اذ ان من بين حوالى ٣٠٠٠٠٠ طفل جزائري لا يتلقن دروس اللغة الوطنية (العربية) الا حوالى ٣٠٠٠٠ طفل . ويمكن تعميم هذا المثل على التونسيين والمغاربة الصغار ، بل الوضع بالنسبة لهم اسوأ من هذا بكثير . هذا واذا لم تتدخل البلدان المعنية بصورة فعّالة على جميع المستويات لانقاذ هذا الجيل ، فإن وسائل الهدم من الطرف الآخر ـ اي فرنسا ـ من صحافة وبيئة وبرامج تعليمية كفيلة بتحويل هؤلاء على المدى البعيد عن هويتهم الثقافيةوالقومية والعقائدية . اما اذا كانت هناك جهات يهمها الامر من العرب والمسلمين ، فإن المجال سهل وعملية الانقاذ بسيطة ، على اساس ان الجالية تتركز في اغلب المدن والجهات القريبة منها ، مثل باريس وضواحيها التي تحتضن وحدها حوالى ٥٠ بالمائة من مجموع جاليات المغرب العربي . وان اقامة مراكز ثقافية عربية اسلامية وتوفير وسائل التوعية والاحتكاك مع ذويهم من الصغار ، وعلى الاخص في مجال الثقافة والاعلام ، كتعليم اللغة العربية في مراكز تجمع المهاجرين من المغرب العربي بالاضافة الى غيرها من النشاطات الاخرى □

المراجـــع

١ ـ العربية

زوزو ، عبد الحميد . دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية بين الحربين (١٩١٤-١٩٣٩) . [د.م.؟]: سنيد ، ١٩٧٤ .

٢ ـ الاجنبية

A.A.E. Assemblée Générale, 10. *Rapport Général 1981*.

«Dossier E comme Esclave.»

Les Immigrés du Maghreb. Paris: PUF: 1979.

UNESCO. *Les Travailleurs immigrés en Europe: Quel statut?* Paris: UNESCO, 1981.

Zahraoui, H. *Les Travailleurs immigrés en France.* Paris: Maspero, 1976.

دعوة
الى المفكرين والمثقفين العرب

ترحب المستقبل العربي بمساهمة المفكرين والمثقفين العرب بالكتابة فيها حسب القواعد التالية :

١ ـ ان يتراوح حجم المقال بين ٦٠٠٠ ـ ٨٠٠٠ كلمة .
٢ ـ تنشر المجلة ابحاثا ودراسات ومقالات من المدارس الفكرية المختلفة ، ويكون معيار النشر هو الموضوعية ، والمستوى العلمي ، وذلك في حدود إلتزام المركز بالتوجه القومي العربي الوحدوي .
٣ ـ ترحب المجلة باية اسهامات في ابوابها المختلفة الاخرى (آراء ومناقشات ، نقد الكتب ، تقارير عن الندوات والمؤتمرات) على ان تكون المساهمة في حدود ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ كلمة .
٤ ـ يشترط ان تكون الدراسة او المقالة موثقة وان تشمل الاشارات المرجعية : اسم المؤلف ، وعنوان الكتاب ، ومكان النشر ، ودار النشر ، وسنة النشر .
٥ ـ يفضل ان تكون الدراسات مطبوعة على الآلة الكاتبة او بخطوط واضحة تجنبا للاخطاء المحتملة .
٦ ـ تخضع الدراسات الواردة للمركز للتحكيم بواسطة اثنين من الخبراء على الاقل .
٧ ـ يلتزم المركز بتقويم اية دراسة تصله واعلام المؤلف بذلك في حدود شهر من تاريخ استلامها .
٨ ـ الدراسات التي لا يرى المركز صلاحية نشرها لا ترد للمؤلف .

حول تجربة العراق في العمالة الوافدة (*)

محسن خليل ابراهيم

مدير عام مركز البحوث والمعلومات ـ بغداد .

مقدمـــة

إن ظاهرة انتقال العمالة في العالم معروفة ومألوفة عبر التاريخ الانساني ، وان تمتع اقطار الخليج العربي بثروة نفطية هائلة من جهة ، وضآلة في عدد سكانها من جهة ثانية قد اديا الى جعلها مراكز جذب مهمة للعمالة الوافدة . ولهذا فإن اقطار الخليج العربي إبان استقلالها قد ورثت مجتمعاً غير متجانس من جميع النواحي : الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية .

وفي مطلع السبعينات ، وخاصة عقب تصحيح اسعار النفط في عـام ١٩٧٣ ، وزيادة عـوائد الحكومات النفطية ، وتوسع الانفاق الاستهـلاكي والاستثماري في اقطـار الخليج العـربي بوتـائر متسارعة فاقت قدرتها على امتصاصها ، ادى ذلك الى اشتداد الطلب على العمالة الوافدة وتدفقها اليها باعداد هائلة ، اعتماداً على آلية السوق ، ودون ان يصاحب ذلك اي تغيير في سياسة استقبال هذه العمالة او تخطيط لحجمها او نوعيتها او جنسيتها . ان النتائج التي افرزتها هذه التجربة واضحة للعيان في اقطار الخليج العربي . فمن الناحية الاجتماعية ، فإنها قد خلقت وضعاً اجتماعياً وديمغرافياً متلوناً ، واصبح المواطن الخليجي العربي ، يعيش في بلاده مغترباً مهدداً في ثقافته القومية وتماسكه الاجتماعي ووحدته الاسرية . اما من الناحية الاقتصادية فإن تدفق العمالة الوافدة لم يغير من احادية اقتصـادات الاقطار الخليجيـة ، او يقلل من تبعيتهـا للاسـواق الرأسمـالية في معظم فعـاليـاتهـا الاقتصادية ، ان لم يزدها ، بالاضافة الى كونها تمثل عبئاً مالياً ضخماً على موازين مدفوعات البلدان الخليجية ، وكلفة اجتماعية عالية تنعكس في الدعم الحكومي لاسعار معظم الخدمات الصحية والثقافية والغذائية والنقل والمواصلات وغيرها .

وبالمقابل ، فإن العراق لم يكن مركز جذب للعمالة الوافدة قبل تصحيح اسعار النفط في عام ١٩٧٣، ان لم يكن هو نفسه مصدراً لها،وذلك بسبب محدودية امكانياته المالية

(*) قدم هذا البحث الى ندوة «العمالة الاجنبية في اقطار الخليج العربي » التي نظمها مـركز دراسـات الوحـدة العربية بالاشتراك مع المعهد العربي للتخطيط (الكويت) وعقدت في الكويت خلال الفترة ١٥ ـ ١٩ كـانون الثـاني / يناير ١٩٨٣ .

بالنسبة لحجم موارده البشرية والمادية . ولكن بعد تصحيح اسعار النفط وتسارع مسيرة التنمية فيه ، اصبح مثل باقي اقطار الخليج العربي يعاني من عجز في طاقة العمل . ولسد هذا العجز كان امامه اختيار استراتيجية معينة من مجموعة الاستراتيجيات البديلة يمكن اجمالها في ثلاث : الاولى ، غلق الابواب والاكتفاء ذاتياً بالعمالة المحلية وتحجيم مسيرة التنمية ، والثانية ، استفادة من تجربة اقطار الخليج العربي التي سبقته باعتماد آلية السوق في مضمار استقبال العمالة الوافدة دون التفريق بين جنسيتها ، والثالثة الاتجاه عربياً وتطبيق آلية السوق واتباع سياسة الباب المفتوح في استقبال العمالة العربية ، وفي الوقت نفسه اعتماد اسلوب التخطيط في استقبال العمالة الاجنبية .

إن هذه الدراسة سوف تتناول هذه الاستراتيجيات والوسائل المؤسسية والتشريعية والمحفزات الاقتصادية الكفيلة بتحقيق كل منها ، وتقويم نتائجها في مقارنة تجربة العراق بتجربة اقطار الخليج العربي في استقبال العمالة الوافدة .

وتحقيقاً لهذا الهدف ، قسمت هذه الدراسة الى اربعة اقسام تناول القسم الاول القاء نظرة عامة خلفية على التنمية والموازنة البشرية في الاسواق ، في حين ركّز القسم الثاني على الخيارات الاستراتيجية امام العراق في استقبال العمالة الوافدة في قوة العمل الذاتية ، اما القسم الثالث فقد حلل العوامل التي ساعدت على تدفق العمالة العربية الى العراق باعداد ضخمة وبشكل سريع ، اما القسم الرابع فقد اجمل نتائج هذه الظاهرة في النواحي الاقتصادية والسياسية والقومية والعسكرية .

اولاً : التنمية والموازنة البشرية في العراق

كان عام ١٩٧٦ بداية لانتقالة حاسمة في مسيرة الاقتصاد العراقي ، اذ بعد نجاح عملية التأميم وما نجم عن تصحيح اسعار النفط من تزايد الايرادات من النقد الاجنبي للقطر العراقي ، تم وضع خطة التنمية القومية للسنوات ١٩٧٦ ـ ١٩٨٠ ، التي استهدفت استكمال بناء القاعدة المادية والتكنولوجية لاقتصاد وطني متطور بصورة متسارعة تتوفر فيه من البنى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ما يدعم التزايد في معدلات نمو الدخل القومي بصورة تؤمن قدرة اقتصادية تعزز مستلزمات الدفاع عن السيادة ، وتعمل على توفير المزيد من احتياجات المواطنين ورفع مستواهم المعيشي ، بالاضافة الى العمل على توفير الركائز الاساسية لمستلزمات التقدم الحضاري . ولكل هذا ، فقد استهدفت هذه الخطة تحقيق معدلات نمو سنوية للدخل القومي تفوق معدلات نمو السكان ، على ان يعاد توزيع الدخل الكلي بما ينصف الشرائح الاجتماعية ذات الدخل المنخفض . وقد تضمنت الخطة تحقيق معدل نمو مركب للدخل القومي بنسبة ١٦,٨ بالمائة (على اساس اسعار عام ١٩٧٥) ، يرافق ذلك تحقيق معدل نمو مركب في متوسط دخل الفرد بنسبة ١٣,٣ بالمائة ليرفع من ٣٤٩ ديناراً في عام ١٩٧٦ الى ٥٧٥,١ ديناراً في عام ١٩٨٠ .

ومن اجل تحقيق هذه الاهداف الطموحة التي تضمنتها خطة التنمية القومية ، فقد بلغ مجموع ما ارصد من تخصيصات للمناهج الاستثمارية والخطط السنوية للفترة ١٩٧٦ ـ ١٩٨١ ما مقداره ٢١,٩ مليار دينار . واذا ما اضيف الى هذا تخصيصات عام ١٩٧٥ ، فإن هذا الرقم يقفز ليسجل ٢٣ مليار دينار . ولاعطاء صورة مقارنة عما تم تخصيصه لخطة التنمية القومية للسنوات ١٩٧٠ ـ ١٩٧٤ فإن المخصص كان يبلغ ١,٩ مليار دينار . واذا ما اضيف الى تخصيصات الخطة للاعوام ١٩٧٥ ـ

١٩٨١ ، تخصيصات الميزانية الاعتيادية ، فإن مبلغ الانفاق العام بشقيه الجاري والاستثماري يصل الى ٤١,٦ مليار دينار .

إن تحديد هذا الحجم الكبير يمكننا من تصور حجم الطلب الجديد الذي وقع على الايدي العاملة في العراق ، ومن هنا فإن خطط التنمية القومية قد غيرت في واقع العمالة والاستخدام في القطر العراقي ، اذ بعد ان كان العراق يتمتع بفائض من الايدي العاملة امتصت جزءاً منه الاقطار العربية المجاورة وخاصة اقطار الخليج العربي ، تحول الى قطر يعاني من عجز في هذه الايدي العاملة .

وتبين الاحصاءات المتعلقة بالسكان ، بأن عدد سكان العراق كان يقرب من ١٢ مليون نسمة حسب نتائج التعداد العام للسكان في الشهر العاشر من عام ١٩٧٧ ، (باستثناء العراقيين في الخارج) وذلك بعد ان كان يبلغ في عام ١٩٦٥ ما يقرب من ٨ مليون نسمة حسب التعداد العام للسكان لعام ١٩٦٥ ، (باستثناء العراقيين في الخارج) .

وفيما يتعلق بحجم القوى العاملة ، فإن الاحصاءات المتوفرة في وزارة التخطيط تشير الى ان مجموع حجم القوى العاملة المتوفرة من العراقيين كان يبلغ ٢,٣١٦,٩١٦ شخصاً في عام ١٩٦٥ ، ارتفع الى ٢,٦٦٠,٢٢٨ شخصاً في عام ١٩٦٩ ، ليصل بعد ذلك الى ٢,٨٨٦٠٢٧شخصاً في عام ١٩٧٧ ، اي ان هذه الايدي قد نمت بنسبة تقرب من ٢٤,٦ بالمائة خلال الفترة ١٩٦٥ ـ ١٩٧٧ . اما عن جانب الطلب على هذه الايدي ، فقد ارتفع من ٢,٢٠٣,٦٦٥ شخصاً في عام ١٩٦٥ الى ٢,٥٤٦,٢٢٤ شخصاً في عام ١٩٦٩ ، ليرتفع الى ٣,٠٣٢,٢٢٥ شخصاً في عام ١٩٧٧ ، اي ان معدل النمو خلال هذه الفترة قد بلغ نسبة ٣٧,٦ بالمائة . وقد عنى ذلك تحقق عجز فعلي بين العرض والطلب على القوى العاملة في عام ١٩٧٧ يصل لحوالى مائة وخمسين الفاً ، بعد ان كان هناك فائض من العمالة قبل ذلك .

ولغرض سد العجز في الطلب على القوى العاملة ، فقد توافدت الى القطر العراقي قوى عاملة عربية نتيجة توفر فرصة العمل في هذا القطر من جهة والقوانين والتعليمات المعمول بها ، والتي تساوي بين العمالة العربية والعمالة المحلية في الحقوق والواجبات ، حيث ساهمت القوى العاملة العربية بشكل كبير وفعال في سد العجز الذي بدأ يتنامى في سوق العمل في العراق منذ عام ١٩٧٦ .

ثانياً : بدائل مصادر تمويل العجز في القوى العاملة

وكما اتضح لنا سابقاً ، فقد ادى التوسع الكبير في النشاط الاقتصادي الى ظهور العجز في القوى العاملة نتيجة تجاوز الطلب على عرض القوى العاملة الوطنية . وفي هذه المرحلة (مرحلة تنفيذ خطة التنمية القومية ١٩٧٦ ـ ١٩٨٠) ، وجد العراق نفسه امام خيارات ثلاثة : الاول منها المتمثل بتجربة الاقطار العربية الخليجية الاخرى ، والتي كانت نتائجها تدفق العمالة الاجنبية ، والاختيار الثاني يتركز في الانفتاح عربياً لسد العجز المتزايد في الايدي العاملة.وهذا ما يتماشى تماماً والاهداف القومية التي ينشدها العراق ، اما الاختيار الثالث ، فهو متصل بالخيار الثاني ويتمثل في التعاقد مع شركات اجنبية في تنفيذ مشاريع التنمية الكبرى والتي تتطلب مواصفات تكنولوجية ومهارة فنية قد لا تتوفر بيسر لدى الايدي العاملة العراقية والعربية او الاجهزة الفنية المحلية المشرفة على تنفيذ مثل هذه المشاريع.

١ ـ موقف العراق من تجربة اقطار الخليج العربي الاخرى

لقد رافق عملية التحديث التي عاشتها الاقطار العربية الخليجية الستة ، نتيجة استغلال جزء من الثروة النفطية وبخاصة بعد عام (١٩٧٣) ، نمو سريع في حجم العمالة الاجنبية . وقد اصبحت هذه الهجرة سبباً مباشراً لبروز ظاهرة الازدواج السكاني في اقطار المنطقة ، لأن الاعداد التي وفدت فاقت في بعضها عدد السكان المحليين . ولقد رافق هذه الهجرة تفوق الايدي العاملة الاجنبية على كل من الايدي العاملة العربية والمحلية في بعض هذه الاقطار .

وقد كان للعراق موقف واضح من نمط هذه الهجرة بسبب النتائج السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي قد تنجم عنها . اذ أن ظاهرة الازدواج السكاني بهذه الصورة الصارخة تنجم عنها تهديدات سياسية خطيرة تتعلق بعروبة هذه الاقطار ذاتها ، وذلك من خلال ما تفرزه الاجيال المتعاقبة من المهاجرين من مستوطنين يتحولون تدريجياً الى متوطنين في شكل جاليات قد تعزز حركات سياسية مرتبطة بمنشئها الاصلي .

يضاف الى ذلك ان تعدد مصادر الهجرة الاجنبية الى المنطقة يزيد حتماً من تعقيد المخاطر السياسية الناتجة عنها ، اذ ان التفوق النوعي والكمي للمهاجرين سوف يترتب عليه وزن وثقل اقتصادي واضح ، مما يؤدي ذلك الى التأثير المباشر على صانعي القرار السياسي باصدار التشريعات التي تتماشى ومصالح هذه الفئات السياسية .

إن هذه المخاطر السياسية التي قد تنجم عن نمط العمالة الاجنبية الوافدة الى اقطار الخليج قد تؤدي الى اضرار كبيرة تمس مسألة السيادة الوطنية ذاتها ، وتعرض عروبة الخليج الى حالة من التخلخل والتداعي والضعف وما يترتب على ذلك من احتمالات وتعقيدات سياسية متعددة .

ولا يقف الامر عند المخاطر السياسية هذه ، بل يتجاوزه الى المخاطر الاقتصادية نفسها . فبالرغم من ان هذا النمط من العمالة الاجنبية يحقق كسباً اقتصادياً لهذه الاقطار في الامد القصير ، متمثلاً بتفوقهم النوعي على العمالة الوطنية ، ويلبي احتياجات التحديث الاقتصادي ، الا ان هذا النمط من العمالة له تأثيراته الاخرى التي يمكن إجمالها بالتأثير السلبي في المستوى النوعي والفني والمهني للعمالة الوطنية الناجم عن حالة الاتكال والتبعية للعمالة الاجنبية ، اضافة الى نشر عادات وسلوك استهلاكي يتناقض في الغالب مع الهيكل الانتاجي الوطني ، ومن شأن ذلك الحاق افدح الاضرار بالمشاريع الوطنية الانتاجية . كما لا يخفى اثر هذه العمالة في استنزاف الموارد المالية نتيجة تحويلات ادخاراتهم الى بلدانهم الاصلية .

ولا تنفصل النتائج الاجتماعية التي ترتبت عن وجود العمالة الاجنبية في هذه الاقطار عن جانبها السياسي والاقتصادي . إذ تمارس الهجرة الاجنبية تأثيرات اجتماعية شديدة التعقيد ابرزها شيوع انماط جديدة للحياة واساليب المعيشة وتعدد وتناقض انواع من السلوك الاجتماعي الذي يقود الى حالة من التخلخل والتداعي ، كما أن تعدد اللهجات واللغات وانتشارها كوسيلة للتفاهم يصاحبه شعور بالغربة لدى المواطنين ذاتهم ، مما يتسبب في بروز مخاطر كبيرة في اضعاف الانتماء القومي ، كل ذلك مضاف اليه صعوبات التكيف الاجتماعي والنفسي والحضاري والذي يؤدي الى بروز انحرافات سلوكية لم تكن تعرفها هذه المجتمعات من قبل ، وخارجة عن طبيعة تكوينها الاجتماعي .

٢ ـ الاتجاه عربياً لمقابلة العجز في الايدي العاملة

لم يكن موقف القطر العراقي من العمالة العربية ومساواتها بالعمالة المحلية نتيجة لتحديده مخاطر العمالة الاجنبية الوافدة للمنطقة فحسب ، بل ان هذا الموقف نابع اساساً من المبادىء القومية التي يهتدي بها . وللتدليل على ذلك فإن القطر العراقي قد أقر مبدأ الانتقال الحر وحق العمل والاقامة للمواطنين العرب والتمتع بكل حقوق المواطن العراقي قبل بروز الحاجة الفعلية للايدي العاملة ، اذ ان قانون العمل رقم ١٥١ لسنة ١٩٧٠[١] كان واضحاً في هذا الصدد ، وكان صدوره في وقت لم يكن القطر العراقي بعد من الاقطار المستقبلة للعمالة الوافدة.

وفي النصف الثاني من السبعينات ، وبعد دخول العراق مرحلة جديدة من التوسع في مناهجه الاستثمارية تنفيذاً لخطته القومية ١٩٧٦ ـ ١٩٨٠ ، شرّع العراق ابوابه امام الايدي العربية الوافدة ، وصدر قرار مجلس قيادة الثورة رقم ٣٨٤ لسنة ١٩٧٧[٢] ، والذي تلته قرارات عديدة مثل قرار ١٠١٩ في ٤ / ٨ / ١٩٧٦ ، والقرارات ٢٧٣ لسنة ١٩٨٠[٣] و ٥٤٠ لعام ١٩٨٠ و ١٠٥٧[٤] لسنة ١٩٨٠ وكذلك قرار ٣٥٠ لسنة ١٩٨٢[٥] ، انصبت جميعها على تثبيت حقوق العاملين العرب ، وشملتهم بالامتيازات العديدة التي تجاوز بعضها ما تتمتع به العمالة العراقية ذاتها[٦] .

وفي بداية تصاعد وتائر تنفيذ مناهج الاستثمار السنوية وبروز الحاجة الى مهارات فنية محددة في

---

(١) نصت المادة الخامسة من القانون المذكور على ما يلي : « وحدة الطبقة العاملة العربية حقيقة موضوعية تاريخية اصيلة تتحدى وافع التجزئة الراهن وتتخطاه وتجسد الارادة الكلية والمصلحة الحياتية لجماهير العمال العرب بوحدة الامة العربية ووحدة الوطن العربي . لذلك فإن للعامل العربي الذي يعمل او يريد العمل في الجمهورية العراقية جميع الحقوق المقرة للعامل في هذا القانون ، وعلى جميع وزارات الدولة وقطاعات العمل المختلفة العاملة والتعاونية والخاصة ، احترام هذه الحقيقة وتنفيذها . ويعتبر العامل عربياً لاغراض هذا القانون اذا كان يحمل جنسية احد الاقطار العربية ، او اذا كانت لديه وثيقة خاصة بذلك صادرة عن الوزارة » .

(٢) نص قرار مجلس قيادة الثورة رقم ٣٨٤ في ٢٩ / ٣ / ١٩٧٧ على :

١ ـ يجوز تعيين المواطن العربي في دوائر الدولة ومؤسساتها اذا توفرت فيه الشروط ذاتها التي تتطلبها قواعد الخدمة بالنسبة للعراقيين .

٢ ـ يعامل المواطن العربي ، عند تعيينه في دوائر الدولة ومؤسساتها معاملة العراقي من حيث الحقوق والالتزامات التي ترتبها قواعد الخدمة بما فيها الحقوق التقاعدية .

(٣) نص قرار ٢٧٣ في ١٠ / ٢ / ١٩٨٢ على أن تمنح للمتعاقد العربي ، بطاقة سفر بالطائرة كل ثلاث سنوات ، وحدد تنفيذها اعتباراً من تاريخ صدور القرار ١٠١٩ في ٤ / ٨ / ١٩٧٩ ، والذي تضمن اضافة الى البطاقة :

١ ـ نسب تحويل المدخولات بمقدار ٧٥ بالمائة .

٢ ـ مخصصات السكن .

٣ ـ احتساب الممارسة لاغراض احتساب الراتب .

٤ ـ ادخال سيارة وحق التصرف فيها بعد سنتين .

(٤) ونص القرار رقم ١٠٥٧ لسنة ١٩٨٠ ، باحتساب سنوات الممارسة لاغراض تحديد الراتب عند الحصول على الجنسية العراقية .

(٥) ونص القرار رقم ٣٥٠ لسنة ١٩٨٢ ، على احتساب مدة الممارسة خارج القطر بالنسبة للمواطن العربي لاغراض تحديد الراتب على ان يستفيد من هذا القرار المعينون قبل تاريخ نفاذه .

(٦) كأجور النقل عند التعاقد دخولاً وخروجاً من العراق ، ومخصصات السكن ، وحق ادخال سيارة صالون واحدة ... الخ ، بموجب القرار رقم ١٠١٩ لسنة ١٩٧٩ .

مجالات معينة ، لجأ القطر العراقي الى ابرام بروتوكولات مع الحكومة المصرية لاستقدام الايدي العاملة المصرية ، تضمن حاجة العراق الى الخبراء والفنيين وبعض المشتغلين في قطاع النقل .. ثم انتقل الى التعاقد حول انتقال الفلاح العربي المصري الى الريف العراقي حيث بدأت طلائع الاسر الفلاحية بالوصول الى بغداد في ٦ / ١٠ / ١٩٧٦ ، ومعها بدأت تجربة قرية الخالصة .

إن اقطار المنشأ للايدي العاملة العربية الوافدة الى العراق لم تقتصر على القطر المصري بل تجاوزته الى السودان والمغرب . ووفق اسلوب التعاقد ، وفدت الى العراق ايد عاملة سودانية ومغربية لتأخذ مكانها في قطاع الانشاء والنقل وفي القطاع الزراعي ايضاً . الا ان عام ١٩٧٧ شهد نقلة كبيرة في باب استقبال الايدي العاملة العربية الوافدة ، اذ توافد الى العراق مئات الالوف من الايدي العاملة المصرية ، مما جعل هجرة هذه الايدي تصطبغ بالصبغة المصرية التي طغت في مجاميعها على جميع الايدي العاملة العربية الاخرى الوافدة .

ويشير الاستاذ امين عز الدين الى ان مجموع الايدي العاملة المصرية التي وفدت الى العراق قد بلغت ٧٤٠٠ في تعداد السكان لعام١٩٧٧،ثم ارتفعت الى٦٠٠٠٠٠في عام ١٩٨٠،لتبلغ١,٥ مليون في عام١٩٨٢[٧].وقد قام بتقدير توزيع قوة العمل المصرية الموجودة في العراق مطبقاً في ذلك الهيكل المهني المصري حسب تعداد السكان لسنة١٩٧٦.وتقودنا هذه التقديرات الى نتيجة واضحة، هي ان القوى العاملة المصرية الوافدة الى العراق قد استجابت الى حاجته في قطاعات اساسية هي الزراعة والانشاء . اذ بلغت نسبة العاملين من هذه الايدي في القطاعات المذكورة ٦٣,٣ بالمائة من مجموعها العام . ان هذه النتيجة تتعارض بشكل صارخ مع الادبيات التي كتبت حول الايدي العاملة العربية والقائلة بأن الفائض الكمي لبلدان المنشأ لا يستجيب عادة لحاجات بلدان الاستقبال . وهنا لا بد لي من التأكيد اذا عدلنا ذلك وقلنا ان الفائض الكمي في الايدي العاملة العربية قد لا يستجيب في « بعض » الاحيان وليس في اغلبها الى « بعض » من حاجات اقطار الاستقبال المتمثلة بكفاءات ومواصفات فنية معينة ، يصبح ذلك صحيحاً ، وهذا ايضاً ما كشفته تجربة العراق في انعمالة الوافدة .

٣ ـ الشركات الاجنبية وتنفيذ مشاريع التنمية

لقد وضعت خطة التنمية القومية ١٩٧٦ ـ ١٩٨٠ ومناهج الاستثمار السنوية التالية لها اهدافاً طموحة في تحقيق معدلات نمو عالية في مختلف القطاعات السلعية والخدمية كما اتضح لنا سابقاً ، مما رافقها ضرورة انجاز مشاريع في هذه القطاعات ذات مواصفات تقنية محددة ، وتتطلب مهارات واستخدام للتكنولوجيا المتقدمة ، الامر الذي يصبح معه عدم امكانية الاجهزة التنفيذية القائمة او الايدي العاملة المحلية والعربية على الايفاء بالاحتياجات الفنية المطلوبة لانجاز مثل هذه المشاريع واضحاً.وقداضطر القطر العراقي الى الاستعانة بالشركات الاجنبية لانجاز مثل هذه المشاريع.ومع دخول هذه الشركات الى القطر العراقي دخلت الايدي العاملة الاجنبية اليه.الا ان حجم هذه العمالة الاجنبية وتطورها بقي مرتبطاً بتنفيذ المشروعات المحددة التي تنفذها شركات عالمية مختلفة ، منها شركات تابعة للاقطار الاشتراكية تجلب معها عادة عمالاً من اقطارها نفسها ،

---

(٧) امين عز الدين ، **القوى العاملة المصرية الوافدة الى القطر العراقي : دراسة من منظور بلد المنشأ** (بغداد : ١٩٨٢) .

وترتبط اقامتهم في العراق بتنفيذ المشروع ، ويغادرون القطر عند انتهائه . ومنها شركات غربية او يابانية او متعددة الجنسيات ، تجلب معها عمالة من جنسيتها نفسها او عمالة آسيوية ، الا ان اقامتهم ترتبط ايضاً بتنفيذ المشروع ذاته ويرحلون عند انتهاء العمل فيه . ومن هنا فإن العراق لم يعرف الشكل الذي ساد من العمالة الاجنبية الوافدة الى بقية اقطار الخليج العربي والمتمثل باستيراد العمالة الآسيوية من اجل اداء اعمال تغلب عليها صفة الدوام والاستمرار في خدمات ومشروعات قائمة مسبقاً ومستمرة ، وبالتالي تصبح جزءاً من التكوين العام للعمالة الوطنية وهيكله . وكذلك لم يعرف القطر العراقي الشكل الآخر السائد في الاقطار العربية الخليجية الاخرى وهو استيراد الايدي العاملة الاجنبية لاداء الخدمات الشخصية للسكان العراقيين . وبذلك استطاع العراق ان يعزل الايدي العاملة الاجنبية الوافدة عن التعايش مع المجتمع العراقي في مجمعات منفصلة وفي المناطق التي يجري تنفيذ المشاريع فيها او قريبة منها .

وحرصاً على احكام السيطرة على حركة الايدي العاملة الاجنبية الوافدة وربط دخولها بانجاز المشاريع التي تقوم بتنفيذها الشركات الاجنبية فإن التشريعات المعنية كانت صارمة . وقد يكون من المفيد هنا الاشارة الى اهم الحقائق المتعلقة بهذا الجانب :

أ ـ التحريم القاطع على القطاع الخاص في ان يستخدم الايدي العاملة الاجنبية الا عند الضرورة القصوى وبعد الحصول على الموافقات المسبقة على استجلابهم من الجهات المتعددة المعنية .

ب ـ بالاضافة الى كون وجود الايدي العاملة الاجنبية في العراق مؤقتاً ومحكوماً بانجاز المشروع التي جاءت من اجل إنجازه ، فإن الشركات الاجنبية ذاتها مع هذه الايدي ، تخضعان في آن واحد الى قوانين وتعليمات تحول دون حرية حركتها خارج الاطار الذي دخلت ضمنه .

ج ـ إن العمالة الاجنبية تستخدم من قبل الشركات الاجنبية فقط ، ولا تستخدم من قبل المؤسسات الحكومية العراقية او من قبل القطاع الاشتراكي والمؤسسات الاقتصادية ، الا في حالات الضرورة القصوى وبعد استحصال موافقة الجهات العليا .

د ـ لقد اعطيت الشركات الاجنبية المتعاقدة لانجاز المشاريع حرية كاملة في استخدام الايدي العاملة المحلية عراقية كانت او عربية ، ولقد لجأ كثير من هذه الشركات الى استخدامها فعلاً بسبب تفاوت الاجر او لاداء خدمات معينة لا تفي بها الايدي العاملة الاجنبية التي جلبتها من اجل التنفيذ .

هـ ـ التزمت الشركات الاجنبية بالقوانين المعمول بها وفي حالات كثيرة ، باستخدام بعض الايدي العاملة عراقية كانت ام عربية وخاصة الفنية منها ، او تعيّنها من قبل الجانب العراقي من اجل تدريبها وتطويرها لتمكينها من ادارة المشروع فنياً عند انجازه بما يؤدي الى الاستغناء عن اي ايد عاملة اجنبية في المستقبل .

ثالثاً : عوامل الجذب والطرد للايدي العاملة العربية

إن تدفق القوى العاملة العربية المصرية الى العراق وتزايد عددها الذي بدأ في نهاية عام

١٩٧٧ وبداية ١٩٧٨ ، حكمته عوامل الطرد التي سادت في القطر المصري من جهة ، وعوامل الجذب في القطر العراقي من جهة ثانية ، وقد تفاعلت هذه العوامل في القطرين معاً ونجم عنها بروز « ظاهرة » انتقال العمالة المصرية الى العراق بشكل لم يسبق له مثيل سواء على صعيد القطر العراقي ذاته او في الاقطار العربية الخليجية .

ويمكن إجمال عوامل الطرد والجذب هذه بالرؤية القومية السائدة في العراق ، والرؤية السياسية التي صيغت اثر انعقاد مؤتمر قمة بغداد بعد « كامب ديفيد » ، بالاضافة الى العوامل الاقتصادية .

١ ـ الرؤية القومية

إن ظاهرة القوى العاملة العربية المصرية الوافدة للقطر العراقي ليست اقتصادية تجريدية فحسب ، بل محكومة بهدف تحقيق التلاحم القومي الذي نشده القطر العراقي باتباعه سياسة الباب المفتوح امامها . وانطلاقاً من مبادىء العراق في التأكيد على الذات القومية وتجاوز المفهوم القطري ، فإن خطط التنمية القومية في القطر العراقي قد ركزت على امور عديدة في مجال العمالة تنفيذاً لهذه المبادىء ، منها اهمية ودور قوة العمل لتحقيق اهداف التنمية والتوجه القومي في تحقيق هذه الاهداف ، على ان يكون ذلك كله محكوماً بتحقيق مستوى معيشي لائق للعامل العربي والعراقي ، وتحريره من كل اشكال الاستغلال والعمل على تعميق وعيه للمشاركة في عملية البناء الاقتصادي على اساس مفهوم قومي وخارج اطاره القطري .

وقد انعكس هذا كله في التشريعات العراقية وقرارات مجلس قيادة الثورة المعمول بها في حقل سياسة الاستخدام ، اذ عملت على المساواة الكاملة بين المواطن العربي والمواطن العراقي . بل في حالات كثيرة منحته امتيازات تجاوزت ما يتمتع به العامل العراقي نفسه كما سبق الاشارة اليه . وقد كان ذلك كله محكوماً بتأكيد الشعور بالمواطنة بين الايدي العاملة العربية ، وتعميق الشعور القومي لدى المواطن العربي بأنه يبني صرح قاعدة اقتصادية عربية تتجاوز بخيراتها حدود القطر العراقي لتصبح في خدمة الامة العربية . ان هذه المبادىء للرؤية القومية التي التزم بها العراق قد شكلت عوامل جذب مهمة لقوة العمل العربية والمصرية منها بالذات .

٢ ـ الرؤية السياسية

عندما انعقد مؤتمر قمة بغداد وصدرت قراراته المتعلقة بمقاطعة « نظام السادات » في مصر والمتعاملين في هذا القطر مع العدو الصهيوني ، فإن هذه القرارات كانت واضحة بلا لبس في التفريق بين شعب مصر العربي والنظام السائد فيها ، ايماناً منها بأن مصر وشعبها جزء لا يتجزأ من الامة العربية .

وقد نصت الفقرة السادسة من الجزء الاول من القرارات على : « استمرار التعامل مع الشعب المصري العربي الشقيق ومع افراده ، عدا المتعاونين بصورة مباشرة او غير مباشرة مع العدو الصهيوني » . كما جاء في الفقرة (جـ) من القرار السابع « تؤكد الدول العربية على اهمية استمرار التعامل مع المؤسسات الخاصة الوطنية المصرية التي يتأكد امتناعها عن التعامل مع العدو الصهيوني وتشجعها على العمل والنشاط في البلاد العربية في اطار الميادين التي تعنى بها » . بل ذهبت القرارات الى ابعد من ذلك اذ نصت الفقرة (د) على : « تؤكد الدول

العربية على اهمية رعاية مشاعر ابناء شعب مصر العربي العاملين والموجودين في البلدان العربية ، ورعاية مصالحهم وتعزيز انتمائهم القومي للعروبة » .

إلا ان غياب الرؤية السياسية الواضحة في بعض الاقطار العربية ، رغم تأكيد قرارات مؤتمر قمة بغداد على التفريق بين النظام والشعب المصري بشكل واضح ولا يقبل التأويل، قد عرضت الايدي العاملة المصرية فيها اما الى الطرد المباشر او الى سوء المعاملة ، واتباع ممارسات شاذة على اساس ان هذه الايدي العاملة هي مسؤولة بشكل ما عن سياسات « نظام السادات ». وادراكاً من القطر العراقي للمخاطر السلبية التي قد يتركها اي تصرف من هذا القبيل ، وتعبيراً عن الالتزام الكامل بمقررات قمة بغداد وروحها ، فقد فتح ابوابه واسعة امام استقبال المزيد من القوى العاملة المصرية وتيسير دخولها واقامتها والعمل فيه دون الاخذ بالاعتبار لاحتياجاته الفعلية لهذه الايدي . وقد شكل هذا الموقف من قبل القطر العراقي عامل جذب كبير للايدي العاملة المصرية سواء بالنسبة للعاملين في الاقطار العربية الاخرى ، او بالنسبة للعمالة المصرية التي هاجرت مباشرة من مصر الى العراق . وشهد القطر العراقي استمرار زيادة العمالة المصرية الوافدة اليه في نهاية عام ١٩٨١ وبداية عام ١٩٨٢ بالرغم من ظروف الحرب التي يخوضها .

٣ ـ العوامل الاقتصادية

إن العوامل الاقتصادية التي تفاعلت وراء هجرة الايدي العاملة من مصر من جهة ، وتوجهها الى القطر العراقي من جهة ثانية ، يمكن أن تعزى الى تفاعل عوامل الطرد في بلد المنشأ مع عوامل الجذب في بلد الاستقبال ويمكن ايجاز هذه العوامل بما يلي :

أ ـ عوامل الطرد

إن ظاهرة الانفجار السكاني لا تكفي وحدها لأن تقدم تفسيراً علمياً لظاهرة هجرة العمالة الوافدة من مصر بشكلها الذي عرفه عام ١٩٧٧ وما بعده . ورغم ان هذا الانفجار السكاني يؤدي الى خلق خلل واضح بين حجم القوى العاملة المتاحة وبين حجم العمالة التي تستوعبها قدرة الاقتصاد المصري من ناحية اخرى ، الا ان واقع الهجرة العمالية المصرية لا يقدم دليلاً على صحة ذلك حيث ان المؤشرات تشير الى ان معدلات النمو السكاني قد بلغت ٢,٤٦ بالمائة ، ٢,٤٠ بالمائة للسنوات ١٩٦٠ ، ١٩٦٦ على التوالي ، الا ان القطر المصري لم يشهد آنئذٍ موجة مميزة من موجات الهجرة العمالية . وبالمقابل فإن المؤشرات الاقتصادية تظهر ان معدل نمو السكان في مصر قد بلغ ٢,٣ بالمائة في عام ١٩٧٦ ، الا ان القطر المصري بدأ يشهد موجات كبيرة من الهجرة للايدي العاملة . ومن هنا يمكن القول بأن ظاهرة الانفجار السكاني قد لا تعطي تفسيراً صادقاً لاتجاهات هجرة الايدي العاملة المصرية ، بل رغم عدم تجاهل هذا العامل لا بد لنا من أن نبحث عن عوامل اخرى ادت الى بروز مثل هذه الظاهرة ، وعلى الاخص في النصف الثاني من العقد السبعيني[٨].

وبناء على ذلك، فإننا سنحدد عدداً من المتغيرات الاقتصادية التي تضافرت لتشكل بمجموعها عوامل الطرد لاحداث موجة الهجرة العمالية المصرية :

---

(٨) عبد المنعم الغزالي ، **هجرة العمالة المصرية للعراق والظرف السياسي** (بغداد : ١٩٨٢) ، والمصدر نفسه .

(١) شهد الاقتصاد المصري بعد حرب عام ١٩٦٧ انكماشاً حاداً نجم عن تقليص النفقات التجارية والاستثمارية للقطاع الحكومي ، وكذلك توجيه اغلب هذا الانفاق للمجهود الحربي ، مما نشأ عن ذلك تقليص فرص العمل الجديدة المتاحة للايدي العاملة ، وتفاعل هذه الوضعية مع تغير السياسة الاقتصادية التي حدثت في اعقاب حرب ١٩٧٣ ، بعد تبني سياسة الانفتاح الاقتصادي . وقد أدى ذلك كله الى ظهور فائض كبير في الايدي العاملة ، رافقه تقلص الفرص المتاحة للعمل بالنسبة للداخلين للمرة الاولى قوة العمل هذه ، وهذا عمل بدوره الى ارتفاع معدل البطالة سواء أكان ذلك في القطاعات السلعية او الخدمية معاً .

(٢) لقد نجم عما ورد اعلاه ، وبالتفاعل مع هبوط معدلات نمو الاقتصاد المصري ، وظهور النشاط الطفيلي في القطاعات الاقتصادية ، واطلاق الاسعار ، والتخلي عن التخطيط المركزي للفعاليات الاقتصادية عن الحماية للاقتصاد ، وتقليل معونات الدعم للسلع الاساسية ، ان تدهور نصيب العاملين في هذه القطاعات الذي نتج عن اعادة توزيع الدخل لصالح الفئات الطفيلية في الاقتصاد المحلي . وقد ادى اعادة توزيع الدخل هذا الى انخفاض نصيب الاجور ومحاولة الايدي العاملة ايجاد فرص جديدة لها تمتد خارج حدود القطر المصري .

(٣) ساهم نظام السادات بدوره في تشجيع تدفق الايدي العاملة المصرية الى الخارج لسببين اساسيين ، ذلك ان كون هذه العمالة سوف تمثل له مصدر دخل جديد يعمل على تصحيح اختلال ميزان مدفوعاته من جهة ، كما أن هجرة هذه الايدي تمثل من جهة اخرى احدى الوسائل السهلة المتاحة امامه لتصحيح الخلل القائم في الاقتصاد القومي المصري بين حجم القوى العاملة المتاحة وبين حجم العمالة التي يستوعبها الاقتصاد .

ب ـ عوامل الجذب

يمكن لنا أن نلخص العوامل الاقتصادية التي كانت مصدراً لجذب الايدي العاملة المصرية للقطر العراقي بما يلي :

(١) لقد نجم عن خطة التنمية القومية في العراق ، التي اعقبت تأميم النفط فيه ، توفر فرص عمل كبيرة امام قوة العمل العربية الوافدة ، بالاضافة الى توفر مجالات الاستثمار للقطاع الخاص العربي بصورة مباشرة ، اذ ان القوانين المعمول بها تعامل الاستثمار العربي معاملة الاستثمار العراقي، كما ان قوانين التحويل الخارجي تقدم للمستثمر العربي جميع التسهيلات لاعادة رأس المال وارباحه الى الخارج .

(٢) ان معدلات الاجور التي تدفع الى العامل العربي مرتفعة بالاضافة الى الامتيازات الاخرى التي يتمتع بها سواء كان ذلك في القطاع الحكومي او المؤسسات الاقتصادية للقطاع الاشتراكي او في القطاع الخاص . كما أن القوانين والقرارات التي صدرت بشأن تشجيع قوة العمل العربية الوافدة الى العراق عملت بدورها على تسهيل تحويلات مدخولات هذه الايدي العاملة لتصل حداً يبلغ نسبة ٧٥ بالمائة من مقدار الدخل المتحقق للعامل مع الدولة بعقود مسبقة ولا تقل عن ٥٠ بالمائة او (١٢٠٠) دينار سنوياً للعاملين الأخرين ، او عن مقدار (٩٠٠) دينار سنوياً للعاملين اما لحسابهم الخاص ، وإما مع القطاع الخاص .

(٣) ان المحفزات الاقتصادية التي تضمنتها قوانين العمل وقرارات مجلس قيادة الثورة المشار اليها سابقاً ، ومن اهمها مخصصات السكن للعاملين من حملة الشهادات الجامعية وذوي المهن والحرف في الدوائر الرسمية ، او مؤسسات القطاع الاشتراكي ، بالاضافة الى السماح لهم باستيراد سيارة شخصية يمكن لهم التصرف بها بعد فترة زمنية محددة ، وصرف بطاقات سفر مجانية ذهاباً واياباً لاولئك الذين يتم التعاقد معهم في الخارج ، كل ذلك مصحوب بحق حرية التنقل للعامل العربي المصري بين مختلف القطاعات الاقتصادية من جهة وبين المؤسسات الحكومية والاقتصادية التابعة للقطاع الاشتراكي او بينهما وبين القطاع الخاص ، في الوقت الذي لا تحدد فيه هذه القوانين على الايدي العاملة العراقية مثل هذا التنقل الا بموجب اجراءات ادارية محددة .

رابعاً : النتائج التي ترتبت على موقف العراق من العمالة العربية الوافدة

إن موقف العراق من العمالة العربية ومعاملتها بحرية كاملة باتباعه سياسة الباب المفتوح امامها ، ترتبت عليه نتائج اقتصادية وقومية وسياسية ، بالاضافة الى النتائج العسكرية ، ويمكن ابراز معالمها كما يلي :

١ ـ النتائج الاقتصادية

أ ـ إن تدفق الايدي العاملة العربية المصرية الى العراق في الربع الاخير من عام ١٩٧٧ وبداية عام ١٩٧٨ بالشكل الذي مر بنا سابقاً ، قد مكّن القطر العراقي من الاستمرار في عملية التنمية والنمو الاقتصادي رغم الظروف المستجدة التي خلقتها الحرب العراقية ـ الايرانية ، اذ تمكن القطر العراقي من ان يسير في مناهجه الاستثمارية بوتائر متسارعة دون الاحساس بنقص الايدي العاملة الضرورية التي يقع عليها عبء ادارة المشاريع الاقتصادية القائمة من جهة ، او تنفيذ المشاريع الجديدة من قبل الاجهزة العراقية المتخصصة .

ب ـ أدى التوسع الكبير في عملية الانفاق الاستثماري والجاري وما نجم عنه من زيادة الطلب على الايدي العاملة في بداية الامر الى ارتفاع الاجور السائدة في القطر العراقي ، نتيجة محدودية الايدي العاملة المتاحة ، وهذا قاد الى تزايد الضغوط التضخمية على الاقتصاد العراقي الناجمة عن ارتفاع الكلفة . الا ان تدفق الايدي العاملة العربية المصرية قد عمل على ثبات هذه الاجور ، وعدم زيادتها بمعدلاتها المتسارعة سابقاً ، وانخفاض معدلها في بعض القطاعات وخاصة في القطاع الانشائي والنقل والخدمات الاخرى ، مما يعني تخفيف تلك الضغوط التضخمية التي سادت آنئذٍ في الاقتصاد العراقي .

ج ـ لقد نجم عن الاحتكاك المباشر بين الايدي الفنية العربية المصرية التي وفدت الى العراق وبين الايدي العاملة العراقية في مختلف قطاعات الاقتصاد السلعية والخدمية ، تطوير ملحوظ للخبرة المحلية للايدي العاملة .

٢ ـ النتائج القومية والسياسية

بعد عزل نظام السادات بسبب موقفه من العدو الصهيوني والاجراءات التي اتخذها مؤتمر قمة بغداد ، كان هناك تخوف من أن ينكفىء الشعب المصري على ذاته ، او ان يساء تطبيق مقررات مؤتمر بغداد بحيث لا يتم الفصل بين النظام المصري وبين شعب مصر ، وما يتركه هذا من آثار سلبية مخربة على الاتجاه القومي العربي . ولقد تحقق قسم من هذه التخوفات ، اذ عمدت بعض الاقطار العربية الى القيام بطرد الايدي العاملة المصرية وتحميلها مسؤولية موقف النظام المصري ، كما ان اقطاراً اخرى تشددت في موضوع دخول الايدي العاملة المصرية اليها واقتصرت على سياسة الاعارة او التعاقد المسبق وحجب تصاريح العمل والدخول والاقامة الا عن هذا الطريق ، مما عمل على زيادة عدد الباحثين عن العمل زيادة كبيرة مع عدم وجود فرص عمل جديدة تستوعبه . ولم تجد الايدي العاملة باباً مفتوحة امامها سوى القطر العراقي الذي استقبلهم بافواج متزايدة وعاملهم معاملة المواطنين العراقيين في كل المجالات ، وادى ذلك الى تفاعل قومي بين شعبي مصر والعراق ، فأصبح العامل المصري موجوداً في ابعد نقطة على حدوده الشمالية (زاخو) ، وفي اقصى حدوده الجنوبية (صفوان) ، وعلى امتداد نقاط حدوده الشرقية او حدوده الغربية (الرطبة) مساهماً في مختلف المجالات المتاحة ، سواء أكان ذلك ، في القطاعات الاقتصادية السلعية او القطاعات الخدمية ، في الحقل وفي المصنع وفي قطاع الانشاء وفي الجامعات وادارة المحلات الخاصة العائدة لهم او قيامهم باداء مختلف المهن الحرة . ان هذا الانتشار القطاعي والجغرافي للايدي العاملة العربية المصرية التي وفدت الى العراق قد اعطت دليلاً على وحدة الشعب العربي وحرية تنقله بين اقطاره ، كما افشلت الاهداف السياسية التي كانت ترمي الى سلخ مصر عن الامة العربية وابعادها عن التفاعل معها .

٣ ـ النتائج العسكرية

على اثر الحرب العراقية ـ الايرانية في ايلول / سبتمبر ١٩٨٠ ، واستمرارها لغاية هذا التاريخ بكل ما تمثله من اخطار لا تشمل العراق فحسب ، بل تشمل جميع الاقطار العربية في الخليج ، اضطر القطر العراقي الى تعبئة موارده البشرية بحرية كاملة ، ومما ساعده على ذلك وجود الايدي العاملة المصرية العربية باعدادها الكبيرة فتمكن من مواصلة الحرب والاستمرار في تنفيذ مشاريع التنمية ، او القائمة فعلاً بعملية الانتاج ، اذ ان الايدي العاملة المصرية الموجودة في القطر العراقي وباعدادها الكبيرة استطاعت ان تحل محل الايدي العاملة العراقية اينما كانت ، حينما تترك عملها وتتوجه الى سوح المعارك للدفاع عن العراق وعن الامة العربية . بل ان موقف الايدي العاملة العربية المصرية قد تجاوز هذا الحد ، اذ نتيجة للتفاعل القومي القائم بينها وبين شعب العراق حملت شرائح غير قليلة منها السلاح بنفسها لتخوض الحرب الى جانب العراقيين ، وكأنها تخوض معركتها ولا عجب ، فالروح القومية ، هذه طبيعتها ، وهذه سمتها البارزة □

الوضع اللغوي والتعريب في موريتانيا

د. عشاري احمد محمود

رئيس قسم البحوث ـ معهد الخرطوم الدولي للغة العربية .

ـ ١ ـ

تتحدث المجموعات السكانية الموريتانية اربع لغات رئيسية : اللغة العربية (لهجة الحسانية) ، اللغة البولارية ، اللغة السوننكية ، واللغة الولوفية . كما ان هناك مجموعة لغوية اخرى منتشرة بشكل رئيسي في مالي ولكن جزءاً منها يسكن موريتانيا ، وما زال هذا الجزء يحتفظ بلغته الاصلية : وهذه المجموعة هي مجموعة البمبرا . في حين ان المجموعة العربية (ويطلق عليها المور والبيضان والعرب) والتي تشكل ٨٠ بالمائة من سكان البلاد تعيش في شمال ووسط موريتانيا . اما المجموعات الافريقية (ويطلق عليها السود ، والزنوج ، والافارقة) فإنها تعيش في الثلث الجنوبي من البلاد حول نهر السنغال . ويوجد في العاصمة نواكشوط عناصر من مختلف المجموعات ، ويسمع المرء اللغة العربية بلهجات مختلفة ، تتصف بعضها بدرجة كبيرة من الهجانة تحت تأثير اللغة الفرنسية واللغات الوطنية ، واللغة الفرنسية ذات اللكنة الموريتانية الخاصة ـ ويمكن ان تكون هذه لهجة عامية للفرنسية (patois) ، وكذلك يسمع المرء كل اللغات الوطنية الاخرى .

ويبدو ان اللغة العربية ـ بلهجاتها المتباينة ـ منتشرة كلغة ثانية بين المجموعات غير العربية ، ولكن على الرغم من ذلك فإن العربية لم تتغلغل بدرجة عميقة في العاصمة نواكشوط ، وقد يكون السبب راجع للمنعة النسبية للحواجز العرقية التي تفصل بين المجموعات العربية والافريقية ، كما ان مجموعات افريقية كانت قد هاجرت حديثاً الى العاصمة نتيجة للجفاف الذي اصاب مناطقها التقليدية وحتى الآن لم تتعرض للتأثير العربي لمدة كافية .

اما اللغة الفرنسية فلها وجود ملحوظ في جهاز الدولة ، وفي التعليم ، وفي بعض مجالات الحياة اليومية العامة . وبجانب ذلك تشكل الكلمات والتعابير الفرنسية جزءاً مختلطاً مع بعض اللهجات العربية في نواكشوط .

تلعب كل هذه اللغات (الفرنسية ، والعربية ،والمحلية الاخرى) ادواراً غير متساوية في

مجالات الحياة المختلفة في موريتانيا : في جهاز الدولة ، وفي النظام التعليمي ، في السوق ، في الحياة اليومية داخل وخارج نطاق المجموعة اللغوية ، وفي ممارسة الشعائر الدينية . هذا فيما يتعلق بواقع توزيع استخدام هذه اللغات حالياً . ولكن من جانب آخر ، يأتي توزيع معياري للادوار **المتوقعة** لكل لغة وفق القوانين والمراسيم التي تصدرها الدولة في هذا الشأن . وفي جدلية التناقض بين ما هو **واقع** وما هو **متوقع** تتبدى ممارسات لغوية في غاية التعقيد وتصبح « اللغة » عاملاً مؤثراً ومتأثراً بمختلف انواع المنافسة والصراع بين المجموعات العربية والافريقية . وبذا يتوجب ان يكون السعي نحو التعريب في موريتانيا مستوحى من فهم شمولي لاشكالية المسألة اللغوية برمتها ، وليس من زاوية فهم مجرد لمشكلة « اللغة العربية » وحدها .

فعلى الصعيدين الرسمي والقانوني نلاحظ اليوم ، ان ادوار اللغات المختلفة قد تم تحديدها في مشروع الدستور الذي نشرته الامانة الدائمة للجنة العسكرية للخلاص الوطني ، بغرض طرحه في استفتاء شعبي في المستقبل. وتنص المادة السادسة من الباب الاول لمشروع الدستور على الآتي : « اللغة الرسمية هي العربية واللغات الوطنية هي العربية والبولارية والسوننكية والولوفية » . وقد أثار هذا التحديد حفيظة الكثيرين من الافارقة الذين طالبوا بأن تكون للغات الافريقية الثلاث مكانة مماثلة لمكانة العربية نفسها ، **كلغات رسمية** .

- ٢ -

ويقول بعض المثقفين الافارقة الذين تحدثت اليهم في اثناء زيارتي موريتانيا انهم قد ناضلوا طويلاً من اجل اعتراف الدولة « التي يسيطر عليها العرب » بحقوقهم الثقافية ، وان حصيلة هذا النضال هي موافقة الدولة على انشاء وتمويل « معهد اللغات الوطنية » وفق مرسوم (باللغة الفرنسية) ينص على الآتي :

المادة ١ : تنشأ مؤسسة عمومية ذات طابع اداري تسمى معهد اللغات الوطنية ، مكلفة بكتابة وتطوير اللغات الوطنية ...

المادة ٢ : تتمثل مهمة معهد اللغات الوطنية في تنظيم وتنسيق وتطوير كافة البحوث التطبيقية في حقل مختلف اللغات الوطنية .

وفي هذا الاطار يترتب على المعهد ان يقوم في المرحلة الاولى بالتمهيد لادراج اللغات البولارية والسوننكية والولوفية في التعليم والقيام بتدريب الموظفين واعداد الادوات التربوية ودراسة الانعكاسات التطبيقية والمالية لهذا الادراج ، وكذلك المشاكل التي يطرحها استخدام هذه اللغات في مختلف المهمات اللغوية « لغات تعليم ، لغات اعلام ، وسائل تفاهم ، لغات اقتصاد وعمل ...»[١] .

وقد أثار صدور هذا المرسوم مشاعر متباينة لدى مختلف القطاعات المثقفة في موريتانيا . فبينما رحب به اغلب الافارقة ـ وعارضه بعض المستعربين منهم ـ رفضه المثقفون العرب بصفة عامة . وعلى حد قول صحافي موريتاني من المجموعة العربية فإن تدريس اللغات الوطنية قد قصد منه الحد من التعريب ، وهو يتضمن عدم الاعتراف بالهوية العربية الاسلامية لموريتانيا ، وهو

---

(١) الجمهورية الاسلامية الموريتانية ، رئاسة الحكومة ، المرسوم رقم ٧٩ / ٣٤٨ / ر ح / و ت ا ت ، نواكشوط ، ١٠ كانون الاول / ديسمبر ١٩٧٩ ، القاضي بانشاء معهد اللغات الوطنية ، وتتعلق المواد الاخرى في المرسوم بالجوانب القانونية والادارية والمالية للمعهد ، (ترجم معهد اللغات الوطنية النص من الفرنسية للعربية) .

يرى ان القصد النهائي هو اللغة الفرنسية ، وليست اللغات الوطنية سوى قناع يفضحه الاصرار على الحرف اللاتيني لكتابة هذه اللغات عوضاً عن الحرف العربي . ويمضي الصحافي نفسه في القول بأن الافارقة قد انتزعوا حق تدريس هذه اللغات انتزاعاً ، في وقت كانت فيه الدولة مشغولة بالحرب مع المغرب ، فرأت الرضوخ لمطاليب الافارقة في هذا الشأن تعزيزاً للجبهة الداخلية آنئذٍ .

ونحن اذ نلاحظ في الوثائق الرسمية تركيزاً على اللغة العربية واللغات الوطنية الافريقية ، لا نجد ذكراً للغة الفرنسية ، رغم دورها البارز واستمرار استخدامها في جهاز الدولة وفي التعليم وفي الحياة اليومية . والتجاهل النسبي للغة الفرنسية في هذه الوثائق هو انعكاس للاتجاه الرسمي العام نحو التعريب ، وهو اتجاه بدأت بوادره عقب اعلان استقلال موريتانيا ورفع يد فرنسا عنها . وقد برز هذا الاتجاه نحو التعريب في محاولات الاصلاح التعليمي المختلفة .

إن برنامج اصلاح عام ١٩٧٣ استلهم استراتيجية للتعريب من قرارات حزب الشعب الموريتاني لعام ١٩٧١ الذي اكد اهمية دور اللغة العربية والثقافة العربية في بعث ونهضة القومية الموريتانية . وقد استهدف هذا البرنامج التركيز على اللغة العربية في التعليم الذي كانت تهيمن عليه اللغة الفرنسية بصفة عامة . وحدد الاصلاح دور اللغتين العربية والفرنسية في التعليم الابتدائي ـ ست سنوات ـ كما يلي :

الصف الدراسي	ساعات التدريس في الاسبوع	
	اللغة العربية	اللغة الفرنسية
الصف الاول	اللغة العربية فقط	
الصف الثاني	اللغة العربية فقط	
الصف الثالث	٢٠	١٠
الصف الرابع	١٥	١٥
الصف الخامس	١٥	١٥
الصف السادس	١٠	٢٠

وقد اعتبرت الازدواجية بين اللغتين العربية والفرنسية في كل مراحل التعليم مجرد مرحلة انتقالية في اتجاه التعريب الشامل للتعليم مع الاحتفاظ باللغة الاجنبية بدافع ضرورة الانفتاح على العالم . ولم يعط اصلاح عام ١٩٧٣ الا دوراً هامشياً للغات الوطنية في التعليم بتشجيع ادخال الاغاني بهذه اللغات في المقرر الدراسي[٢] .

وبعد ذلك جاء برنامج اصلاح ١٩٧٩ في ظروف اشتدت فيها ضغوط المجموعات الافريقية على الدولة . فبجانب الاعتراف بدور اللغات الوطنية في التعليم والموافقة على انشاء « معهد اللغات الوطنية » تركت الدولة في برنامج اصلاح ١٩٧٩ للتلاميذ الافارقة حق الاختيار بين اللغتين العربية والفرنسية ـ بينما الزمت التلاميذ العرب بمنهج عربي بحت . ويتم تعليم التلاميذ الافارقة في المدارس الابتدائية حالياً كما يلي :

---

(٢) الجمهورية الاسلامية الموريتانية ، المعهد التربوي الوطني . **اضواء على التعليم في موريتانيا** (نواكشوط : المعهد ، ١٩٧٨) ، ص ٢٨ .

الصف الاول : باللغة العربية فقط .

الصف الثاني : يختار التلاميذ بين اللغتين العربية والفرنسية ، ولكن في تفسير آخر للاصلاح ، يكون حق الاختيار للتلاميذ الافارقة غير الناطقين باللغة العربية فقط ، ويلزم الناطقون بالعربية منهم بالمنهج العربي كما هو الحال بالنسبة للتلاميذ العرب . وفي حال اختيار المنهج الفرنسي يدرس التلميذ ٢٥ ساعة في الاسبوع باللغة الفرنسية بالمقارنة مع ٥ ساعات باللغة العربية

الصفوف : الثالث والرابع والخامس ، لم يصلها تطبيق برنامج الاصلاح بعد ، ولكن حدد لها ٢٣ ساعة باللغة الفرنسية و ٧ ساعات باللغة العربية .

وهكذا كان التوزيع اللغوي في التعليم الابتدائي بنسبة ٦٥ بالمائة للغة العربية و ٣٥ بالمائة للغة الفرنسية . وقد بدأ بالفعل تطبيق هذا النظام عام ١٩٧٣ وكان الهدف « تتويجه بتعريب الاعدادية والثانوية » حيث توجد الازدواجية بدرجات متفاوتة . ومن جهة اخرى ادخل التعريب في المؤسسات التعليمية المهنية ، اذ عربت مدرسة تكوين المعلمين بنسبة ٧٠ بالمائة ، وانشئت اقسام مزدوجة ـ باللغتين العربية والفرنسية ـ في المدرسة الوطنية للادارة الى جانب الشعبة العدلية المعربة اصلاً . كذلك بدأت مدرسة المعلمين العليا تكتتب تلاميذ الشعب الادبية من المثقفين باللغة العربية ، او من المثقفين باللغتين العربية والفرنسية .

اما التعليم الاصلي او « التقليدي » المتمثل في الكتاتيب القرآنية (١٦٠٠٠ الى ٤٨٠٠٠ تلميذ) ، ومدارس ابن عامر (٢٥٠٠ تلميذ) والمحاضر (٤٠٠٠) فقد كان معرباً اصلاً .

ـ ٣ ـ

ظاهرياً ، قد يبدو برنامج الاصلاح لعام ١٩٧٩ وكأنه نكسة لاتجاه التعريب « الشامل » لموريتانيا . اذ تم الاعتراف باللغة الوطنية ، ويستمر الاعداد لادخالها في التعليم عام ١٩٨٥ ، وترك الامر للتلاميذ الافارقة (او لاولياء امورهم في واقع الامر) للاختيار بين العربية والفرنسية . ولكن بنظرة متأنية للمسألة اللغوية في موريتانيا نجد ان مجهودات التعريب قد اخذت مسالك متعددة في آن واحد . فالاتجاه نحو ازالة الحواجز ومحو الفروق لدى التعيين في جهاز الدولة بين خريجي التعليم التقليدي المعرب والتعليم الرسمي المزدوج بانحياز للفرنسية . هذا الاتجاه قد اعطى دفعة قوية للامام للتعريب والغى تأثير النكسة الظاهرية لتعليم اللغة العربية في المدارس . فبعدما كان جهاز الدولة واقعاً تحت الهيمنة شبه الكاملة للغة الفرنسية ، جاء تعيين العرب والافارقة المستعربين من غير الناطقين باللغة الفرنسية ليشكل اساساً مادياً لصيرورة تعريب هذا الجهاز واقعاً ملموساً . ومن هنا يمكن أن ندرك جانباً من جوانب معاداة الكثيرين من الافارقة المفرنسين للتعريب . فقد فهموا او وجدوا بالفعل ان الحصيلة النهائية للتعريب هي حرمانهم من بعض الوظائف في جهاز الدولة . ومن جهة اخرى يمكن تفسير اسراع بعض الافارقة في تعليم ابنائهم اللغة العربية (في مدارس الفلاح مثلاً) على انه فعل ايجابي لمقابلة المعطيات الجديدة المتعلقة بفرص العمل والتي يطرحها الاتجاه المتسارع نحو التعريب وزحزحة اللغة الفرنسية من مواقعها في جهاز الدولة . وقد وصف هذا الوضع الاخير د. **جون قريزيل** ، موظف برنامج العون الامريكي لموريتانيا ، والمتفرغ لرصد ودراسة التغييرات الاجتماعية في موريتانيا ، بأن الافارقة في سعيهم للحفاظ على المكاسب المهنية التي نالوها عن طريق معرفتهم باللغة الفرنسية يتجهون حالياً

الى هزيمة العرب في لعبتهم المفضلة تعلم اللغة العربية،وخاصة ان الافارقة الذين يصرون على تعلم اللغة الفرنسية ويهملون اللغة العربية ـ ونظام التعليم الحالي يسمح بذلك ـ سيجدون انفسهم يوماً دون وظائف . وهكذا تكتنف عملية التعريب اتجاهات متناقضة ومعقدة تتأرجح بين معاداته تارة وتكثيف الجهود للحاق بالعرب في مجال اللغة الجديدة لجهاز الدولة تارة اخرى .

وتأتي معارضة التعريب الحالي من منحى مختلف من بعض الباحثين الافارقة بمعهد اللغات الوطنية . اذ يطرحون المشكل ليس على اساس معاداة اللغة العربية. فهم يقولون بأهميتها كلغة اتصال بين المجموعات الموريتانية ، وكلغة قومية ، وكلغة دينية للمسلمين في موريتانيا ، ولكنهم يشيرون الى ان اغلبية التلاميذ الافارقة الذين يدرسون بالعربية يرسبون في امتحاناتهم ويتسربون من المدرسة لعدم ملاءمة المنهج لخصوصية اوضاعهم اللغوية والثقافية ، ولعدم تأهيل المعلمين تأهيلاً يمكنهم من تعليم اللغة العربية في هذه الاوضاع الخاصة . وهكذا ، في حد قولهم ، يروح هؤلاء التلاميذ ضحية التعريب . وهم يرون ان المخرج يكمن في اعادة النظر في الكتاب المدرسي ، وفي طرق التدريس ، وفي تدريب المعلمين وفق منهج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها . وهؤلاء الباحثون الآن بصدد انشاء قسم بمعهد اللغات الوطنية ليضطلع بالبحث في تعليم اللغة العربية كلغة ثانية .

- ٤ -

نخلص من هذا العرض للوضع اللغوي والتعريب في موريتانيا الى النقاط والاتجاهات الرئيسية التالية :

ـ تتسم موريتانيا بتعدد لغوي وبتوزيع لا متواز لاستخدام اللغات العربية والفرنسية والوطنية في مجالات الحياة اليومية وجهاز الدولة والتعليم .

ـ وتوجد بين اللغتين العربية والفرنسية علاقة غير متكافئة في مراحل التعليم الرسمي المختلفة ، فبينما تهيمن اللغة الفرنسية على المراحل العليا في النظام التعليمي ، نجد ان اللغة العربية هي اللغة الرئيسية في التعليم الابتدائي المزدوج .

ـ تتجه موريتانيا الى التخلص تدريجاً من اللغة الفرنسية واحلال اللغة العربية محلها في التعليم وفي جهاز الدولة .

ـ يتجه النظام التعليمي لموريتانيا نحو ادخال تعليم اللغة الوطنية كلغة اولى ، وتدريس اللغة العربية كلغة ثانية لكل من المجموعات اللغوية الافريقية الرئيسية الثلاث .

ـ تتباين الاتجاهات نحو التعريب بين الافارقة : البعض يعادي التعريب من منطلق الزنوجة ورفض الهيمنة السياسية والاقتصادية للمجموعة العربية الموريتانية ، والبعض يعارض التعريب الشامل من منطلق الخوف على الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي تكفلها له المعرفة باللغة الفرنسية ، والبعض الآخر يعارض التعريب كما هو ممارس حالياً من منطلق بداغوجي (تربوي)ويدعو الى اعادة النظر فيه من منظور منهج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .

ـ بصفة عامة تعارض الطبقة المثقفة العربية تدريس اللغات الوطنية وترى فيها الخطوة الاولى نحو تفتيت موريتانيا الى دويلات لغوية سياسية وفق مخطط ترسمه السنغال وفرنسا □

المثقف العربي ومهامه الراهنة

عقدت هذه الندوة في مقر مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت يوم ٣ / ٣ / ١٩٨٣ ، وقد شارك فيها طبقاً للحروف الهجائية كل من الاساتذة .

د. سليم الحص

اقتصادي ، ورئيس وزراء لبنان السابق .

د. غسان سلامة

استاذ محاضر في كلية الحقوق والعلوم السياسية في جامعة القديس يوسف في بيروت .

د. قسطنطين زريق

مفكر عربي ، واستاذ متمرس في الجامعة الاميركية في بيروت .

د. نادر فرجاني

مستشار المعهد العربي للتخطيط سابقاً وزميل زائر في كلية سانت انتوني بجامعة اوكسفورد حالياً .

ادار الندوة : **د. خير الدين حسيب**

مدير عام ، وعضو مجلس امناء مركز دراسات الوحدة العربية .

● **خير الدين حسيب** : اود اولاً ان ارحب بكم باسم **المستقبل العربي** في هذه الندوة ، لعلنا ابتداء نتفق حول الدرجة البالغة السوء التي بلغتها الاوضاع العربية حالياً ، وليس غرض هذه الندوة مناقشة هذه الاوضاع العربية المتردية بقدر ما هو مناقشة علاقة المثقف العربي بها ، ومدى مسؤوليته عنها ، وطبيعة واجبه ودوره في تصحيحها وتغييرها ، ومتطلبات وشروط هذا الدور ، بعبارة اخرى فإننا نتطلع في هذه الندوة الى مناقشة الاوضاع العربية الراهنة من زاوية محددة هي زاوية مسؤولية ودور وواجب المثقف العربي فيها .

واعتقد انه من المفيد ان نحدد اولاً المقصود بالمثقف العربي الذي نحاول محاكمته ، ثم نحدد دوره ومسؤوليته فيما انتهى اليه الوضع العربي الراهن بعد تحديد اهم ملامح هذا الوضع . واذا ما تبين لنا من ذلك التحليل ان هناك انحساراً حالياً في دور المثقفين العرب ، فسيكون من المفيد ان نتعرف على مظاهر هذا الانحسار ، ثم نحاول معاً تشخيص اسبابه ، لننتهي من كل ذلك الى تحديد المهام المطروحة على المثقفين العرب في الحقبة الحالية والمستقبل القريب ، ثم نحاول ان نتبين الشروط المطلوبة لقيام المثقفين العرب بهذه المهام ، واخيراً القنوات اللازمة للقيام بها .

فلنبدأ بالسؤال :

ـ ماذا نعني ونقصد بالمثقف العربي ؟ من هو ؟ وفي هذا الاطار ارجو ان تعلقوا اثناء الاجابة على عدد من المفاهيم :

ـ هل نعني جميع المثقفين بمن فيهم المثقف العادي والمثقف المبدع ؟

ـ هل نقصد بالمثقف العربي « المفكر العربي » ؟

ـ هل يندرج في دائرة المثقف العربي ايضاً « الخبير » المتخصص والفني ومتى ولماذا ؟

ـ ماذا نقصد بـ « العربي » في تعبير « المثقف العربي » ؟ وهل هو ايماءة جغرافية مختصرة تعني المثقفين في الاقطار العربية المختلفة ، ام انه تعبير عن اتجاه فكري عربي يقصد به المثقفون ذوو الاتجاه العربي فقط ؟

○ **قسطنطين زريق** : المثقف العربي هو الذي أوتي حظاً من الثقافة في بلد من البلدان العربية . ماذا نعني بالثقافة ؟ نعني مساهمة او مشاركة في حقول الفكر او الادب او العلم بما في ذلك الاختصاص المهني . وتُكتسب إمَّا عن طريق التعلم الجامعي او العالي بشكل من اشكاله ، وإمَّا عن طريق الاطلاع الشخصي والاكتساب الذاتي والممارسة في حقل من حقول الثقافة . طبعاً هذا التعريف تعريف عام ، والمثقفون طبقات كما ذكرتم ، فمنهم من يستطيع ان يدرك ويفهم ويشارك في الامور الفكرية او الفنية او الادبية ، ولكن ليس بالضرورة ان يكون مبدعاً في هذه الحقول ، وهناك المبدع وهناك المثقف العادي ، واظن ان جميعهم يندرجون في مفهوم الثقافة التي نعالجها اليوم . ولا شك انه يدخل في هذا التعريف العام ايضاً المتخصص الفني او المهني ، ولكن لا بد من الاشارة هنا ان هذا التخصص يجب ان يكون مرفقاً باطلاع عام على قضايا الفكر ، او غيره في مجالات الثقافة ومتابعاً لقضايا العصر وكيفية مجابهتها . ولا اظن اننا نقصر في هذا الحوار، وقد يخالفني الاخوة الزملاء ، مفهومنا هنا على المثقفين الملتزمين عربياً ، وانما نعني بصورة عامة المثقفين في البلدان العربية ، سواء أكان التزامهم قومياً عربياً او غير ذلك .

○ **سليم الحص** : إنني اميل الى الاخذ بتعريف المثقف العربي ، قد يكون اوسع قليلاً من

التعريف الذي اعتمده د. زريق ، بمعنى ان المثقف العربي هو المواطن الواعي ، انني اميل الى ان اقرن الثقافة بالوعي ، الوعي المبني على المعرفة والادراك ، والتطلع الى المستقبل ، إنني اعتبر من المثقفين كل من هو على اطلاع عن كثب على اوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، اي على اوضاع مجتمعه عامة ، مدركاً كل الادراك ما يحيط به من معطيات على كل هذه الصعد ، وكوّن لنفسه نوعاً من التطلع الى المستقبل بالنسبة الى هذه الاوضاع ، وهذا التطلع بالطبع يكون مبنياً على تلك المعرفة وذلك الادراك بحيث انه يتوجب عليه نوع من العمل او النشاط القيادي من اجل دفع مجتمعه الى ما يرى هو انه ملتزم بذلك المجتمع . انا اقرن الثقافة بالمعرفة والوعي ، وبالتطلع الى المستقبل. انا لا اعتبر ان الثقافة هي العلم ، فلا اعتبر ان المدرسة او الجامعة هي التي تقرر من هو المثقف ومن هو غير المثقف . وبهذا المعنى فإنني استطيع ان اتصوّر ان يكون هناك مثقف ولا يكون بحوزته الدرجات العلمية العالية . واستطيع ان اتصوّر رجلاً غير مثقف بالمعنى الذي اقول ، ويكون حائزاً على أعلى الدرجات العلمية . إنني لا اعتبر من المثقفين رجلاً يقضي كل وقته في المختبر ولا يعلم من امر العالم المحيط به شيئاً ! او هو يعتبر نفسه غير معني بما يدور حوله من تطورات إن على الصعيد الاجتماعي او السياسي او الاقتصادي او ما شاكل ، وإنما يكون كل همه منصباً على المختبر مثلاً . هذا عالم ولكنه غير مثقف بهذا التعريف . وهناك كثيرون من الناس ليس بحوزتهم الدرجات العلمية العالية ، وانما عندهم من الثقافة الواسعة ما يمكن اعتبارهم من طبقة المثقفين ؛ اولئك هم غير المتعلمين ولكن لديهم اطلاع واسع جداً بسبب تحصيلهم الخاص ومتابعتهم لتطورات الامور،عن كثب،وبالتالي عندهم من المعرفة والاطلاع ما يكفي لتصنيفهم ضمن طبقة المثقفين ، وبطبيعة الحال فهم قد كونوا لانفسهم نوعاً من التطلع الى المستقبل. فأنا من الذين يقولون بأن الثقافة مرتبطة بالمعرفة والتطلّع .

○ **نادر فرجاني** : أميل الى قبول تعريف د. زريق . ومن المهم التأكيد على انه لم يقصر المثقف على خريجي التعليم العالي ، فالاطّلاع الخاص يمكن أن يكون طريقاً للثقافة ؛ وهناك نقطة اخرى مهمة ، تتعلق بأن هناك شرائح مختلفة داخل المثقفين ، كما اسلف د. زريق . وأعتقد اننا يمكن أن نميز شريحة مهمة جداً ، يمكن أن نسميها طليعة المثقفين ، وهذه الشريحة قريبة لما جاء به د. الحص . لهذه الطليعة دور متميز يقتضي الغوص في الواقع والتطلع الى المستقبل . كذلك اعتقد اننا يجب ان ندخل في عداد المثقفين الذين نالوا حظاً من الثقافة في جميع البلدان العربية بغض النظر عن توجهاتهم.هذا هو ، في تقديري ، الاطار المناسب لمناقشة دور المثقفين في الوطن العربي .

○ **غسان سلامة**:ربما يتميز تحديدي بقدر من السلبية.انا لا اعتقد ان تعبير المثقف العربي ما زال اليوم ـ بسبب فقر المحتوى او بسبب تعدده ـ مفهوماً واضحاً . تعبير المثقف العربي يحمل اشكاليتين : اشكالية على مستوى كلمة المثقف ، واشكالية على مستوى كلمة العربي. ارى **الاشكالية الاولى** على الشكل التالي : حملت المجتمعات العربية التقليدية انواعاً من المثقفين التقليديين يمكن اعتبارهم مثقفين عضويين . بشكل اساسي ارى منهم ثلاثة : اولاً ، رجل الدين ، ثانياً ، رجل التعليم ، وثالثاً ، في معظم الاحيان رجل الادارة الذي تميّز في الطبقات العليا من الادارة ، مثلاً في السلطنة العثمانية او في الولايات العثمانية في المنطقة العربية ، تميز اجمالاً بقدر لا بأس به من الثقافة خارج اطار العسكر .

هذه الانواع الثلاثة من المثقفين بعد تدهور السلطنة العثمانية وقيام الدول العربية الحديثة ، تضاءل دورهم وبرز المثقف العربي الجديد اذا صح التعبير ، هذا المثقف تميز أساساً بتدريبه العلمي العالي بالاجمال ، وعلاقة ما بالغرب إمّا من خلال المدرسة وإمّا من خلال الاطّلاع الشخصي ، او من

خلال السفر الى الغرب ، ولدينا صفحات رائعة عن رفاعة الطهطاوي ولقائه بالغرب . اعتقد اننا ما زلنا في مرحلة انتقالية بالنسبة الى تحديد المثقف العربي في المجتمع الراهن ، وهي مرحلة للاسف طويلة اكثر مما كنا نعتقد ، او على الاقل اكثر مما كنت انا اتأمل ، بحيث اننا نرى في الفترة الاخيرة فئات من المثقفين التقليديين يعودون الى الواجهة وكأنهم هم المثقفون العضويون دون غيرهم . مثلاً بعض رجال الدين او حتى بعض رجال الادارة في السلطات القائمة حالياً . ونشهد من جانب آخر استيلاء السلطات على الايديولوجيا بشكل عام ، بحيث اصبح هناك صعوبة لأن تكون مثقفاً خارج الاطر السياسية القائمة . قد تكون وظيفة المثقف الاساسية هي في دفع وتطوير الذهنية النقدية ، فمن خلال استيلاء السلطة على وظيفة المثقف ، لم تعد هذه الوظيفة قائمة ، ولذلك هناك شكوك حول دور المثقف . هناك تداخل بين المثقف التقليدي والمثقف العصري اذا امكن ، التعبير لم يحسم - برأيي - حتى الساعة ، والفترة الانتقالية التي اعتقدنا في الخمسينات ، او اعتقد اخواننا الاكبر مني سناً في الخمسينات انها حسمت ، ارى اليوم في الثمانينات انها لم تحسم ! وثانياً ارى ان الوظيفة لم تعد محددة ، كما كانت محددة، في الخمسينات ، وهنا يمكن اعتبار المرحلة الحالية مرحلة تقهقر الى الوراء . ومن هنا إذا اطّلع احدنا على كتابات الاربعينات او الخمسينات ، يرى وظيفة المثقف ، وشكله ، وانتماءه الى العصرنة اكثر وضوحاً بكثير مما هي عليه اليوم .

اما بصدد **الاشكالية الثانية** المتعلقة بصفة « عربي » ، أعتقد ان ما ذكره د. حسيب في تحديده الاول هو الواقع ، اي هناك اليوم اعداد من المثقفين المشتتين في مختلف البلدان العربية القائمة ويجب ان ننطلق من هنا - باعتقادي - من الواقع وليس من المثال ، وهذا لا يعني اننا لا نريد ان نغيّر الواقع ، انطباعي الاول ان الوعي العام عندما يمكن تسميته بالانتلجنسيات العربية او فئات المثقفين العرب ، بمعنى وعي الانتماء الى مصير واحد هو في الاجمال غائب او يأتي في الدرجة الثانية ، وهذه مسألة - في رأيي - مهمة للغاية . الانتماء الاول يمكن أن يكون لدولة قائمة او الى طائفة او قبيلة ... الخ . وهذا يعني ان قيام الطليعة التي تحدث عنها د. فرجاني ، امر صعب ، لأن الارضية الحالية غير مؤهّلة لقيام هذه الطليعة.وهناك - في رأيي - ملحوظة تاريخية غاية في الاهمية،وهي ان نشوء الدول الحديثة ادى الى مزيد من التدهور في صفة « عربي » ، بمعنى اننا نلاحظ تاريخياً : في العشرينات والثلاثينات والاربعينات حتى في الخمسينات ، - ومثال د. زريق واضح على ذلك - انه كان هناك امكانية الانتقال من بلد عربي الى بلد عربي آخر دون ان يؤدي ذلك الى اي مشكلة لدى المثقفين ، والدليل ان ساطع الحصري تنقل في اربعة بلدان عربية خلال ثلاثين سنة ، وكان له في كل منها دور ريادي ، وكذلك دور عدد من المثقفين الآخرين الذين كتبوا لنا بعض المذكرات ، ودور الاداريين العسكريين في المرحلة نفسها.كان الضابط الكبير يتنقل من جيش الى آخر،وكذلك الاداري الكبير دون مشكلة،بل كان هناك وزير في سوريا ، واخوه رئيس وزراء في الاردن . كل هذه الامور اصبحت صعبة على كل الوظائف ، بما فيها المثقف . وهذا يضعف من صفة « عربي » . وهذه الملحوظة التاريخية غاية في الاهمية لأن المثقف العربي اللبناني او السوري الذي يذهب اليوم الى دولة خليجية ، ليست له على الاطلاق المكانة نفسها ، او الوظيفة نفسها التي كانت لساطع الحصري عندما انتقل من سوريا الى العراق ، او من العراق الى اليمن او الى مصر ، وليست له الصفات نفسها التي رافقتكم يا د. زريق عندما انتقلتم من سوريا الى لبنان مثلاً ، اليوم يذهب المثقف وهو في معظم الاحيان ذليل ، وله وظيفة بيروقراطية .

وملاحظتي الاخيرة هي ان الدول القائمة حالياً تُنمي هذه الخصوصيات ، وهذا يجب ان نأخذه

بعين الاعتبار ، حتى لو كان خطابها العلني خطاباً قومياً . إنها تنمي هذه الخصوصيات وتجعلك تشعر بانك غريب في البلد الذي يمكن ان تنتقل اليه .

○ **نادر فرجاني** : دار في ذهني عندما بدأ د. غسان الكلام انه من الافضل عند الحديث عن المثقف العربي ان نعنيه بصورة فئة اجتماعية . فالمفهوم المناسب ، في نظري ، هو المثقفون العرب كفئة اجتماعية ، وليس كأفراد . لأن العامل المهم في التغير المجتمعي هو دور الفئة الاجتماعية .

○ **سليم الحص** : تعقيب مقتضب على ما جاء على لسان د. سلامة . أظن انه ألقى اضواء كاشفة على كثير من الحقائق في المجتمع العربي في هذه الايام . ولكن يبدو لي ان ما قاله يعني ان المثقف العربي في محنة ، ولا يعني ان المثقف العربي غير موجود ، او ان وظيفته غير موجودة ، الوظيفة موجودة ، والمثقف موجود ، ولكن المثقف العربي في محنة . وعليه فإن هذه الندوة بالذات ، ما كانت لتنعقد لو لم يكن المثقف العربي في محنة ، والسؤال مطروح اساساً : اين هو المثقف وما هو دوره ؟ وكيف نستطيع ان نتعرف عليه ؟ قد يكون دور المثقف العربي في هذه الايام مكبوتاً ، وقد يكون مطموساً او مطموراً ، ولكن المثقف العربي موجود ، ووظيفته يجب ان تكون موجودة .

اما بالنسبة الى صفة « العربي » ، فأنا اوافق على الكثير مما قاله د. غسان . وأعتقد ان العروبة كما هي اليوم في الوطن العربي كانت صفة من تلك الصفات ولم تأخذ معنى له مدلوله القومي المؤثر كما قد يكون مقصوداً عند الحديث عن المثقف العربي اليوم . العروبة كانت صفة من تلك الصفات ، بمعنى ان المواطن العادي كان يفكر انه مثلاً بيروتي في لبنان ، انا لبناني ، انا مسلم ، انا عربي ، انا انسان في النهاية من البشر ، اي انه محاط بدوائر من الانتماء ، وهذه صفات طبيعية ، والعروبة تبدو دائرة من تلك الدوائر ، ولا تشكل التزاماً قوياً مؤثراً ، ولا ترتدي حجماً قومياً فاعلاً . وفي مرحلة من المراحل عندما كان هناك نوع من الدفع القومي العربي ولو ظاهرياً ، كان ذلك يقتضي التبعية لقيادة معينة اساساً ، وعندما تزول القيادة تزول الفورة . ذلك لأننا على درجة من التخلف ، ولم نبلغ درجة من التقدم تمكننا من السير بالتزام قومي حقيقي ، كان التزامنا بشخص او بقيادة معينة . ان ما قيل لا ينفي وجود المثقف ، ولا ينفي وجود صفة « العربي » ، ولكن نحن بحاجة الى تعريف معنى الانتماء العربي وتحديده ، اي تحديد إطاره وتنمية الوعي به . العربي موجود ولكن علينا أن ننمي مفهومه ، وننمي شعور الانتماء العربي لديه .

○ **قسطنطين زريق** : يخيل اليّ أننا في هذه المرحلة من الحوار يجب ان ننصبّ اولاً على التعريف الذي طرحته في سؤالك حول المشكلات التي يجابهها المثقف العربي سواء الخارجية منها او الذاتية ، فهذا امر يستوجب فعلاً نقاشاً ، ارجو ان نبادر اليه في الوقت الحاضر .

● **خير الدين حسيب** : استجابة للدكتور زريق ، انتقل الى السؤال التالي وهو : ما هو تقويمكم للوضع العربي العام وما هي مسؤولية ودور المثقف العربي فيما انتهى اليه الوضع الحالي ؟

وكما تعلمون هناك من يرى ان للمثقفين ، الذين يمثلون النخبة ، دوراً أساسياً في قيادة المجتمع . كما هناك ايضاً التحليل الاجتماعي الطبقي الذي لا يرى هذا الدور للمثقفين ، ولا يعتقد انهم يمثلون طبقة متجانسة ، ويعتقد ان عملية التغيير لا بد من ان تتم عن طريق الطبقة العاملة ، مع امكانية ان ينضم اليها فئة من المثقفين الثوريين الذين يمكن أن يثوروا على مصالحهم ، ويتعاونوا مع الطبقة العاملة في عملية التغيير ، فإذا كان بعضنا او كلنا ، وانا منهم ، يرى ان للمثقفين الذين يمثلون النخبة

دوراً مهماً واساسياً في عملية التغيير في المجتمع ، واذا كنا نعتقد ان الاوضاع العربية الحالية قدرية ، فما هو دور المثقفين العرب ومدى مسؤوليتهم عن هذا التردي ؟ وهل هناك حالياً انحسار في دور المثقف العربي في مجتمعه ؟ واذا كان كذلك فلماذا ؟

○ **قسطنطين زريق** : إذا أردنا أن نحلل الوضع العربي العام في الوقت الحاضر من جميع نواحيه فالحديث يطول . واذا عدنا الى التركيز والايجاز يمكن القول بأن الوضع العربي العام في الوقت الحاضر يتّصف بصفة اساسية ، ادعوها العجز ، او انعدام القدرة او على الاقل ضآلتها . القدرة على مجابهة الاخطار الخارجية الاغتصابية المحيطة بالبلاد العربية سواء كان مقصدها الاحتلال ، اقتطاع اجزاء من هذا الوطن كما تفعل الدولة الصهيونية ، او كانت غايتها التسلل او بسط النفوذ واستثمار الموارد والتحكم اقتصادياً وسياسياً في هذه المنطقة . والواضح ان البلدان العربية في هذا الوقت تبدو عاجزة او قليلة القدرة على الوقوف في وجه هذه الاخطار . ثم من ناحية ثانية هي ضئيلة القدرة عن ان تنمي ذاتها تنمية صحيحة على الرغم من كل الخطط التي وضعتها وحاولت تنفيذها في الآونة الاخيرة .. إن كل من يبحث في شؤون التنمية في البلدان العربية ، يلاحظ انها تنمية مقصرة متخلفة مشوهة ، لا تجند الموارد المادية والبشرية التي تتمتع بها البلدان العربية في سبيل مجتمع افضل . ثم ، ثالثاً ، هناك عجز او ضآلة قدرة عن التلاحم او على الاقل التضامن بين الاقطار العربية او المجتمعات العربية ، وهذا التلاحم ضروري سواء من اجل مجابهة الاخطار الخارجية او لتعزيز التنمية في سبيل مجتمع افضل . في كل هذه النواحي نجد ان القدرات ضعيفة ، او ضئيلة ان لم تكن غير موجودة .

اذاً في هذا الوضع المتردي ، ما هو موقف المثقفين العرب؟ المثقف العربي هو من يساهم في تعزيز هذه القدرات ، وما هو دوره في هذا المجال ؟ دوره هو في الرؤية الصافية ، واكتساب المعرفة الصحيحة ونشرها ، وفي التوعية كما قال د. الحص لأن الوعي الرصين هو اساس كل تقدم .

ومن هذه الناحية يقوم المثقف بدور اساسي ومهم ، ونحن اذا درسنا الحركات التغييرية او النهضات التي قامت في الغرب ، او في المجتمعات المتقدمة عامة ، نلاحظ انه قد سبقها وصاحبها توعية فكرية من قبل المفكرين . حتى الحركات التي تقوم بها طبقات اخرى غير طبقات المثقفين ، لا بد من أن تستنير وتسترشد بدعوات المثقفين ومواقفهم ، وعندما ينتمي المثقفون الى هذه الحركات ، فإن وظيفتهم هناك، تنصبّ على المزيد من التوعية ، وتصفية الرؤية ، والمزيد من اكتساب المعرفة وتطبيقها ، فالواقع ان البلدان المتخلّفة التي تريد ان تقوم بقفزة نوعية في حياتها ، لكي تكون مجتمعات افضل لا بد لها من أن تتخذ من المعرفة الصحيحة اساساً لنهضتها . نحن اليوم ندخل عصر المعرفة ، والقدرة الاساسية في المجتمعات المتقدمة هي تلك المستمدة من المعرفة ، وليس من الشعارات او الايديولوجيات . وهنا يكون دور المثقفين في رسم الغايات ، واختيار الوسائل وتصنيف الاولويات وفي النضال الدائم داخلياً في سبيل بلوغ المرتجى.

○ **سليم الحص** : أود ان أعبر تعبيراً آخر عن التشخيص الوافي والمستفيض الذي ابداه د. زريق لمختلف اوجه محنتنا في الوقت الحاضر . اعتقد اننا نعيش ضياعاً بين مشكلة وقضية . ومن الواجب ان نعي ذلك حتى نستطيع ان نخلص القضية من المشاكل العالقة بها . المواطن العربي يعيش مشاكله اليومية ولا يعيش قضيته ، وكذلك المثقف ، فبعد مسلسل المحن التي مرت اصبح الى حد بعيد يعيش مشكلة ولا يعيش قضية ، يعني ان نظره قد غاب عن القضية بجوهرها . واذا ألقينا نظرة عامة على الوضع العربي كما هو اليوم نجد ان كل بلد عربي والمواطنين فيه يعيشون مشكلة حدود او مشكلة

احتكاك بين هذا البلد وجاره . وهناك تقريباً مشاكل بين كل بلد وجاره . وإليك مثلاً المشاكل التي يعيشها ابناء الخليج هذه الايام ، فهم يعيشون تحت هاجسين : الحرب العراقية ـ الايرانية وما يترتب عليها من اخطار وذيول ، ثم مشكلة النفط التي تفجرت بعد الخلافات التي ظهرت في اجتماعات منظمة الاوبك ، وما يترتب عليها من انعكاسات سواء على حياة المواطن العادي او على اوضاع البلدان العربية في الخليج عامة . وبالنسبة الى المشرق العربي فهناك الخطر الاسرائيلي الجاثم . فالمواطن اللبناني مثلاً يعيش محنة عنيفة جداً بسبب الاحتلال الاسرائيلي وما يترتب عليه من اخطار على مصيره القومي والوطني وحتى على مصيره الشخصي. وكذلك سائر دول المشرق العربي التي يتهددها الخطر الاسرائيلي. فكل البلدان العربية تعيش مشاكل ، اما القضية فقد غابت في حمأة المشاكل التي يعيشها المواطن والتي تعيشها البلدان العربية . وانا كثيراً ما اعبر عن هذا الواقع من زاوية المواطن اللبناني الذي يريد ان يكون وطنياً وقومياً بالمعنى الصحيح ، فيجد نفسه يعيش نوعاً من انفصام الشخصية . فيجد المواطن نفسه انه مع العروبة بالمطلق ولكنه ضد الحكومات العربية، لأنه غير راض عن ممارساتها وسياساتها ، وهو مع القضية الفلسطينية كلياً ولكنه ضد التنظيمات الفلسطينية فيما بدر عنها من ممارسات شاذة . وهو مع الشرعية اللبنانية ، ولكنه ضد الدولة اللبنانية فيما يصدر عنها من تقاعس بحقه او تخاذل او تقصير وما الى ذلك . فكيف نتصور وضع المواطن المثقف في لبنان الذي يجد نفسه مضطراً ان يعيش هذا النوع من انفصام الموقف او انفصام الشخصية . هناك مشكلة وهناك قضية . وقد اختلط الامران على الفرد العربي. فضاعت القضية بالمشكلة . واظن ان من واجب المثقف العربي ان يعكف على اعادة صوغ القضية حتى يخلصها من المشكلة ، حتى تعود القضية الى نقاوتها ، فمن زاوية لبنانية مثلاً هناك قضية وطنية ضاعت في المشاكل التي نعيشها ، والمشاكل اكثر مما يستطيع المرء ان يحصي : مشاكل السلامة اليومية ، مشاكل الامن ، مشاكل الماء والكهرباء ، مشاكل معيشية يومية ، مشاكل البطالة الى ما هنالك . ان المشاكل التي يعيشها المواطن اللبناني تطغى على كل تفكير آخر . ونحن نطلب منه ان يعي قضيته الوطنية والقومية . إذا احببنا أن نضعها في ضوء آخر ، فإننا نقول إنه كان لطغيان المشكلة على القضية أثر في تغليب المنظور القصير على المنظور البعيد في تفكير المثقف قبل المواطن العادي . ويفترض بنا ـ كما قال د. زريق ـ ان ننتظر من المثقف دوراً قيادياً ، ولكن الدور القيادي يتلازم مع منظور بعيد المدى في التطلع الى المستقبل ، ولكن كيف ننتظر من المثقف ان يفكر بالمنظور البعيد المدى وهو منشغل بمشاكل يومية ، وعلى غير يقين من شأنه اليومي؟ كيف تستطيع ان تخاطب المدى البعيد وانت على غير يقين من المدى القصير ؟ كيف تستطيع ان تفكر في غيرك وانت غير أكيد من يومك اساساً ؟

محصلة القول ان المثقف العربي مطلوب منه ان يرتفع فوق المشاكل التي يعيشها ، وهذا يتطلب الكثير من الإقدام والتضحية وحتى المكابرة حتى يتحلل فكرياً من المشاكل اليومية التي يعيشها ليعرف القضية ويعيد صياغتها ويبشر بها ويدعو اليها في اطار التوعية التي تحدث عنها د. زريق . وانا اتصور ان المسألة الكبرى اذا شئنا ان نحدد مواطن المرض ، تتمثل في اكثر ما تتمثل في غياب الديموقراطية والحريات في الوطن العربي عامة . الحريات في محنة وكذلك الديموقراطيات ، إذاً المثقف العربي في محنة كيف يستطيع المثقف العربي ان يعبّر عن نفسه وان يقوم بدوره القيادي او الرائد الذي ننتظره منه وحريه التعبير مقيدة والديموقراطية غائبة : انا اتصور لو كانت الديموقراطية حية لكان فيها الآليّة لتصحيح مسار معيّن ، او الدفع في اتجاه معيّن . فالمثقف العربي وهو يسعى الى تخليص القضية من المشكلة عليه ان يركز بشكل خاص على الحريات والديموقراطية ، لا يمكن ان ينهض المجتمع العربي

من محنته ما لم نتوصل الى قدر من الحريات والديموقراطية يُؤمن للمثقف حرية العمل وحرية الممارسة وبالتالي القيام بالدور القيادي المطلوب .

○ **غسان سلامة** : انا اعتقد انه تم تشخيص الوضع العربي العام كما جاء في السؤال بشكل جيد ، سواء ما جاء على لسان د. زريق من تركيز على انعدام القدرة العربية في مواجهة الخطر الخارجي او المشاكل الداخلية او ما جاء على لسان د. الحص فيما يخص طغيان المشاكل على القضية . واعتقد ان المسألتين اساسيتان في المرحلة الحالية. وما يأتي ليس الاّ إضافة ثانوية على هذين التشخيصين. كلنا يعرف ما يجري حالياً من حروب اهلية ومن حروب بين الدول غير مبررة ومكلفة للغاية ومن انعدام التنمية الحقيقية ... الخ . ومن اهم عناصر الوضع الراهن حالياً هو امكانية السلطات القائمة الحصول على وسائل استمرار لم تكن متوفرة للسلطات العربية سابقاً . وهذه الوسائل تتم ان بالاتفاق بين سلطات مختلفة ايديولوجياً ومتفقة على ضرورة الاستمرار معاً او في تملك وسائل تجسس وقمع متقدمة . هذان الامران يجعلان السلطات القائمة وكأنها غير قابلة للزوال . وهذا شيء محبط جداً لاكثرية الشعوب العربية ، وهي شعوب تسعى الى التخلص من هذا الوضع . وفي رأيي ان العنصر الاساسي في المشكلة الحالية هو ان السلطات العربية : فئوية : مطلقة : تبدو وكأنها صعبة الاستبدال اكثر مما كان ممكناً في الاربعينات او الخمسينات او الستينات . وهذا مأزق أساسي امام المعارضة العربية إجمالاً ، بما فيها معارضة المثقفين .

للجواب عن الجزء الثاني من السؤال ، اي ما هو دور المثقف في ظلّ هذا الوضع الراهن ، اعتقد بأنه يجب الا نعظّم دور المثقف الى اقصى الحدود . كأن دوره بالاجمال في الوضع الراهن وللاسف ثانوي ، بمعنى انه ليس مسؤولاً بشكل أساسي عما حصل . وثانياً ، لأنه لم يقم بدور لكي يصبح دوره طليعياً . هناك شرائح واسعة من الفئة الاجتماعية المثقفة ، وفي معظم البلدان العربية إن لم يكن في كلها ، لعبت دوراً هائلاً في اسباغ شرعية مصطنعة على هذه السلطات بأن قامت بدور مستحدث عصري لما كان يقوم به سابقاً شاعر البلاط . إن جزءاً كبيراً من المثقفين العرب حالياً هم شعراء بلاط ، بمعنى انهم سُلّموا من قبل السلطات دور الوسيط الدعاوي ، وقاموا بهذا الدور على اكمل وجه لخدمة السلطات ، واحياناً على حساب زملائهم واصدقائهم وقاموا بتشريع القمع والقهر ... الخ . وفي بعض الاحيان ايضاً بالمشاركة فيه . ومن هنا دور المثقف في الوضع الحالي إذا كانت بالفعل الصفة التي ذكرتها وهي وجود سلطات فئوية مطلقة وصعبة الاستبدال هي صفة اساسية ، اذا كان هذا التشخيص صحيحاً ، فإن دور المثقف كان مهماً بالنسبة له ، لأنه ساهم في اسباغ شرعية غير مبررة على هذه السلطات ، ولو انه كان ثانوياً في عملية قيام هذه السلطات .

○ **نادر فرجاني** : بعد ما قيل ، خاصة ما تفضل به د. زريق ، لا يمكن تقديم الا اضافات على المتن .

في حدود مثل هذه الاضافات ، ارى انه من الضروري في تشخيص الازمة الراهنة في الوطن العربي تبين ان هناك مشكلة جماهير . مشكلة الانظمة متفق عليها. ولكن يبدو ان هناك تغييباً شبه كامل للجماهير العربية عن ساحات العمل السياسي حتى تجاه حدث خطير مثل غزو اسرائيل للبنان . وهذا لم يكن حدثاً لبنانياً ، او فلسطينياً ، فقط ، وانما هو حدث عربي خطير في المقام الاول . واهمية هذه النقطة ان لها انعكاسات على المستقبل .

هناك ازمة جماهير بمعنى تغيّب العرب عن ساحات العمل السياسي في اوطانهم ، في وقت ما كان يتصور ان يغيبوا فيه ، تجاه حدث عربي مصيري . ولهاذ الغياب بالطبع اسبابه . ولكن هذه الازمة يمكن وصفها بأنها هيكلية ، اي تتصل بصلب البنية الاجتماعية ـ السياسية . والازمة الهيكلية لا يمكن التغلب عليها بسرعة . ولهذا يتوقع ان تستمر ازمة الجماهير لفترة قادمة . واهمية هذا الاستنتاج ان هناك ادواراً معينة للمثقفين في الازمات ، او فترات الانحسار ، تختلف بطبيعتها عن ادوارهم في فترات الصعود القومي او الاجتماعي .

اما عن دور المثقفين ، فقد وضعنا د. زريق على بداية طريق واضح . ويمكن أن نحدد ثلاثة معايير نستطيع ان نقوّم بها الاوضاع في الوطن العربي كما نستطيع ان نقوّم بها دور المثقفين ، سواء في الماضي او فيما يجب ان يقوموا به في المستقبل . هذه المعايير هي الانماء والوحدة والتحرر ، وهي تتفاعل بقوة فيما اسميه مشروعاً قومياً للتنمية في الوطن العربي . الانماء يقصد به تطوير القدرة الانتاجية الذاتية لاشباع حاجات الناس ، ويستهدف تحقيق العدالة الاجتماعية ، ويقوم بمشاركة فعّالة من الناس في تسيير شؤون المجتمع . وتتعاضد جهود الانماء عضوياً مع العمل تجاه الوحدة ، والنضال من اجل التحرر من التبعية لمركز النظام الرأسمالي العالمي . بهذه المعايير يمكن تقويم الاوضاع في الوطن العربي ، وبقدر مساهمة المثقفين في العمل الجاد نثمن مشاركتهم من اجل الانماء والوحدة والتحرر في الوطن العربي .

وقد ذكر د. زريق ثلاث نقاط اساسية في توصيف دور المثقف ، وهي المعرفة والرؤية الصافية والتوعية .وتكوين المعرفة وبلورة الرؤية الصافية ادوار مهمة ومحددة للمثقفين،ولكنهما يختلفان جوهرياً ، في تقديري ، عن التوعية في انهما لا يقتضيان تفاعلاً مباشراً مع الجماهير . اما التوعية فهي العامل الحاسم الذي ينقل المثقف من وجود فردي الى دور مجتمعي مهم ، وهو المساهمة في التغيير عن طريق تجلية وعي الجماهير . وانا لا اتصور ان للمثقفين دوراً جوهرياً في عملية التغيير ذاتها ، انما دورهم الجوهري هو في تجلية وعي الجماهير تحضيراً للتغيير . ويجب ملاحظة انه لا يمكن تجلية وعي الجماهير بفعالية الا على اساس من الرؤية الصافية التي تقتضي بدورها المعرفة المتعمقة . وعلى هذا ، فإن دور المثقفين في التغيير المجتمعي هو ، في تقديري ، ثانوي ، وإن كان دورهم في تجلية الوعي جوهرياً . وعلينا أن نقوّم دور المثقفين العرب في حدود هذا التصوّر .

عن السلطة القائمة في البلدان العربية ، جاء في كلام د. غسان ان هناك من العوامل وما يجعلها « وكأنها غير قابلة للزوال » واعتقد ان الكلمة المحورية هنا هي : وكأنها . لأنه لا توجد سلطة غير قابلة للتغيير . إنما يبدو ان بعض المثقفين تصرّفوا وكأنّ السلطات مخلّدة ، مع ان هناك امثلة في التاريخ الحديث عن سلطات كانت تبدو وكأنها غير قابلة للتغيير ولكنها زالت بأشكال مختلفة ، وفي تصرفهم على هذا النحو ، اهدر المثقفون العرب مكوناً مهماً من دورهم المجتمعي .

النقطة الاخيرة هي عن الحريات والديموقراطية. أعتقد ان هذه ليست مسألة مطالبة كلامية فقط ، بل هي محور نضال ، ومن اجل الحرية والديموقراطية يجب ان يعتمد المثقفون دوراً جوهرياً في الكفاح . فالاكتفاء بالمطالبة قد يدغدغ الحواس ويريح ولكنه لا ينقلنا خطوة على الطريق نحو الديموقراطية.

● **خير الدين حسيب** : قبل الانتقال الى السؤال التالي ، يبدو ان د. فرجاني قد أجاب عن

التساؤل الذي قلته في البداية ، عندما قال ان دور المثقفين ثانوي في عملية التغيير . هل هناك اتفاق على هذا ؟

○ **قسطنطين زريق** : طبعاً من يلاحظ التغيرات التي تحدث في المجتمعات الحاضرة ، وخصوصاً المجتمعات المتخلفة ، يجد ان دور المثقفين هو فعلاً دور ثانوي . هذا اذا نظرنا اليه على المدى القريب ، بصورة خاصة ، اما اذا نظرنا الى الامر على المدى البعيد ـ كما اقترح د. الحص ـ فلا شك ـ في نظري ـ ان دور المثقفين يتقدم ويرتفع ولا يبقى ثانوياً . ذلك انه لا يجب ان نقلل من قيمة الفكر ومن قيمة التوعية التي تكلمنا عنها كثيراً في احداث التغيير المنشود . هذه التوعية التي لا تبدو ثمارها في سنوات قريبة ، هي التي ستُحدث في المستقبل التغيرات الصحيحة والثابتة ، ولا نريد التغيرات الفجائية التي قد تنقل المجتمع من حالة الى حالة ، ولكن الحالة الجديدة لا تأتي افضل من السابقة . إننا نبغي الانتقال من حالة مريضة سيئة الى حالة صحيحة جيدة . وهذا لا يمكن أن يحدث الاّ بفعل الفكر الصحيح ، ولذلك فمهمة المثقف الذي يطلب منه ان يحمل هذا الفكر هي مهمة اولية ، خصوصاً اذا نظرنا اليها على المدى البعيد .

واقترح اذا شئتم تنظيم الحوار ، ان نحدد اولاً ما هي الصعاب التي تجابه المثقف العربي ؟ فالمثقف العربي في محنة ، ما هي الاسباب الخارجية للمحنة ؟ وما هي الاسباب الداخلية الخاصة بالمثقف العربي؟ نبدأ بالاسباب الخارجية وقد ذكرنا منها : الاوضاع العربية ، الفئات الحاكمة ، تغلب المشاكل على القضايا ، انعدام الحريات ، اضطرار المثقف العربي الى الاهتمام بالمشاكل اليومية ، في اجواء التضخم المادي والقيم الاستهلاكية . هذه كلها تضيّق فاعلية المثقف ، وهذه يمكن ان نحصرها وان نسردها ، لكن بعد ان نسردها يبقى هناك سؤال آخر وهو : هل المثقف العربي ـ مع اخذ كل هذه العوامل الخارجية في الاعتبار ـ هو في محنة داخلية ذاتية ؟ وهل يقوم بمهمته ؟ وهل يتصدى للاحباطات التي ترهقه وترهق مجتمعه تصدياً صحيحاً ؟ هذا ما اعتقد انه يجب ان يأخذ جانباً من اهتمامنا ، بل على الاقل الجانب الرئيسي ، لأني ارجو ان يكون من هذا الحوار نداء او بداية نداء الى المثقفين العرب الذين يشكون دائماً من الصعاب التي تحيط بهم وقلّما ينتبهون الى احباطاتهم الذاتية وتصوراتهم الداخلية في سبيل تحسين عملهم وتعزيز اثرهم ، وتأدية رسالتهم على الوجه الأكمل .

○ **سليم الحص** : عبّر د. زريق خير تعبير عن الكثير مما كنت سأقوله ، ولكني اريد ان اضيف بعض الملاحظات . اذا كان المثقف العربي في محنة ذاتية داخلية ام لا ، فنحن نتمنى ان يكون في محنة داخلية ، يعاني من الوضع الذي هو فيه اليوم ، وإلا اذا كان مستكيناً لما هو عليه اليوم ، فنحن عندئذٍ في محنة حقيقية لا خلاص منها . واريد ان أتوسع قليلاً في نقطة اثارها د. زريق وهي : المدى القصير والمدى البعيد ، اعتقد ان مفاهيم كثيرة عندنا تتغير في المدى القصير ، وبالتالي يجب ان يكون هناك دور للمثقف العربي حتى في المدى القصير . د. زريق قال ان للمثقف العربي دوراً في المدى البعيد من حيث توضيح الرؤية والتوعية وما الى ذلك ، وهذا دور اساسي بالنسبة الى المثقف العربي . ولكن حتى في المدى القصير ، اعتقد ان هناك مفاهيم كثيرة تتغير سريعاً ، فإذا لم نتدارك الامر فقدناها الى غير رجعة . هناك مثلاً المفهوم المتعلق بالخطر الاسرائيلي ، إنه يتغير بسرعة كلية وجذرية عند العرب كلهم ، وعند المواطن العربي منذ الغزو الاسرائيلي للبنان . هناك نوع من رد الفعل او الانفعال تجاه الازمة التي مر بها لبنان .

وبالنسبة للاجتياح الاسرائيلي ، يتجسد في نوع من الكفر ـ إن صحّ التعبير ـ بالصورة ، وقد

اقترنت بالعرب وبالعروبة ، فهذه ظاهرة خطرة برزت في المرحلة الحاضرة ؛ فهل نتركها تتطور وتترسخ ؟ اين دور المثقف لتدارك هذا الوضع والحيلولة دون استمراره ؟ هناك ايضاً في المرحلة الحاضرة إثارة للانقسامات الطائفية والمذهبية في الوطن العربي اجمع ، وربما المقصود من هذا الامر تفتيت الوطن العربي الى دويلات طائفية ومذهبية ، فهل ندع هذه تمر وتتأصّل فنصبح اسرى لها في المدى الابعد ؟ هذا ما نشهده حالياً في لبنان ، وهو حاصل في كل البلاد العربية دون استثناء تقريباً متى كنا نسمع بالتمايز الطائفي كالذي يجري الحديث عنه في سوريا والعراق وفي مصر ، وفي كل الوطن العربي . هذا التمايز لم يكن يجري على لسان ، ولم يكن يتبادر الى ذهن في الماضي ، فإذا به اليوم هو المشكلة في الشرق الاوسط كله . فهل نترك هذا المفهوم يمر في المدى القصير؟ وما هي وظيفة المثقف العربي في تدارك هذا الانجراف ؟ انا اعتقد ان القضية الاساسية اليوم هي ان نبقى على قيد الحياة ، بالمعنى الوطني والقومي . يُروى عن كينغز قوله عندما سئل عن نظريته ، وقيل له ان نظريته هذه تنطبق على المدى القصير ولا تنطبق على المدى البعيد ، أجاب : « بالطبع لأننا في المدى البعيد سنكون كلنا في عالم الغيب » . فأنا لا اعتبر ان مهمة المثقف العربي ثانوية في المدى القصير ، فمهمته اساسية جداً ، في المدى القصير ايضاً وليس فقط في المدى البعيد . وإلا تغيرت كل مفاهيمنا وقضي على قضيتنا .

○ **نادر فرجاني** : بالنسبة الى دور المثقفين ، ما عنيته بالتحديد ان دور فئة المثقفين ، كفئة اجتماعية ، في عملية التغيير المجتمعي هو دور ثانوي . وكونه دوراً ثانوياً لا يعني بالضرورة استبعاد ان يكون حاسماً تحت شروط معينة . واستعمل تشبيهاً لتوضيح المقصود وهو شعلة النار الضئيلة التي تشعل فتيل اصبع الديناميت ، اذا توفرت الشعلة يمكن أن ينفجر اصبع الديناميت . ولكن ، في النهاية ، ما ينفجر هو اصبع الديناميت ذاته . اما لو كان الديناميت فاسداً فلن يفيد توفر الشعلة . كذلك يمكن أن ينفجر الديناميت وان لم تتوفر الشعلة اذا ارتفعت درجة الحرارة الخارجية بما يكفي . وتصوري ان دور المثقفين هو كدور هذه الشعلة التي **يمكن** ان تشعل فتيل اصبع الديناميت .والتشبيه مع الفارق طبعاً لأن التغيير المجتمعي ليس مجرد انفجار .

لكنني اقبل بتفرقة د. زريق بين دور المثقفين والفكر . وأنا لا اعتقد ان دور الفكر ثانوي . ولكن ازعم ان الفكر ليس نتاجاً اجتماعياً لفئة المثقفين فقط ، وإنما الفكر نتاج اجتماعي لتفاعل فئة المثقفين مع القوى الاجتماعية الاوسع . وبهذا الشكل يكون الفكر نتاجاً مجتمعياً يتعدّى فئة المثقفين . وعندما تتفاعل فئة المثقفين مع مجتمعها تفاعلاً حياً ينتج فكراً قائداً ، ويكون لهذا الفكر ـ اذا تبنته قطاعات عريضة ومنظمة من الجماهير ، وليس لفئة المثقفين ذاتها ـ دور جوهري في عملية التغير .

○ **سليم الحص** : هل تقصد فيما هو الواقع او فيما يجب ان يكون بالنسبة للمثقف؟ فيما هو الواقع فإن دوره ثانوي ، وأمّا فيما يجب ان يكون فإن دوره كبير جداً .

● **خير الدين حسيب** : في اجابتنا عن السؤال السابق حول الاوضاع العربية الراهنة ، ومسؤولية المثقف في تردّي هذه الاوضاع ، سواء كانت مسؤولية المثقف العربي ايجابية ، اي انه يساهم ايجابياً في هذا التردّي ، ام سلبية بمعنى انه لم يساهم في ايقاف هذا التردي ولم يحل دونه ، نستطيع ان نستنتج ان هناك انحساراً عاماً في دور المثقف العربي في ضوء الاوضاع العربية الحالية ؛ كما اشرتم حضراتكم الى بعض مظاهر هذا الانحسار .

وقبل ان ننتقل الى الكلام عما يجب ان يقوم به المثقف العربي ، لا بد من أن نحاول تشخيص

الاسباب الداخلية والخارجية لانحسار دور المثقف العربي . فما هي الاسباب الذاتية التي تتعلق بالمثقف العربي نفسه؟ وما هي الاسباب الخارجية التي تجعل دور المثقف العربي سلبياً ؟ ونحن هنا نتكلم عن التيار العام الغالب بين المثقفين العرب مع التسليم بأن هناك استثناء او قلة من المثقفين العرب الذين ينطبق عليهم هذا التشخيص ، فعلى سبيل المثال يقال ضمن العوامل الذاتية الداخلية للمثقف العربي ، موضوع تغليب الخاص على العام بما في ذلك القيم الفردية ، والقيم الاستهلاكية التي انغمس فيها المثقف العربي .

العامل الآخر هو العلاقة بالسلطة ، والارتباط والتداعي امام السلطة . ثم عامل التغريب والارتباط بالغرب الرأسمالي سواء أكان فكراً او قِيَماً وسلوكاً . أمّا عن العوامل الخارجية التي تؤدي الى هذا الانحسار لدور المثقفين العرب فقد اشار د. الحص الى غياب الحريات والديموقراطية ، وقد تكون هناك عوامل خارجية اخرى تؤدي بالمثقف العربي الى ما هو عليه الآن . فأرجو ان تتفضلوا بالتحدث عن الاسباب الداخلية والخارجية التي ادت الى انحسار دور المثقف العربي تمهيداً للانتقال الى السؤال التالي وهو : كيف يمكن ، او ما يجب ان يقوم به المثقف العربي في المستقبل ؟

○ **قسطنطين زريق** : لقد ورد في المناقشات السابقة الكثير من الاسباب الخارجية التي يتعرض المثقف العربي لها في الوقت الحاضر . ويمكن أن ننظر الى المثقف من ناحيتين : من حيث انه جزء من المجتمع ، ومن ناحية ثانية من حيث كونه عامل تغيير في المجتمع . فالمثقف العربي ، إذا نظرنا اليه من الناحية الاولى ، نراه يتأثر بما يتأثر به غيره من مواطني البلاد العربية في الوقت الحاضر ، ويعاني من غياب الحريات والاحباطات الكثيرة : المعيشية وغيرها ، التي تحيط بالمواطنين جميعاً . انه يتأثر بالقيم الاستهلاكية الغربية ، وبالتسابق الى اقتناء الاشياء واكتساب المال والنفوذ . ولكن جوهر التساؤل الذي يجب ان يقلقنا هو : ما هي ردة فعل المثقف العربي ؟ إن ردة فعل المثقف العربي في الواقع ـ إتباعاً للتمييز الذي اراده د. الحص بين الواقع وبين ما يجب ان يكون ـ تبدو ضعيفة ومتراخية . ويغلب دوره التأثري على دوره التأثيري،واشارك د.سلامة قوله ان المثقف كان له في احيان كثيرة دور تأثيري مضر ومضلل ، اذ اصبح فعلاً عوناً للسلطات الحاكمة ، بدلاً من ان يكون ناقداً لها . انا أعتبر ان المحنة الداخلية الذاتية للمثقف العربي تدور حول نقطة اساسية هي : ان للثقافة معنى وقيماً خاصة ، فهل يتجسد هذا المعنى وهذه القيم في تفكير المثقف العربي ام لا؟انها اذا لم تتجسد،فهو يتخلى عن دوره الثقافي والتثقيفي.يمكن أن يدعى مثقفاً ولكنه لا يقوم بالدور الثقافي الحقيقي لأنه لا يمثل معاني الثقافة وقيمها . ان لكل مهنة مقاييسها وقيمها : نأخذ التاجر مثلاً، ما هي مقاييسه وما هي غاياته ؟ الربح السريع ! اذا كانت هذه المقاييس والغايات هي السائدة عند المثقفين ايضاً ، فمعنى ذلك انه ليس اميناً لجوهر مهمته ومطالبها ، وليس بالتالي خليقاً بالنضال الضروري لتحقيق القيم الثقافية ، وليس قادراً عليه . إذاً المثقف امام اختيارين ، إمّا ان يخضع للمؤثرات الخارجية التي تضعفه ، وتحدُّ من فاعليته وإمّا أن يقاوم . وارجو ان نتداول في كيفية المقاومة هذه ، مقاومة هذه المؤثرات السلبية وسلوك السبيل القويم الذي تفرضه المهمة الثقافية ، والذي به يتميز المثقف فعلاً ، لا اسماً ، عن سواه .

○ **سليم الحص** : ليس عندي الكثير لأضيفه الى ما ادلى به د. زريق ود. حسيب وإنما اعود الى كلمة وردت على لسان د. فرجاني عندما قال فلنبحث في المثقفين كفئة اجتماعية . نحن عرضة للانجرار الى الحديث عنهم كمجموعة افراد ، المثقف كفرد . ونطبق ما يصح على الفرد ليصبح قاعدة للجماعة . ولكن هذه الفكرة : ـ المثقفون كفئة اجتماعية ـ تطرح سؤالاً اساسياً وهو ما الذي يميز المثقف العربي

كفئة اجتماعية؟ هل هناك مؤسسة اسمها مؤسسة المثقف العربي ؟ هل هناك بند اسمه بند المثقف العربي؟هل هناك كيان اسمه كيان المثقف العربي؟حتى نستطيع ان نتحدث عن فئة المثقفين.اذا وجد ذلك ربما كان لنا ان نحاسب المثقف العربي عمّا فعل اولم يفعل . انا اظن ان هذا يعيد الى الاذهان فكرة سبق طرحها ، وهي غياب الحريات والديموقراطية في البلدان العربية اجمع . لو وجدت الحرية والديموقراطية لكان صوت المثقف العربي مدوياً . وكان دوره هو الفاعل ، لكن من ناحية اخرى يمكن القول انه لو وجدت الحرية والديموقراطية لكان الدور الذي نطلبه من المثقف اقل من دوره في الوقت الحاضر حتى في ظل غياب الحريات والديموقراطية ؛ إلّا ان هذا لا يعفي المثقف من دوره في الوقت الحاضر حتى في ظل غياب الحريات والديموقراطية ، لا بل إن هذا الغياب يُحمله المزيد من التبعات . ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو كيف نطلب ذلك من المثقف كفرد . فالمثقف يكون دوره فاعلاً وكبيراً عندما يكون في مجموعة ومجموعة منظّمة ، فأين المنبر ؟ اين الكيان؟ اين المؤسسة؟ اظن هذا النقص هو الذي غيّب المثقف العربي . اما عن الاسباب التي ادت الى هذا الانحدار ، فأنا موافق على الاسباب التي ذكرت .

o **نادر فرجاني** : في تشخيص الاسباب ، اعتقد انه من الصعوبة بمكان الفصل بين الذاتي والعام ، كما أشار د. زريق . لكن اذا كان هناك عامل اساس في تلك التي ذكرها د. حسيب ، فعندي انه الارتباط بالغرب الرأسمالي ، اذ انه ينعكس عضوياً من العاملين : الاول والثاني المتعلقين بتغليب الرفاه الخاص على العام والارتباط بالسلطة او التداعي امامها . والسبب في هذا هو ان الارتباط بالغرب الرأسمالي يكوّن متصلاً يبدأ من الفكر ، مروراً بالقيم ، وينتهي بانماط السلوك ، ويحدد الدور المجتمعي للفرد .

فالدور المجتمعي للفرد في اطار هيمنة النظام الرأسمالي ، وان كان مشوَّهاً ، هو دور تنافسي فردي يسعى لتعظيم الرفاه الخاص ، مما يستدعي تغليب الرفاه الخاص على العام في مجتمعات كثيراً ما يقوم فيها التناقض بين هذين المستهدفين.

كذلك ، يكاد الارتباط بالغرب الرأسمالي ، فكراً وقيماً وسلوكاً ؛ ان يجعل من المثقف العربي مستشرقاً ، مما يضع حاجزاً أساسياً بينه وبين الجماهير العربية . ويؤدي عدم ارتباط المثقف العربي بالجماهير ، فكراً وسلوكاً وتطلعات مستقبلية ، الى الموقف الضعيف امام السلطة . فالاساس الوحيد الذي يمكن أن يقوم عليه موقف قوي للمثقف تجاه السلطة هو الارتباط بالجماهير . ولهذا الارتباط مستويات متباينة القوة ، اضعفها التوحد الفكري مع مصالح الجماهير الواسعة .

لكل هذا ارى ان ارتباط المثقفين العرب بالغرب، فكراً وقيماً وسلوكاً ، هو احدى النقاط الاساسية التي يجب التركيز عليها في تحديد اسباب انحسار دور المثقفين العرب . وميزة هذا التركيز انه يقدم لنا موطىء قدم في دعوة المثقفين الى نوع من « الجهاد الاكبر » للتحرر من سطوة الغرب الرأسمالي سعياً لزيادة فعاليتهم في العمل نحو التقدم والوحدة والتحرر .

وفي مناقشة انحسار دور المثقفين ، ارى انه يجب التفرقة ، سواء من حيث توصيف الدور الحالي او التطلع المستقبلي ، بين شرائح مختلفة داخل فئة المثقفين لها ادوار متباينة في اي مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي . هناك شريحة من المثقفين ستعمل باخلاص وتفانٍ لمصلحة المشروع القومي للتنمية على محاور الانماء والوحدة والتحرر ، وهذه شريحة الطليعة . ولكنّ يجب الا ننسى انه هناك شريحة اخرى ستكون محايدة ، كما ان هناك شريحة ثالثة ستكون ضد هذا المشروع . واذا عنينا بانحسار دور

المثقفين في مرحلة ما قلة اسهامهم في انضاج المشروع القومي للتنمية ، فقد يعني هذا تزايد دور الشريحتين: الثانية والثالثة من فئة المثقفين .

وبالنسبة لمظاهر الانحسار ، هناك جانب اود الاشارة اليه لاننا لم نتطرق اليه حتى الآن . هناك تدنٍ في المستوى الفكري والعلمي والمهني لفئة المثقفين في الوطن العربي . ويمكن هنا الدخول في تفاصيل كثيرة ، ولكن اذا كان احد الادوار الاساسية للمثقفين هو انتاج المعرفة الصحيحة ، فقد اصبحت فئة المثقفين العرب ـ في تقديري ـ قاصرة عن الاضافة العلمية الجادة في دراسة مجتمعاتها . وهناك مظاهر متعددة لهذا ، مثل قلة الاجادة في العمل العلمي ، والتنكب عن التدريب الكفء للاجيال التالية .. الخ . اي ان ازمة المثقفين لا تقف فقط عند التخلي عن الدور الاجتماعي الملتزم بالتنمية والوحدة والتحرر ، وانما تصل الى تخلف الانجاز المهني والعلمي بالمعنى الضيق .

o **غسان سلامة** : أود أن اعالج بسرعة ثلاث نقاط وردت في الحديث الذي سبق . الاولى لها علاقة بالاسباب ، واعتقد اننا تكلمنا ما فيه الكفاية عن الاسباب الخارجية ، فقط سأضيف الى ذلك ان اسباب انحسار دور المثقف العربي ومظاهره مرتبطة إجمالاً بانحسار وجود المجتمع المدني العربي الراهن على حساب المجتمع الذي تفرضه السلطات القائمة ، وهناك المجتمع المدني بشكل عام بما فيه المؤسسات الاقتصادية الخاصة والفكر النقدي الخاص ، والمؤسسات الجامعية والاكاديمية والبحثية ... والخ . كل هذه تمت عملية استقطاب لها في العشرين او الثلاثين سنة الماضية بحيث انها نفذت جزءاً كبيراً من وظيفتها الاجتماعية.واعتقد في هذا المجال بما يخص المثقفين ان الاسباب العمومية وهي اعتبار وجود المجتمع المدني ككل اهم من الاسباب الخاصة بالمثقفين.لقد تم استقطاب كامل المجتمع بكل ما فيه من مؤسسات دينية وثقافية على المستوى الفردي والجماعي لمصلحة فئة متسلطة وهذا اثر على المثقفين ، كما اثر على غيرهم ، ونرى ذلك مثلاً في علم الاجتماع ، الجيوش حيث ان الكفاءة العسكرية تأثرت بتكاثر استعمال الجيوش خارج مهنها الاساسية ، فأثر ذلك على انعدام القدرة في مواجهة الاخطار العسكرية الخارجية ، ونرى ذلك ايضاً تجاه المثقفين ، اي ان هناك ضرباً للوظائف الاساسية في المجتمع لمصلحة وظائف مستحدثة تخدم السلطة ، وهذا يساهم الى حد كبير في اضعاف القدرة العربية : العسكرية والثقافية والفكرية ... الخ .

النقطة الثانية تتعلق بالتغريب وانا لا اوافق على جزء مما قاله د. فرجاني . انا اعتقد ان توصيف الوضع الراهن قد يختلف من بلد عربي الى آخر من حيث اهمية الاخطار ، وهذا لا يعني انه ليس هناك تواصل بين العرب . هناك ظروف تاريخية نمر فيها وقد تختلف او تتفاوت في خطورتها من مكان الى آخر . اعتقد ، من خلال معرفتي الضئيلة بالمجتمع المصري لما بعد سنة ١٩٧٠ ان ما ذكره د. فرجاني عن خطورة الاتصال بالغرب كما تم في مصر في مرحلة سنة ١٩٧٠ فما بعد، هو عنصر اساسي وخطير بما يخص تدهور موقع المثقف المصري . واعتقد انه محق في هذا . انما اتساءل هل يمكن تعميم هذه الظاهرة على مختلف البلدان العربية ؟ واود ان اضيف في هذا المجال ما يلي : اعتقد ان محصلة علاقة المثقف العربي بالغرب بشكل عام (وهناك كتب لحسن الحظ في هذا المجال مثل كتاب البرت حوراني ، او كتاب هشام شرابي ، او كتاب هشام جعيط ... الخ . هناك كتب ولكن التفكير ما زال شرعياً في هذا المجال) هي محصلة ايجابية . بمعنى أن التحدي الذي حمله الاستعمار في القرن الماضي ، ثم العلاقة غير المتكافئة في المرحلة الحالية ادّيا في الاجمال الى استنهاض الهمم ، ونرى ردود فعل ايجابية للغاية ، فعند الافغاني والطهطاوي نرى علاقات استحثاث الهمم بعد بدء العلاقة بالغرب . ونرى ذلك ايضاً في الثلاثينات والاربعينات من هذا القرن،ونرى محاولة تطويع عدد من الافكار ، ومنها

الفكرة القومية، تطويع عدد من الافكار التي برزت في الغرب بشكل ايجابي ، كما نرى ان التربية والتعليم اللذين جاء بهما الغرب في الاجمال رغم المحاذير الهائلة والنتائج المسخ في عدد من الاحيان لهذا التعليم ، كان لهما دور كبير ، لذلك انا لا اماشيك في قولك ان مسألة العلاقة بالغرب الرأسمالي في المرحلة الحالية ، هي العنصر الاساسي على الاقل ، واعتقد ان ما تشير اليه صحيح بالنسبة الى موقع ظرفي والى حد ما جغرافي محدود .

اما النقطة الثالثة التي اود التركيز عليها هي ما اشار اليه د.زريق من ان هناك ايضاً اسباباً داخلية لم نتحدث عنها بشكل واف . واسمحوا لي ان اقول - برأيي - إن هذه الاسباب الداخلية اود تفريعها الى **اربع نقاط** ، النقطة الاولى ، تتعلق بالقطيعة مع سلم القيم القائم في المجتمع . هذا ما اشار اليه د. زريق وانا فقط اعيد صياغته . فمثلاً في مجتمعات النفط الراهنة او حتى في المجتمع اللبناني سلم القيم هو سلم القيم التجاري المركنتيلي الذي يطغى مثلاً على السياسة . تمارس السياسة وكأنها شبه مهنة تجارية .وايضاً يمارس التعليم ،والكتابة ،والتفكير بالاجمال على انها مهن تجارية .في مجتمعات عربية اخرى ان سلم القيم المهيمن هو سلم بيروقراطي ... الخ . اذاً اعتقد ان سبباً اساسياً داخلياً هو في غياب المثقف او في عدم حصول هذه القطيعة بين المثقف كفرد او كمجموعة افراد وبين سلم القيم المهيمن، النقطة الثانية هي في انعدام الصدق لدى المثقف . اعتقد ان هذه النقطة جوهرية . واود فقط ان اشير الى تكاثف الكتابات لدى عدد من المفكرين العرب ، وهي ظاهرة خطيرة في رأيي ، حيث نراه يكتب لمجتمعه المحلي في بلد معين ، وللمجلات والصحف العربية الاجمالية ، وللمجتمع الخارجي بالانكليزية او الفرنسية كتابات مختلفة وآراء مختلفة عن الموضوع نفسه ، بل مفردات مختلفة في الموضوع نفسه . وهذا صورة عن عدم الصدق الذي نشهده اكثر فأكثر : النقطة الثالثة هي انعدام الشجاعة . اعتقد ان المثقف العربي - وهذه ليست صفة خاصة به - لديه انعدام شجاعة . وسأعطي مثالاً واحداً على ذلك وهو ما اسميه انعدام التسمية ، إذ يتحدث المثقف العربي أكثر فأكثر عن ظواهر حسية يعيشها المثقف دون ان يتجرأ على تسميتها . وأعتقد ان احد المقاييس العملية في المرحلة المقبلة للمثقف هو ان يتجرأ على تسمية الامور والسلطات والبلدان والاشخاص وهذا له علاقة بدوره الفدائي الذي قد نتحدث عنه لاحقاً . والنقطة الرابعة اقتبسها بالحقيقة من كتابات سيغموند فرويد الجميلة ، وهي عن موضوع الرقابة ، يقول فرويد : ان رقابة تمارس لفترة ما على فرد تتحول مع الوقت الى رقابة ذاتية ، تنتفي الحاجة معها بعد مرور فترة من الزمن الى الرقيب الخارجي لأن استيعاب النفس البشرية لهذه الرقابة يصبح كاملاً . وأعتقد ان احدى المشاكل الاساسية التي يواجهها المثقف العربي ، هي ان يعمل وقد تحولت الرقابة الخارجية عليه الى رقابة ثابتة ، رقابة داخلية على نفسه كما جاء في شعر ابن الرومي حول الذي صفع مرة فاصبح منحنياً باستمرار خوفاً من صفعة ثانية يتوقعها(*) .

○ **نادر فرجاني** : في مناقشة اسباب انحسار دور المثقف العربي يمكن ان ننحوَ منحىً مفيداً ، وهو عدم التوقف عند الاسباب ذات القدرة التفسيرية فقط ، وانما تجاوزها الى مداخل لزيادة فعّالية المثقف العربي . على سبيل المثال ، ضعف دور المجتمع المدني في البلدان العربية تفسير جيد . لكنه ، في

(*) الابيات المقصودة هي :

قصرت اخادعه وغار قذاله ... فكأنه متربص ان يُصفعا
وكأنما صُفعت قفاه مرة ... فاحسّ ثانيةً لها فتجمّعا

حد ذاته ، لا يساعدنا في وضع اصابعنا على امكانية التغيير . لأن المثقفين ، في تقديري ، سيواجهون استمرار ضعف المجتمع المدني في البلدان العربية لفترة لن تكون بالقصيرة . فماذا يكون العمل اذاً ؟ ان الاقتصار على مثل هذه التفسيرات لا يضع المثقفين امام مسؤوليتهم في التغيير ، بل يمكن أن يوفر مبرراً لمن يبحث عنه . المطلوب هو استكمال هذه التفسيرات بالدعوة لقيام المثقفين بدور فاعل في استخلاص السلطة المدنية من براثن القهر الحالي ، وهذا يقتضي كفاحاً ضد السلطات القائمة .

وأود ان أؤكد خلافي مع د. غسان سلامة ، وهذا في نظري شيء جيد ، وهو ربما من الخصائص التي تفتقدها فئة المثقفين العرب ، اعني امكانية الاختلاف فكرياً مع البقاء على وفاق شخصي . اعتقد ان علاقة فئة المثقفين بالغرب هي نوع من الارتباط العضوي ، ومثل هذا الارتباط غير قائم بين عامة الناس والغرب الرأسمالي . ولهذا فإن تأثير الغرب على فئة المثقفين اقوى من تأثيره على المجتمعات العربية ككل . ان صلة المثقفين العرب بالغرب تكاد تشبه الحبل السري . وهذه قضية في غاية الاهمية وتجعل تأثر المثقفين في الوطن العربي بالغرب يختلف نوعياً عما كان من قبل .

على سبيل المثال ، ما جاء به د. سلامة من استنهاض الهمم استجابة للتحدي الغربي في بداية عصر الاستعمار ، كان راجعاً ، في تقديري ، الى ان مثقفي ذلك الوقت لم يكونوا مرتبطين ، ارتباط الحبل السري ، بالغرب ، بل كانت اقدامهم راسخة في اصالة حضارة مجتمعاتهم العربية .

واتذكر تعبيراً نافذاً في هذا المجال . ففي معرض التساؤل عن كيف يمكن لقيادات فكرية مرتبطة ارتباطاً عضوياً بالغرب الرأسمالي ان تقود بلدان العالم الثالث في نضالها من اجل التحرر من هيمنة الغرب ، واستعمل التشبيه التالي : كيف يمكن لفصيل من صغار الذئاب التي ترتدي فراء حملان ان تقود الحملان ضد الذئب ؟

● **خير الدين حسيب** : نصل بهذا الى السؤال التالي : ناقشنا انحسار دور المثقفين العرب ومدى مسؤوليتهم عن الاوضاع العربية المتردية . والسؤال الذي يطرح نفسه : ما هو الدور المطلوب من المثقفين العرب؟ ماذا نريد من المثقف العربي ؟ ما هي الشروط اللازمة حتى يؤدي المثقف العربي هذا الدور ؟ وفي معرض الاجابة عن هذا السؤال ، قد يكون من المفيد ان نحدد ما إذا كنا نتكلم عن المثقفين العرب عموماً أم اننا نتكلم عن طليعة المثقفين ؟ كذلك ارجو اثناء الاجابة ان نتعرف لما يجب ان يكون عليه موقف المثقف العربي من السلطة ؟ لقد اشرتم الى هذا الموضوع ولكنه لم يتوضح حتى الآن ما يجب ان يكون عليه موقف المثقف العربي منها . وان تشيروا الى اية امور اخرى ترون ان على المثقف العربي ان يتصدى لها في المرحلة الحالية وفي المستقبل القريب .

○ **قسطنطين زريق** : اجابتي عن هذا السؤال ، اؤثر ان احصرها بشريحة من شرائح المثقفين العرب ، وهي شريحة مهمة جداً ، لأنها هي التي يفترض فيها أن تكون احدى طلائع المجتمع وأن تولد غيرها من الطلائع . واستخلص من ذلك بعض النتائج المتعلقة بالمثقفين عموماً . لقد قيل في هذا الحوار ان الاوضاع العربية الراهنة قد سلبت من المؤسسات الاجتماعية الراهنة كثيراً من سلطاتها الاساسية ، وحوّلتها الى اغراض اخرى . انا اريد ان احصر كلامي في مؤسسة واحدة فقط ، وهي المؤسسة الجامعية . فالجامعة هي التي يفترض بها ان تزود المجتمع بفريق كبير من المثقفين وطلائعهم . انا متفق مع د. الحص بأن المثقفين لا ينحصرون ضمن الاسوار الجامعية ، وأن هناك مثقفين كثيرين خارج هذه الاسوار ؛ لكن اذا نظرنا الى دور الجامعة التاريخي في الدول المتقدمة ، وجدنا انه كان دوراً رائداً وفاعلاً في النهضات المختلفة التي قامت في بلدانها . واليوم يوجد في الوطن

العربي اكثر من خمسين جامعة ، وكل من يدرس شؤون هذه الجامعة يرى انها هي ايضاً في محنة ، لاسباب خارجية ذكرنا كثيراً منها ، ولاسباب داخلية . لا اريد ان اعيد الكلام عن الاسباب المتعلقة بالجامعيين ونوعيتهم . هل هذه النوعية ترتفع ام تتدنى من حيث كونهم اداة للتغيير المطلوب؟ لا شك ان هناك نواحي ايجابية عديدة في العمل الجامعي العربي منها : اتساع التعليم الجامعي وتفرعه وتيسيره لابناء الطبقات المحرومة ؛ والابحاث العلمية في بعض الجامعات . وعلى العموم اعتقد ان الاهتمام الكمي قد غلب على الاهتمام الكيفي ، وان ثمة عوامل اخرى تعمل باتجاه تدني عمل الجامعات . ما هي وظيفة الجامعي كمثقف وكمولّد للثقافة . اعتقد ان له وظيفتين : الوظيفة الاولى هي حماية الجامعة او المشاركة في حمايتها من تدخل السلطات وغيره من المؤثرات السلبية . ومعنى هذا ان يكون المثقف مناضلاً ، لامفكراً فحسب ، وهذا النضال قد يذهب به الى السجن او الى النفي، او الى التشريد ، او الى غير ذلك . فهل ناضل الجامعيون العرب نضالاً كافياً في سبيل صيانة هذا المعبد الفكري وكرامته ؛ ولكن هذا النضال الخارجي ليس كافياً وانما يجب ان يكون مدعوماً بنضال داخلي . بمعنى ان الجامعي يجب ان يتميز عن غيره من المواطنين بنوع القيم التي يسعى اليها ، ويتميز بها ، ونوع السلوك المفروض عليه . وهذا ليس من قبيل التعالي على غيره من المواطنين ، وانما بسبب المسؤولية التي يتحملها والتي تفرضها المهمة الجامعية . ولما كان المثقف في طليعة المطالبين بالحرية : الحرية الجامعية والوطنية ، فحري به ان يكون اول المتحلّين بحس المسؤولية ، إذ لا حرية صحيحة من دون مسؤولية .

○ **سليم الحص** : اعتقد ان تركيز د. زريق على الجامعة في محلّه . وله معنى مهم وهو التركيز على تكوين المثقف . الجامعة مصنع اساسي ومهم جداً من مصانع المثقفين في الوطن العربي ، وبالطبع ليست الجامعة المصنع الوحيد ولكنها المصنع الاساسي وربما الاهم . واذا كانت طبيعة الدور الذي يقوم به المثقف العربي ترتبط بعوامل ذاتية وعوامل خارجية متغيرة فإنها ايضاً تتوقف الى حد ما على تكوين المثقف ، وتلعب الجامعة دوراً أساسياً في عملية التكوين ، وبالتالي فالتركيز على الجامعة يجب ان ينال قسطه من البحث الوافي . ولكن يجب ان نذكر ان المثقف العربي ليس نتاجاً للجامعات العربية ، اي الجامعات الكائنة على الارض العربية فقط ؛ فكثير من المثقفين يتوجهون الى الخارج للتحصيل العالي ، في جامعات امريكا وانكلترا وفرنسا وغيرها . فهذه ظاهرة لا بد من طرحها عندما نركز على الجامعة كمصنع للمثقفين العرب .

مع التسليم بوجاهة هذا الرأي الذي أبداه د. زريق في قوله : ان الجامعة يجب ان تنال الحظ الاوفر من الاهتمام ، فربما كان هناك مؤسسة اخرى يجب ان تنال الاهتمام الموازي وهي جامعة الدول العربية ، باعتبارها المؤسسة الوحيدة التي تجمع بين العرب في الوقت الحاضر .

وحديثنا عن المثقف العربي لا معنى له الا اذا كانت هناك رابطة بين المثقفين العرب . ما الذي يجمع بين المثقفين العرب؟ اليس هناك من دور يمكن أن تقوم به جامعة الدول العربية ، او يجب ان تقوم به على صعيد الافادة من طاقات المثقفين العرب والاسهام بتنمية اسباب التفاعل والتبادل بينهم ؟ نقول هذا مع علمنا بالعوامل التي تكبّل الجامعة من حيث هي مؤسسة تجمع بين دول تكمن العلة اساساً في انظمتها. ولكن يمكن أن يقال الشيء ذاته عن معاهد التعليم العالي التي تخص الدولة ، واكثرها هي كذلك في الوطن العربي . اعتقد ان اي حديث عن دور المثقف العربي لا بد من ان يتركّز على هاتين المؤسستين ودورهما في المستقبل : الجامعة التي تنتج المثقفين او الكثير منهم،وجامعة الدول العربية التي تجمع بين العرب اليوم بصرف النظر عن رأينا في فاعليتها في الجمع بينهم ماضيا وحاضرا .

○ **نادر فرجاني** : أشار د. زريق الى عاملين يتصلان بمستهدف جوهري ، في تقديري ، وهو نقل المثقفين من مجموعة افراد الى فئة اجتماعية فاعلة : حماية مؤسساتهم ورفع مستواها . هذه المؤسسات هي التي تربط بين المثقفين وتحولهم الى كائن اجتماعي فاعل اكثر من مجموعة افراد ذوي خصائص معينة . وأود فقط ان اضيف الى هذا ان هناك ايضاً حاجة الى انشاء مؤسسات جديدة ترتبط بدور طليعة المثقفين . ومن هنا ارى ان المؤسسات القائمة غير كافية .

واضافة الى حماية وتطوير مؤسسات المثقفين، فاعتقد ان هناك مهاماً ثلاثاً مطروحة على المثقفين العرب ، وفيما يلي اقدم بعض التفصيل على ما اتى به د. زريق قبلاً في هذا الصدد .

اولاً ، هناك انتاج المعرفة . ويقتضي هذا من فئة المثقفين البحث المعمق والملتزم بقضية التقدم والوحدة والتحرر في مجالات محددة ذات اهمية حرجة لفهم الاوضاع الاجتماعية ـ الاقتصادية والسياسية في الوطن العربي . على سبيل المثال ، ازعم ان الوطن العربي قد مرّ في العشر سنوات الاخيرة بعاصفة من التغيرات التي لم تدرس بالدرجة الكافية . وربما لا يتوفر لدى فئة المثقفين العرب التوافر اللازم لدراسة هذه الامور ، رغم ان دراسة هذه الحقبة هي على قدر عظيم من الاهمية خاصة فيما يتعلق بتطوير وعي الاجيال القادمة في الحركات الوطنية العربية .

وهناك ، ثانياً ، الرؤية الصافية ، وهي الهادي الى الطريق . ويتطلب التوصل لهذه الرؤية التصدي لكثير من الاشكاليات الفكرية المطروحة حالياً في مجال تصميم مشروع تنموي عربي . مطروح مثلاً العلاقة بين المشروع التنموي القومي وبين التراث في اطار التواصل مع الجماهير . وهناك ايضاً قضايا مطروحة تتعلق بشكل المشاركة الجماهيرية التي يتوقع ان تضيف ، إيجابياً ، الى هذا المشروع في الوطن العربي . ومن خلال التصدي لمثل هذه الاشكاليات تتكون محاولات خلق طريق ، يعتمد رؤية صافية ، الى المشروع الانمائي الوحدوي التحرري .

المهمة الثالثة ، وقد اشرنا اليها قبلاً ، هي ان يعمل المثقفون ، كأفراد وكفئة اجتماعية ، على نشر الوعي بنتائج البحث والعمل الفكري ، اي بالمعرفة وبالرؤية الصافية ، باساليب فعّالة تصل الى قطاعات واسعة من الشعب العربي . ان مجرد النشر المهني او حتى النشر في مجالات المثقفين ، اصبح غير كافٍ كوسيلة لتغذية الوعي الشعبي وانضاجه .

وقد أثار د. حسيب الموقف من السلطة . وفي تقديري ان اخذ موقف جاد من النقاط الاربع السابقة هو ، بحد ذاته ، موقف من السلطة . فإذا تم البحث العلمي الجاد المتسم بالشجاعة ، كما اشار د. غسان ، واذا قام العمل الفكري بالتعرض للاشكاليات المطروحة بجسارة وصدق ، واذا نشط المثقفون في نشر الوعي بأساليب فعّالة تصل لقطاعات واسعة من الشعب العربي ، فإن هذه الامور تشكل موقفاً حاسماً للمثقفين من السلطة الرسمية .

وهنا نأتي لنقطة جوهرية اشار اليها د. زريق فيما يتعلق بالنضال . اعتقد ان الموقف الملتزم بقضية التقدم والوحدة والتحرر ، بالشكل الذي اشرنا اليه ، هو في الواقع عمل ضد كل القوى المهيمنة سواء قطرياً ام عربياً ام عالمياً . وبالتالي فهو استعداء صريح لهذه القوى . وعليه فلا بد من ان يكون المثقفون على استعداد للتضحية ومواجهة عاقبة هذا العمل المعارض .

ولا بد من العمل لبلورة طليعة المثقفين العرب ، وهذا يتطلب عملاً ملتزماً من افراد ومن مؤسسات يمكن أن تؤدي لنشوء مؤسسات طليعة المثقفين . وكما اشار د. زريق ود. غسان سلامة ، فإن هذه

الطليعة يجب ان تتسم بالفدائية ، وعليها ان تتبنى اسلوب الاقتحام الموجه والمتميز للمساهمة الفكرية العربية . اعتقد ان الصيغ المميعة التي لا تتخذ موقفاً محدداً ، ولا تشكل رأس حربة للعمل الفكري الملتزم بقضية التقدم والوحدة والتحرر ، لا تخدم ، في النهاية ، غرضاً أساسياً . ان دور طليعة المثقفين هو ان تشكل رأس رمح للعمل الفكري الملتزم .

وانتهي بالقول ان طليعة المثقفين ليست ، في نظري ، مفهوماً نخبوياً ، ولا يجب ان تكون هذه الشريحة الاجتماعية استعلائية بأي شكل فلن تستطيع طليعة المثقفين ان تقوم بدورها التاريخي بكفاءة الا بتفاعل جدلي قوي مع محيطات مختلفة . المحيط الاول هو فئة المثقفين الواسعة ، والتي يمكن اجتذاب عناصر منها للعمل مع طليعة المثقفين . وبقدر ما تقدم طليعة المثقفين من معرفة اصح ، ورؤية اصفى ، واسس وعي انضج . وهناك ايضاً المحيط الاوسع ، والاهم في تقديري الا وهو محيط الجماهير كلها ، وهذا هو ميدان الجهاد الاول .

○ **قسطنطين زريق** : احب ان ابرز نقطة فيما يتعلق بالوظيفة الجامعية وهي نقطة قد تُحدث في الوقت الحاضر خللاً بين المثقفين الجامعيين وبين الجماهير ، إداء المثقفين لوظيفتهم في تصفية رؤية عامة للقضايا القومية . هذه النقطة هي ان الجامعة القائمة في البلاد العربية في الوقت الحاضر ، وقد يكون ذلك لشدة تأثرها بالنظم الغربية كما اسلف د. فرجاني ، تأخذ معياراً لتعيين الاساتذة وترقيتهم الابحاث الاختصاصية الصرف : النظرية منها او التطبيقية . لذلك يكاد الجامعيون يهملون وظائفهم التعليمية ودراساتهم او منشوراتهم العامة من اجل الاختصاص الضيق ، هذا له فائدة طبعاً في رفع المستوى العلمي نحو المستويات العالمية ، ولكنه يخلق هوة بين الاستاذ الجامعي وبين المجتمع . إن الكتب العامة التي يقصد بها التوعية ، لا تعتبر ، او ليس لها اعتبارها الكافي في تقويم انتاج الاستاذ الجامعي او ترقيته . إن هذا امر يجب ان يستدعي اهتمام المسؤولين كي يكون لهذه الجامعات وللمنتمين اليها دورهم التوجيهي ـ التوعوي الى جانب دورهم العلمي الاختصاصي الذي يجب ان يظل ايضاً محتفظاً بحظه من العناية والرعاية .

○ **غسان سلامة** : نطرح الآن مسألة موقف المثقف من السلطة ، وهذه تطرح في الاساس مسألة بدائية هي مسألة من هو المخاطب الاساسي للمثقف . المثقف وظيفته الاساسية هي المخاطبة ، التكلم ، طرح الاسئلة . واعتقد ان المسألة الاساسية هي لمن يتوجه المثقف بخطابه ؟ من هو مخاطب المثقف؟ وتندرج مسألة الموقف من السلطة بالتحديد ، ضمن هذا السؤال الاساسي هل السلطة هي المخاطب الاساسي للمثقف ام ان الناس هم المخاطبون الاساسيون ؟ ميكافيللي يمثل شكل المثقف الذي مخاطبه الاساسي هو « الامير » ، ولدى عدد هائل من المثقفين العرب الراهنين طموح بأن يصبحوا ميكافيللي الامير ، او أن يصبحوا المتكلمين الاساسيين للامير . انا اعتقد ان اول واعمق وافضل موقف من السلطة لدى المثقف العربي اليوم ، هو أن يدير لها قفاه ، يعني ان لا يعتبرها بأي شكل من الاشكال . مخاطبه لا الاول ولا الثاني ولا الثالث . إن مخاطبه هو الناس وليس السلطة ، يجب على المثقفين بالفعل ان يه موا قطيعة مع رغباتهم بالتسلق ضمن بلاط الامير ، واعني بالامير طبعاً الحاكم إجمالاً . فإذا كان هذا صحيحاً فالمهام اراها اربعاً ؛ المهمة الاولى : هي انه على المثقفين اكثر من اي فئة اجتماعية اخرى تطوير الروح التقدمية في المجتمع . يجب ان يكونوا في طليعة من لا يقبل ، من يدرس ثم يصل الى نتائج نقدية عميقة تجاه الظواهر الاقتصادية والاجتماعية والتنموية والسياسية والعسكرية والحضارية . هذه هي المهمة الاساسية الاولى للمثقف ، ان يتصرف كانسان حر يخاطب انساناً حراً آخر ، وبشراً

احراراً ، وللأسف نرى في المرحلة الحالية ان هذه المهمة لا يقام بها ، إذ نرى المثقف يخاطب عامة الناس وكأنه مقيد ، وعامة الناس يرسفون بقيود لا خروج منها : والمهمة الثانية الموكولة للمثقفين ان يكونوا في مجالهم القدوة والمثال ، هذه المسألة ضرورية ، إذ يجب ان يكون المثقف في طليعة المنمِّين للروح الاخلاقية والمسلكية : والنقطة الثالثة قد تحدث عنها د. زريق ، واضيف : هي ضرورة انشاء وحماية استقلالية المؤسسات الثقافية ، وعلى رأسها الجامعات . والمؤسسات الفكرية والصحافية ، وما شابه ازاء تعديات السلطات القائمة .

اما النقطة الرابعة ، وهي ـ ربما ـ الاصعب تحديداً ومنالاً، وهي ما يمكن تسميته بضرورة احياء الوظيفة التنبؤية الاستشرافية للمثقف ، يجب على المثقف ان يكون مستنهضاً للهمم ، بمعنى ان يكون دوره مستمراً في اظهار الامور الراهنة وكأنها امور ظرفية عابرة ، وأن يكون لديه القدرة على قدر من النبؤة ، بمعنى قدر من إعمال الخيال لتصور ظروف اخرى وهذا ما ينقص عامة الناس الذين هم منخرطون في مشاكل ، ولأن القضية كما ذكر د. الحص ، ونرى ان هذه الوظيفة التنبؤية والاستشرافية قد تكون نادرة الى اقصى الحدود في ظرفنا الراهن ، بينما نرى لها نمواً هائلاً في مطلع هذا القرن مثلاً لدى المثقفين العرب ، ونرى انحداراً شنيعاً في هذه الوظيفة التنبؤية لدى المثقفين .

● **خير الدين حسيب** : التساؤل او السؤال الاخير في ضوء إجابة د. فرجاني عن السؤال السابق ، فقد طلبنا من المثقف ان يكون طليعياً وفدائياً ، وان يكون مستقلاً ، وان يساهم فكرياً ويكون مبدعاً وان يساهم في عملية التغيير في مجتمعه ، والسؤال هو الى اي حد نحن بصدد الطلب من المثقف العربي اشياء تعجيزية غير قابلة للتحقيق؟ فإذا اخذنا بنظر الاعتبار ان ما يسمى المعادلة الصعبة الآن ، **معادلة الخبز مع الكرامة** ، والتي كانت اقل صعوبة نسبياً في الماضي ، واصبحت اكثر صعوبة في الوقت الحاضر مع تزايد دور الدولة وتدخلها الاقتصادي والسياسي ... فهل يستطيع المثقف ، حتى المثقف الطليعي والفدائي ، ان يحقق هذه المعادلة الصعبة : الخبز مع الكرامة ، في ظل الاوضاع العربية القائمة عموماً ؟ وهل اننا نطلب من المثقف اشياء تفوق قدراته وامكانياته ؟ وهل يستطيع المثقف العربي ، في ظل هذه المعادلة ان يحقق هذه المطالب كفرد معزول ، ام أنها تتطلب ان يعمل المثقف ، هذا المثقف الطليعي ، ضمن مجموعة طليعية فدائية تستطيع ان تعاون بعضها بعضاً ، او تدعم بعضها بعضاً ، ام ان اقصى ما سنحصل عليه في مثل هذه الاوضاع هو عملية الصمود ، ان يصمد المثقف ولا ينحدر الى الهاوية ، لكنه سيبقى عاجزاً كفرد وحده عن المساهمة الجدية في عملية التغيير المطلوب ما لم يتعاون ضمن محيط اوسع من المثقفين الطليعيين ؟

○ **قسطنطين زريق** : طبعاً الاوضاع التي عرضناها هي اوضاع عسيرة ، ولا نريد ان تكون نظرتنا الى مهمة المثقف مغرقة في المثالية ، بمعنى ان نطلب منه الاستشهاد ، وإن كان الاستشهاد ضرورياً في بعض الاحيان . فالاستشهاد له اشكال مختلفة ، لا ينحصر في ساحة النضال ، بل قد يكون من اجل صيانة الكرامة وهي اهم ما يملكه المثقف . انما لا بد من ان ننظر الى الصعوبات والمشكلات التي تحيط بالمثقف على انها تحديات . وهناك تفاعل بين التحديات من جهة وبين القدرة على التصدي لها من جهة اخرى . التحديات كثيرة ومرهقة ، ولذلك لا سبيل الّا بتنمية قدرة المثقفين لمواجهتها ، سواء بالصمود امامها او بالتغلب عليها . فالحد الادنى هو الصمود ثم تأتي وسائل التغلب عليها . وإذا لم يتخذ المثقفون هدفاً لهم هو الرد على التحديات صموداً وتغلباً فسيظلون مقصرين في وظيفتهم ، وقد

تؤخذ بعين الاعتبار كل العوامل الضاغطة عليهم ، لكن يبقى ان عليهم واجباً ناجماً عن الصفة التي تسمهم ، وعن المهمة التي يتصدون لها .

ولا شك ان هذه القدرة على الصمود ، وعلى التغلب ، تقوى بقدر الوعي القائم بين المثقفين ، لجلال هذه المهمة . ومن الخير ان نؤكد اهمية هذا الوعي . لقد تكلمنا عن واجب المثقفين في توعية الجماهير ، والمهم كذلك ان نركّز على جهد آخر يماشيه بل يتقدم عليه هو الجهد لتوعية المثقفين انفسهم الى حقيقة مسؤوليتهم ودورهم في المجتمع . لننظر في المجتمعات الاخرى ، لندرس المجتمعات المتقدمة ، في الغرب او الشرق ، كم من العلماء والمفكرين استشهدوا في سبيل عقائدهم ، والكثير منهم سجنوا او شرّدوا . هذا هو جزء من اعباء الوظيفة ، بل عنوان من ابرز عناوين خطورتها .

وهذا الوعي للواجبات الملقاة على المثقفين تزداد قوته ويبرز اثره بمقدار التعامل المشترك بينهم ، فحتى نتطلّع الى بناء مجتمع عربي متلاحم ، فليبدأ المثقفون بأن يوثقوا اواصر التضامن والتلاحم فيما بينهم ، متغلبين او محاولين التغلب على الصعاب القائمة ، عندما يصبحون اقدر على ان يواجهوا هذه الصعاب كتحديات وان يردوا عليها ردوداً مجدية ومشرفة صموداً وتغلباً .

○ **نادر فرجاني** : قد يكون التعقيب ، بعد هذا الخطاب الرائع ، ضرباً من الحماقة . لكني فقط اتكلم لاوافق تماماً على ما جاء به د. زريق من اننا يجب ان نتوقع الاستشهاد من بعض المثقفين على الاقل . وطبعاً النضال درجات . ولكن النقطة الجوهرية في هـذا المجال هي ان مطالب المثقفين لا يمكن ان تتحقق الا اذا جعلوا الاستشهاد مطلبهم . ولن يعني هذا في النهاية استشهاد الجميع بالطبع ، وانما تؤخذ الدنيا غلابا . على سبيل المثال ، لن تتحقق الديموقراطية بمجرد المطالبة بها ، ولكنها يمكن أن تتحقق اذا ناضلت فئات الشعب من اجلها ، وعلى رأسهم المثقفون الذين ينادون بالديموقراطية بأعلى الاصوات .

النقطة الوحيدة التي اختلف فيها ، ولو قليلاً ، مع د. زريق هي انني لا اعتقد انه يمكن قيام التحام كامل بين المثقفين كلهم . حتى محاولة الوصول الى هذا الوضع فيها قدر كبـير من المثالية . فللمثقفين ، بطبيعة الامر ، انتماءات اجتماعية ـ سياسية مختلفة . عندما تحدثنا عن طليعة المثقفين ، عنينا شريحة من المثقفين تتبنى توجهاً محدداً : توجه تقدمي عروبي وتحرري . ولكن هناك شريحة لا تتبنى هذا التوجه . وهناك شريحة ثالثة ستكون ضده . ولهذا فإن من الضروري الاقرار بوجود تناقضات داخل فئة المثقفين . وعلى طليعة المثقفين ان تتوقع مثل هذه التناقضات وتأخذ مواجهتها كجانب مهم في عملية النضال من اجل التقدم والوحدة والتحرر في الوطن العربي .

○ **قسطنطين زريق** : هناك تناقضات بين المثقفين يمكن أن تُحلّ بالحوار ، بين الذين هم في خط واحد ، وهناك تناقضات اخرى لا بد من أن تُحلّ بالنزاع والنضال ، وكلما قوي الالتحام حول اتجاه واحد ، وساد هذا الاتجاه الفكر الحواري ، كانت هذه الجماعة اقرب الى ان تثبّت نفسها ازاء غيرها وازاء السلطة .

● **خير الدين حسيب** : وفي الختام اود أن اشكركم جميعاً على مساهماتكم العظيمة في هذه الندوة التي رغم ان المشاركين فيها كانوا يمثلون اجيالاً ثـلاثة ، ولكنهـا عكست تقاربـاً شديـداً في تشخيص الاسباب والتطلع الى المستقبل وهي بداية تدعو الى التفاؤل ، والى مزيد من الحوار حول هذا الموضوع المهم □

نداء من
مركز دراسات الوحدة العربية
الى اصدقاء المركز

حرصاً من مركز دراسات الوحدة العربية على استمرار وتعميق وتنظيم العلاقة بينه وبين اصدقائه من المفكرين العرب الذين شاركوا بشكل او بآخر في عدد من نشاطات وفعّاليات المركز ، او بين الراغبين في بدء اقامة تعاون معه ، وحصولهم على مطبوعاته بصورة منتظمة ، ومن اجل تدعيم موارد المركز المالية وتحقيق استقلاله المالي ، فقد قرر المركز تنظيم هذه العلاقة باحداث صيغتين من التعاون هما « عضو مؤازر » و« مشترك » ، على ان يترك لاصدقاء المركز او الراغبين في التعاون معه اختيار احدى الصيغتين الاكثر مناسبة لهم ، وكذلك افساح المجال امام الراغبين منهم للتبرع للمركز :

اولاً : « العضو المؤازر » : يحصل العضو المؤازر على الحقوق التالية :

١ ـ ان يستلم مجاناً وبالبريد الجوي كل ما يصدر عن المركز من مطبوعات خلال السنة ، بما فيها مجلة المركز « المستقبل العربي » وجميع الكتب الصادرة عنه ، واية مطبوعات اخرى قد يصدرها .

٢ ـ حضور اي من الندوات التي ينظمها المركز على نفقة العضو الخاصة (سفر واقامة) ، الا اذا كان مدعواً كمشارك فيها ببحث او تعقيب فيتحمل المركز عندها نفقات مشاركته .

٣ ـ ان يرسل له المركز ، مرة كل ستة اشهر ، تقريراً دورياً عن نشاطه .

٤ ـ حق ابداء الاقتراحات والملاحظات حول نشاط المركز وفعّالياته المختلفة .

كما تقرر ان يكون هناك مبلغ للاشتراك في العضوية ، يمثل مساهمة العضو المؤازر في تدعيم موارد المركز المالية وتحقيق الاستقلال المالي له ، وان يدفع باحدى الطريقتين التاليتين :

١ ـ ان يدفع العضو المؤازر اشتراكاً سنوياً لا يقل عن الف (١٠٠٠) دولار امريكي ويكون الحد الاعلى للاشتراك مفتوحاً للعضو حسب رغبته وقدرته المالية . او ،

٢ ـ ان يدفع العضو المؤازر مبلغ اشتراك مقطوع لعضويته مدى الحياة لا يقل عن خمسة آلاف (٥٠٠٠) دولار امريكي ، ويكون الحد الاعلى لهذا الاشتراك مفتوحاً ايضاً .

ثانياً : « المشترك » : ويترتب على هذه العلاقة :

١ ـ تزويد « المشترك » سنوياً ، وبالبريد الجوي ، بجميع المطبوعات الصادرة عن المركز (مجلة ، كتب ، واية مطبوعات اخرى تصدر عن المركز) .

٢ ـ ان يدفع « المشترك » اشتراكاً سنوياً لا يقل عن خمسمائة (٥٠٠) دولار امريكي ويكون الحد الاعلى للاشتراك مفتوحاً حسب رغبته وقدرته المالية ، ولتدعيم الموارد المالية للمركز وتحقيق استقلاله المالي او ان يدفع « المشترك » مبلغ اشتراك مقطوع ، لاشتراكه مدى الحياة ، لا يقل عن ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) دولار امريكي ، ويكون الحد الاعلى لهذا الاشتراك ايضاً مفتوحاً وفق الرغبة والقدرة .

ثالثاً : تقرر ان يفسح المجال للمؤسسات ايضاً في قبولها « عضو مؤازر » او « مشترك » .

رابعاً : يدعو المركز الراغبين من اصدقائه بالتبرع له بأي مبلغ مهما كان صغيراً .

ويأمل المركز ان يتمكن من خلال هذه الترتيبات الجديدة من توسيع دائرة تعاونه وتنظيمها ، كما يأمل ان يمكّنه ذلك من تحقيق مورد مالي دائم يساهم في تحقيق الاستقلال المالي للمركز .

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية « سادات تاور » ـ شارع ليون
ص.ب ٦٠٠١ ـ ١١٣ ـ بيروت ـ لبنان
تلفون : ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧ ـ ٨٠٢٢٣٤
برقياً : « مرعربي ـ بيروت »
تلكس : ٢٣١١٤ مارابي

قسيمة

« عضو مؤازر » او « مشترك » او « متبرع »

بعد اطلاعي على ما جاء في نداء المركز المذكور ، على خلف هذه القسيمة ، يسرني المساهمة بدعم المركز بصفة :

- ☐ **عضو مؤازر** في مركز دراسات الوحدة العربية ، او
- ☐ **مشترك** في مطبوعات مركز دراسات الوحدة العربية
- ☐ أرغب في تسديد الاشتراك : سنوياً ☐ مدى الحياة ☐
- ☐ **متبرّع** للمركز بمبلغ .....
- ☐ طيه **شيك** لأمر مركز دراسات الوحدة العربية بمبلغ ..... دولار امريكي ، او
- ☐ تم **تحويل** مبلغ الاشتراك (او التبرع) البالغ ..... دولار امريكي الى :

حساب مركز دراسات الوحدة العربية رقم ١١٠٩ بالدولار
بنك بيروت للتجارة ـ فرع الحمرا ـ شارع ليون
ص.ب ١١٠٢١٦
بيروت ـ لبنان

- ☐ **الاسم** : .....
- ☐ **العنوان** (يذكر ايضاً العنوان البرقي ورقم التلكس والتلفون ، إن وجد) :

.....
.....

- ☐ **التاريخ** : .....
- ☐ **التوقيع** : .....

تدفع الاشتراكات مقدماً

■ كتب

محمود عبد الفضيل

مشكلة التضخم في الاقتصاد العربي

(بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٢) ، ١٣٢ص .

د. عبد المنعم السيد علي

- ١ -

التضخم ظاهرة اقتصادية خطيرة ، ذات ابعاد اجتماعية وسياسية واخلاقية ، واقتصادية ، مثيرة ، وآثار تمتد على آماد طويلة كما تظهر في آماد قصيرة . وقد لفّت هذه الظاهرة العالم بأسره ، الاقطار الكبيرة والصغيرة ، المتقدمة اقتصادياً والنامية ، الرأسمالية والاشتراكية . وليس هناك من نجا منها او من آثارها قط . ويعود ذلك الى ارتباط العالم ببعضه ارتباطاً وثيقاً ، والى حجم المبادلات السلعية والمالية الواسع بين كل جزء منه وبين غيره من الاجزاء ، حتى لم يعد ممكناً فصل العالم الى أجزاء مستقلة تمام الاستقلال ، اقتصادياً واجتماعياً ، عن بعضها البعض . ويمكن القول ان ظاهرة التضخم هذه تنشأ في كل مكان عن اسباب متشابهة ، قد تكون معقدة ومركبة ، او قد تتركّز في عدد قليل من العوامل ، ولكنها عموماً واحدة تقريباً . ففي كل مكان هناك عوامل ناشئة عن الطلب الجاذب ، او عن التكاليف المتصاعدة الدافعة ، او عن عوامل هيكلية مختلفة تُفقد الاقتصاد مسيرته التوازنية فتحدث فيه اختلالات تفجّر ضغوطاً تضخمية متراكمة . فليس هناك بهذا المعنى « خصوصية » تحتكرها هذه الدولة او تلك في عوامل التضخم . ولكن هناك « تعقد وتركيب » في العوامل في اي قطر يتعرض لضغوط تضخمية كبيرة وواضحة . و« الخصوصية » الوحيدة التي اراها هي تلك الظاهرة في الاقتصادات الرأسمالية المتقدمة ، والتي تُدعى بظاهرة (الكساد التضخمي) Stagflation والتي تختص بها تلك البلدان حقاً ؛ وهي ظاهرة جديدة غير تقليدية ، بمعنى انها تجمع بين البطالة والتضخم في آن واحد . وهو امر يختلف عن الوضع عندنا في اقطار النفط العربية ، حيث التضخم فيها تقليدي بمعنى الكلمة : استغلال كامل للطاقة الانتاجية المتاحة ، وضآلة في مرونة الانتاج ، وإنفاق كبير ناشىء عن عائدات مالية نفطية ضخمة . إنه تضخم كلاسيكي حقاً ، رغم كل ما فيه من تعقيدات « التكاليف » و« الاختلالات الهيكلية » . اما الاقطار العربية غير النفطية ، فإن التضخم فيها هو كلاسيكي ايضاً والى حد كبير . فطاقات الانتاج فيها ضئيلة، ومرونتها منخفضة جداً ، يقابلها إنفاق واسع ، وتحويلات كبيرة من قبل مواطنيها العاملين في

الخارج ، وتوسع كبير في عرض النقد ... الخ . فإذا أضفنا اليها تشوهات هياكلها الاقتصادية ، فإن النتيجة هي واحدة كما في بلدان النفط : تضخم نقدي كبير وارتفاع هائل في الاسعار وهو امر لا تختلف فيه هذه الاقطار جميعاً عن غيرها من البلدان النامية . فلا « خصوصية » هنا ابداً ـ اللهم الا من حيث عوائد النفط الكبيرة التي استطاعت الاقطار العربية النفطية الحصول عليها بعد عام ١٩٧٣ ـ حيث بدأت منذئذٍ الضغوط التضخمية تظهر طافية على السطح بشكل واضح في مجمل تلك الاقطار بلا استثناء نتيجة الانفاق التنموي والاستهلاكي المتصاعد فيها .

في هذا السياق يمكن مناقشة اطروحة د. عبد الفضيل في كتابه اعلاه . وهو كتاب جاء ليسد بعضاً من الفراغ الكبير في المكتبة العربية حول التضخم في الاقطار العربية . وكما عودنا المؤلف ، في كتابه السابق حول (الفكر الاقتصادي العربي وقضايا التحرر والتنمية والوحدة)[١] ، فإن له في ذلك فضل السبق على غيره في بحث موضوع التضخم على نطاق الوطن العربي كله . ولذلك فإنه اشمل بحث ، لعلم هذا الكاتب ، جرى لحد الآن في هذا المجال ، وإن لم يأت شاملاً تماماً لبحث الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي أدت الى حدوث التضخم في كل قطر من هذه الاقطار . ويبدو ان ظروف الزمان والمكان قد حدّت من إمكانية المؤلف على فعل ذلك على هذا القدر المتوقع من الشمول . فقد لاحظت ان المؤلف قد قصر التفصيلات على بعض الاقطار وليس على كلها ، وكانت مراجعاته القطرية قد اقتصرت على مصر بالدرجة الاولى ، ثم على الاردن والعراق واليمن . وهو لم يذكر بشأن هذه الاقطار ذاتها سوى بحوث محدودة كان منها بحث عن مصر حصل عليه من معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة . ولو بحث المؤلف ابعد من ذلك لوجد كثيراً من البحوث القطرية لدى المعهد ذاته كانت معدة لتتبع ظاهرة التضخم على نطاق الوطن العربي من قبل حوالى ثلاثين باحثاً عربياً[٢] . ولكن نتائج هذه الدراسة لم تظهر الى الوجود بسبب الظروف السياسية الطارئة والقاهرة مما حال دون نشرها . ولذلك فإن الكتاب الجديد هذا جاء قاصراً في اعتقادي عن متابعة ظاهرة التضخم قطرياً بالشكل الشامل الذي كنا نأمله . ويبدو ان الدراسة جاءت على عجل . فلم تناقش صحتها وشموليتها ومضامينها وتمثيلها لواقع الحال ، ولا من حيث امكانية مقارنتها ببعضها في الاقطار العربية المختلفة . فقد يختلف محتواها وتتباين اوزان مكوناتها مما يجعل المقارنة بينها محدودة الفائدة كثيراً .

وقد جاء البحث اولياً ومبسطاً ، باسلوب سهل وسلس يسهل على القارىء العادي فهمه وهضم محتواه . وهي ميزة مهمة ، حيث لا تعقيدات ولا تقنية اقتصادية عالية يصعب على غير المتخصص فهمها واستيعابها . واشتمل البحث على « تقديم » حول ظاهرة التضخم في الاقتصاد العربي ، مشيراً فيه الى « عصر جديد للتضخم » يعيشه الوطن العربي ، يختلف تمام الاختلاف عن التضخم الذي عاشه في فترة الحرب العالمية الثانية . وهو امر نختلف فيه مع الكاتب . فالظاهرتان واحدة

---

(١) محمود عبد الفضيل ، **الفكر الاقتصادي العربي وقضايا التحرر والتنمية والوحدة** (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٢) .

(٢) منهم الكاتب الحالي ، انظر : عبد المنعم السيد علي ، « الابعاد الاقتصادية والاجتماعية للتضخم في العراق ، ١٩٦٥ ـ ١٩٧٦ » ، **مجلة الادارة والاقتصاد** (الجامعة المستنصرية) ، السنة ٤ ، العدد ٤ (١٩٨٠) ، ص ٥ ـ ٥٥ .

في الفترتين ، نشأت كلتاهما عن انفاق كبير ، أجنبي في الغالب وعسكري يومئذٍ ، ومحلي وتنموي حالياً . كما وصف المؤلف ظاهرة التضخم هذه بـ « التعقد والتنوع والخصوصية » وهو ما لا نستطيع ان نوافقه عليه لاسباب ذكرناها في اول هذه المراجعة . فلا تختلف البلدان العربية عن غيرها من البلدان النامية الا في عوائد النفط الكبيرة لدى الاقطار النفطية ، وهي عوائد ناشئة عن صادرات لمادة اولية ، تماماً كما هي عوائد القطن لدى مصر العربية . آثارهما في الحالتين واحدة نوعاً وإن اختلفت درجة . والتضخم له علاقة بالانفاق التنموي الكبير ، الذي انعكس بزيادات كبيرة في عرض النقد . وليس من الواضح تمام الوضوح ما يعنيه الكاتب بـ «كمية النقد المتداولة»، إذ يبدو انه يركز على « العملة المتداولة خارج الجهاز المصرفي » اكثر من تركيزه على مجموع عرض النقد الذي يشمل الودائع تحت الطلب كذلك ـ بالمعنى الضيق ـ ولجميع انواع الودائع ـ بالمعنى الواسع ـ وهو ما عناه بـ«السيولة المحلية» التي هي ذات معنى اكبر واثر اهم كعوامل تضخمية في الاقتصاديات العربية من مجرد «العملة المتداولة». ولا نفهم سبباً لتركيز الكاتب على هذا الجزء فقط من مجموع عرض النقد كمؤثر او محدد للعملية التضخمية .اما « التكاليف » الدافعة كمحدد للتضخم فهي في الواقع اسعار كغيرها ، لعوامل الانتاج ، تقع تحت نفس تأثيرات قوى العرض والطلب ، على المستويين : الكلي والجزئي . وهي قد تتبع الاسعار الاخرى فتتأثر بها كما تؤثر فيها . وتجب ملاحظة المضامين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المهمة للتوكيد عليها في البلدان الرأسمالية ، إذ انها تضع ، في التحليل الاخير ، اللوم على عنصر « العمل » ـ الاجور ـ في إحداث او مفاقمة التضخم . بينما الواقع ان الاجور تتبع ،ولا تسبق ، الارتفاعات الاخرى في الاسعار . ولا يجب ان نقع في الخطأ نفسه عند الكلام عن اقطارنا العربية . فالارتفاع الذي حدث في اسعار السلع الاستهلاكية والانتاجية ـ خاصة المستوردة منها ـ قد سبق الارتفاعات التالية في الاجور . ولعل اهم عناصر الكلفة التي ارتفعت ـ تلقائياً او تعمداً ـ هي اسعار سلع الانتاج المستوردة والتكنولوجيا المعتمدة من الخارج . ولكن من الطبيعي ان يصبح عنصر « كلفة العمل » مهماً بعد ان اخذ التضخم مجراه . ولكن الاجور هي ايضاً اسعار كغيرها ، ويجب ان يُنظر اليها على انها تتحدد بقوى العرض والطلب على العمل في الاسواق العربية المختلفة ، دون ان ننسى التشريعات الاجتماعية والاقتصادية المساعدة في هذا الخصوص . وقد كان متوقعاً أن يؤدي تصدير العمالة الى تخفيض الاجور في البلدان المستوردة ، ولكن ذلك لم يحدث بسبب الطلب الكبير على العمل فيها نتيجة الانفاق التنموي الكبير . وقد لعب الاخير دوراً مهماً كذلك في انفجار الطلب على الاستيرادات ، سواء الاستهلاكية او الانتاجية ، مما رفع من اسعار الاولى وتكاليف الثانية في البلدان العربية على اختلافها . اما في البلدان المصدرة للعمالة ، فرغم ان تحويلات العاملين في الخارج لعبت دوراً مهماً في ارتفاع الاجور ـ وحتى الاسعار ـ فيها ، غير ان الاهم في ذلك هو ايضاً الانفاق التنموي الكبير والتمويل المصرفي للعجوزات في ميزانيات الاقطار العربية غير النفطية . وفي النهاية يمكن النظر الى التضخم ـ على المدى الطويل ـ على انه تضخم في الاسعار لا تضخم تكاليف . والسبب في ذلك كله هو التنمية الانفجارية المتسارعة ؛ لا التدريجية المتهاودة . إنها أشبه بزق الطفل زقاً بالطعام لينمو ، دون نظر لكمية الطعام ونوعها ، فيتورم الطفل علة لا صحة ، فيتوهم اهله انه صحيح الجسم معافى ، بينما هو ورم الشحم القاتل ، لا تورد الدم النقي المنتعش .

ثم ينتقل الكاتب الى مدخل نظري بحث فيه

النظرية الكمية في النقود، ولكن بشكل مبسط جداً ، وربما مبتسر ايضاً . وكنت اتمنى ان يعطي المؤلف للموضوع اهتماماً اكبر فيبحث هذه النظرية بشيء من التفصيل لانها ربما كانت اكثر انطباقاً على واقعنا التضخمي من التحليل الكينزي . ومن المعلوم ان التحليلين : الكينزي الانفاقي والكلاسيكي الكمي النقدي ، يعتبران التضخم حالة تحدث في ظل الاستخدام الشامل . فهما ، الى هذا الحد ، لا يختلفان في تفسير ظاهرة التضخم الا من حيث مسبباتها . فالكلاسيكيون يعتبرون الظاهرة نقدية صرفة ، وكينز يعتبر الاصل في ذلك الانفاق ، تلقائياً او محفزاً ، بشرط ان يحدث في حالة الاستخدام الشامل . وكينز نفسه لم يبحث التضخم ، وانما افترض ، في تحليله ، مستوى الاسعار ثابتاً ، في ظل الانكماش او الكساد ، بينما بحث الكلاسيكيون الامر في ظل الاستخدام الشامل وافترضوا الانتاج ثابتاً . ومن الواضح ان التحليل الكلاسيكي ، بهذا المعنى ، هو اكثر انطباقاً على ظاهرة التضخم في الاقتصاد العربي ، حيث مرونة الانتاج منخفضة ، من التحليل الكينزي الذي يفترض طاقة انتاجية فائضة وبطالة اجبارية واسعة ؛ مما لا يتحقق حالياً في البلدان النفطية على الاقل . وفي بحث الكاتب للظاهرة النقدية للتضخم والاثر الكمي للنقود فيها ، ثم يشير الى (سرعة تداول النقود «٧») التي لها نفس تأثير التغير في كمية النقود على مستوى الاسعار . فهل بقيت هذه ثابتة في الاقطار العربية ، ام ارتفعت ارتفاعاً كبيراً في ظل التوقعات الواسعة للتضخم ذاته ! فلم يشر الكاتب الى دور التوقعات في تغذية عملية التضخم في الاقطار العربية ، في حين انها سبب مهم من الاسباب التي تدفع بالاسعار الى الارتفاع .

- ٢ -

ومن ثم ينتقل الكاتب في **الفصل الاول** الى بحث « مؤشرات ومقاييس التضخم في الاقتصاد العربي » ، فجعل هذه المؤشرات ثلاثة هي : التغيرات التي تطرأ على الاسعار ، وكمية وسائل الدفع ، ومعاملات الضغوط التضخمية التي بحث فيها ما اسماه بـ «الفجوة التضخمية». ونعتقد ان الكاتب مزج هنا بين «مؤشرات» و«عوامل» التضخم ، فلم يكن من بين هذه سوى الارقام القياسية لاسعار المستهلك مؤشراً . اما العنصران الأخران فهما « عوامل تضخم » . وعند بحث الارقام القياسية هذه ، لم يبين مدى صلاحيتها لقياس التضخم ولا مدى تمثيلها لاسعار المستهلك ، ولا مدى ملاءمة توزيع الانفاق بين السلع والخدمات الاستهلاكية المختلفة ولا مدى دقة الاوزان الترجيحية المعطاة لها في الاقطار العربية المختلفة . وبالتالي ـ كما سبقت الاشارة اليه ـ لم يوضح مدى صحة المقارنة بين هذه الارقام في الاقطار المذكورة .

وقد اعتبر الكاتب ان من المفارقات الجديرة بالملاحظة ان السعودية واليمن الشمالية والسودان قد سجلت معاً عام ١٩٧٥ اعلى معدلات ارتفاع في اسعار المستهلك . فهل كان يتوقع غير ذلك؟ فقد تركنا المؤلف في جهل كامل حول اسباب هذه « المفارقة » كما دعاها . فالمفارقة ظاهرة اقتصادية لها اسبابها إن كانت مفارقة حقاً . وإلا لماذا هي كذلك ؟

ثم اشار الى « مفارقة » اخرى تتمثل في ارتفاع الاسعار في سوريا ، وهي دولة تأخذ بمبدأ « الاقتصاد الموجه » ، بنسب تزيد عن مثيلاتها في الكويت التي تأخذ بمبدأ « الاقتصاد المفتوح » . وسؤالنا هو : هل كان الكاتب يتوقع غير ذلك؟ الا يعني الاقتصاد المفتوح إقتصاداً تتدفق اليه السلع تدفقاً حراً نسبياً كلما زاد الطلب عليها ، مما يمنع الاسعار من الارتفاع بشكل كبير ، مقارنة باقتصاد « موجه » تتسرب اليه السلع تسرباً موجهاً ومداراً ومقنناً ليس

من الضروري ان يكون متناسباً مع الطلب ، مما ينعكس بالتالي في ارتفاعات اكبر نسبياً في الاسعار؟ هل في ذلك مفارقة حقاً ؟ لا نظن ذلك ابداً !

- ٣ -

اما في **الفصل الثاني** فيتحدث الكاتب عن « مصادر التضخم والقوى التضخمية في الاقتصاد العربي » ، حيث يستمر في التوكيد على العوامل النقدية الكمية في تفسير التضخم العربي ، مشيراً الى « ان هناك كمية كبيرة من النقود تطارد كميات محدودة من السلع والخدمات » ، وهي اشارة غير مقبولة الآن من قبل الاقتصاديين عموماً . إذ ان من المعلوم ان كمية النقد ليست هي في ذاتها المسببة للتضخم ، وإنما « إنفاقها » و« سرعة تداولها » . وقد كان ضرورياً دراسة اثر التغير في سرعة التداول هذه في إحداث التضخم العربي ، وهو ما لم يفعله الكاتب .

وقد أورد الكاتب اربعة قوى مؤثرة في التضخم العربي هي : التضخم المستورد وتحويلات العاملين ودور قطاع التشييد والبناء والتوسع في الانفاق الحكومي . وكلها عوامل واردة ومؤثرة حقاً . ولكنها كلها ترتبط بالانفاق التنموي والاستهلاكي الكبير في البلدان النفطية بخاصة وفي جميع الاقطار العربية بعامة . وهو يرى ان التضخم في اسعار الواردات هو موجه ومدار ، يستعمله الغرب خاصة ، وشركاته المتعددة الجنسيات ، كأداة اقتصادية لتحفيز الاستثمار ومبيعات السلع . وهو ينقل ذلك متأثراً بآراء احد الاقتصاديين المصريين . ولا ندري كيف تحفز الاسعار المرتفعة المبيعات ؟ ثم هل بقيت اسعار السلع المستوردة من البلدان الاشتراكية ثابتة ام ارتفعت ايضاً بشكل « موجه ومدار » ؟ اننا نعتقد ان السبب في زيادة اسعار هذه السلع هو الطلب الكبير عليها من قبل الاقطار العربية ، مضافاً الى ذلك بعض التضخم الموجه مقابل الزيادات في اسعار النفط . ويعود ارتفاع اسعار الاستيرادات في اعتقادنا الى زيادة الطلب عليها نتيجة الارتفاع الهائل في ايرادات النفط ونفقات التنمية ، وتنامي دخول البلدان النفطية ، والميول الحدية المرتفعة للاستيراد في الاقطار العربية ، والتضخم الناشيء في البلدان الصناعية نفسها منذ اوائل السبعينات نتيجة ظروف خاصة بها لا علاقة لها بأسعار النفط ، وانفتاح الاقطار العربية جميعها واعتمادها على التجارة الخارجية بشكل كبير جداً لم يقل عن ٢٥ بالمائة من دخولها القومية حتى تصل الى ١٠٠ بالمائة منها . ولا بد لعمليات التنمية من ان تزيد من درجة انفتاح الاقطار العربية عموماً على البلدان المتقدمة صناعياً ، وهذا هو ما يفسر « درجة الانكشاف » الكبيرة بالنسبة لجميع الاقطار العربية ، نفطية او غير نفطية .

وثمة ملاحظة مهمة تتعلق بتحويلات العاملين التي اعتبرها ، في الاخير ، « شبه ريعية » ، لقد تكرر وصف دخول بلدان النفط العربية على انها «ريعية » ؛ ويعنون بذلك انها تنشأ عن عنصر « احتكاري » فيها ، اي كون البلدان العربية ، كغيرها من البلدان المنتجة للنفط ، تحتكر انتاج النفط فتفرض اسعاراً تفوق سعره التنافسي الاعتيادي . وأعجب كيف وقع الاقتصاديون العرب في هذا الخطأ ! كيف يمكن وصف اسعار النفط على انها احتكارية؟ انها لم تكن في يوم من الايام احتكارية إلا بمعنى انها كانت تتحدد من قبل شركات النفط سابقاً . ولكنها كانت دوماً ، كما هي لا تزال اليوم ، دون كلفتها الفرصية البديلة . وبالتالي فليس فيها عنصر « ريعي » ، وليس في دخولها شيء من « الريعية » . فكلفة الفرصة البديلة لسلعة النفط هي اعلى بكثير ، في السابق كما هي الآن، من اسعار النفط في السوق العالمية . واذا كان هناك من دخل « ريعي » فهو ما تحصل عليه

البلدان المستوردة للنفط من فروقات بين هذه الاسعار السوقية المنخفضة نسبياً وبين كلفة الفرصة البديلة لبرميل النفط في سوق الطاقة الحقيقي . وبالتالي فإن دخول البلدان النفطية هي ليست ريعية ؛ وإن كان فيها ريع فهو عنصر « سالب » وليس موجباً ما دامت اسعار النفط الحقيقية هي اقل من كلفته البديلة . وعليه فإن تحويلات العاملين هي ليست ريعية ولا شبه ريعية ، ما دامت هذه دخولاً حقيقية ناشئة عن عمل مؤدًّى في سوق عمل ناشطة تتحدد فيها الاجور تبعاً لقوانين العرض والطلب السائدة . كما ان زيادة حدة الفروق الاجرية،في ظل قابلية العمل على الانتقال، لابد من ان تؤدي الى انتقال العمل الى البلدان ذات الاجر الاعلى ،ولا علاقة لذلك بالشعور بالاحباط ، كما يقول الكاتب ، لدى العمال الآخرين الذي يستمرون بالعمل في بلادهم او الذين يحاولون البحث عن عمل خارجها . ولن يؤدي ذلك بالضرورة الى التأثير سلباً على انتاجية العمل . إن المشكلة الاساسية في هذا الشأن تكمن في عدم اخضاع الهجرة وانتقال العمالة الى ضوابط محددة تنظم حركة العمل بين الاقطار العربية المختلفة . وليس من الضروري ان يشارك انتقال العمالة في العملية التضخمية الا في ظل الفوضى الاقتصادية واللاتنظيم السائدين حالياً في معظم ـ إن لم يكن في كل ـ البلدان العربية ذات الانفتاح الاقتصادي الكامل او شبه الكامل .

أما قطاع التشييد والبناء فقد يشارك جزئياً في تغذية التضخم ، ولكن فقط على المدى القصير . فالتشييد والبناء ـ ما عدا الترفي منه ـ هو جزء من اقامة البنى الارتكازية الاساسية التي لا بد منها ـ بما في ذلك البناء السكني الذي هو جزء ايضاً من « الحاجات الاساسية » للسكان والتي يجب إشباعها سوية مع غيرها من حاجات التعليم والصحة وغيرهما . ومن الطبيعي ان يؤدي ذلك كله الى زيادة الطلب على عمال البناء ، وبالتالي الى ارتفاع اجورهم . وقد تساعد هجرة العاملين على التخفيف من هذا الارتفاع في البلدان المستوردة للعمالة ، والى ارتفاع في اجور العاملين المتبقين في البلدان المصدرة لها . ولكن مع ذلك يبقى الطلب على العمل شديداً مما يرفع من الاجور عموماً في كلا الجزئين من الوطن العربي .

أما القول بأن الإنفاق الحكومي في البلدان غير النفطية يكتسب اهمية خاصة لأن تمويله يتم عن طريق العجز في الميزانية الذي تجري مواجهته ، بدوره ، من خلال الاقتراض المصرفي وبالتالي زيادة عرض النقد ، فإن الآثار النقدية التوسعية هي واحدة سواء تم ذلك عن طريق تمويل عجز في الميزانية في البلدان غير النفطية ، ام من خلال ايرادات النفط ، في البلدان النفطية . لذلك ، في التحليل النهائي ، لا عبرة بطريقة تمويل الانفاق التنموي ، إذ العبرة بالخواتيم : انفاق تضخمي على اي حال .

ويشير الكاتب في هذا الصدد الى ان نسبة العجز في ميزانيات بعض البلدان العربية ، مقارنة بعرض النقد فيها ، تتراوح بين ١٢ بالمائة الى ٥٠ بالمائة . وهو « يستعظم » هذه النسبة ، ثم يقول : « والأدهى من ذلك ، ان الجانب الاعظم من ذلك العجز قد تم تمويله خلال الاقتراض الواسع من الجهاز المصرفي ، والذي فشل بدوره عن [كذا] امتصاص « فائض السيولة » المتاح في الاقتصاد الوطني »(ص٧٣) .

وعدا عن كون الاقتراض المصرفي التجاري هو اقل تضخمية من الاقتراض من المصرف المركزي لتمويل العجز في ميزانية الحكومة ، فإن لدينا في هذا الصدد ثلاثة تساؤلات :

ـ « ادهى » من ماذا ؟ ولماذا ؟

ـ كيف يمكن للاقتراض من الجهاز المصرفي ان « يمتص فائض السيولة » ؟

ـ هل هناك فرق ، في النتائج ، بين اقتراض

الحكومة واقتراض القطاع الخاص من البنوك التجارية؟ أليس التساؤل يجب ان يكون بالاحرى حول الاستعمال النهائي للائتمان المصرفي : هل هو لتمويل نشاط اقتصادي انتاجي تنموي ، ام لتمويل فاعليات استهلاكية او تضاربية ؟ ثم الا يجب التساؤل اولاً عن طبيعة العجز الحكومي وهدفه ؟ هل هو استهلاكي ام انتاجي ام تنموي؟

- ٤ -

اما في **الفصل الثالث** ، فيبحث المؤلف « الآثار والابعاد الاجتماعية للتضخم على الصعيد العربي ». وربما كان هذا الفصل هو الافضل بين مجموع فصول الكتاب الاربعة . فقد اشار فيه الكاتب الى هذه الآثار في مجال إعادة توزيع الدخل والاصول والثروات والتمايز الاجتماعي ونظام القيم . وكان ما قدمه في هذا الشأن قيّماً . الا ان تقويماته كانت في الغالب نوعية وكيفية اكثر منها كمية وهو ما لا غبار عليه في ظل ندرة المعلومات والاحصائيات . ولكن تجب ملاحظة ان جميع الفئات الاجتماعية قد استفادت عموماً من التضخم وتحسن موقفها اقتصادياً - بما فيها العمال - ما عدا طبقات الموظفين وذوي الدخل المحدود . وينطبق ذلك بصورة خاصة على البلدان النفطية . كما ان المضاربات في الاراضي والعقار هي ليست جديدة ، ولكن التضخم جعلها تشتد ، منطقياً ، بسبب الدخول الكبيرة لدى بعض السكان ممن لا يجدون وسيلة لاستثمارها سوى في المضاربات في هذه الاصول ، مضافاً اليها السلع المعمرة كالسيارات ، ذات التداول السريع والربح العالي والسريع كذلك .

وقد كانت المضاربة في الاراضي سابقاً تعود الى عامل نمو السكان ، اما الآن فسببها الدخول المرتفعة والفائضة التي تبحث عن منفذ استثماري مضمون تجده واضحاً في الاراضي والعقار والسلع المعمرة . اما ارتفاع اسعار الاراضي في بلد كالقاهرة وبغداد وعمان بنسب تفوق مثيلاتها في بريطانيا او اوروبا فيعود الى ان نسب التضخم ونسب ارتفاع الدخول المفاجىء في البلدان العربية عموماً تفوق بكثير مثيلاتها في البلدان الاوروبية عموماً . وهذه نتيجة متوقعة للتضخم في البلدان النامية الصغيرة . اما من حيث اثر التضخم على التمايز الاجتماعي ونظام القيم ، من حيث انتشار النمط الاستهلاكي الترفي وتدهور قيمة العمل المنتج وخراب الذمم فهو جزء لا يتجزأ مما أسميه بـ « اخلاقيات التضخم » .

- ٥ -

وينتقل الكاتب اخيراً الى الكلام في **الفصل الرابع** عن « السياسات اللازمة لمواجهة ومكافحة التضخم » . حيث يقسم هذه السياسات والاجراءات الى قطرية وقومية ، وعلى المدى القصير والمدى الطويل . فعلى الصعيد القطري ، وعلى المدى القصير ، يرى ضرورة التحكم في محددات التوسع في السيولة المحلية - اي عرض النقد بمعناه الواسع M_2 - ويذكر ضمن ذلك حجم الاصول الاجنبية لدى الجهاز المصرفي ولدى السكان ، وهو امر يصعب بشكل خاص في البلدان غير النفطية ذات الاقتصادات الحرة . والغريب ان الكاتب يصر على ضرورة « التحكم في حجم الاصدار النقدي لاوراق البنكنوت وغيرها من العملات المساعدة حتى يمكن [حسب قوله] تفادي (او الحد) من ظاهرة « الافراط النقدي » في معظم الاقتصاد العربي » (ص ٩٦) . والسؤال هنا هو : لماذا كمية النقد الورقي فقط وماذا عن الودائع الجارية وقد زاد حجمها كثيراً؟ أليست هي جزءاً مهماً من عرض النقد كما أشار اليه الكاتب نفسه فيما سبق؟ ولماذا مفهوم كمية النقد الانسب من وجهة نظر معيار « الافراط النقدي » هو كمية البنكنوت المتداول + العملات المساعدة والمعاونة » ؟

وما هو المستوى « الصحي » او « الامثل » لكمية النقود في الاقتصاد القومي؟ هل هو معدل نمو الناتج او الدخل القومي؟ واذاً ماذا عن الودائع تحت الطلب او الودائع بانواعها أليست هي وسائل دفع او قوة شرائية ؟ ثم ما هي اهمية العملات الاجنبية بأيدي الجمهور؟ كم تبلغ؟ وكيف يمكن تلافي السوق السوداء فيها ما دامت هناك رقابة على الصرف الاجنبي ؟

إن الاصل في كل ذلك ـ في زيادة وسائل الدفع زيادة تضخمية ناتجة عن التوسع في الائتمان المصرفي ـ هو توجيه الائتمان نحو تمويل النشاطات الاقتصادية ـ الانتاجية لا التضاربية او الاستهلاكية . فالتمويل المصرفي للقطاع الخاص ليس ضاراً بحد ذاته وإنما يعتمد في ذلك على الغرض المتوخى منه . وفي هذا الصدد يجب التوكيد على السياسة النقدية النوعية والانتقائية ، وليس على السياسة النقدية الكمية وذلك لمواجهة الضغوط التضخمية ، من ناحية ، ولتوجيه الائتمان وجهة إنتاجية تخدم عملية التنمية ، من الناحية الاخرى . ولذا فإن وسائل السياسة النقدية التقليدية ، كنسب الاحتياطي القانوني واسعار اعادة الخصم ، ليست فعّالة تماماً في هذا الخصوص .

وبالنسبة للسياسة المالية ، فمع ان ترشيد الانفاق الاستهلاكي الحكومي وزيادة الجهد الضريبي ، كفرض ضرائب على ارباح قطاع الاعمال ، هي امور واردة ولازمة ، الا ان ضغط الانفاق الحكومي على مقومات البنيان الارتكازي هو امر خاضع للتحفظ ، فهو رغم انه لا يضيف الى الطاقة الانتاجية على المدى القصير ، الا انه مهم على المدى الطويل وضروري لتوسيع وتقوية القاعدة الانتاجية الاساسية في الاقتصاد القومي . ومع ذلك نتفق مع الكاتب في اهمية التركيز على المشاريع الضرورية ذات الاسبقية ، وتقليل التوكيد على المشروعات المظهرية ذات الانتاجية المحدودة .

ويرى الكاتب ضرورة التحكم في مكونات السعر كوسيلة للرقابة على الاسعار. من ذلك التحكم في تكلفة المواد الخام والاجور وهوامش الربح . ولكن هل يمكن ذلك في اقتصادات السوق الحر المفتوحة ؟ ثم أليس الافضل والاسهل التحكم في الاسعار النهائية؟ وهو يرى إمكانية التحكم في هذه الاجزاء عن طريق رفع الانتاجية والاقتصاد في المدخلات وضبط هوامش الربح . ويبقى هنا التساؤل قائماً عن إمكانية تحقيق ذلك في الاقتصادات العربية المفتوحة . ومن ناحية اخرى ، لا يصل الكاتب الى استنتاج معين حول السياسة الاجرية . ويتحفظ على سياسة الدعم الحكومي للسلع بحجة انه يزيد من التضخم لأنه يخلق عجزاً حكومياً يجب تمويله ، مما يزيد من عرض النقد ، وبالتالي من الضغوط التضخمية . غير ان الدعم هو فقط للسلع الضرورية . ثم ان من الممكن الحد من ارتفاع الاسعار عن طريق اخضاعها لرقابة فعّالة .

وبشأن سياسات الاجل الطويل فتتعلق بالقضاء على الاختناقات في جانب القطاعات السلعية والخدمية ، ورأس المال الارتكازي ، والسلع الزراعية ، والسكن . وبعض من هذا يتناقض مع اقتراحاته السابقة حول الحد من الانفاق الحكومي على رأس المال الارتكازي . اما عن سياسة سعر الفائدة ، فمع ان رفع هذا السعر قد يكون ضرورياً لتعبئة وتشجيع الادخارات ، إلا انه ، برأي البعض ، قد يضر بعملية الاستثمار فيحد منها بسبب زيادة كلفتها .

اما تنسيق السياسات النقدية العربية بهدف مكافحة التضخم فنرى ان الكاتب قد ذهب بعيداً في اقتراح التنسيق بينها في مجالات :

توقيت الاجراءات النقدية ، وهيكل سعر الفائدة المحلي ، ونسب زيادة السيولة المحلية ومكوناتها ، والرقابة على النقد الاجنبي ، والتمويل التضخمي للعجز . والمشكلة تتلخص في صعوبة ذلك في ظل الاوضاع السائدة وغياب الاتفاق على اهداف عامة محددة للسياسات النقدية والمالية والاقتصادية ، ليس التضخم الا واحداً منها فقط . ولو تحقق هذا التنسيق في المجالات المذكورة ، لتحقق شرط مهم من شروط التكامل النقدي العربي .. الذي هو هدف لا زال بعيداً حقاً !

- ٦ -

هذا ، وفي الاخير ، رغم الجهد القيّم الذي بذله الكاتب في بحث موضوع شائك يشمل الوطن العربي كله ، الا أننا نعتقد ان هناك بعضاً من الثغرات التي نأمل منه سدّها في طبعات مقبلة . من ذلك انه لم يشر الى التضخم واسبابه في البلدان النامية الاخرى ويقرنه بالوضع في البلدان العربية . ولم يشر كذلك الى ظاهرة التضخم العالمية في السبعينات ، ولا الى طبيعتها ومسبباتها وآثارها على التضخم في الوطن العربي . وقد حاول ربط التضخم الاخير بأسباب معينة معتبراً إياها « خاصة » بالوطن العربي في حين يمكن اعتبارها عامة في جميع البلدان النامية وان اختلفت في الدرجة . كما انه لم يشر الى ان التضخم في البلدان النامية ، بما فيها العربية ، هو صفة ملازمة لعملية التنمية ، بل يمكن اعتبارها عاملاً من عواملها[٣] . ويؤخذ عليه انه اكد على عامل كمية النقد - ومنه فقط العملة في التداول - كعامل تضخمي ، بينما الاصل في ذلك هو الانفاق التنموي الواسع بصرف النظر عن طبيعته وطريقة تمويله . وهو في كل ذلك يبدو في الغالب باحثاً للامر في اطار السوق الحر ، ولكنه يتأرجح بين الحرية الاقتصادية والتوجيه الاقتصادي دون اتجاه واضح .

ومع ذلك فقد قدم الكاتب إضافة جديدة للمعرفة الاقتصادية العربية ، وسد بحثه فراغاً في المكتبة العربية ، وغطى ، مع شيء من التقويم المباشر او غير المباشر ، السياسات الاقتصادية والتنموية والتجارية والنقدية للاقطار العربية ، وتعدى في بحثه مرحلة « التشخيص » الى مرحلة اقتراح الحلول ووضع السياسات وتقديم التوصيات على المستويين القطري والقومي ، وعلى الامدين القصير والطويل □

---

(٣) انظر في هذا الصدد : عبد المنعم السيد علي ، **دور السياسة النقدية في التنمية العربية** (القاهرة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٥) ، الفصل ٧ .

تعقيب على مراجعة د. عبد المنعم السيد علي لكتاب: مشكلة التضخم في الاقتصاد العربي

د. محمود عبد الفضيل

اسعدني كثيراً ان يقوم د. عبد المنعم السيد علي بعمل مراجعة لكتابي « مشكلة التضخم في الاقتصاد العربي » فهو خير من يتناول مثل هذا الموضوع بالمراجعة والنقد والتقويم ، وذلك لما له من اسهامات بارزة ومتميزة في مجال دراسة المشاكل النقدية والمالية على الصعيد العربي . ونظراً لأهمية النقطة التي أثارها الاستاذ المراجع - ولأن بعضها نقاط خلافية - اود ان أقدم هنا بعض الملاحظات حول ما أثير في هذه المراجعة المهمة والقيّمة ، وذلك لوضع مزيد من النقاط فوق الحروف وتوسيعاً لدائرة الحوار حول طبيعة المشاكل والظواهر التضخمية التي اجتاحت الاقتصاد والمجتمع العربي عموماً خلال حقبة السبعينات .

ولعل القضية الاولى الجديرة بالتعقيب ما جاء في المراجعة من رفض لفكرة « الخصوصية » للعملية التضخمية الجارية في الاقتصاد العربي . فالاستاذ المراجع لا يرى فيما حدث ويحدث من ظواهر وضغوط تضخمية في الاقتصاد والمجتمع العربي اي خصوصية ، وانما هو « تضخم كلاسيكي حقاً » ، رغم كل ما فيه من تعقيدات « التكاليف » و « الاختلالات الهيكلية » . ويضيف المراجع في مكان آخر ان البلدان العربية لا تختلف عن غيرها من البلدان النامية « الا في عوائد النفط الكبيرة لدى الاقطار النفطية ، وهي عوائد ناشئة عن صادرات لمادة اولية ، تماماً كما هي عوائد القطن لدى مصر العربية . وآثارها في الحالتين واحدة نوعاً وان اختلفت درجة » .

ولا نملك هنا سوى ان نؤكد اختلافنا مع المراجع بهذا الصدد ، فعندما نردد في ثنايا مؤلفنا بأن ظاهرة التضخم في الاقتصاد العربي تتسم « بالتعقد والتنوع والخصوصية » ، فليس المقصود من ذلك القول بأن الظواهر والضغوط التضخمية التي تجتاح الاقتصاد العربي **هي ظواهر فريدة ليس لها مثيل في الزمان والمكان** ، وانما نود فقط ان نؤكد ان القوى التضخمية الفاعلة في الاقتصاد العربي في السبعينات ولدت سلسلة من التفاعلات والآليات التي شكّلت مزيجاً فريداً من الظواهر والضغوط التضخمية . فإذا قلنا ان المصادر والقوى التضخمية « ظلت كلاسيكية » بالمعنى الذي يقصده المراجع ،

فإن التفاعلات والآليات خلقت ظواهر وضغوطاً تضخمية تتسم « بالتعقد والتنوع والخصوصية » .

فما نشهده منذ النصف الثاني من السبعينات ليس مجرد تضخم له علاقة بالانفاق التنموي الكبير والتوسع الكبير في عرض النقد نتيجة عائدات النفط وتحويلات العاملين في البلدان النفطية ، وإنما انماط الانفاق التنموي والاستهلاكي ذاتها وعلاقتها بالفورة في قطاع التشييد والبناء والتوسع في الاستيراد والتركيب الاحتكاري للاسواق كانت كلها عوامل تشابكت لتربط بين آليات التضخم المستورد وتضخم هوامش الربح وضخ النقود وخطوط الائتمان المصرفي باتجاه قطاعات التجارة والاستيراد والتصدير والبناء والتشييد . كذلك فإن « التكاليف الدافعة » Cost-push ، كمحدد للتضخم ، ليست في الواقع اسعار كغيرها لعوامل الانتاج تقع تحت تأثيرات قوى العرض والطلب نفسها على المستويين الكلي والجزئي ، على حد ما يذهب اليه المراجع .

فالمسألة ليست بمثل هذه البساطة المدرسية ، بل لعلنا جميعاً نشهد بأن **أسواق عوامل الانتاج هي** في معظم الاحوال اسواق « غير تنافسية » . ويكفي لنا أن نشير الى « سوق الاراضي » وما شهده من مضاربات حادة وجنونية خلال السنوات الاخيرة نتيجة انماط استهلاكية وادخارية واستثمارية معينة تتصل بخصوصية سلوكيات الفئات العليا للمدخرين والمستثمرين والاختلال الهائل في نمط توزيع الدخل والثروات في ظل « الحقبة النفطية الجديدة » .

كذلك يمكن لنا أن نشير الى اوضاع « سوق العمل » ولاسيما بالنسبة لأجور الفئات الحرفية والمهنية وغيرها من فئات العمالة الماهرة ، مما يعكس حدة تجزئة وضعف مرونة الاحلال بين فئات العمالة المختلفة ، نتيجة اوضاع واختلالات هيكلية في البنيان الاقتصادي والنظام التعليمي والتدريبي العربي . ولا يعني هذا القول - من وجهة نظرنا - بأن عنصر « العمل » وبالتالي « الاجور » قد أدت الى مفاقمة ضغوط التضخم في الاقتصاد العربي على نحو ما يذهب اليه بعض الكتاب حينما يخلطون بين النتيجة والسبب . ولهذا نجد أنفسنا في اتفاق كامل مع ما جاء في مراجعة د. عبد المنعم السيد علي من ان « الارتفاع الذي حدث في اسعار السلع الاستهلاكية والانتاجية - خاصة المستورد منها - قد سبق الارتفاعات التالية في الاجور » . وخير دليل على اتفاقنا مع وجهة النظر هذه الصفحات التي خصصناها لمناقشة **دور التضخم المستورد في تغذية العملية التضخمية في البلدان العربية** (الفصل الثاني - ص ٤٠ - ٤٩) .

والملاحظة الثانية تتعلق بالمؤشرات والمقاييس التي استخدمناها للتدليل على حجم واتساع الضغوط التضخمية في الاقتصاد العربي . فقد استخدمنا مؤشرات ثلاثة هي :

أ - التغيرات التي تطرأ على الاسعار (اسعار المستهلك) .

ب - مقدار الزيادة في كمية وسائل الدفع (M_1, M_2) .

ج - تطور حجم الفجوة التضخمية على المستوى الكلي .

ويرى الاستاذ المراجع ان ذلك ينطوي على خلط ومزج بين ما هو « مؤشرات » وما هو « عوامل » تضخم ، اذ لم يكن من بين هذه سوى الارقام القياسية لاسعار المستهلك مؤشراً . اما العنصران الآخران فهما يندرجان تحت ما يسمى « عوامل التضخم » . فرغم تسليمنا بأن كل من « ب » و« ج» يمكن النظر اليهما من زاوية تحليل عوامل ومصادر

التضخم ، فإن التحليلات الحديثة (النقدية والكينزية) قد درجت على استخدام كليهما كمقاييس للعملية التضخمية في الاقتصاد محل الدراسة .

وبهذا الصدد تشير المراجعة الى نقطة قصور تتعلق بعدم البحث في مدى صلاحية الارقام القياسية للمستهلك للمقارنة فيما بين البلدان العربية المختلفة ، ولاسيما فيما يتعلق بتوزيع الانفاق بين السلع والخدمات الاستهلاكية المختلفة ومدى دقة وحداثة الاوزان الترجيحية المعطاة لها في الاقطار العربية المختلفة . ونحن نسلم بأهمية هذا القصور ، ولكن الخوض في هذا الموضوع للتدقيق في مدى الصلاحية الاحصائية لمقارنة الارقام القياسية لاسعار المستهلك فيما بين الاقطار العربية المختلفة هو يعتبر بحث قائم بذاته لما له من تعقيدات تحتاج الى مشاركة الجهات الاحصائية الرسمية في كل من الاقطار المعنية .

ورغم ذلك فقد نبهنا في الدراسة الى ان طريقة حساب الارقام القياسية لنفقات المعيشة تختلف من قطر عربي الى آخر . « فسلة الاستهلاك » الداخلة في تركيب هذا الرقم لا بد من ان تختلف من قطر عربي الى آخر . وفي الوقت نفسه ، فإن الاوزان التي يتم بها ترجيح كل سلعة من السلع الداخلة في « سلة الاستهلاك » لا بد من أن تختلف ايضاً ، وذلك تبعاً لما تمثله هذه السلع من إجمالي انفاق الفرد عليها في الشريحة الاجتماعية المختارة في كل من هذه الاقطار . » ونتيجة ذلك فإن المقارنات التي يمكن ان تبنى على اساس هذه الارقام ، لا يمكن ان تكون ممثلة للحقيقة والواقع الا بدرجة محدودة » (ص ١٨) . ورغم ذلك تظل مكونات الارقام القياسية لها اهميتها عبر السنين في اطار البلد العربي الواحد ، وفيما بين الاقطار العربية بالنسبة لبعض بنود الانفاق مثل : المواد الغذائية ، الملبوسات ، الاحذية ، ايجار السكن ومستلزماته ، على النحو المبين في الجدولين (١-٢) ، (١ ـ ٣) من الكتاب محل المراجعة .

وبصدد هذه المقارنات يعبر المراجع عن تعجبه لما أسميناه ـ على سبيل السخرية ـ « مفارقة » ان السعودية واليمن الشمالية والسودان قد سجلت معاً عام ١٩٧٥ اعلى معدلات ارتفاع في اسعار المستهلك ، وكذلك ارتفاع الاسعار في بلد كسوريا ، تأخذ بمبدأ « الاقتصاد الموجه » ، بمعدلات تزيد عن مثيلاتها في بلد كالكويت تأخذ بمبدأ « الاقتصاد الحر والمفتوح » . هذه النتائج كلها متوقعة وغير مستغربة بالنسبة لي كباحث اقتصادي متخصص ... يدرك جيداً أن ما يحدث في السعودية (البلد الغني) وفي اليمن والسودان(من البلدان غير النفطية والمحدودة الموارد) إنما الوجه الآخر لنفس العملة (او نفس العملية التضخمية) . وانما كان كل قصدنا من استخدام تعبير « مفارقة » هو التركيز على بعض النتائج المقارنة التي قد تبدو للقارىء العادي على انها « مفارقات » ، وبالتالي كل هدفنا هو على العكس تماماً إثبات مدى عمومية العملية التضخمية وشمولها لجميع البلدان العربية دون استثناء سواء أكانت نفطية او غير نفطية،ام يقوم نظامها الاقتصادي على التوجيه الاقتصادي او الحرية الاقتصادية .

ويرتبط بمقاييس وعوامل التضخم ما جاء في مراجعة د. عبد المنعم السيد علي من ان « كمية النقد ليست هي في ذاتها المسببة للتضخم وانما « انفاقها وسرعة تداولها » . وقد كان ضرورياً دراسة اثر التغير في سرعة التداول هذه في احداث التضخم العربي » . ورغم تسليمنا بأهمية دراسة التغير في سرعة تداول النقود بأنواعها لفهم بعض ابعاد العملية التضخمية الجارية ، فإن ما جعلنا نحجم عن القيام ببعض القياسات بهذا

الصدد هو اعتقادنا بأن النهج السليم يقتضي حساب « سرعات تداول النقود » **للفئات الدخلية المختلفة في ظل الظروف التضخمية الجامحة**، وحيث تحدث عمليات اعادة توزيع واسعة للدخول بين الفئات الدخلية والاجتماعية المختلفة . وهذا ما لا تساعدنا على إنجازه البيانات الاحصائية المتاحة . ودون انتهاج هذا النهج نخشى ان بعض القياسات للتغير في سرعة تداول النقود قد تُظهر بعض المفارقات ـ ونقصد هنا « مفارقات » حقاً ـ حيث يرافق بعض العمليات التضخمية ابطاء في سرعة تداول النقود نتيجة اعادة توزيع الدخل بشكل هائل لمصلحة بعض الفئات الغنية والميسورة ذات السرعات البطيئة نسبياً لتداول النقود . ولكن قضية التغير في سرعة تداول النقود ، حسب الفئات الدخلية وحسب انواع النقود ، هي قضية مهمة وجديرة بمزيد من الاهتمام وغنية ببعض النتائج التحليلية .

وبخصوص القوى التي تغذي العملية التضخمية في الاقتصاد العربي يشكك الاستاذ المراجع في مدى مصداقية المقولة التي اوردتها في كتابي والقائلة بأن التضخم في اسعار الواردات هو **موجّه ومدار** ، يستعمله الغرب خاصة وشركاته المتعددة الجنسيات ، كآلية لاعادة تدوير الدولارات البترولية لمصلحة البلدان الغربية المصدرة لسلع الاستهلاك والاستثمار والتكنولوجيا. فهو يرى ان السبب في ارتفاع اسعار الواردات القادمة من بلدان الغرب انما يعود ببساطة الى « الطلب الكبير عليها من قبل الاقطار العربية ، مضافاً الى ذلك بعض التضخم الموجّه مقابل الزيادات في اسعار النفط » .

ولكني ما زلت اعتقد ان الاسعار الابتزازية والاحتكارية التي تحمّل بها فواتير الاستيراد ليست مجرد نتاج لارتفاع الطلب عليها ، وانما « التضخم الموجه والمدار » هو آلية مهمة تستخدمها الادارة الاقتصادية في البلدان الرأسمالية المتقدمة (الولايات المتحدة ، بلدان السوق الاوروبية المشتركة ، واليابان) لتعديل شروط التبادل لمصلحتها بين ما تستورده من مواد نفطية ، هيدروكربونية ، من ناحية ، وبين ما تستورده من سلع وخدمات استهلاكية واستثمارية من ناحية اخرى . وتلك نقطة لم تؤكد عليها كتابات بعض الاقتصاديين العرب مثل د. فؤاد مرسي و د. حازم الببلاوي فقط ، بل لقد اعترف بها ضمناً بعض الثقاة من الاقتصاديين الامريكيين المرموقين ذوي الصلات الوثيقة بالادارة الامريكية مثل الاستاذ ريتشارد كوبر (Richard Cooper) وبيتر كينين (Peter Kenin) .

وعلى هامش هذه النقطة ، نود الاشارة الى ان ارتفاع الميول الحدية للاستيراد في البلدان العربية (النفطية وغير النفطية) على النحو الذي اوضحناه في الجدول (٢ـ ١) لا يؤدي في حد ذاته الى ارتفاع حدة مفعول « التضخم المستورد » في بنية الاقتصاد العربي لو ظلت شروط التبادل على حالها . ولذا فإن وجهة نظرنا تتلخص في ان اهمية التضخم المستورد في الحياة الاقتصادية العربية في السبعينات ، انما ينبع من تضافر عاملين : الارتفاع الهائل في الميول الحدية للاستيراد وارتفاع اسعار السلع والخدمات المستوردة بشكل « موجّه ومدار » من جانب البلدان المتقدمة .

والآن نأتي الى نقطة على مستوى عالٍ من الأهمية باعتبارها جزءاً من « نظام المفاهيم » الذي نتبناه في تحليلاتنا . وتلك تتعلق بوصفنا لتحويلات العاملين في البلدان النفطية على انها « دخول شبه ريعية » فالمراجع يتجاوز هذه النقطة ليطرح مسألة على درجة اكبر من العمومية من الناحية التحليلية ، اذ يقول « لقد تكرر وصف دخول بلدان النفط العربية على انها « ريعية » ... وذلك بمعنى انها تنشأ عن عنصر

« احتكاري » فيها ، اي كون البلدان العربية ، كغيرها من البلدان المنتجة للنفط ، تحتكر انتاج النفط فتعرض اسعاراً تفوق سعره التنافسي الاعتيادي . واعجب كيف وقع الاقتصاديون العرب في هذا الخطأ ؟» .

وحيث انني واحد من هؤلاء الاقتصاديين العرب الذين يرددون بقوة ان دخول بلدان النفط العربية هي في معظمها دخول « ريعية » ... اود ان اتساءل بدوري من قال ان وصف دخول البلدان النفطية بأنها « ريعية » إنما يعني في الوقت نفسه انها دخول ناتجة عن **اساليب تسعير احتكارية** ؟ اعتقد ان هنا خلطاً واضحاً بين القول بوجود **عنصر ريعي** في عملية تكوين الأثمان للنفط الخام (بالمعنى الريكاردي المتعارف عليه في التحليل الاقتصادي) من ناحية ، وبين القول بوجود **عنصر احتكاري** في تكوين اسعار نفط بلدان الاوبك على النحو الذي يتردد في بعض الدوائر الغربية من ناحية اخرى .

فعندما نقول بأن دخول البلدان النفطية لها « طبيعة ريعية » فإننا في الوقت نفسه ، نرفض التحليلات التي تصف اسعار النفط على أنها « أسعار احتكارية » تفرضها قلة من البلدان المنتجة . وهنا نتفق تمام الاتفاق مع ما يؤكده الاستاذ المراجع من ان اسعار النفط « كانت دوماً ، كما هي لا تزال اليوم ، دون كلفتها الفرصية البديلة » . ورغم ذلك يظل « العنصر الريعي » الذي تحتوي عليه العائدات النفطية قائم كمقولة تحليلية على النحو الذي جاء في تحليلات دافيد ريكاردو عندما تحدث عن **ريع المناجم** بالمعنى « التفاضلي » وتلك مسألة منفصلة تمام الانفصال عن عمليات التسعير وهيكل الاسواق (تنافسي ام احتكاري)[1] . وطبيعي اذاً أنه اذا كان هناك « دخل ريعي » ناتج عن عمليات استخراج وتصدير النفط الخام ان يتم اقتسامه بين البلدان المصدرة للنفط والشركات النفطية الكبرى دولية النشاط .

وتأسيساً على ذلك فإننا نعتقد ان دخول (وبالتالي **تحويلات**) العاملين من المواطنين العرب في البلدان النفطية تحتوي على « عنصر ريعي » rent element ، نظراً لانفصام العلاقة بين الاجر والناتج الحدي والمتوسط في الانشطة المثيلة في البلدان العربية « غير النفطية » او « نصف النفطية » . وبمعنى آخر ، اذا نضبت عائدات النفط فإن زيادة الطلب على الايدي العاملة العربية الوافدة لن تؤدي وحدها الى تحقق المستويات السائدة حالياً للأجور لفئات العمالة الماهرة والمهنية والادارية (ناهيك عن الاتعاب الاستشارية ودخول الاعمال والعمولات) .

ورغم اعتقادنا بسلامة تحليلنا بهذا الخصوص الا اننا نجد أنفسنا في اتفاق كامل مع المراجع في قوله بأن « ليس من الضروري ان يشارك انتقال العمالة في العملية التضخمية الا في ظل الفوضى الاقتصادية واللاتنظيم السائدين حالياً في معظم ـ ان لم يكن في كل البلدان العربية ـ ذات الانفتاح الاقتصادي الكامل او شبه الكامل » .

وإذا ما انتقلنا الى دور « الفورة في اعمال البناء والتشييد » في تغذية العملية التضخمية في الاقتصاد العربي ، نجد ان الاستاذ المراجع

---

(١) جاء في الفصل الثالث من كتاب دافيد ريكاردو **مبادىء الاقتصاد السياسي والضرائب** :

«If there were abundance of equally fertile mines, which any one might appropriate, they could yield no rent; the value of their produce would depend on the quantity of labour necessary to extract the metal from the mine and bring it to the = market».

يميل الى التقليل من شأن هذا المصدر باعتباره يشارك فقط جزئياً في تغذية التضخم ويقتصر على **المدى القصير** . فالتشييد والبناء ـ ما عدا الترفي منه ـ هو جزء من اقامة البنى الارتكازية الاساسية التي لا بد منها ، بما في ذلك البناء السكني الذي هو جزء ايضاً من « الحاجات الاساسية للسكان » . ولكننا ما زلنا نعتقد ان الفورة في اعمال البناء والتشييد على النحو الذي شهدناه في السبعينات لعبت دوراً أساساً في تغذية العملية التضخمية في الاقتصاد العربي من خلال سلسلة من التفاعلات والآليات التي أثرت تأثيراً بالغاً على اوضاع « سوق العمل » ، « سوق الاراضي » ، « سوق مواد البناء » ، « سوق الايجار ودور السكن » في معظم البلدان العربية النفطية وغير النفطية .

وفي تقديرنا ، انه في اطار نموذج تحليلي متكامل للتوازن العام وللتشابك بين الاسواق المختلفة لخدمات عوامل الانتاج والسلع الوسيطة يمكن اثبات **اهمية الدور المركزي** الذي لعبه قطاع البناء والتشييد في تغذية نيران العملية التضخمية في الاقتصاد العربي .

وبخصوص القوى المسببة للتضخم في الاقتصاد العربي يثير المراجع نقطة مهمة تتعلق بدور **التمويل المصرفي** سواء للحكومة ام لقطاع الاعمال . وهو يرى ان التساؤل الصحيح يجب ان يكون حول الاستعمال النهائي للائتمان المصرفي : وهل هو لتمويل نشاط اقتصادي انتاجي تنموي ، ام لتمويل فعّاليات استهلاكية او تضاربية ؟ ثم ألا يجب التساؤل اولاً عن طبيعة العجز الحكومي وهدفه ؟ هل هو استهلاكي ام انتاجي ام تنموي ؟

ولا اعتقد ان هناك خلافاً بيني وبين المراجع بهذا الصدد ، فعند حديثي عن **ترشيد سياسات الاقراض والتوسع في الائتمان المصرفي** ضمن الفصل الرابع الذي يناقش السياسات اللازمة لمواجهة ومكافحة التضخم على الصعيد العربي ، هناك اشارات واضحة وبالارقام لطبيعة التوزيع القطاعي للتسهيلات الائتمانية واتجاهها لتمويل الواردات والتجارة في السلع المستوردة وعمليات البناء وشراء الاراضي مما يفاقم من الضغوط التضخمية (انظر ص ٩٩ ـ ١٠١) .

وعلى صعيد السياسات اللازمة لمكافحة التضخم على الصعيد القطري في الاجل القصير (القسم الاول من الفصل الرابع) ، فإننا لم نقتصر على القول بضرورة التحكم في **حجم الاصدار النقدي لاوراق البنكنوت وغيرها من العملات المساعدة** للحد من ظاهرة « الافراط النقدي » ـ كما توحي المراجعة ـ بل اقترحنا ترشيد سياسات الاقراض والتوسع في الائتمان المصرفي (انظر الصفحات ٩٩ ـ ١٠٢) . وذلك بهدف « التوكيد على السياسة النقدية النوعية والانتقائية لمواجهة الضغوط التضخمية من ناحية ، ولتوجيه الائتمان وجهة انتاجية تخدم التنمية من ناحية اخرى » ، تماماً كما يطمح الاستاذ المراجع .

وحول ضرورة **التحكم في مكونات تكوين اسعار السلع والخدمات** ، فما زلنا نعتقد بأنه يمكن ضبط هوامش الربح حسب المجموعات

= «But there are mines of various qualities, affording very different results, with equal quantities of labour... The return for capital from the poorest mine paying no rent would regulate the rent for all other more productive mines...all other mines produce more than this, will necessarily be paid to the owners for rent» See: David Ricardo, *On Principles of Political Economy and Taxation*, 3d. ed. (London: John Murray, 1821).

السلعية المختلفة في ظل سياسة سعرية حازمة في الانظمة « ذات الاقتصاد الحر » ... اذ ان الحرية الاقتصادية ليست مسألة مطلقة ، فلا يمكن التسليم بأن مبادىء الادارة الاقتصادية التي تقوم على « اقتصاد المشروع الحر » تستبعد تقييد الممارسات الاحتكارية في التسعير وفوضى تضخيم هوامش الربح دون حسيب او رقيب !

وبصدد الحديث عن دور **السياسات الاجرية** في مكافحة التضخم ، ينسب الينا المراجع خطأً الرأي القائل بأننا نتحفظ على سياسة الدعم الحكومي للسلع التموينية لأنها تزيد من الضغوط التضخمية من خلال تفاقم عجز ميزانية الدولة . فلسنا من الذين يطالبون بالغاء الدعم ولكنني هدفت فقط الى عرض وجهات النظر المتباينة بهذا الصدد ، وخاصة تلك التي تنادي باستبدال « الدعم السلعي » بزيادات في الاجور النقدية . وقد حاولنا أن نبيّن ان راسم السياسة الاقتصادية يجد نفسه في مأزق حقيقي ازاء البديلين ، فكلاهما له « وجه تضخمي » يصعب انكاره .

وفي خلاصة المراجعة يرى المراجع ان المؤلف يبدو في غالب الامر باحثاً لموضوع التضخم في اطار السوق الحر ، « ولكنه يتأرجح بين الحرية الاقتصادية والتوجيه الاقتصادي دون اتجاه واضح » . وفي اعتقادي ان هذا تقويم غير عادل ، فموقفنا بهذا الشأن واضح وصريح وهو بالقطع في اتجاه الاخذ بمبادىء « التوجيه الاقتصادي » . ولكن ما يسميه الاستاذ المراجع «تأرجحاً»هو لا يخرج عن كونه محاولة لايجاد صيغ عملية تجمع وتوفق بين نظم للادارة الاقتصادية تأخذ « بالحرية الاقتصادية » واخرى تأخذ بمبادىء « التوجيه الاقتصادي » . ومطلوب منا أن نبحث عن سبل لكيفية تعايشها والتنسيق فيما بينها لمكافحة التضخم على الصعيد العربي في الأجلين : القصير والمتوسط .

واخيراً يبقى لنا ملاحظتان ختاميتان :

الاولى : تتعلق **بالمدخل النظري** .. اذ ان ما جاء بهذا المدخل لا يعدو ان يكون توطئة للبحث كله وليس المقصود منه الاستطراد في قضايا نظرية وفقهية حول تحليل التضخم والعمليات التضخمية . وقد حكم ذلك تأكيد الامانة العامة لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية على ضرورة التركيز على مناقشة القضايا والمشاكل العملية المتصلة بفهم التضخم في الاقتصاد العربي ، وبهدف ترشيد السياسات اللازمة لمكافحته على الصعيد العربي . ومن هنا لم يكن مجال البحث يسمح بمناقشة قضايا مثل ظاهرة التضخم العالمي في السبعينات وغيرها .

والثانية : أشارت المراجعة الى ان دراستنا لم تستفد من مجموعة البحوث القطرية حول التضخم في الاقطار العربية المختلفة والتي تمت بتكليف من **معهد البحوث والدراسات العربية** التابع لجامعة الدول العربية ، والتي لم تظهر نتائجها الى الوجود بسبب الظروف السياسية الطارئة ، وانني اعترف ان تلك نقطة قصور مهمة . ولكن يؤسفني ان اقول أنه رغم علمي بوجود هذه الدراسات القطرية ، فقد حاولت طوال خمسة شهور الحصول على نسخ منها ، ولكنها كانت جميعها غير متاحة للاطلاع تحت اي ظرف من الظروف (بما في ذلك بحث الحالة المصرية الذي لم اطلع عليه كذلك) .

وكان امامي إمّا تعليق انهاء الدراسة الى اجل غير مسمى حتى يتم حل مشكلة الاطلاع على هذه الدراسات القطرية ، او انهاء الدراسة على صورتها الراهنة مع اسفي الشديد لعدم

الاطلاع على هذه الدراسات القطرية رغم شعوري وقناعتي بأهمية ذلك لأغناء الدراسة . واذا كانت دراسة الاوضاع القطرية التفصيلية ليست هدف كتابنا ، فلا شك ان هناك علاقة وثيقة بين **العربي العام والقطري الخاص** ... ويسعدني ان أتلقى هذه الدراسات القطرية مباشرة من مؤلفيها لعلها تساعدني على سد بعض الثغرات في الطبعة القادمة من الكتاب .

واخيراً أود ان اعبر عن شديد امتناني للجهد المبذول في المراجعة . ولعل هذا الرد يشكل مع المراجعة ورقة جديدة تضاف الى ملف فهم « التضخم في الاقتصاد العربي ...» الذي سيظل مفتوحاً باستمرار ، يحتدم حوله الجدل مع تصاعد او خمود نيران التضخم التي تجتاح الحياة الاقتصادية العربية منذ بداية السبعينات □

صدر حديثاً

عن

مركز دراسات الوحدة العربية

ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٩٠٨ - ١٩٨٠

المجلد الأول : المؤلفون

القسم الأول : بالعربية

و

المجلد الثاني : العناوين

القسم الأول : بالعربية

كتب

سمير فريد

في السينما العربية

سلسلة دراسات المكتبة السينمائية ـ دراسات (٢)

(بيروت : دار الطليعة ، ١٩٨١) ، ١٢٨ ص .

ابراهيم الدسوقي

دراسات « في السينما العربية » ، رغم إيجازه الشديد في عرض الدراسات التي يقدمها حول السينما العربية كصناعة وثقافة ومستقبل ، الا ان التناول اتاح الفرصة نحو طرح مجموعة كبيرة من مشكلات وقضايا هذه السينما في اطار العديد من الابحاث والمقالات التي ضمها الكتاب . وإن كان اهم ما يميز هذا البحث ـ في شكله النهائي ـ هي محاولة تقديم القضايا والمشكلات التي تجتاح صناعة السينما في الوطن العربي من اجل البحث عن سينما تكون جزءاً من الثقافة الوطنية يمكن لها ان تتجاوز العلاقة الشكلية مع الواقع ، الى علاقة اكثر نضجاً سواء كان ذلك بالسلب او الايجاب ، وهو بذلك يرمي الى ضرورة ان يتحرك شيء ما في واقع الحياة يكون له انعكاس ما في السينما ، الى جانب وجود من يؤمن بهذه السينما من السينمائيين والنقاد والجمهور معاً ، ومن اجل الخروج من الحلقة غير القابلة للكسر والتي يطرحها سمير فريد على النحو التالي : « .. عندما تحرك شيء ما في واقع الحياة لم يتحرك واقع السينما ، وعندما تحرك شيء ما في واقع السينما لم يجد من يستجيب له في واقع الحياة . فكانت افلام من سينما اخرى ، ولكن بلا جمهور ، وبلا نقاد ، وكان هناك نقاد يدعون الى سينما اخرى ، ولكن بلا سينمائيين ولا جمهور ، وكان هناك جمهور يريد سينما اخرى ، ولكن بلا نقاد ولا سينمائيين .. » .

لذا فالكاتب يقدم مجموعة من الدراسات والمقالات حاول من خلالها النفاذ نحو الواقع السينمائي المصري والعربي ومشكلات ومستقبل السينما العربية من اجل المساهمة في كسر تلك الحلقة التي تدور في اطارها ، ليس فقط لكون السينما « .. تعتبر من اهم وسائل الاتصال بالجماهير .. » ، ولكن لأنها « .. فقط من اكثر الفنون العصرية تطوراً وحيوية ، فتطور السينما يرتبط بالبحث العلمي والتقدم التكنولوجي من ناحية ، كما يرتبط بثورة الاتصال في العصر الحديث من ناحية اخرى » ، وايضاً لمحاولة ربط السينما العربية ـ كحاضر ومستقبل ـ بما يدور في الوطن العربي ـ كحاضر ومستقبل ايضاً ـ « .. فالسينما العربية ظلت ما يقرب من نصف قرن هي السينما المصرية ، وبالتالي اصبحت جماهير السينما في الوطن العربي هي جماهير السينما المصرية .. » مما جعل السينما العربية مرتبطة بوحدة الظروف الاجتماعية والسياسية معاً .

من هذه النقطة يدور البحث في « مستقبل السينما العربية » ، وكيفية الوصول الى ضرورة

« انشاء اتحاد عربي للسينما » وهو بحث كتبه المؤلف بتكليف من منظمة الوحدة الاقتصادية العربية التابعة لجامعة الدول العربية عام ١٩٧٦ ، وهو يحاول ان يؤكد « .. اهمية السينما بالنسبة للوطن العربي كعامل من عوامل وحدته الثقافية ومصدر معرفة ووسيلة تسلية للغالبية العظمى من سكانه الفقراء والاميين .. في هذا البحث يرصد المؤلف صناعة السينما من عدة زوايا رئيسية » .. الانتاج .. التوزيع .. العرض » ، ويقدم نماذج لتطور هذه الصناعة في الاقطار العربية مثل : مصر ولبنان وسوريا والعراق .. الخ ، كذلك يطرح اهمية وضرورة التعاون بين تلك البلدان على صعيد صناعة الفيلم السينمائي ، وفتح اسواق لتوزيع الافلام العربية ، باعتبار كل الاسواق العربية اسواقاً طبيعية للفيلم العربي في مواجهة الاسواق العالمية ، بالاضافة الى ذلك ضرورة التنسيق بين الاقطار العربية المختلفة من اجل مواجهة منافسة التليفزيون ، والعمل على دعم السوق الموازية لنوادي السينما بغرض تنمية هذا السوق لتحقيق اهدافه الثقافية ، مع التركيز على ضرورة اصدار المطبوعات الدورية وغير الدورية باللغة العربية وغيرها لتقديم صورة احصائية حقيقية عن اوضاع السينما في البلدان العربية على اساس علمي سليم .

وحول ضرورة الثقافة السينمائية في الوطن العربي يقدم الكاتب بحثاً آخر ـ قدم الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية عام ١٩٧٤ ـ حاول من خلاله ان يقدم تعريفاً عاماً ومنهجاً لكل من : الارشيف الفيلمي ، نوادي السينما ، جمعيات الفيلم ، والدور الذي يجب ان يلعبه كل منها في اطار التكوين العام للثقافة السينمائية ، يضاف الى ذلك اهمية تنشيط حركة التأليف والترجمة والنشر للمواد والمطبوعات السينمائية .

يعتبر البحث الخاص بمقومات استراتيجية العمل الثقافي العربي في مجال السينما العربية ، من اهم ابحاث الكتاب ، حيث يفرد فيه لدور التكامل القومي على الصعيد السينمائي من خلال : **اولاً : دور العرض** في الوطن العربي ونسبتها لعدد السكان على المستوى العام ، **ثانياً : التوزيع السينمائي** وضرورة الخروج من تبعية السوق العالمية ، **ثالثاً : الانتاج السينمائي** .. الذي لا يتوفر في العديد من البلدان العربية ، بينما يتوفر في مصر بشكل خاص نتيجة لاختلاف مشاكل الانتاج السينمائي عنها في سائر اقطار الوطن العربي ، ففي حين تتوفر السيولة النقدية في بلدان عربية لا تتوفر في مصر ، نجد ان مصر لا تعاني مشاكل نقص القوى البشرية التي تصنع السينما : فنيين وحرفيين وممثلين ... الخ ، **رابعاً : الثقافة السينمائية** وهي تهدف الى رفع مستوى التذوق للافلام السينمائية ، وبالتالي رفع مستوى الانتاج ذاته عن طريق رفع مستوى الجمهور الذي يشاهد هذه الافلام ، وهذا الدور تلعبه نوادي السينما والدوريات النقدية ، الا ان اهم ما في هذا البحث هو نقطة تعليم السينما في مراحل التعليم المختلفة « .. يعتبر تعليم السينما من اهم الاسس الاستراتيجية التي يقوم عليها تطوير السينما في اي دولة من دول العالم ، وذلك عن طريق اعتبار السينما من الفنون الجميلة التي تدرس في مراحل التعليم المختلفة كتاريخ وحرفية وتذوق وهواية ، فيندر اليوم ان نجد بين الدول الاوروبية سواء في شرق او غرب اوروبا دولة لا تعلّم السينما وعلى الاقل في المراحل الاولى ، ان تعليم السينما هو الاساس الراسخ لتنشئة جمهور جديد لذلك الفن المؤثر والخطير ، ومع ذلك فلا يوجد بلد عربي واحد على اختلاف النظم السياسية بين البلدان العربية تعلّم السينما في اي مرحلة من مراحل التعليم بها .. . اما الدور الذي يجب ان يلعبه التوثيق المحلي والتنظيم المهني والتشريع وتبادل المعلومات بين الاقطار العربية والهيئات الخاصة ، فلا بد لها من خلق نسق وخطة عملية يمكن من خلالها العمل على امكانية تبادل

وتوثيق المعلومات السينمائية ، واذكاء الدور التثقيفي للعمل السينمائي .

اما البحث الذي يدور حول « السينما العربية والواقع » فالمؤلف يتناول فيه محاولة تحليل العلاقة بين السينما العربية والواقع ، وهو امر يختلف عن تحليل واقع السينما العربية او الواقعية في السينما العربية ، فليس المقصود من علاقة السينما العربية بالواقع هو « .. تفصيل الفيلم الذي يعكس الواقع او الفيلم الذي يدعو الى تغيير الواقع ، بقدر ما يقصد الى معرفة هذه العلاقة بكل سلبياتها وايجابياتها ..» ويعطي امثلة كثيرة حول افلام مصرية انتجت في العشرينات حيث كانت تنتج تحت شعارات وطنية يؤمن بها اصحابها بصدق ومن اجل مواجهة الانتاج الاجنبي ، ومن خلال مسميات شركات الانتاج (ايزيس ورمسيس ولوتس وآمون فيلم) الا ان الانتاج المصري ظل اسير ما يقدم له في اطار الفيلم الاجنبي ، دون محاولة تقديم الواقع الذي يعيشه او الذي خرج منه ، وبالتالي صنعوا سينما وطنية من وجهة نظر استعمارية .

يقدم المؤلف فصلاً عن سينما المخرجات العربيات بدءاً من « عزيزة امير » و « بهيجة حافظ » و « فاطمة رشدي » و « آسيا وماري كويني » كمنتجات ومخرجات وليس فقط كممثلات ، ثم « ماجدة » عام ١٩٦٦ ، واخيراً « عطيات الابنودي » و«منى مجاهد » ... الخ ، في السينما المصرية ، لينتقل الى السينما العربية حيث يرصد بعض الاعمال التسجيلية التي قدمتها كل من « هنا سرور » و« جوسلين صعب » و«نبيه لطفي » و«رندة الشهال » اللبنانيات ، الى « فايزة بن سعد » و«آسيا جبارة » الجزائريات ، الى « سلمى بكار » التونسية ، بعرض بعض اعمالهن والتي يلاحظ انها افلام سياسية راديكالية بكل معنى الكلمة !

الكتاب يقدم ايضاً بعض الدراسات حول موضوعات اخرى « السينما والكفاح ضد الامبريالية » وهي محاضرة ضمن برنامج اقامه المركز الثقافي في الجزائر عام ١٩٧٦ ، يتناول تاريخ السينما العربية وتطورها من الناحية التكنيكية والفكرية ، الى جانب مقاله حول فيلم « الرسالة » لمصطفى العقاد ، ثم هناك جزء حول مشاكل هذا الفيلم مع الرقابة ، الى جانب ندوتين : الاولى « حول اليوبيل الذهبي للسينما المصرية»، والثانية : « حول السينما السياسية في مصر السبعينات » ، وتلك الموضوعات الاخيرة كان يمكن حذفها من الكتاب حتى يتبقى التساؤل المطروح منذ البداية عن كيفية كسر الحلقة المفرغة التي تدور في اطارها السينما العربية ككل ، وبالتالي فالدراسات التي حاولت القاء الضوء حول الواقع المعاصر والمستقبل بالنسبة للسينما المصرية والعربية كانت كفيلة بالاجابة عن بعض جزئيات الهموم التي تواجه السينما العربية والنقاد والجمهور العربي الذي ينشده المؤلف عبر كتابه ، ولكنه يذهب بعيداً عندما يرى ان السينما ليست فقط افلاماً وقصصاً وشرائط ، بل هي كمٌّ هائل من الثقافة المنظمة .. ثقافة ابناء الوطن العربي التي لا يتم برمجتها وتوثيقها □

ندوة « تعليم ابناء العمال العرب المهاجرين في اوروبا »

باريس، ٢٤ ـ ٢٧ / ١ / ١٩٨٣

منظمة العمل العربية

مقدمة

تنفيذاً لتوصية الاجتماع العاشر للجنة التنسيق بين جامعة الدول العربية والاجهزة العاملة في نطاقها والمنظمات العربية ، المنعقدة في تونس بتاريخ ٢٠ / ٥ / ١٩٨١ ، بشأن القيام بنشاط يخص تعليم ابناء العمال العرب المهاجرين في اوروبا واستناداً الى اعلان حقوق الانسان الذي أقرته منظمة الامم المتحدة وعلى ما أقره المؤتمر العالمي للسياسات الثقافية المنعقد بمكسيكو بشأن حق كل الشعوب في تأكيد هويتها الثقافية ، عقدت منظمة العمل العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ندوة حول « تعليم ابناء العمال العرب المهاجرين في اوروبا » بمقر منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة في باريس خلال الفترة ٢٤ ـ ٢٧ كانون الثاني / يناير ١٩٨٣ .

وقد افتتح الندوة السفير اسعد الاسعد الامين العام المساعد في جامعة الدول العربية نيابة عن السيد الامين العام للجامعة ، ثم القيت الكلمات التالية : كلمة المدير العام المساعد للتربية لمنظمة اليونسكو ؛ وكلمة مدير مكتب المنظمة الدولية للعمل في باريس ؛ وكلمة المتفقد العام ممثل وزير التربية الوطنية الفرنسي ؛ وكلمة المدير العام لمنظمة العمل العربية ؛ وكلمة المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

وحضر الندوة اضافة الى السادة الذين القوا كلماتهم في الجلسة الافتتاحية مندوبو اثني عشر بلداً عربياً ؛ ومندوبو اربع دول اوروبية ؛ ومندوبو اثنتي عشرة منظمة دولية . كما شارك في اعمال الندوة : اثنان وعشرون خبيراً ؛ومندوبو ثلاثة معاهد بحثية وتعليمية ؛ اثنتان وعشرون جمعية ونقابة عمالية ؛ وعدد كبير من الصحافيين ورجال الاعلام .

وقد تركزت اعمال الندوة حول المحاور التالية :

ـ دوافع الهجرة العربية الى بلدان اوروبا والتطورات الحاصلة ضمنها .

ـ اوضاع تعليم ابناء المهاجرين العرب والقوانين والاتفاقيات المتعلقة بها .

ـ اوضاع تعليم اللغة العربية لابناء

المهاجرين العرب معوقاتها وكيفية دعم المجهودات القائمة في هذا المجال .

- اشكالية عودة المهاجرين وابنائهم الى بلدان المنشأ .

اولاً : الاتجاهات الاساسية للندوة

١ - كانت الهجرة العربية الى بلدان اوروبا في بدايتها مفروضة والزامية خاصة بالنسبة لابناء المغرب العربي ثم اصبحت بمرور الزمن طوعية تتحكم فيها ظروف موضوعية ، وكان الاستعمار هو محركها ودافعها الاساسي وبمرور الزمن صارت دوافعها المباشرة اقتصادية واجتماعيةتعود للتقسيم العالمي الجديد للعمل والتبادل غير المتكافىء بين الشمال والجنوب.

٢ - تزايد عدد المهاجرين العرب في اوروبا خاصة خلال العقود الاخيرة حيث اصبح عددهم يناهز مليوناً ونصف المليون ، سنة ١٩٨٠ وقد انتقلت الهجرة العربية خلال العشرية الاخيرة من هجرة ذكور الى هجرة أسرية حيث اصبحت نسبة النوع بينهم متقاربة تقريباً .

٣ - إن الهجرة العربية الى بلدان اوروبا هي هجرة من اجل العمل ، ويعمل معظم المهاجرين العرب في اوروبا كعمال غير مؤهلين يقومون عادة بأصعب واشق المهن ويتقاضون الاجور الاكثر تدنياً بالنسبة لزملائهم الاوروبيين ويقيمون عادة في مساكن غير صحية وغير ملائمة وفي احياء معزولة عن باقي المساكن . ويمثلون بالتالي الفئة الاجتماعية الاقل يسراً من سكان اوروبا .

٤ - ان اوضاع المهاجرين العرب المهنية والسكنية والاجتماعية المتدنية من شأنها ان تدعم المواقف والنزعات التمييزية والعنصرية في المجتمع الاوروبي ، وان تعمق الهوة بين الاوروبيين والمهاجرين العرب ، وان تدفع الاسر العربية الى المزيد من الانكماش والتقوقع على النفس والتشبث بعادات وتقاليد بلد الاصل ، وخاصة منها التي تميزها في المجتمعات الاوروبية .

٥ - تزايد عدد ابناء المهاجرين العرب في بلدان اوروبا في الفترات الاخيرة نتاج تزايد الهجرة الأسرية وارتفاع نسبة الانجاب بين الجالية العربية وتزايد عدد الاطفال العرب .

٦ - يتعرض ابناء المهاجرين العرب في اوروبا الى مجموعة من المشاكل والمعوقات من اهمها :

أ - مشاكل اقتصادية معيشية تتمثل في ظروفهم السكنية السيئة - مساكن ضيقة وقصديرية ومعزولة - اضافة الى شحة الموارد المالية نظراً لتدني دخل والديهم .

ب - مشاكل لغوية تتمثل في ازدواجية لغوية وصراع بين لهجة الوالدين المستعملة في البيت ، واللغة الاوروبية المستعملة في المدرسة والمحيط الخارجي .

ج - مشاكل ثقافية وتربوية تبرز بشكل صراع بين التربية التقليدية المتلقاة في الاوسط الاسري وبين التربية والتقاليد الغربية السائدة في المحيط الخارجي وخاصة المدرسي .

د - مشاكل تعود الى عدم ملاءمة السياسات والمؤسسات التعليمية الغربية في جوانبها التربوية والاجتماعية والادارية وفي مضمون المواد التعليمية الموجهة اساساً للتلامذة الاوروبيين المختلفين عن ابناء العمال العرب المهاجرين في تكوينهم ومؤهلاتهم الثقافية واستعداداتهم الاجتماعية والتربوية .

هـ - صعوبات تعود الى تدني المستوى الثقافي للوالدين وتفشي الامية بينهم وتشبثهم بعادات وتقاليد تميزهم عن الغربيين مع تخوف

بعضهم من تسجيل ابنائهم في المدارس الاوروبية لكونها تعلم ابناءهم تربية وثقافة مختلفتين وتنمي تقاليد وقيماً متميزة عن تقاليد وقيم المجتمعات العربية .

٧ ـ وتفرز مجموعة هذه العوامل المؤشرات التالية :

أ ـ فشل ابناء المهاجرين العرب مدرسياً حيث يتسرب معظمهم (حوالى ثلاثة ارباعهم تقريباً) من المدارس . وتعتبر نسبة الفشل الدراسي من بين ابناء المهاجرين مرتفعة جداً وتفوق بكثير نسبة الفشل الدراسي من بين التلامذة الاوروبيين كما توجه السياسات التعليمية الانتقائية المعتمدة في دول الغرب ابناء المهاجرين الى الشعب المهنية وفي اختصاصات آبائهم نفسها مما يعوق تطلعهم لممارسة مهن تتطلب خبرة فنية عالية .

ب ـ صراع عنيف بين اطفال المهاجرين العرب وبين المجتمع الاوروبي يتمثل في محاولة ابراز ما يهمشهم فيه وصراع ثان بينهم وبين والديهم لتضارب القيم المكتسبة في المدرسة والمحيط الاجتماعي الخارجي وقيم الوالدين وصراع اخير بينهم وبين انفسهم من اجل اثبات هويتهم وتحديد موقفهم من الازدواجية التي يعيشونها .

ج ـ وتخلق هذه الاوضاع والمعوقات شعوراً بالنقص عند ابناء المهاجرين العرب ويرون في تقاليد وقيم والديهم قيماً وتقاليد متأخرة لا تتماشى وواقعهم وتطلعاتهم كما تخلق شعوراً مزدوجاً ازاء اللغة العربية : فهم يرون فيها اللغة المثال ـ ونظراً لعدم تمكنهم منها فهي اللغة الاسطورة ـ ويعتبرونها اللغة المهيمنة ، ولكن العاجزة عن توفير تطلعاتهم في الصعود الاجتماعي .

٨ ـ لم تمنح اللغة العربية في البلدان الاوروبية مكانتها التي تستحقها ولا زالت المجهودات المتخذة من قبل المجموعة الاوروبية لتدريس اللغة العربية محدودة ومقتصرة على بعض المدارس في بعض الدول الاوروبية فقط ، وهي غير فعّالة عامة لعدم توفر الاطار التعليمي المؤهل لغوياً وتربوياً ولعدم توفر البنايات والمعدات اللازمة واقتصارها اساساً على المدارس الابتدائية وفي اوقات محدودة وصعبة ، مما جعل مكانتها ضمن المواد التعليمية متدنية وفي نظر التلامذة والمحيط الاجتماعي ثانوية ومعزولة ، مما يحد من اهتمام التلامذة ابناء المهاجرين العرب بها .

٩ ـ رغم تضاعف مجهودات الجهات والمؤسسات العربية الرسمية والاهلية في اوروبا من اجل توفير فرص تدريس اللغة العربية لابناء العرب المهاجرين في اوروبا فإنها اضافة الى محدوديتها فإن هذه المجهودات تعاني من العديد من المعوقات منها :

أ ـ عدم التنسيق بين الجهات والمؤسسات العربية من اجل ايجاد خطة موحدة لتدريس اللغة العربية في اوروبا واستغلال جميع الامكانيات المتاحة بشكل جماعي .

ب ـ عدم توفر مناهج وكتب لتدريس اللغة العربية تتناسب واوضاع ابناء المهاجرين العرب في اوروبا وتستجيب لاحتياجاتهم الثقافية والمعاشية وتتماشى مع استعداداتهم الثقافية والتربوية ، رغم المحاولات والانجازات المهمة التي حققتها بعض الجهات العربية الرسمية في هذا المجال .

ج ـ قلة عدد المدرسين العرب المعينين من قبل الحكومات العربية وعدم تأهل العديد منهم تربوياً ومعاناة بعضهم من صعوبات مالية ومعاشية .

د ـ عدم توفر الامكانات المالية والمادية من بناءات ومعدات ضرورية .

هـ ـ عدم توفر الاجهزة والامكانات

الاعلامية الكافية الموجهة لاوساط الاسر المهاجرة وعدم توفر التوعية اللازمة للمهاجرين وابنائهم بأهمية تدريس اللغة العربية ومتابعة دروس محو الامية للكهول .

و ـ صعوبة ظروف تدريس اللغة العربية لابناء المهاجرين العرب خارج اوقات الدراسة مما يزيد في ارهاقهم ويحد من اهتمامهم ومن قابلية فهمهم .

ز ـ عدم توفر المناخ الاجتماعي لابناء المهاجرين العرب لممارسة اللغة العربية خارج اوقات الدراسة ، نظراً لاستعمال اللهجات واللغات الاجنبية داخل الوسط الأسري وصعوبة تمكنهم من قضاء العُطل في البلد الاصلي .

١٠ ـ ان الازدواجية اللغوية والثقافية والتربوية وصعوبات التفاهم والاتصال والتعايش في المجتمع الاوروبي تطرح على ابناء المهاجرين العرب ازمة هوية ثقافية يتفاقم حجمها وتتنوع افرازاتها بمرور الزمن وتشكل عاملاً في تحديد وجودهم وتصرفاتهم ومواقفهم وعلاقاتهم ، وهم لذلك يعانون من غربة خانقة واغتراب ثقافي حاد مما يصعد علاقاتهم ، مع المجتمع الاوروبي ومع اسرهم ويجعل منها علاقة متأزمة .

١١ ـ توفر جميع الوسائل والامكانات التي تمكّن المهاجرين العرب في اوروبا وابنائهم من ممارسة حقهم في الهوية الثقافية في كنف الحرية والاحترام المتبادل وفي اتجاه التآلف بين تعدد الثقافات والقيم والعادات .

١٢ ـ إن اشكالية العودة هي رهن مجموعة من العوامل الموضوعية والذاتية المتصلة بظروف العمال المهاجرين وابنائهم في دول الاستقبال والاجراءات المتخذة لمصلحتهم في دول المنشأ ، وتصوراتهم في هذا المجال وكذلك بتطور مواقفهم .

١٣ ـ ان الموقف الجازم بأن مسألة العودة مسألة وهمية وغير واردة يعبر عن موقف غير تاريخي ولا يأخذ حسباناً لمجموعة العوامل الحضارية والاجتماعية المتغيرة في عصرنا هذا ولما يترتب عنها من تحولات سريعة في المواقف والقرارات .

١٤ ـ هذا وافرزت النقاشات التي دارت في الندوة والتي تمحورت حول مسألة مستقبل العمال العرب المهاجرين وابنائهم ثلاثة اتجاهات اساسية هي :

أ ـ توجّه يدعو الى دعم الاجراءات القائمة واتخاذ اجراءات مهمة اخرى بهدف دمج العمال المهاجرين وابنائهم ضمن المجتمعات الاوروبية كحل لمشاكل المهاجرين وابنائهم . وهذا التوجه ضعيف وهامشي بالنسبة للتوجهين التاليين :

ب ـ توجه يدعو الى تكثيف الاجراءات الحامية للهوية العربية للعمال العرب المهاجرين وتكثيف المجهودات التي من شأنها أن تدعم ارتباطهم بدول المنشأ وتسهل عليهم العودة والاندماج من جديد في مجتمعاتهم الاصلية .

جـ ـ اما التوجه الاخير والذي ورد اكثر من مرة خاصة من قبل المشاركين الاوروبيين في الندوة فهو الذي يدعو الى وضع خطط وبرامج تخص كل سكان اوروبا ـ مهاجرين ومحليين ـ من اجل خلق شخصية متداخلة الثقافة تتعدى الاختلافات الثقافية وتدمجها ضمن مشروع ثقافي اكثر تقدماً عُبِّر عنه بأنه مشروع تداخل الثقافات .

١٥ ـ كما أكدت النقاشات مجموعة من المسائل المبدئية والمسلمات المتعلقة بأوضاع المهاجرين وابنائهم يمكن ذكرها فيما يلي :

أ ـ ان تعليم اللغة العربية للمهاجرين

وابنائهم وتوفير النشاطات الثقافية لهم مسألة ضرورية لأكثر من سبب . فهي امر مرغوب فيه من قبل الاطراف المعنية لما توفره من حماية لهوية العمال المهاجرين ولابنائهم ودعم شخصيتهم والحد من اغترابهم وبالتالي فهي تقلّص من نسب الانحراف بين ابناء المهاجرين وتنمي استعداداتهم في المشاركة وترفع من انتاجيتهم وتؤهلهم للتعايش السليم مع الاوروبيين عند توفر الشروط اللازمة الاخرى .

ب - ان تعليم اللغة العربية وصيانة الهوية العربية وتعميق التصور بالانتماء الحضاري عند المهاجرين العرب وابنائهم بشكل ناجع ومنتظم ومستمر هي مسألة مرتبطة بالضرورة بعوامل اخرى على ان تحقيقها يتطلب توفر سياسات ثقافية وتربوية واعلامية واهتماماً كبيراً بهذه الجالية من قبل الجهات الرسمية والاهلية العربية بالخصوص وتوفر ضمانات مادية ومعنوية في بلد المنشأ .

ج - ان تعليم اللغة العربية امر اساسي وحيوي ولكن يجب ان يتطور مؤازرة لعمل ثقافي مكثف في مجالات اخرى بهدف تعميق ما يكتسبه الطفل العربي في المدرسة واثراء محيطه الفكري والحضاري ودعم انتمائه العربي الاسلامي .

ثانياً : توصيات الندوة

١ - العمل على تحقيق ما ورد في اعلان اجتماع اللجنة العامة للحوار العربي - الاوروبي المنعقدة في دمشق سنة ١٩٧٨ . وتجسيم بنوده في شكل اتفاقيات ثنائية .

٢ - العمل على ادراج المشروعات المتعلقة بتعليم ابناء المهاجرين وتثقيفهم ضمن انشطة المنظمات الدولية والاقليمية لاسيما منظمة الامم المتحدة (البرنامج الدولي للتنمية) واليونسكو واليونسيف ومكتب العمل الدولي والمجتمع الاقتصادي الاوروبي واجهزته المتخصصة .

٣ - تنشيط اللجنة الاستشارية لشؤون العمال العرب المهاجرين التابعة لمنظمة العمل العربية لدراسة الاوضاع القانونية المتصلة بهجرة العمال وبتعليم ابنائهم على المستوى الوطني والدولي على ان تُراعى في ذلك المبادىء والقرارات والتوصيات الصادرة عن الامم المتحدة ومنظماتها الدولية .

٤ - دعوة الامانة العامة لجامعة الدول العربية والمنظمات المتخصصة الى تحمّل مسؤوليتها القومية في تقديم دعم للنشاط التعليمي والثقافي للعمال العرب في مهاجرهم الاوروبية بالتعاون مع الحكومات العربية والاوروبية المعنية .

٥ - دعوة العمال الى تكوين جمعيات ثقافية في كل مدينة اوروبية يوجد فيها العمال ، والعمل على تكوين اتحاد لهذه الجمعيات على مستوى بلد الاستقبال وذلك لادارة النشاط التعليمي والثقافي للعمال العرب وابنائهم ، والتعاون مع الجهات المعنية محلياً وعربياً ودولياً .

٦ - دعوة الحكومات والمنظمات العربية المعنية لدعم تجاربها القائمة في مجال تعليم ابناء العمال العرب في المهجر ، وتشجيع المؤسسات والجمعيات المهتمة بتعليم ابناء العمال العرب المهاجرين وبمحو الامية في الاوساط العمالية العربية .

٧ - دعوة الحكومات والمنظمات العربية المعنية الى دعم الصلة بينها وبين الجمعيات والتنظيمات العمالية العربية في المهاجر فيما يتصل بالانشطة التعليمية الثقافية .

٨ - دعوة الدول العربية الى الأخذ في

الاعتبار الوضع التعليمي والثقافي للعمال العرب عند عقد اتفاقيات ثقافية مع الدول الاوروبية التي يوجد فيها مهاجرون من العمال العرب وذلك بتنسيق مواقفها ، في المعاملة بالمثل ، نحو تلك الدول .

٩ ـ دعوة الحكومات الاوروبية الى ادماج تعليم اللغة العربية في برامج التعليم النظامي في المدارس والمعاهد الاوروبية ، ودعم ذلك الادماج اذاً كان قائماً ـ كما تدعي الحكومات الاوروبية بصورة خاصة ـ لاعتماد تعليم اللغة العربية في ثانويات التعليم المهني وفي الثانويات التقنية لابناء العمال العرب المهاجرين .

١٠ ـ دعوة الحكومات الاوروبية للاعتراف بالشخصية الحضارية لابناء المهاجرين باعتبار الاعياد الدينية الاسلامية عطلاً رسمية يتمتع بها ابناء المهاجرين المسلمين .

١١ ـ دعوة الحكومات الاوروبية للاسهام في تمويل تدريس اللغة العربية في مدارسها ومعاهدها .

١٢ ـ دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للعمل على وضع برامج قومية موحدة ومنمطة للمدرسة العربية لمرحلة التعليم العام لابناء العمال العرب المهاجرين ، والى ان تسعى لدى الدول العربية للاعتراف بمستوى شهاداتها .

١٣ ـ دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للسعي لدى الهيئات العربية والاسلامية المعنية للعمل على انشاء مراكز ثقافية عربية في البلدان الاوروبية ذات انشطة ثقافية متنوعة ووسائل مادية وبشرية متطورة تساهم في تعميق الشعور بالانتماء الحضاري وخاصة في محو الامية وتعليم الكبار .

١٤ ـ دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للتعاون مع الدول الاوروبية والمؤسسات الدولية كاليونسكو واليونيسيف والجمعيات العربية المعنية في اوروبا لانشاء رياض اطفال يشرف عليها مربون عرب متخصصون باعتبار ما لهذه المرحلة من اهمية في تكوين الطفل العربي وفي ربطه بثقافته العربية الاسلامية .

١٥ ـ دعوة منظمة العمل العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للتعاون على اجراء دراسة مسحية شاملة لجميع الجمعيات والمؤسسات العربية المعنية بتقديم خدمات اجتماعية وثقافية للعمال العرب المهاجرين ولابنائهم في اوروبا .

١٦ ـ دعوة منظمة العمل العربية الى القيام ببحوث دورية في شؤون هجرة العمال العرب ومتطلباتها الثقافية والتربوية والتقنية .

١٧ ـ دعوة الحكومات الاوروبية والجهات العربية الرسمية في اوروبا لمواصلة تيسير اللقاءات بين المنظمات العمالية والمؤسسات الثقافية العربية ونظيراتها الاوروبية بهدف توثيق التعاون والتنسيق بينها .

١٨ ـ دعوة منظمة اليونسكو الى التعاون مع الجهات المعنية وخاصة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في انجاز التوصيات المتعلقة باختصاصاتها كانشاء رياض الاطفال والاعتراف بالشهادات وادخال تعليم اللغة العربية في برامج التعليم النظامي في المدارس الاوروبية والقيام ببحوث ودراسات □

الندوة العلمية لرعاية المسنين بالدول العربية الخليجية

المنامة، ٢٧ ـ ٣٠ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٢

مقدمة

بمناسبة دعوة الجمعية العامة للامم المتحدة بتركيز الجهود الدولية لبحث ومناقشة قضايا المسنين ومشكلاتهم خلال عام ١٩٨٢ ، اصدر مجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية ، في دورته الرابعة ، قراراً كلف بموجبه مكتب المتابعة بتنظيم ندوة علمية حول رعاية المسنين تكون لقاء خليجياً مشتركاً يتم فيه تبادل الآراء والتجارب والاتفاق على المبادىء والمفاهيم من اجل توحيد الجهود المستقبلية في رعاية المسنين انطلاقاً من وحدة التراث العربي الاسلامي المشترك ، وتشابه الظروف والمشكلات ، وتقارب الامكانيات والتوجهات ، وحتى يكون هذا اللقاء الخليجي اسهاماً اقليمياً تبرز من خلاله الدول الاعضاء مجتمعة قيمها وتراثها في مجال رعاية المسنين والحفاظ على مكانتهم ، كما ان هذا اللقاء فرصة لهذه الدول مجتمعة لاستشفاف آفاق المستقبل وتحديد منطلقات التخطيط له .

ولكون الندوة اول ندوة علمية خليجية تعقد في هذا المجال ، فقد حرص مكتب المتابعة ان يوفر لها مجموعة من خيرة الخبرات العربية في موضوع لا زال حديثاً حتى على المستوى العالمي ، فشاركت بدعوة من المكتب بعض الجامعات في الدول الاعضاء ، ومنظمات اقليمية ذات علاقة ، وخبراء تم اختيارهم بصفة شخصية لعطائهم وتخصصهم ، فتوفرت للندوة بفضل ذلك مجموعة من الابحاث والموضوعات القيمة التي لا بد من ان تساهم في سد نقص تشكو منه المكتبة العربية ، كما يمكن اعتبارها مرجعاً مهماً لكل العاملين والمهتمين في مجال رعاية المسنين بالدول الاعضاء .

ويعتبر ما تمخضت عنه الندوة مؤشراً مهماً على وحدة توجهات البلدان العربية الخليجية في مجال رعاية المسنين وبحث قضاياهم ، كما يعتبر دليلاً على عمق واصالة هذه التوجهات وانفتاحها في الوقت نفسه على ما صدر من اللقاءات العربية والدولية التي عقدت بهذه المناسبة من نتائج ومؤشرات في مجال رعاية المسنين .

١ ـ اهداف الندوة

انطلاقاً من مبادىء واهداف المجلس ، وتطلعاً لتحقيق النتائج المرجوة من عقد هذا

الملتقى العلمي ، فقد تمت صياغة مجموعة من الاهداف المحددة لهذه الندوة على النحو التالي :

- التركيز على قضايا ومشاكل المسنين في المجتمع العربي الخليجي وتأكيد التكافل الاجتماعي في هذا المجال على النحو الذي يؤدي الى زيادة الاهتمام بهذه الفئات في ضوء القيم الاسلامية السامية والتقاليد العربية الاصيلة .

- تعميق الصلات بين المسؤولين والعاملين في مجال رعاية المسنين بالبلدان العربية الخليجية واثراء وجهة نظرهم لاستثمار وتبادل الخبرات المشتركة فيما بينهم بهدف الوصول الى تصورات موحدة تحقيقاً للتنسيق العربي الخليجي في مجال العمل الاجتماعي .

- الوقوف على اهم ما استحدث من مفاهيم واتجاهات حول المسنين والتوصيات والتقارير الصادرة عن المؤتمرات العربية والعالمية والانشطة الاقليمية والمحلية في هذا المجال ، وعلى وجه الخصوص ما صدر عن ندوة رعاية المسنين في الوطن العربي بتونس ، والمؤتمر العالمي لكبار السن في فيينا .

- توثيق الصلات العلمية والعملية بين المشاركين في الندوة من خلال التعرف على التجارب المحلية وعرض مختلف انواع الخدمات المقدمة للمسنين ووسائل تطويرها .

- ابراز اهمية العمل العربي الخليجي المشترك في المجال الاجتماعي من خلال المساهمة الجماعية من الدول الاعضاء في الاحتفال بالسنة الدولية للمسنين على المستوى الاقليمي .

- الخروج بعدد من المؤشرات والتوصيات العلمية التي تعزز العمل العربي الخليجي في مجال الخدمة والرعاية الاجتماعية بصفة عامة وخدمة ورعاية المسنين بصفة خاصة .

٢ - النتائج والتوصيات

إن المجتمع العربي الخليجي ، بفضل التمسك بالقيم الاسلامية والتقاليد العربية لم يعرف بعد ، المشكلات التي يتعرض لها كبار السن بالحدة نفسها التي عرفتها المجتمعات الصناعية المتقدمة ، حيث لا تزال الاسرة العربية تقوم بواجباتها تجاه المسنين ورعايتهم وتوفير الامن والاستقرار لهم .

إلا ان التطور السريع الذي يشهده هذا المجتمع بفعل التنمية الشاملة في كافة المجالات ، وبفضل التقدم في الرعاية الصحية وتحسن مستوى المعيشة وزيادة توقعات الحياة للفرد ، وتسارع معدلات زيادة نسبة كبار السن ، وما ينتظر ان يحدثه كل ذلك من تغيرات في اتجاهات المجتمع وفي بنية الاسرة والعلاقات بين افرادها ، يجعل من الضروري الاعداد ومنذ الآن ، لمواجهة الابعاد المتوقعة لظاهرة الشيخوخة ضمن ما نواجهه من قضايا وتحديات .

وان وحدة القيم والتقاليد السائدة في البلدان العربية الخليجية وتشابه الظروف والتحديات المحيطة بها ، تفرض على هذه البلدان ان تواجه مجتمعة كافة قضاياها الاجتماعية بكل ابعادها ومنها ظاهرة الكبر ، وتضع من الخطط والبرامج ما يكفل تحقيق التنسيق والتكامل بين جهودها واستثمار الخبراء والكفاءات في هذا المجال .

كما ان الواقع المشترك لهذه البلدان يجعل الأخذ بمبدأ الاستفادة من التجارب المحلية الرائدة وتبادل الخبرات واستثمار نتائجها امراً مطلوباً ، من اجل تحقيق كفاءة وفعّالية البرامج ، وتعميق جوانبها الايجابية . وان

يكون المبدأ الاساسي الذي تقوم عليه كل سياسات وبرامج رعاية المسنين في البلدان العربية الخليجية هو ادماج المسن في المجتمع بكافة الوسائل والعمل ما امكن على عدم عزله عن بيئته وعلاقاته وادواره في الاسرة وخارجها ، وعدم وضع الحواجز بينه وبين غيره من فئات المجتمع الاخرى ، وان تتاح له المشاركة في كل ما يتعلق بالتخطيط لحياته وتلبية احتياجاته .

ومن هنا تأخذ هذه الندوة اهميتها باعتبارها اول ملتقى عربي خليجي يعقد لتدارس ابعاد ظاهرة الكبر ، استجابة للدعوة العالمية للاهتمام بالمسنين ومحاولة من المجتمع العربي الخليجي لمواجهة قضاياه الاجتماعية بصورة نابعة من واقعه المحلي وظروفه ومقتضياته . وفي ضوء الابحاث والدراسات والتقارير التي قدمت في الندوة ، ومن خلال ما طرح من موضوعات وما دار من نقاش ، وفي اطار الوقوف على ما انتهت اليه التجمعات الدولية والعربية والاقليمية في تدارسها لقضايا المسنين ، فقد انتهت الندوة الى عدد من النتائج والتوصيات:

أ ـ توصيات عامة

(١) إن الفلسفة العامة التي يتم من خلالها تناول وعلاج قضايا المسنين ينبغي ان تستند الى قاعدة اساسية في ان الانسان هو غاية الغايات ، وان الحفاظ على كرامة هذا الانسان هو اثمن ما يمكن ان ننشده في شتى مراحل حياته ، ومهما تقدم به العمر .

(٢) النظر الى الشيخوخة باعتبارها حالة من القدرة وليست حالة من العجز ، وان الشيخوخة مرحلة طبيعية لها ايجابياتها وعطاؤها وليست مرحلة سلبية يكون الفرد فيها عنصراً غير منتج ، الامر الذي لا يستدعي تقسيم الحياة الى مراحل متعاقبة يتميز كل منها بسمات معينة ، كما لو كان هناك انقطاع وانفصال بين كل مرحلة واخرى ، وانما يقتضي ان نتبنى مفهوماً اساسياً يشير الى ان حياة الانسان مسيرة متكاملة ووحدة متصلة لا انفصال بينها .

(٣) التأكيد على ان النظرة الشمولية لرعاية المسنين تقوم على تداخل وتكامل كافة الجوانب والقضايا المتعلقة بهم ، في اطار من التفاعل والتنسيق بين الجهات والمؤسسات ذات الاختصاص والمعنية بتقديم الخدمات لهم .

(٤) اعتماد المنهج العلمي اسلوباً لتحديد ابعاد ظاهرة الكبر في البلدان العربية الخليجية من خلال اجراء المزيد من الدراسات والمسوح الميدانية على المستوى القطري والخليجي ، للوقوف على حجم الظاهرة ، وخصائص كبار السن واحتياجاتهم ، وتوزيعهم الجغرافي والمهني ، والعمل على الاستفادة من نتائج هذه الدراسات والمسوح في التخطيط الشامل والقطاعي لبرامج ومشروعات تتعلق بكبار السن .

(٥) تحديد وتوحيد المصطلحات والمفاهيم المستخدمة في مجال رعاية المسنين بالبلدان العربية الخليجية في ضوء ما يتم التوصل اليه على المستوى العربي في اطار جامعة الدول العربية ، واعتبار ذلك خطوة أساسية لأي تعاون وتنسيق مشترك في هذا المجال .

(٦) عقد المزيد من اللقاءات والندوات والحلقات الدراسية للعاملين مع كبار السن بالبلدان العربية الخليجية ، بشكل دوري او كلما استدعت الحاجة ، لتبادل الرأي والتجارب والبحث العلمي ، على ان يتم اتاحة الفرص في مثل هذه الفعاليات امام المسنين على اختلاف فئاتهم ومناطقهم ، للتعبير عن انفسهم وعن رغباتهم وتصوراتهم حول الخدمات والانشطة التي تلبي احتياجاتهم .

(٧) اجراء ابحاث تستهدف استطلاع آراء المسنين حول مشكلاتهم والبحث عن افضل الصيغ لتقديم خدمات تكون نابعة من رغباتهم وتوقعاتهم .

(٨) تشكيل لجنة وطنية او هيئات عليا دائمة ومشتركة بين الجهات والمؤسسات المعنية برعاية المسنين في كل بلد من البلدان الاعضاء تكون مهمتها التخطيط والتنسيق والتنفيذ للمشروعات والخدمات المقدمة للمسنين ، ومتابعتها وتقويمها باستمرار .

(٩) تخصيص الثلاثين من تشرين الثاني / نوفمبر من كل عام للاحتفال به كيوم عربي خليجي للمسنين ، تكريماً للانسان في مراحل عمره المتقدمة ، يتم التركيز فيه على قضايا ومشكلات المسنين ، وبحث كافة وسائل تطوير الخدمات المقدمة لهم .

ب ـ في مجال التراث العربي الاسلامي

تم التركيز على الخصوصية الاسلامية للمجتمع العربي الخليجي وتأكيدها في كافة مجالات الحياة المعنوية والمادية ، والمحافظة على الطابع الاسلامي في تخطيط المدن والمساكن بما يتفق ومجال رعاية المسنين الرعاية الكريمة المنشودة .

ج ـ في مجال التشريع

(١) التأكيد على حق كبار السن في مجموعة من الخدمات والامتيازات ليس من منطلق الشفقة والتفضّل ، وانما كواجبات مفروضة بحكم القوانين والنظم ، باعتبارها جزءاً من الدين على المجتمع والدولة نظير ما قدمته هذه الفئة في عز عطائها وشبابها .

(٢) ان تنطلق التشريعات من مبدأ ادماج كبار السن في المجتمع وتحول دون استبعادهم او عزلهم ، واتاحة الفرص لتأهيلهم من اجل الاستفادة من قدراتهم وخبراتهم واستمرار اعتمادهم على انفسهم واحترامهم لذواتهم .

(٣) اعادة النظر في اللوائح والنظم التي تتناول مجالات العمل والتأهيل المهني والتقاعد والتأمينات الاجتماعية وغيرها في ضوء التغيرات التي يتعرض لها المجتمع بفضل التطور الاقتصادي والتغير الاجتماعي ، بما يكفل للمسنين حياة كريمة .

(٤) القيام بدراسة مقارنة للتشريعات والنظم المعمول بها في البلدان العربية الخليجية ، والمتعلقة بالمسنين ورعايتهم ، وذلك للوقوف على اوجه التشابه والاختلاف والسمات العامة لها ، كخطوة نحو التكامل والتوحيد بين هذه التشريعات والنظم .

د ـ في مجال التأمينات الاجتماعية

(١) لما كان الامن الاقتصادي احد العوامل الهامة في تحقيق التوافق في مراحل العمر المتقدمة ، ولما كانت نظم التأمينات الاجتماعية تكفل نوعاً من تحقيق هذا الامن ، وحيث ان الدخل يتأثر كثيراً ، او ينقطع كلية بسبب التقاعد الاجباري لبلوغ السن المقررة ، فإنه من المناسب : (أ) الأخذ بنظام التأمين الاجتماعي بفروعه المختلفة، مع التوسع في تطبيقه ، بحيث يشمل فئات المواطنين ،بمن فيهم اصحاب العمل والمشتغلون لحسابهم الخاص واصحاب المهن الحرة ؛ (ب) وضع احكام خاصة لكبار السن ، الراغبين في التقاعد لظروفهم الخاصة ، والذين لا تسعفهم اعمارهم من استكمال المدد المؤهلة لاستحقاق المعاش التقاعدي ضمن قانون التأمين الاجتماعي ، وذلك لفترة انتقالية ، باضافة سنوات اعتبارية دون اداء اشتراكات عنها بما يكمل مدة الاستحقاق للمعاش التقاعدي ؛ (ج) التوسع في تطبيق نظام المساعدات

الاجتماعية ، باعتباره احد فروع الضمان الاجتماعي .

(٢) نظراً للوضع الخاص للقوى العاملة في البلدان العربية الخليجية ، والى الحاجة الماسة للاستخدام الامثل للموارد البشرية الوطنية ، فإنه من الانسب : (أ) عدم النص في قانون التأمين الاجتماعي او قوانين المكافآت والمعاشات على سن تقاعد الزامي ،والاكتفاء بالنص على سن استحقاق المعاش اذا اراد المؤمن عليه التقاعد ، وبالتالي يستطيع المؤمن عليه الاستمرار في العمل والاشتراك في التأمين الى ان يكون له مدة اشتراك كافية لاستحقاق معاش كافٍ ؛ (ب) السماح للمؤمن عليه عند بلوغه سن الاستحقاق بالاستمرار في العمل بصفة اخرى تتناسب وخبراته ، طالما كان قادراً على العمل وراغباً فيه ، لضمان حصوله على دخل اضافي من جهة ، ولافساح المجال لمن يخلفه من جهة اخرى ؛ (ج) السماح قانوناً لمن يبلغ سن التقاعد او تقاعد اختيارياً ويحصل على معاش طبقاً لقانون التأمين الاجتماعي بأن يجمع بين هذا المعاش ودخله من العمل الجديد ، مع ضم مدة العمل الجديدة لمدة اشتراكه السابقة في التأمين ، وحساب معاشه على اساس ضم المدتين .

هـ - في المجال الصحي

(١) التعرف على الطبيعة الخاصة للمشكلات الطبية والطبية النفسية لمرحلة الشيخوخة في بلدان الخليج العربي ، والتخطيط لمواجهتها على اساس تصور سليم من خلال ابحاث علمية يقوم بها فريق متعدد التخصصات وتتبناها هذه البلدان .

(٢) ان يعمل القائمون على تقديم الخدمات الطبية العلاجية على تبني سياسة ابقاء المسنين في بيئاتهم الاصلية ، وبين اسرهم ، وتجنب إيداع المرضى المسنين في الاقسام الداخلية بالمستشفيات الا اذا استدعت الضرورة ذلك .

(٣) اعداد كوادر متخصصة في رعاية المسنين من خلال ما يلي : (أ) الاهتمام بتدريس مقررات « طب الشيخوخة » و« الطب النفسي للشيخوخة » ضمن البرامج التي يتطلبها التخرج من كليات الطب في البلدان العربية الخليجية ، وتشجيع الحصول على دراسات عليا للتخصص في مثل هذه المجالات ؛ (ب) اعداد هيئات تمريضية متخصصة في رعاية المسنين ، مع توفير كافة الحوافز المشجعة للاقبال على هذا المجال؛(ج) الاهتمام بمرحلة الشيخوخة في برامج اقسام الاجتماع والخدمة الاجتماعية وعلم النفس في كليات الآداب ومعاهد الخدمة الاجتماعية لاعداد اخصائيين واجتماعيين ونفسيين مؤهلين بالدول الاعضاء ؛ (د) تنظيم دورات تدريبية مستمرة للعاملين في مجال « طب الشيخوخة » و « طب نفس الشيخوخة » للاطباء والهيئة التمريضية والاخصائيين الاجتماعيين والاخصائيين النفسيين واخصائيي التأهيل ؛ (هـ) تشجيع البحث والتأليف في علوم الشيخوخة في الجوانب البيولوجية ، والطبية والطبية النفسية والاجتماعية وبما يثري المكتبة العربية التي تكاد تخلو حالياً من اي مرجع في هذه المجالات .

و - في مجال الرعاية الاجتماعية

(١) التأكيد على ان للاسرة الدور الاساسي في رعاية المسنين وتوفير الطمأنينة النفسية لهم والاحساس بالانتماء والتواصل الاجتماعي .

(٢) العمل على زيادة فعّالية دور الاسرة واستمرارها في رعاية المسنين من خلال التكامل والتنسيق مع الخدمات التي تقدمها المؤسسات الحكومية وغير الحكومية في هذا المجال وذلك

بتوفير ما يلي : (أ) المساعدة المادية للاسر المحتاجة لتلبية احتياجات مسنيها؛(ب) السكن المناسب لاستمرار رعاية المسنين من حيث هندسته وسعته ؛ (ج) التوعية بأساليب رعاية المسنين المختلفة وطرق التعامل معهم ؛ (د) استمرار مشاركة كبار السن في المسؤوليات العائلية ، ما امكن ذلك .

(٣) الاتجاه الى انشاء دور الرعاية النهائية والوحدات الصغيرة لايواء المسنين المحتاجين الى خدمات ورعاية خاصة في محيط بيئاتهم الاجتماعية ، وتهيئة الظروف التي تكفل استمرار حياتهم الاعتيادية .

(٤) تأسيس اندية خاصة بالمسنين ، يكون تصميمها مستوحى من البيئة المحلية ، ومرتبطة بمختلف جوانب الحياة الاجتماعية ويتوفر فيها كل ما يلبي احتياجات المسنين ومتطلباتهم ، وتشجيعهم على ممارسة هواياتهم المختلفة .

(٥) العمل على ان تتوازى الخدمات المقدمة للمسنات مع تلك المقدمة للمسنين مع الاخذ بعين الاعتبار الاحتياجات الخاصة بهذه الفئة ، بحيث يتم التخفيف مما تواجههن المسنات من مشكلات وضغوط حتى تنال هذه الفئة نصيبها كاملاً من الرعاية والاهتمام .

(٦) توفير فرص اللقاء والتفاعل بين كبار السن وافراد المجتمع بفئاتهم العمرية الاخرى مما يدعم الصلة بين الاجيال ، وذلك من خلال تنظيم لقاءات دورية تتم في اندية او برامج مشتركة .

(٧) القيام بدراسة مقارنة عن نظم وخدمات رعاية المسنين بالبلدان العربية الخليجية وتحديد الصعوبات والمشكلات التي تواجهها ، واقتراح السبل لعلاجها وتطويرها وتوحيدها .

ز - في مجال الثقافة والتعليم

(١) ترسيخ المفاهيم الاجتماعية القائمة على احترام وتوقير كبار السن واعتبارها احد عناصر الفلسفة التربوية ، واساساً لرسم السياسة التعليمية .

(٢) العمل على اعادة النظر في المناهج التعليمية والكتب المدرسية في جميع المراحل الدراسية ، وعلى وجه الخصوص ، في المرحلة الابتدائية ، وابراز ايجابيات مرحلة الشيخوخة وربطها بما سبقتها من مراحل العمر واعتبارها مرحلة نضج وخبرة ، والاهتمام بتوصيل المعلومات اللازمة للبدء في مرحلة الاستعداد المبكر لها بإتباع عادات وسبل وقاية سليمة وفق مناهج محددة .

(٣) اتاحة فرص مواصلة التزود بالمعرفة والتعلم للمسنين وذلك من خلال ما يلي : (أ) العمل على محو امية الاميين من المسنين بمختلف الوسائل المناسبة لهم ؛(ب) تخصيص اقسام في المكتبات العامة للمسنين ، تتوفر فيها كافة التسهيلات واللوازم السمعية والبصرية الحديثة ، مع اخذ ذلك في الاعتبار عند تصميم وانشاء المكتبات الجديدة ؛ (ج) تشجيع ذوي الخبرة من المسنين في مجال الفكر والثقافة، واتاحة الفرص لمن لديه القدرة منهم على الاستمرار في العطاء والتفرغ لمواصلة النشاط العلمي وتدوين ما لديهم من معرفة وخبرة .

ح - في مجال العمل والتدريب

(١) التأكيد على حق العمل لكبار السن في حال قدرتهم على الانتاج والعطاء واعتبار ذلك ضرورة تحتمها حقوق المواطنة وحاجة المجتمع العربي الخليجي الى كل موارده البشرية وطاقاته وخبراته .

(٢) تشجيع وحفز كبار السن على الالتحاق

بالاعمال المناسبة لهم والقادرين عليها ، وتسهيل تشغيلهم من خلال مكاتب العمل ومبادرة هذه المكاتب الى الاتصال بهم واقناعهم وضمان توفر فرص العمل الملائمة لهم .

ط - في المجال الاعلامي

(١) اجراء ابحاث استطلاعية لتحديد الاتجاهات المجتمعية تجاه المسنين ، للاستفادة من نتائجها في تعديل وتقويم السلبيات وتدعيم وتعزيز الايجابيات وذلك من خلال خطط وبرامج اعلامية متنوعة .

(٢) الاستعانة بوسائل الاعلام والاتصال الجماهيري في التوعية بقضايا المسنين ومشكلاتهم واحتياجاتهم وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن مرحلة الشيخوخة .

(٣) وضع خطة على المستوى الخليجي للافادة من البرامج التلفزيونية والاعلامية الاخرى المشتركة في غرس وتدعيم اتجاهات ايجابية نحو كبار السن .

(٤) الاهتمام بأن تتضمن برامج التوعية الاعلامية تعريفاً بالتغيرات البيولوجية والذهنية والاجتماعية والاقتصادية التي يمكن أن تواجه الفرد في مراحل عمره المتقدمة، وتوعيته بأساليب مواجهة ما قد يقابله من صعوبات حتى يمكنه تحقيق اقصى قدر ممكن من التوافق مع تلك المراحل.

(٥) اعداد برامج تلفزيونية واذاعية خاصة بكبار السن تعالج مشكلاتهم وتلبي احتياجاتهم من المعرفة والترويح .

(٦) حث مكتب المتابعة على اصدار نشرة دورية تتضمن عرضاً لأهم تجارب البلدان العربية الخليجية في مجال رعاية المسنين وقضاياهم وما يستجد في هذا المجال من مفاهيم واساليب وحقائق ، بحيث تشكل هذه النشرة مصدراً للمتابعة المنتظمة يستفيد منها العاملون في هذا الحقل والمختصون والباحثون□

صدر حديثاً
عن
مركز دراسات الوحدة العربية

الصراع العربي الاسرائيلي
بين الرادع التقليدي والرادع النووي

أمين حامد هويدي

موجز يوميات الوحدة العربية
شباط / فبراير ١٩٨٣

اعداد : قسم التوثيق
في مركز دراسات الوحدة العربية

١ ـ جامعة الدول العربية والمنظمات المتخصصة في اطارها

أ ـ القمة العربية

ـ اعلن متحدث باسم وزارة الخارجية البريطانية ان زيارة وفد اللجنة السباعية العربية الى لندن تأجلت للمرة الثانية بناء على طلب من المغرب لظروف داخلية . وجاء هذا الطلب في رسالة بعث بها الملك الحسن الثاني عاهل المغرب الى مارغريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا وسلمها محمد بوستة وزير الخارجية (الشرق الاوسط ، لندن ، ٣ / ٢ / ١٩٨٣) . وتم لاحقاً تعيين موعد الزيارة في منتصف اذار / مارس ١٩٨٣ . وصرح ناطق باسم وزارة الخارجية البريطانية ان فرنسيس بيم وزير الخارجية البريطاني اكد ان بريطانيا لا تزال ترفض استقبال ممثل لمنظمة التحرير الفلسطينية (النهار ، بيروت ، ٢٠ / ٢ / ١٩٨٣) . وأكد محمد بوستة وزير الخارجية المغربي هذا الموعد إلا انه افاد انه تم الاتفاق على ان يشارك في الوفد احد الفلسطينيين وليس بالضرورة ان يكون من قيادة منظمة التحرير الفلسطينية . وتم الاتفاق على ذلك مع المنظمة (الشرق الاوسط ، لندن ، ٢٤ / ٢ / ١٩٨٣) .

ب ـ المجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي

ـ اختتمت امس في تونس اعمال الدورة الرابعة والثلاثين للمجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي ، واكدت القرارات على ضرورة اعتماد نهج البرمجة للمشروعات العربية المشتركة في الامن الغذائي ، وتطبيق اسلوب المشروعات المشتركة كمدخل اساسي لمواجهة هذه المشكلة والتغلب عليها . واوصت بتكوين فريق عمل تحت مظلة الامانة العامة لجامعة الدول العربية لوضع التفاصيل اللازمة لتحديد المزيد من فرص الاستثمار وبلورة المشروعات واتخاذ دراسات الجدوى الاقتصادية لبرامج متكاملة . ودعت الدول العربية الى الاسراع في التصديق على الاتفاقية الموحدة لاستثمار رؤوس الاموال العربية في الدول العربية ، واتفاقية تيسير وتنمية التبادل التجاري بينها . وكلف الامانة العامة للجامعة بالتعاون مع فريق العمل بدراسة واقع المشروعات القائمة وخاصة تلك التي تدخل في مشروعات الامن الغذائي (الدستور ، عمان ، ٢٥ / ٢ / ١٩٨٣) .

ج ـ مجالس الوزراء

ـ اختتمت بالرباط اعمال الاجتماع الثامن للجنة الوزارية الدائمة المنبثقة عن مؤتمر وزراء الدول العربية المسؤولين عن تطبيق العلوم والتكنولوجيا على التنمية ، واقرت الصيغة النهائية لمشروع الاتفاقية المتعلقة بانشاء الصندوق العربي للبحوث العلمية والتكنولوجية من اجل التنمية ، كما وافق اعضاء اللجنة على الدعوة الى عقد اجتماع المفوضين الحكوميين بمقر المنظمة العربية للتربية والثقافة

والعلوم بتونس ، كما تمت الموافقة على عقد مؤتمر « كاستعراب » الثاني خلال شهر آذار / مارس او نيسان / ابريل في بغداد سنة ١٩٨٤ (الانباء ، الرباط ، ٩ / ٢ / ١٩٨٣) .

د ـ الامانة العامة

ـ اكد الشاذلي القليبي الامين العام لجامعة الدول العربية في برقية بعث بها الى صدام حسين الرئيس العراقي انه على ثقة بأن دول الجامعة لن تتخلى عن التزامها بالوقوف بجميع طاقاتها الى جانب العراق (الشرق الاوسط ، لندن ، ١٠ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ عاد الى تونس وفد جامعة الدول العربية الذي قام مؤخراً بجولة شملت كلاً من سيراليون وليبيريا وغانا وفولتا العليا ، سلّم خلالها رسائل من الشاذلي القليبي الامين العام للجامعة الى رؤساء هذه الدول تتعلق بالقضايا ذات الاهتمام المشترك وبالتعاون العربي ـ الافريقي (العمل ، تونس ، ١٠ / ٢ / ١٩٨٣) .

هـ ـ المنظمات والمؤسسات والاتحادات واللجان المتخصصة

ـ دعت اللجنة الدائمة للآثار والمتاحف التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في ختام اجتماعاتها بالمنامة والتي استمرت ثلاثة ايام الى انشاء متحف للحضارة العربية في مدينة طليطلة في اسبانيا . وكانت السعودية قد تولت تمويل هذا المتحف بموجب اتفاق ثنائي مع اسبانيا . كما دعت اللجنة الى توثيق وتسجيل معالم دروب الحج التاريخية بين سورية والاردن وفلسطين والاراضي المقدسة بالتعاون مع الجهات المعنية ، واوصت بضرورة التعاون بين ادارات الآثار في السعودية والعراق لاستكمال توثيق معالم درب كان يربط منطقة الكوفة بالاراضي المقدسة ، وبمواصلة الاتصالات والتعاون مع مكتب التربية العربية لاصدار دليل آثار لمنطقة الخليج . ووافقت على طلب جيبوتي بانشاء متحف واجراء مسح وتنقيبات لكشف الآثار فيها (الشرق الاوسط ، لندن ، ١٨ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ أعدت منظمة العمل العربية مشروعاً لتطوير استخدام العمالة العربية بين بلدان المنطقة والعمل على تحسين الاستفادة من الطاقات البشرية لابناء الدول العربية . وقد أعدت المشروع بعثة فنية من المنظمة بعد جولة لها في الدول العربية ، وتمت مناقشته ووضع الصيغة النهائية له من قبل المجموعة العربية في اجتماعات الندوة الدولية التي عقدت في جنيف في اواخر كانون الثاني / يناير الماضي لتطوير وترشيد الاستخدام . وينص المشروع على ان تقدم المنظمة المعونة الفنية للبلدان العربية لتطوير وتدعيم قاعدة معلومات عن قوة العمل والاستخدام ، وعلى ضرورة القيام بنشاط استشاري للتعرف على احتياجات البلدان العربية من المعونة الفنية . وقد قررت الندوة الدولية تشكيل لجنة مشتركة لمتابعة تنفيذ المشروع ، مؤلفة من ممثلين عن الدول العربية ومنظمتي العمل الدولية والعربية والبرنامج الانمائي للامم المتحدة (الاتحاد ، ابو ظبي ، ٢١ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ اعلن في الكويت ان الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية سيمتنع عن تقديم كافة المعونات المخصصة لاعادة تعمير لبنان طالما استمر بقاء القوات الاسرائيلية على ارضه (العرب ، الدوحة ، ٢٧ / ٢ / ١٩٨٣) .

٢ ـ قضايا عربية

ـ قدمت الحكومة الاسرائيلية احتجاجاً شديد اللهجة الى مصر زعمت فيه ان الفدائيين اللذين قاما بالهجوم على اتوبيس في تل ابيب تلقيا تدابير الخطة من بعض القادة الفلسطينيين الموجودين بالقاهرة . كذلك اتهمت اسرائيل مصر بتسهيل تسريب الاسلحة للفلسطينيين عن طريق سيناء (الاهرام ، القاهرة ، ١ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ اجتمع الشيخ صباح الاحمد الجابر الصباح وزير خارجية الكويت امس الاول مع فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية ، وبحث معه القضايا العربية الراهنة واوضاع الفلسطينيين في لبنان وفي الاراضي العربية المحتلة . وغادر القدومي الكويت الى دمشق بعد زيارة استغرقت يوماً واحداً (الشرق الاوسط ، لندن ، ٢ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ ذكر مصدر دبلوماسي رفيع المستوى في قسم رعاية المصالح المصرية بالسفارة السودانية في عمان ، ان مصر والاردن انهيا الترتيبات الخاصة بتطوير العلاقات التجارية بين البلدين ، وأنه قريباً سوف يبدأ استيراد السلع والمنتجات المصرية وبالمقابل تصدير منتجات اردنية الى مصر (الشرق الاوسط ، لندن ، ٢ / ٢ / ١٩٨٣) . كما قررت الحكومة الاردنية

السماح للصحف والكتب والمطبوعات المصرية بدخول الاردن (الاتحاد الاسبوعي ، ابو ظبي ، ٣ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ وافقت السعودية ومنظمة الزراعة والاغذية الدولية « الفاو » على خطة لاعادة اصلاح المزارع اللبنانية التي دمرت من جراء الغزو الاسرائيلي . وقال مسؤولون في المنظمة ، ان السعودية ستمول المشروع الذي تبلغ تكاليفه ٦٨٠ الف دولار كجزء من مساهمتها في صندوق المنظمة (السفير ، بيروت ، ٣ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ عاد امس الى بيروت ايلي سالم وزير الخارجية اللبناني بعد ان رافق شفيق الوزان رئيس الوزراء في زيارة رسمية الى تونس [بدأت يوم ٢١ / ١ / ١٩٨٣] . وقد اجتمع الوفد خلال هذه الزيارة مع كبار المسؤولين التونسيين ومع الشاذلي القليبي الامين العام لجامعة الدول العربية . كما اجتمع مع ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وبحث واياه قضية انسحاب القوات الفلسطينية الباقية في لبنان . [اما الوزان فقد عاد الى بيروت اليوم] (السفير ، بيروت ، ٣ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ عاد حسني مبارك الرئيس المصري الى القاهرة ، بعد رحلة استمرت عشرة ايام اجرى خلالها مباحثات هامة مع رؤساء الولايات المتحدة الاميركية وكندا وبريطانيا وفرنسا تركزت حول ازمة المفاوضات اللبنانية ـ الاسرائيلية ، وتهيئة المناخ لحل القضية الفلسطينية ، وعلاقات مصر بهذه البلدان (الاخبار ، القاهرة ، ٥ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ اكد اشرف غربال سفير مصر بواشنطن ، ان جزيرتي صنافير وتيران السعوديتين اللتين تستعيرهما مصر في مدخل خليج العقبة هما حالياً تحت الادارة المصرية ، وتخضعان في الوقت الراهن للتفتيش الدولي بموجب الاتفاقية المصرية ـ الاسرائيلية . واضاف انه لا يوجد اي نفوذ اسرائيلي عليهما (الاتحاد ، ابو ظبي ، ٥ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ انفجرت سيارة مفخخة امام مركز الابحاث الفلسطيني ووكالة الجماهيرية للانباء المقر المؤقت لمكتب الاخوة العربية الليبي في بيروت . وقد نتج عن الانفجار عشرات القتلى والجرحى واندلاع حرائق في البنايتين واضرار في بنايات مجاورة (السفير ، بيروت ، ٦ / ٢ / ١٩٨٣) . وطالب متحدث رسمي باسم منظمة التحرير الفلسطينية الحكومة اللبنانية والقوات المتعددة الجنسيات « بتوفير الحماية للمنظمات العلمية الفلسطينية والمدنيين الفلسطينيين طبقاً لتعهداتها » والقى المتحدث على « قوة الاحتلال الصهيوني وعملائها في لبنان » مسؤولية تفجير مركز الابحاث الفلسطيني ووكالة الجماهيرية للانباء في بيروت (السفير ، بيروت ، ٧ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ صرح احمد صدقي الدجاني عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في حديث لصحيفة « مايو » المصرية ان هناك خلافات بين فصائل المقاومة الفلسطينية حول العلاقة الفلسطينية ـ المصرية ، « لكن الاكثرية الساحقة من الشعب الفلسطيني تتجه نحو هدف واضح هو التعاون بين مصر والفلسطينيين » . ونوّه بالجهود التي بذلتها القيادة المصرية لطرح الحقائق امام الولايات المتحدة الاميركية « ولنقل مواقف منظمة التحرير الفلسطينية بامانة » (النهار ، بيروت ، ٧ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ تلقى صدام حسين الرئيس العراقي اتصالات هاتفية من الملك فهد بن عبد العزيز العاهل السعودي والملك حسين العاهل الاردني وحسني مبارك الرئيس المصري معربين عن تأييدهم للعراق في « الدفاع عن ارضه وسيادته » وذلك اثر بدء ايران بهجوم على الاراضي العراقية وصفته بأنه « اوسع العمليات نطاقاً » منذ بدء الحرب مع العراق . هذا واستدعى طارق عزيز نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية العراقي رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية المعتمدة في بغداد وابلغهم تفاصيل الهجوم وطلب منهم « ضرورة اتخاذ الموقف السياسي الذي ينسجم مع مبادىء التضامن العربي وميثاق الجامعة العربية وقرارات فاس الاخيرة » (النهار ، بيروت ، ٨ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ غادر ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية عمان متوجهاً الى الرياض في ختام زيارة للاردن استغرقت يومين اجرى خلالها محادثات مع الملك حسين العاهل الاردني ومضر بدران رئيس الوزراء الاردني تركزت على العلاقات الثنائية والوضع العام في المنظمة العربية وداخل الاراضي العربية المحتلة (السفير ، بيروت ، ٩ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ قام كامل حسن المقهور امين النفط الليبي بزيارة الى كل من جدة (السفير ، بيروت ، ٩ / ٢ / ١٩٨٣) والكويت (العرب ، الدوحة ، ١٢ / ٢ / ١٩٨٣) ودولة الامارات العربية المتحدة حيث بحث

مع المسؤولين الازمة التي تواجه منظمة الاوبك نتيجة الفوضى في تسعير النفط وانتاجه (الاتحاد ، ابو ظبي ، ١٤ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ عاد الى بيروت الوفد النيابي اللبناني برئاسة رشيد الصلح بعد جولة [بدأها يوم ٣٠ / ١ / ١٩٨٣] شملت السودان والصومال وجيبوتي نقل فيها رسائل من امين الجميل الرئيس اللبناني الى رؤساء هذه الدول تتعلق بالموقف اللبناني من المفاوضات اللبنانية ـ الاسرائيلية ـ الاميركية (العمل ، بيروت ، ١٢ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ وافقت هيئة الطيران المدني المصرية على استئناف الرحلات الجوية بين القاهرة والجزائر ، كما تقرر تشغيل خط القاهرة بيروت بمعدل رحلتين اسبوعياً واستئناف الرحلات المصرية الى بغداد في اول نيسان / ابريل القادم (الاخبار ، القاهرة ، ١١ / ٢ / ١٩٨٣) . وتم الاتفاق بين مصر والاردن على تسيير خط بواخر سياحية بين مصر والاردن يربط بين خليج العقبة الاردني والمرسى المؤقت في نويبع المصرية على خليج العقبة (الاخبار ، القاهرة ، ٢١ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ قررت هيئة المعارض الدولية في مصر عدم توجيه الدعوة لاسرائيل للمشاركة في معرض القاهرة الصناعي الزراعي الدولي الذي سيقام خلال شهر آذار / مارس المقبل (الشرق الاوسط ، لندن ، ١١ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ عاد بطرس غالي وزير الدولة المصري للشؤون الخارجية واسامة الباز الوكيل الاول لوزارة الخارجية المصرية ومدير المكتب السياسي لحسني مبارك الرئيس المصري الى القاهرة بعد زيارات الى كل من العراق والاردن ولبنان نقلا خلالها رسالة من مبارك الى رؤساء هذه الدول تتعلق بزيارة الرئيس المصري الاخيرة الى الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا وفرنسا . [والجدير بالذكر ان زيارة غالي والباز الى العراق هي الاولى منذ قطع العلاقات المصرية ـ العراقية بعد اتفاقي كامب ديفيد](الاهرام ، القاهرة ، ١٢ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ اعربت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين « الاونروا » في بيان لها في فيينا عن قلقها العميق لتصاعد عمليات العنف ضد اللاجئين الفلسطينيين في المناطق اللبنانية التي تحتلها اسرائيل وذلك بعد اكتشاف ١٥ جثة القيت على مقربة من مخيم عين الحلوة في صيدا جنوب لبنان (السفير ، بيروت ، ١٣ / ٢ / ١٩٨٣) . وصرح ناطق باسم الوكالة لاحقاً ان نحو ١٢٠ عائلة فلسطينية بمنطقة صيدا في لبنان حذرت من ان افرادها سيقتلون اذا لم تترك منازلها وتتوجه الى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في جنوب لبنان (النهار ، بيروت ، ٢٣ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ اجرى اعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والامناء العامون لفصائل المقاومة عدة لقاءات في الجزائر بغية بلورة موقف موحد بين الاجنحة المختلفة للمنظمة قبل افتتاح الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني . وصرح احمد عبد الرحمن الناطق باسم المجلس ، ان كل الفصائل توصلت الى اتفاق على اقامة اتحاد كونفيدرالي بين الاردن والدولة الفلسطينية المستقلة (النهار ، بيروت ، ١٣ / ٢ / ١٩٨٣) . إلا ان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية وجبهة النضال الشعبي ما لبثت ان اعلنت رفضها القاطع لمبادرة الرئيس ريغان ولأي علاقة مع الاردن ومصر ، ودعت في خطب القاها زعماؤها امام المجلس الوطني الى متابعة العمل العسكري من لبنان ضد القوات الاسرائيلية والى تصحيح العلاقة مع سورية وتأكيد الوحدة الفلسطينية والتقيد بالقرارات السابقة للمجلس (النهار ، بيروت ، ١٨ / ٢ / ١٩٨٣) . وقد عقدت الدورة في الجزائر في الفترة من ١٤ ـ ٢٠ / ٢ / ١٩٨٣ . واعيد خلالها انتخاب ياسر عرفات رئيساً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية . واكد المجلس في قراراته على الوحدة الوطنية الفلسطينية ، وعلى استمرار التمسك بالقرار المستقل وصيانته ، وضرورة تطوير وتصعيد الكفاح المسلح ، وتوحيد قوات الثورة الفلسطينية في اطار جيش تحرير وطني موحد . وطالب المجلس ان تقوم العلاقات بين المنظمة والدول العربية على اساس الالتزام بالقضايا العربية وفي طليعتها قضية فلسطين ، ورفض كل المشاريع الرامية الى المساس بحق المنظمة في التمثيل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني عبر اي صيغة كالتفويض او الانابة او المشاركة في هذا الحق . واعتبر المجلس قرار قمة فاس الحد الادنى للتحرّك السياسي للدول العربية الذي يجب ان يتكامل مع العمل العسكري . وحول العلاقة مع الاردن اكد المجلس على العلاقات الخاصة والمميزة التي تربط الشعبين ، ورأى المجلس ان العلاقة المستقبلية بينهما تقوم على اسس كونفيدرالية بين دولتين مستقلتين . كما دعا المجلس الى اجراء مفاوضات ومباحثات مع

الحكومة اللبنانية لتحقيق امن وسلامة المواطنين الفلسطينيين وضمان حقوقهم . واكد المجلس اهمية العلاقة الاستراتيجية مع سورية وكلف اللجنة التنفيذية بعقد مباحثات مع اطراف الجبهة القومية للصمود والتصدي للبحث في كيفية احيائها على اسس سليمة . وجدد رفضه لاتفاقية كامب ديفيد وحدد العلاقة مع مصر على اساس تخليها عن كامب ديفيد واكد ضرورة الوقوف الى جانب نضال الشعب المصري وقواه الوطنية لانهاء سياسة كامب ديفيد . ورفض المجلس مشروع ريغان في نهجه ومضمونه لأنه لا يلبي الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني (السفير ، بيروت ، ٢٣ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ اجتمع صدام حسين الرئيس العراقي في بغداد مع كلود شيسون وزير العلاقات الخارجية الفرنسية وبحث معه الاوضاع في المنطقة العربية والقضايا الدولية ذات الاهتمام المشترك ، بالاضافة الى العلاقات الثنائية بين البلدين (الثورة ، بغداد ، ١٤ / ٢ / ١٩٨٣) . وانتقل شيسون لاحقاً الى دمشق حيث اجتمع مع حافظ الاسد الرئيس السوري . واكد الاسد خلال اللقاء « اننا ننظر الى لبنان كبلد شقيق احتلت ارضه ونحن نكافح مع اللبنانيين الذين يكافحون من اجل وحدة لبنان واستقلاله وانهاء الاحتلال الاسرائيلي لاراضيه » واضاف حول ازمة الشرق الاوسط « نحن نعمل من اجل [السلام العادل] ولكن الآخرين يتحدثون عن السلام ويحاولون ان يفرضوا ... الاستسلام » (تشرين ، دمشق ، ١٦ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ أصدر امين الجميل الرئيس اللبناني بصفته القائد الاعلى للقوات المسلحة امراً الى الجيش اللبناني بالانتشار في منطقة « بيروت الكبرى » التي تمتد من نهر الموت شمالاً ، الى كفرشيما ووادي شحرور جنوباً ، وعاريا شرقاً ، والحرم الجنوبي لمطار بيروت . وتهدف هذه الخطة الى ان يتسلم الجيش اللبناني المهام الامنية في هذه المنطقة . ومن جهة اخرى دخلت دبابات وناقلات جند عدة تابعة « لجيش لبنان الحر » الذي تسانده اسرائيل مدينة صيدا في جنوب لبنان واقامت ثكنة عسكرية في المدينة . وقد اعلن الرائد سعد حداد قائد هذا الجيش ان هدفه مساعدة الحكومة اللبنانية على بسط سلطتها على لبنان كله ومنع تقسيم البلاد (النهار ، بيروت ، ١٥ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ وصل الى الرياض اللواء محمد علي سمنتر النائب الاول لرئيس الجمهورية الصومالي وزير الدفاع على راس وفد عسكري في زيارة للسعودية تستغرق خمسة ايام [وذلك في اطار جولة بين اقطار الخليج العربية تستغرق اسبوعين] (الشرق الاوسط ، لندن ، ١٦ / ٢ / ١٩٨٣) . وقال سمنتر في مؤتمر صحافي عقده بالكويت التي انتقل اليها لاحقاً ان بلاده تقدم تسهيلات للقوات الاميركية في ميناء بربرة شرط عدم استخدامها بعدوان ضد الدول العربية . وقال ان بلاده لم تعترف بكامب ديفيد و « نرفض قطع العلاقات الدبلوماسية مع مصر ، اذ ان لنا علاقات وظروف خاصة تلزمنا باستمرار العلاقات مع مصر » (الوطن ، الكويت ، ٢٧ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ اعلنت الولايات المتحدة الاميركية ، انها ارسلت طائرات انذار مبكر من طراز اواكس الى مصر وحركت حاملة الطائرات الاميركية نيميتز من قاعدتها قبالة الشاطىء اللبناني الى خليج سرت قبالة السواحل الليبية رداً على ما قالت انه حشود ليبية على الحدود السودانية . وفي هذه الاثناء اعلن معمر القذافي الرئيس الليبي ان بلاده ستقاتل دفاعاً عن نفسها « ولن نسمح لاية دولة بأن تدخل مياهنا الاقليمية حتى ولو كانت هذه الدولة الاتحاد السوفياتي » (السفير ، بيروت) . ومن جهة اخرى اعلن ناطق رسمي باسم وزارة الخارجية المصرية انه لا تجري حالياً اية مناورات مصرية ـ اميركية مشتركة وإن كان يتم حالياً تدريب بعض الاطقم المصرية على استخدام وتشغيل الاجهزة الموجودة بطائرات الاستطلاع الاميركية . وحول تحركات الاسطول الاميركي قال انه لا علاقة لمصر بهذه الاخبار ، مؤكداً ان اوضاع القوات المصرية طبيعية (الاهرام ، القاهرة ، ١٨ / ٢ / ١٩٨٣) . وفي مقابلة في طرابلس مع شبكة « سي . بي . اس » التلفزيونية الاميركية ، كرر القذافي ان ليبيا ستدخل في حرب مع الولايات المتحدة الاميركية اذا ما حاول اسطولها التحرك في خليج سرت الذي يقع ضمن المياه الاقليمية الليبية ولكنه اوضح « نحن لا ننوي شن اي حرب ضد جاراتنا ، ان علاقاتنا مع تونس جيدة وهي جيدة كذلك مع مصر ونأمل ان نحسّن علاقتنا مع السودان » . ونفى ان تكون بلاده قد شجعت او تشجع حركات مناهضة لحكومتي السودان او تشاد (السفير ، بيروت ، ٢٠ / ٢ / ١٩٨٣) . ونفى في حديث آخر الى شبكة التلفزيون الاميركية « ان . بي . سي » ان تكون قواته تحتشد على حدود السودان ، وقال « اعتقد ان هناك معلومات خاطئة وسوء فهم لأن مصر وضعت

طائراتها على حدود السودان وليست ليبيا » (النهار ، بيروت) . وفي واشنطن اعلن مسؤولون امريكيون ان طائرات [الاواكس] الامريكية الاربع ستعود من مصر الى الولايات المتحدة ، وكذلك حاملة الطائرات نيميتز التي ستعود الى موقعها قبالة الساحل اللبناني . وفي القاهرة اعلن المشير محمد عبد الحليم ابو غزالة وزير الدفاع المصري ان مصر ستقف الى جانب السودان ضد اي عدوان خارجي وذلك طبقاً لاتفاقية الدفاع المشترك المبرمة بين البلدين . الا انه نفى ان تكون هناك احتمالات في الوقت الحاضر لتعرض السودان لاي عدوان (الاهرام ، القاهرة ، ٢١ / ٢ / ١٩٨٣) . وقد ناقش مجلس الامن الدولي الشكوى التي تقدمت بها ليبيا ضد التحركات العسكرية الامريكية . وكانت المجموعة العربية في الامم المتحدة قد عقدت اجتماعاً بناء على طلب ليبيا التي دعت الى اصدار بيان مؤيد لها في شكواها ، غير ان بعض الاطراف العربية طلبت مهلة لتلقي الجواب من حكوماتها . ومن جهة اخرى نسبت صحيفة « نيويورك تايمز » الاميركية الى مسؤولين اميركيين ، ان ارسال طائرات الاواكس الى مصر وحاملة الطائرات نيميتز الى قرب الشواطىء الليبية كانت جزء من خطة اميركية لتدمير اكبر قدر ممكن من سلاح الجو الليبي (السفير، بيروت ، ٢٢ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ انتقد اسحق شامير وزير الخارجية الاسرائيلي سياسة مصر تجاه اسرائيل بقوله ان الاتفاقات موجودة ولكن ليس هناك من ينفذها . وقال ان السلطات المصرية ترفض اعطاء اي رخص لتصدير بضائع الى اسرائيل او لاستيراد بضائع منها ، وان الحدود مفتوحة لكن الاسرائيليين فقط يذهبون الى مصر بينما لا يأتي مصري واحد الى اسرائيل . وان مصر تعهدت بوقف الدعاية المعادية ولكن في الواقع هناك « شلال من الحقد على اسرائيل والشعب اليهودي » (النهار ، بيروت ، ١٨ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ ذكر حسني مبارك الرئيس المصري في حديث لصحيفة « الوطن » الكويتية انه يقوم بوساطة لاعادة العلاقات بين الولايات المتحدة الامريكية والعراق وان مصر من الممكن ان تقدم تسهيلات عسكرية للامريكيين « اذا تعرضت دولة عربية او اسلامية للخطر » (الوطن ، الكويت ، ٢٠ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ قام وفد سياحي مصري برئاسة عبد العزيز راضي وكيل وزارة السياحة المصرية بزيارة الى عمان [بدات يوم ١٢ / ٢ / ١٩٨٣] واجرى مباحثات مع المسؤولين في وزارة السياحة والآثار الاردنية تتعلق بالتعاون السياحي ، وتبادل المجموعات السياحية ، وربط ميناء العقبة بميناء نويبع على الساحل المصري (الدستور ، عمان ، ٢١ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ نفى ناطق عسكري سعودي في الرياض ما اعلنه رفول إيتان رئيس الاركان الاسرائيلي [يوم ٢٠ / ٢ / ١٩٨٣] عن وجود فرقة دبابات باكستانية في قاعدة تبوك السعودية القريبة من اسرائيل . ووصف الناطق هذا الادعاء بانه « لا اساس له » (النهار ، بيروت ، ٢٢ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ طلب سليم ياسين وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية السوري من دوائر الجمارك في الحدود بين لبنان وسورية عدم الطلب من المصدرين اللبنانيين المستندات المتعلقة بقيمة التحويل في عمليات استيراد الفاكهة والحمضيات اللبنانية وذلك مساهمة في تسهيل تصدير الفاكهة اللبنانية الى سورية (السفير ، بيروت ، ٢٢ / ٢ / ١٩٨٣) . ومن جهة اخرى اتخذت السلطات السعودية قراراً بمنع استيراد بعض السلع من لبنان وتلك التي تمر عبره بطريق الترانزيت وذلك للحؤول دون استيراد بضائع اسرائيلية . (العمل ، بيروت ، ٢٤ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ اعلن ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في حديث مع شبكة التلفزيون الامريكية « ان . بي . سي » ان الميثاق الفلسطيني الذي ينادي بتدمير اسرائيل ميثاق انتهى تاريخه ، وان المنظمة مستعدة لبدء المباحثات (الاخبار ، القاهرة ، ٢٢ / ٢ / ١٩٨٣) . وأعلن صلاح خلف « ابو اياد » عضو اللجنة المركزية لحركة فتح في حديث لصحيفة « وول ستريت جورنال » الامريكية ان منظمة التحرير الفلسطينية مستعدة لقبول خطة الرئيس الاميركي ريغان اذا ما اعلنت الولايات المتحدة اعترافها بمبدأ حق تقرير المصير للفلسطينيين (الرياض ، الرياض ، ٢٤ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ اعلن في واشنطن رونالد ريغان الرئيس الاميركي ان ادارته مستعدة لاتخاذ كل التدابير الضرورية لضمان امن الحدود الشمالية لاسرائيل بعد ان يتم الانسحاب الكامل للجيش الاسرائيلي من لبنان . وقال ان حل المشكلة الفلسطينية على نحو يرضي الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني هو هدف اساسي بالنسبة الى السياسة الخارجية للولايات المتحدة الاميركية .

ووصف مبادرته للسلام في المنطقة بأنها تهدف الى تسريع عملية المفاوضات التي بدأت في كمب ديفيد. وفي القدس المحتلة اعلن اسحق شامير وزير الخارجية الاسرائيلي ان الوفدين اللبناني والاسرائيلي توصلا الى اجمال عدد كبير من المواضيع ، مؤكداً ان اسرائيل لا تطلب من الولايات المتحدة ضماناً للاتفاق مع لبنان ، بل تطلب تعاوناً مع لبنان يشمله الاتفاق بين البلدين . وعن العلاقة مع مصر قال شامير ان بين البلدين ٦٠ اتفاقاً في مجالات مختلفة « لكن المسؤولين المصريين لا يحترمون ايا من هذه الاتفاقات . علماً ان مصر تحررت من الاجماع العربي الذي كان يسيّر سياستها قبل توقيع اتفاقي كمب ديفيد » (النهار ، بيروت ، ٢٣ / ٢ / ١٩٨٣) .

- اعلنت مصادر دبلوماسية عربية مطلعة في الرباط ان رحلات الطيران بين الجزائر والمغرب ستستأنف اعتباراً من اول نيسان / ابريل القادم (العرب ، الدوحة ، ٢٤ / ٢ / ١٩٨٣) .

- اجتمع في الرياض [ابتداء من يوم ٢٢ / ٢ / ١٩٨٣] وزراء نفط السعودية والامارات العربية المتحدة والعراق والكويت وقطر . وصرح مانع سعيد العتيبة وزير النفط في الامارات ، ان وزراء البترول في دول الاوبك سيعقدون اجتماعاً الاسبوع القادم في فيينا ، واكد انه اذا لم يتم خلال هذا المؤتمر الاتفاق على موضوع تخفيض الاسعار فإن دول الخليج الخمس هذه « ستخفض من جانبها اسعار بترولها بمعدلات اكبر مما يمكن ان تقبل به من تخفيض في الاسعار في الاوبك » . ومن جهة اخرى هدد الشيخ احمد زكي يماني وزير النفط السعودي في مقابلة مع « وكالة الانباء الكويتية » بأن الدول العربية الخليجية « ستدخل بكل ثقلها وقوتها لتكفل جعل الآخرين يفكرون مرتين قبل الدخول في حرب اسعار معها » (الاتحاد ، ابو ظبي ، ٢٤ / ٢ / ١٩٨٣) .

- اصدرت وزارة الخارجية المصرية بياناً رسمياً انتقدت فيه بيان المجلس الوطني الفلسطيني جاء فيه « ان ما ورد في البيان خاصاً بمصر لا يخدم اهداف العمل الفلسطيني وقد تجاوزته الاحداث ويصبح ، ان صح ، ارتداداً سلبياً عن التعاون الايجابي الذي اخذ مجراه في الآونة الاخيرة واشادت به المنظمة اكثر من مرة » . ويضيف البيان المصري « ان اشارة البيان الى ما سماه بالقوى الوطنية الديمقراطية والشعبية بمصر هي بمثابة تجاهل لكل ما قدمه شعب مصر بأجمعه من تضحيات ...»واوضح ان مصر لن تتخلى عن موقفها من مؤازرة الشعب الفلسطيني وحقه الاكيد في تقرير مصيره (السفير ، بيروت ، ٢٥ / ٢ / ١٩٨٣) . وفي تونس استقبل الحبيب بورقيبة الرئيس التونسي ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وعرض معه نتائج اجتماع المجلس الوطني . وذكر الباجي قائد السبسي وزير الخارجية التونسي اثر اللقاء ان الرئيس بورقيبة اشاد بالنتائج الايجابية لقرارات المجلس قائلاً انها تأخذ في الاعتبار وقائع الساعة ومتطلبات العمل الفلسطيني على الصعيدين العسكري والسياسي (الاتحاد ، ابو ظبي ، ٢٦ / ٢ / ١٩٨٣) .

- وافقت وزارة القوى العاملة والتدريب في مصر على تلبية رغبة حكومة قطر باحياء اتفاقية تنظيم تشغيل العمالة المصرية بقطر الموقعة بين البلدين عام ١٩٧٣ (الاهرام ، القاهرة ، ٢٦ / ٢ / ١٩٨٣) .

- اعلنت وزارة الخارجية المصرية في بيان لها ان الاتصالات المصرية - الامريكية - الاسرائيلية بشأن موضوع طابا قد اسفرت عن اتفاق لعقد مباحثات ثلاثية على مستوى الخبراء بمدينة الاسماعيلية في ٢ / ٣ / ١٩٨٣ . واضاف البيان ان المحادثات المقررة ستتركز على « الترتيبات الانتقالية في المنطقة المتنازع عليها لاجراء تسوية النزاع بالتوفيق والتحكيم » (الشرق الاوسط ، لندن ، ٢٦ / ٢ / ١٩٨٣) .

- اجتمع في قرية العقيد لطفي الجزائرية القريبة من الحدود المغربية الملك الحسن الثاني عاهل المغرب والشاذلي بن جديد الرئيس الجزائري . في اول لقاء بينهما منذ قطع العلاقات بين البلدين في آذار / مارس ١٩٧٦ نتيجة الخلاف على الصحراء الغربية التي ضمّها المغرب الى اراضيه في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٥ . وافادت مصادر مطلعة في الرباط ان المحادثات تركزت على اعادة العلاقات بين البلدين الى طبيعتها . وقد سبق هذا اللقاء اتصالات سرية بين الرباط والجزائر قام بها احمد رضا قديرة مستشار الملك المغربي واحمد بن سودة رئيس الديوان الملكي المغربي واحمد طالب الابراهيمي وزير الخارجية الجزائري (النهار ، بيروت ، ٢٧ / ٢ / ١٩٨٣) .

- جاء في صحيفة « مايو » المصرية ان مصر قررت الغاء « جامعة الشعوب العربية والاسلامية » التي انشأها انور السادات الرئيس المصري الراحل بعد قطع العلاقات مع الدول العربية . وذكرت الصحيفة ان

هذا القرار يمكن اعتباره خطوة مصالحة اخرى مع البلدان العربية اتخذ « لأن الاسباب التي ادت الى انشاء جامعة الشعوب لم تعد قائمة » (النهار ، بيروت ، ٢٨ / ٢ / ١٩٨٣) .

٣ ـ العلاقات العربية

أ ـ التكتلات العربية

ـ بدأت في الجزائر المباحثات الرسمية بين الشاذلي بن جديد الرئيس الجزائري وعلي ناصر محمد رئيس جمهورية اليمن الديمقراطية . الذي وصل الى الجزائر امس على رأس وفد رسمي . وتتركز المباحثات حول العلاقات الثنائية والاوضاع على الساحة العربية وتطورات القضية الفلسطينية (السفير ، بيروت ، ١ / ٢ / ١٩٨٣) . وكان علي قد صرح قبل مغادرته عدن الى الجزائر ان زيارته تهدف الى تنشيط جبهة الصمود والتصدي لمواجهة المؤامرات التي تحيط بالامة العربية (الاتحاد ، ابو ظبي ، ٣٠ / ١ / ١٩٨٣) . وانتقل الرئيس اليمني لاحقاً الى طرابلس في زيارة لليبيا يبحث خلالها عدداً من القضايا المتعلقة بالتطورات التي تشهدها الساحة العربية والدولية (السفير ، بيروت ، ٢ / ٢ / ١٩٨٣) . ثم قام بزيارة الى دمشق استغرقت ثلاثة ايام، اجرى خلالها محادثات مع حافظ الاسد الرئيس السوري وصفها بأنها ايجابية ومثمرة (النهار ، بيروت ، ٥ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ اصدر الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة امير البحرين مرسوماً يعفي ابناء دول مجلس التعاون الخليجي من شرط الجنسية البحرينية عند ممارستهم للنشاط الاقتصادي والمهني ويقضي بمعاملتهم في ذلك كمعاملة البحرينيين (الشرق الاوسط ، لندن ، ١٠ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ انتهى الخبراء القانونيون في الامانة العامة لمجلس التعاون الخليجي من وضع ضوابط تحكم حرية التملك العقاري للافراد في الدول الاعضاء . وقد رفعت اللجنة توصياتها الى وزراء العدل بدول المجلس لبحثها في اجتماعهم القادم (الرياض ، الرياض ، ١٥ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ اكد احمد طالب الابراهيمي وزير الخارجية الجزائري في ندوة صحافية عقدها في الجزائر انه « بعد غزو لبنان وجدت ضرورة لتوحيد الصف العربي وايجاد قاسم مشترك ، ورأينا مع الفلسطينيين ضرورة الدعوة الى قمة عربية . ان جبهة الصمود تم تجاوزها بعد غزو لبنان » . وعن وجود وساطة جزائرية بين سورية ومنظمة التحرير الفلسطينية اوضح الابراهيمي ان الجزائر تعمل على تقريب وجهات النظر بين الطرفين واضاف « نحن نصحنا الفلسطينيين بعقد دورة المجلس الوطني في دمشق من اجل التقارب مع سوريا » . وقال ان الجزائر لا تقبل بعودة مصر الى الجامعة العربية « ما دام العلم الاسرائيلي يرفرف في سماء القاهرة » (النهار ، بيروت ، ٢٠ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ عقد المجلس الوزاري لدول مجلس التعاون الخليجي دورته السادسة في الرياض في الفترة من ١٩ ـ ٢١ / ٢ / ١٩٨٣ . وصرح الشيخ محمد المبارك آل خليفة وزير خارجية البحرين عقب الاجتماع ، باسم زملائه ، ان بيان دمشق الصادر [في ٢١ / ١ / ١٩٨٣ عن سورية وليبيا وايران حول حرب الخليج] « لا يخدم الوحدة العربية ولا الجهود المبذولة لانهاء الحرب العراقية ـ الايرانية » . واكد ان دول المجلس ستتابع جهودها الهادفة لتسوية النزاع بين البلدين . واكد الانباء التي تحدثت عن اجراءات ستتخذها دول المجلس لحماية حقوقها النفطية.واعلن ان هذه الدول قررت دعم كل القرارات التي سيتخذها المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر . وقال ان المجلس اقر انشاء لجنة دائمة من وزراء التجارة تسمى لجنة التعاون التجاري ، ولجنة دائمة للتعاون الزراعي والمائي من وزارة الزراعة والمياه في دول المجلس ، وقرر تكليف وزراء المال والاقتصاد متابعة الخطوات التأسيسية لمؤسسة الخليج الاستثمارية (الرياض ، الرياض، ٢٢/٢/١٩٨٣) .

ب ـ العلاقات بين دولتين عربيتين او اكثر

ـ ذكر تقرير لمنظمة اوابك انه اعدت دراسة لاقامة مصفاة عربية في تونس بطاقة ٢٠٠ الف برميل يومياً تشترك فيها تونس والسعودية والكويت والعراق ، وانه تم التعاقد مع احدى الشركات لدراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع ، والتعاقد مع شركة اخرى لدراسة سوق المنتجات العالمية حتى عام ٢٠٠٠ (الثورة ، بغداد ، ١٠ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ عاد الى الدوحة شاهين عبد الرحمن الكواري وكيل وزارة الاعلام المساعد في قطر والوفد المرافق له بعد زيارة للجمهورية العربية اليمنية استغرقت سبعة

ايام توصل خلالها مع المسؤولين اليمنيين الى صيغة مشتركة لمشروع اتفاقية اعلامية يتم تنفيذها حالما تنجز الاجراءات الرسمية بين البلدين (الرياض ، الرياض ، ٩ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ غادر بغداد وليد عصفور وزير التجارة الاردني والوفد المرافق له بعد زيارة رسمية للعراق [بدأت يوم ٣٠ / ١ / ١٩٨٣] اجرى خلالها مباحثات مع المسؤولين حول آفاق التعاون الاقتصادي والتجاري بين البلدين (الثورة ، بغداد ، ٣ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ غادر محمد بن احمد عبد الغني رئيس الوزراء الجزائري تونس بعد زيارة استغرقت يومين اجرى خلالها محادثات مع محمد مزالي الوزير الاول التونسي تركزت على العلاقات الثنائية وتقييم بعض المشاريع المشتركة (العمل ، تونس ، ١٠ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ تم في مسقط التوقيع على اتفاقية اعلامية بين سلطنة عمان وتونس وذلك خلال الزيارة التي قام بها الطاهر بلخوجة وزير الاعلام التونسي الى السلطنة [في الفترة من ٨ ـ ١١ / ٢ / ١٩٨٣] . وتنص الاتفاقية على تعزيز التعاون بين البلدين في مختلف المجالات الاعلامية ، وعلى تبادل الاخبار بصورة منتظمة بين وكالة تونس للانباء ووزارة الاعلام العمانية ، والعمل على انتاج برامج صوتية مشتركة مرئية . كما تقرر تشكيل لجنة لمتابعة تنفيذ الاتفاقية تجتمع مرة كل سنة دورياً في كل من مسقط وتونس بالتناوب (الرياض ، الرياض ، ١٢ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ تم في بغداد التوقيع على بروتوكول اقتصادي وتجاري بين الاردن والعراق يقضي بتنفيذ برنامج التكامل الصناعي بينهما وزيادة التعاون والتنسيق في مجالات الاتصالات السلكية واللاسلكية والري . وصرح وليد عصفور وزير الصناعة والتجارة الاردني لوكالة الانباء الاردنية « بترا » في ختام اجتماعات اللجنة العراقية ـ الاردنية المشتركة ، ان الاردن والعراق اتفقا على زيادة حجم التبادل التجاري وتخصيص قيمة ١٣ مليون دينار لكل من المركزين التجاريين الاردني في بغداد والعراقي في عمان على ان يتم تحديد انواع السلع المتبادلة لاحقاً (الرأي ، عمان ، ١٦ /٢/ ١٩٨٢) .

ـ وقعت الكويت والجزائر على اتفاقية لانشاء شركة استثمارية مشتركة برأس مال قدره ٢٥ مليون دولار تقوم بالبحث عن فرص الاستثمار في مختلف القطاعات وتقييمها وعرضها على المساهمين واجراء الدراسات الفنية للمشاريع والقيام بكافة اعمال الاستثمار لحسابها او لحساب الغير (الرأي العام ، الكويت ، ١٨ / ٢ / ١٩٨٢) .

ـ تم امس الاول في تونس التوقيع على اتفاقية قرض بين تونس وصندوق ابو ظبي للانماء الاقتصادي العربي قيمته حوالى ٥,١٢ مليون دينار للمساهمة في تمويل مشروع تطوير واحات الجريد . ويسدد القرض بمدة ٢٥ سنة وبفائدة قدرها ١٥ بالمائة مع فترة امهال خمس سنوات (الاتحاد ، ابو ظبي) . واكد ناصر نويس المدير العام للصندوق خلال لقاء مع محمد مزالي الوزير الاول التونسي استعداد الصندوق لتكثيف التعاون مع تونس والمساهمة في مخططات التنمية التونسية (العمل ، تونس ، ١٨ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ قدمت دولة قطر مليون دولار الى موريتانيا لدعم المشروعات التربوية والتعليمية فيها وذلك تنفيذاً لقرار المؤتمر العام السادس للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الذي دعا الدول العربية الى تقديم العون لموريتانيا لتنهض بمجالات التربية والتعليم فيها (العمل ، تونس ، ١٩ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ عقد المجلس الاعلى للتكامل بين مصر والسودان اجتماعه الاول في الخرطوم برئاسة الرئيسين حسني مبارك وجعفر نميري . وصدر بيان عن الاجتماع جاء فيه ان المجلس تدارس ما عرض عليه من دراسات ووثائق حول البرامج والمشروعات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في ضوء التجارب السابقة ، وتم وضع اطار عام حددت فيه مراحل التنفيذ خلال العشر سنوات القادمة . وقد تقرر دعم اسطول النقل النهري الذي يربط شمال الوادي وجنوبها ، وانشاء ميناء وادي حلفا لتنشيط التجارة بين البلدين ، وتطوير الشركة السودانية للتكامل الزراعي ورفع المنطقة المزروعة الى ٢٥٠ الف فدان ، ودعم اجراءات اقامة المشروع الزراعي في المنطقة المتكامل على اساس تعاوني (الاخبار ، القاهر ، ٢٣ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ تم في نواكشوط التوقيع على اتفاقية مساعدة فنية بين الوكالة التونسية للتعاون الفني وجمهورية موريتانيا تضع الوكالة بمقتضاها عدداً من الخبراء الفنيين في خدمة موريتانيا ، كما تنص على تكوين موظفين موريتانيين يحلون مكان المتعاقدين الاجانب (العمل ، تونس ، ٢٠ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ تم في مسقط التوقيع على اتفاق اعلامي بين سلطنة عمان ومصر . وينص الاتفاق على تبادل الخبراء بين الدولتين والتعاون في مختلف المجالات (الاهرام ، القاهرة ، ٢٥ / ٢ / ١٩٨٣) .

٤ ـ اتحادات عربية ومنظمات شعبية

ـ اعلن انطوان الخواجا رئيس لجنة بورصة بيروت ان تنفيذ انشاء مقر اتحاد البورصات العربية في بيروت ينتظر نجاح مفاوضات الانسحابات الاسرائيلية وتنفيذ خطوة بيروت الكبرى (السفير ، بيروت ، ١١ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ عقدت في الخرطوم في الفترة من ٥ ـ٩ / ٢ / ١٩٨٢ الدورة السابعة والعشرون لمؤتمر غرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية . وقد اتخذ المؤتمر عدداً من المقررات والتوصيات منها قيام وفد من ٧٥ شخصية من كبار رجال الاعمال العرب بزيارة الى الولايات المتحدة الاميركية لاجراء اتصالات ولقاءات مع زملائهم الامريكيين تتناول امكانات التعاون الاقتصادي ،واقامة يوم عربي في فرنسا لتعزيز التعاون الاقتصادي العربي ـ الفرنسي ، وعقد مؤتمر في الكويت في خريف ١٩٨٣ بتنظيم من مركز دراسات الاستيراد والتصدير في جامعة جورجتاون بواشنطن بالتعاون مع اتحاد الغرف العربية لايجاد فرصة لتبادل المفاهيم والنظريات التي تؤثر على العلاقات التجارية العربية ـ الاميركية . كما دعا المؤتمر الى توجيه الانظار الى الغزو الاسرائيلي للبنان وما تكشف عنه من اهداف اقتصادية (النهار ، بيروت ، ١١ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ اختتم مجلس الاتحاد البرلماني العربي اعمال مؤتمره الثالث عشر الذي عقد في الرباط في الفترة من ٨ ـ ١١ / ٢ / ١٩٨٣ . وصدر بيان ختامي قرر المجلس فيه الالتزام بمقررات قمة فاس باعتبارها قاعدة اساسية للمحافظة على وحدة الموقف العربي ، واكد على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره فوق ارضه ، وعلى ضرورة تنفيذ قرارات مجلس الامن الدولي الخاصة بالقضية الفلسطينية وخاصة القرارين رقم ٥٠٨ و ٥٠٩ . وحول الحرب العراقية ـ الايرانية طالب المجلس بتنفيذ قرار قمة فاس فوراً وتقديم الدعم الكامل للعراق في حربه مع ايران ، واعرب البيان عن قلقه ازاء كل عمل يصدر من جهة عربية يتنافى مع مقتضيات القرار الذي صدر في فاس . ودعا الى مساندة الصومال للمحافظة على سيادته ، واكد على حق شعب اريتريا في تقرير مصيره وفقاً لمبادىء ميثاق الامم المتحدة والقانون الدولي ، وناشد اسبانيا كي تبدأ المفاوضات مع المغرب من اجل عودة السيادة المغربية على سبتة ومليلة . كما قرر المجلس احياء لجنة تنقية الاجواء العربية ـ العربية وان تتحرك فوراً للقيام بالمهام المنوطة بها (الانباء ، الرباط، ١٢ / ٢ / ١٩٨٣) .

ـ صرّح في القاهرة احمد الدعيج رئيس مجموعة المستثمرين الخليجيين انه تم الاتفاق مع المسؤولين المصريين على الخطوات النهائية لانشاء شركة الخليج للاستثمارات العربية والتي يبلغ راسمالها ٥٠٠ مليون دولار وتعمل بنظام المناطق الحرة في اطار قانون استثمار راس المال العربي والاجنبي (العرب ، الدوحة ، ١٧ / ٢ / ١٩٨٣)□

* ببليوغرافيا

ببليوغرافيا الوحدة العربية

اعداد : قسم التوثيق
في مركز دراسات الوحدة العربية

مصنفات عامة ، مراجع ووثائق

دوريات

١ ـ « اتفاقية تيسير وتنمية التبادل التجاري بين الدول العربية .» **آفاق اقتصادية** : السنة ٤ ، العدد ١٣ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٢ . ص ١٠٣ ـ ١١٣ .

٢ ـ اجتماع اتحاد اذاعات الدول العربية ، لجنة الاخبار ، ٩ ، تونس ، ٤ ـ ٦ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨٢ . « مسؤولو الاخبار التلفزيونية بالدول العربية في اجتماعهم السنوي : تطلعات وتخطيط .» **الاذاعات العربية** : العدد ٦ ، ١٩٨٢ . ص ٦١ ـ ٦٦ .

٣ ـ اجتماع اتحاد اذاعات الدول العربية ، اللجنة الدائمة للبرامج ، ١٣ ، دمشق ، ٧ ـ ٨ ايلول / سبتمبر ١٩٨٢. « خطة البرامج المشتركة لهيئات الاذاعات والتلفزيون العربية في سنة ١٩٨٣.» **الاذاعات العربية** : العدد ٦ ، ١٩٨٢ . ص ٣٢ ـ ٣٩ .

٤ ـ اجتماع الخبراء الحكوميين حول السياسات الثقافية في الوطن العربي ، تونس ، ٢٣ ـ ٢٧ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨١ . « اجتماع الخبراء الحكوميين حول السياسات الثقافية في الوطن العربي .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ١ ، آذار / مارس ١٩٨٢. ص ٣٧٤ ـ ٤١١ .

٥ ـ اجتماع لجنة الخطة الشاملة للثقافة العربية ، ١ ، الكويت ، ١٣ ـ ١٥ نيسان / ابريل ١٩٨٢ . « لجنة الخطة الشاملة للثقافة العربية .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ٢ ، ايلول / سبتمبر ١٩٨٢. ص ٢٤٧ ـ ٢٥٠ .

٦ ـ اجتماع اللجنة الدائمة للثقافة العربية ، ٦ ، تونس ، ٢٧ ـ ٣٠ ايار / مايو ١٩٨٢ . « اللجنة الدائمة للثقافة العربية (الدورة السادسة) .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ٢ ، ايلول / سبتمبر ١٩٨٢ . ص ٢٢٧ ـ ٢٤١ .

٧ ـ اجتماع اللجنة الدائمة للمسرح العربي ، ٣ ، تونس ، ١٤ ـ ١٦ ايلول / سبتمبر ١٩٨١ . « اللجنة الدائمة للمسرح العربي (الدورة الثالثة) .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ١ ، آذار / مارس ١٩٨٢. ص ٤٢٩ ـ ٤٣١ .

٨ ـ جامعة الدول العربية . الادارة العامة للشؤون الاقتصادية . « استراتيجية العمل الاقتصادي العربي المشترك : منطلقاتها .. اهدافها .. اولياتها .. برامجها .. آلياتها .» **شؤون عربية** : العدد ٢٣ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ٢١٢ ـ ٢١٩ .

٩ ـ الجبوري ، عبدالله . « المخطوطات العربية وفهارسها في الخليج وشبه الجزيرة العربية .» **عالم الكتب** : السنة ٣ ، العدد ٤ ، كانون الثاني ـ شباط / يناير ـ فبراير ١٩٨٢ . ص ٦٩٢ ـ ٧٠٦ .

١٠ ـ الجمعية العامة ، اتحاد اذاعات الدول العربية ، تونس ، ١٧ ـ ١٩ كانون الاول / ديسمبر ١٩٨٢. « في اعقاب الجمعية العامة لاتحاد اذاعات الدول العربية .» **الاذاعات العربية** : العدد ١ ، ١٩٨٣. ص ٥٤ ـ ٥٦ .

١١ ـ حلقة دراسية حول انتاج برامج الاطفال في التلفزيون ، براغ ، ٢٣ آب / اغسطس ـ ٥ ايلول / سبتمبر ١٩٨٢. « من اوجه التعاون بين المنظمة الدولية للراديو والتلفزيون واتحاد اذاعات الدول العربية : لقاء حول انتاج برامج الاطفال في التلفزيون .» **الاذاعات العربية** : العدد ١ ، ١٩٨٣ . ص ٤٢ ـ ٤٥ .

١٢ ـ حلقة دراسية لاتحاد اذاعات الدول العربية ، عمان ، ١٠ ـ ١١ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٢ . « الوطن العربي والتخطيط العلمي لاعادة توزيع تردّدات التشكيل الذبذبي : حلقة دراسية لاتحاد اذاعات الدول العربية .» **الاذاعات العربية** : العدد ١ ، ١٩٨٣ . ص ٢ ـ ١٠ .

١٣ ـ الخليج العربي . « تقرير عن الوفد العراقي الفني لتسهيل تنفيذ اتفاقية الكويت لتنمية البيئة الساحلية للخليج العربي .» **الخليج العربي** : السنة ١٣ ، العدد ٣ ، ١٩٨١ . ص ١٣٥ ـ ١٤٤ .

١٤ ـ دورة لجنة الحريات النقابية ، ٨ ، بغداد ، ١ ـ ٢ كانون الاول / ديسمبر ١٩٨٢ . « الدورة الثامنة للجنة الحريات النقابية .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٥ ، تشرين الاول ـ كانون الاول / اكتوبر ـ ديسمبر ١٩٨٢. ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

١٥ ـ دورة لجنة العمل التابعة لمنظمة الوحدة الافريقية ، ٦ ، سالسبوري (زيمبابوي) ، ٣١ آذار ـ ٨ نيسان / مارس ـ ابريل ١٩٨٢ . « الدورة السادسة للجنة العمل التابعة لمنظمة الوحدة الافريقية .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٣ ، نيسان ـ حزيران / ابريل ـ يونيو ١٩٨٢. ص ١٣١ ـ ١٣٤ .

١٦ ـ دورة مجلس المركز العربي للتأمينات الاجتماعية ، ٢ ، الخرطوم ، ٢٠ ـ ٢١ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨١ . « الدورة الثانية لمجلس ادارة المركز العربي للتأمينات الاجتماعية .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٥ ، تشرين الاول ـ كانون الاول / اكتوبر ـ ديسمبر ١٩٨٢. ص ١٣٥ ـ ١٣٧ .

١٧ ـ دورة مجلس ادارة المعاهد العربية للثقافة العمالية وبحوث العمل ، ٩ ، الجزائر ، ٢٥ ـ ٢٧ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨٢ . « الدورة التاسعة لمجلس ادارة المعاهد العربية للثقافة العمالية وبحوث العمل .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٥ ، تشرين الاول ـ كانون الاول / اكتوبر ـ ديسمبر ١٩٨٢. ص ١٣١ ـ ١٣٣ .

١٨ ـ دورة مجلس ادارة منظمة العمل العربية ، ١٠ ، بغداد ، ٢٦ ـ ٢٨ نيسان / ابريل ١٩٨٢. « الدورة العاشرة لمجلس ادارة منظمة العمل العربية .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٣ ، نيسان ـ حزيران / ابريل ـ يونيو ١٩٨٢ . ص ١٢٥ ـ ١٣٠ .

١٩ ـ ـــ ، ١١ ، بغداد ، ١٠ ـ ١٣ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨٢ . « قرارات وتوصيات الدورة الحادية عشرة لمجلس ادارة منظمة العمل العربية .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٥ ، تشرين الاول ـ كانون الاول / اكتوبر ـ ديسمبر ١٩٨٢. ص ١٢١ ـ ١٢٦ .

٢٠ ـ ـــ ، ١٢ ، ٢٦ ـ ٢٩ كانون الاول / ديسمبر ١٩٨٢ . « قرارات وتوصيات الدورة الثانية عشرة لمجلس ادارة منظمة العمل العربية .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٥ ، تشرين الاول ـ كانون الاول / اكتوبر ـ ديسمبر ١٩٨٢. ص ١٤٥ ـ ١٤٩ .

٢١ ـ دورة مجلس ادارة المؤسسة العربية للتشغيل ، ١ ، طنجة ، ٢٠ ـ ٢٣ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٢ . « الدورة الاولى لمجلس ادارة المؤسسة العربية للتشغيل .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٥ ، تشرين الاول ـ كانون الاول /

اكتوبر ـ ديسمبر ١٩٨٢ ، ص ١٢٨ ـ ١٤١ .

٢٢ ـ الصمادي، نسيم . « الضبط الببليوجرافي للدوريات في الخليج العربي ، الاسترجاع الكلي .» **عالم الكتب** : السنة ٣ ، العدد ٤ ، كانون الثاني ـ شباط / يناير ـ فبراير ١٩٨٣. ص ٥٦٦ ـ ٥٧٤ .

٢٣ ـ صندوق النقد العربي . « صندوق النقد العربي ، ١٩٧٧ ـ ١٩٨١ .» **المصارف العربية** : السنة ٢ ، العددان ٢١ و٢٢ ، ايلول ـ تشرين الاول / سبتمبر ـ اكتوبر ١٩٨٢ . ص ٦٦ ـ ٦٧ .

٢٤ ـ عبد الهادي ، محمد فتحي . « الاسهام الخليجي في مجال المكتبات والمعلومات : دراسة تحليلية وقائمة ببليوجرافية .» **عالم الكتب** : السنة ٣ ، العدد ٤ ، كانون الثاني ـ شباط / يناير ـ فبراير ١٩٨٣. ص ٥٤٥ ـ ٥٦٥ .

٢٥ ـ عرفات ، ياسر . « رسالة الاخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، القائد العام لقوات الثورة في الذكرى الثامنة عشرة لانطلاقة الثورة : عام الانتصار على نتائج العدوان .» **شؤون فلسطينية** : العدد ١٣٤ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣. ص ٣ ـ ١٢ .

٢٦ ـ قزانجي ، فؤاد . « الببليوغرافية الوطنية العراقية .» **الخليج العربي** : السنة ١٣ ، العدد ٢ ، ١٩٨١. ص ١٠٧ ـ ١١٢ .

٢٧ ـ محضر جلسة الكنيست الاسرائيلي يوم ٢١ / ٩ / ١٩٨٢ التي عقدت بناء على طلب احزاب المعارضة لمناقشة مجزرة صبرا وشاتيلا .» **شؤون فلسطينية** : العدد ١٣٥ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ١٦٩ ـ ١٧٥ .

٢٨ ـ مركز دراسات الوحدة العربية . « نشاط مركز دراسات الوحدة العربية خلال عام ١٩٨٢ : تقرير اللجنة التنفيذية الى الاجتماع السابع لمجلس الامناء ، البحرين ، ٨ ـ ٩ كانون الثاني / يناير ١٩٨٣ .» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٩ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ١٣٤ ـ ١٥٣ .

٢٩ ـ مكتب العمل الدولي . « تقرير بعثة مكتب العمل الدولي لتقصي الحقائق حول اوضاع العمال العرب في فلسطين والاراضي المحتلة .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٣ ، نيسان ـ حزيران / ابريل ـ يونيو ١٩٨٢. ص ٨٤ ـ ٩٠ .

٣٠ ـ مكتب العمل العربي . « تقييم تحليلي لتقرير بعثة مكتب العمل الدولي .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٣ ، نيسان ـ حزيران / ابريل ـ يونيو ١٩٨٢. ص ٩١ ـ ١٠١ .

٣١ ـ المؤتمر السنوي لتاريخ العلوم عند العرب ، ٦ ، ١٥ ـ ١٦ نيسان / ابريل ١٩٨٢ . « المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ٢ ، ايلول / سبتمبر ١٩٨٢. ص ٢٥٥ ـ ٢٥٧ .

٣٢ ـ مؤتمر العمل الدولي . الدورة ٦٨ . « بيان المجموعة العربية حول الغزو الصهيوني للبنان . رئيس المجموعة بكر محمود رسول .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٣ ، نيسان ـ حزيران / ابريل ـ يونيو ١٩٨٢. ص ١١٥ ـ ١١٦ .

٣٣ ـ المؤتمر الفني الدوري لاتحاد المهندسين الزراعيين العرب ، ٥ ، الكويت ، ٢٧ تشرين الثاني ـ ١ كانون الاول / نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٨٢. « قرارات وتوصيات المؤتمر الفني الخامس لاتحاد المهندسين الزراعيين العرب .» توفيق ابو بكر . **شؤون عربية** : العدد ٢٣ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ١٩٩ ـ ٢٠٤ .

٣٤ ـ مؤتمر القمة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية ، ٣ ، البحرين ، ٩ ـ ١١ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٢. « الوثائق الصادرة عن مؤتمر القمة الثالث لمجلس التعاون لدول الخليج العربية الذي عقد في دولة البحرين في الفترة من ٩ ـ ١١ نوفمبر ١٩٨٢ .» **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية** : السنة ٩ ، العدد ٣٣ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣. ص ٢١٠ ـ ٢١٣ .

٣٥ ـ مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي ، ٣ ، بغداد ، ٢ ـ ٥ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٢. « المؤتمر الثالث لوزراء الثقافة العرب .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ١ ، آذار / مارس ١٩٨٢. ص ٢٦١ ـ ٢٧٣ .

٣٦ ـ المؤسسة العربية المصرفية . « عقد تأسيس المؤسسة العربية المصرفية .» **الخليج العربي** : السنة ١٣ ، العدد ٣ ، ١٩٨١. ص ١٤٩ ـ ١٥٩ .

٣٧ ـ « ميثاق العمل الاقتصادي القومي .» **شؤون عربية** : العدد ٢٣ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ٢٠٩ ـ ٢١١ .

٣٨ ـ ندوة الابداع الادبي المعاصر والاذاعة والتلفزيون ، عمان (الاردن) ، ٧ ـ ١٠ حزيران / يونيو ١٩٨١ . « ندوة الابداع الادبي المعاصر والاذاعة والتلفزيون .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ١ ، آذار / مارس ١٩٨٢. ص ٤٢٤ .

٣٩ ـ ندوة الاذاعة الصوتية : حاضرها ومستقبلها ، تونس ، ١٤ ـ ١٦ كانون الاول / ديسمبر ١٩٨٢. « الاذاعة الصوتية : حاضرها ومستقبلها .» **الاذاعات العربية** : العدد ١ ، ١٩٨٣. ص ٥٧ ـ ٨٠ .

٤٠ ـ ندوة استراتيجية تنمية القوى العاملة العربية ، بغداد ، ٢١ ـ ٢٣ كانون الاول / ديسمبر ١٩٨١. « ندوة استراتيجية تنمية القوى العاملة العربية .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٥ ، تشرين الاول ـ كانون الاول / اكتوبر ـ ديسمبر ١٩٨٢. ص ٩٣ ـ ١١٨ .

٤١ ـ ندوة تخطيط وسائل الاتصال والبحوث لدعم البرامج السكانية ومشاركة المرأة في التنمية ، تونس ، ٢٢ ـ ٢٧ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٢. « وسائل الاتصال والبحوث لدعم البرامج السكانية ومشاركة المرأة في التنمية .» **الاذاعات العربية** : العدد ١ ، ١٩٨٣. ص ٣١ ـ ٣٦ .

٤٢ ـ ندوة التضخم الوظيفي واحداث الوظائف ، الرياض ، ٢٠ ـ ٢٣ شباط / فبراير ١٩٨٢ . « ندوة التضخم الوظيفي واحداث الوظائف .» قدمها محمد عصفور . **مجلة العلوم الاجتماعية** : السنة ١٠ ، العدد ٤ ، كانون الاول / ديسمبر ١٩٨٢. ص ٣٠٥ ـ ٣٠٨ .

٤٣ ـ ندوة حول التعاون الثقافي بين الدول العربية وبينها وبين الدول الاخرى ، المنامة ، ٦ ـ ١٠ ايلول / سبتمبر ١٩٨١.» ندوة (التعاون الثقافي بين البلاد العربية وبينها وبين البلاد الاخرى) .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ١ ، آذار / مارس ١٩٨٢. ص ٤١٩ ـ ٤٢٣ .

٤٤ ـ ندوة خبراء التصنيف المهني في الوطن العربي ، طنجة (المغرب)، ١٠ ـ ١٥ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨٢. « ندوة خبراء التصنيف المهني في الوطن العربي .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٥ ، تشرين الاول ـ كانون الاول / اكتوبر ـ ديسمبر ١٩٨٢. ص ١٢٧ ـ ١٣٠ .

٤٥ ـ ندوة دور وسائل الاعلام الجماهيري (الاذاعة المرئية ، والاذاعة الصوتية ، والصحافة المكتوبة) ، الحمامات (تونس) ، ٣٠ آذار / مارس ـ ١ نيسان / ابريل ١٩٨٢. « وسائل الاعلام الجماهيري والتنمية في البلاد العربية .» **الاذاعات العربية** : العدد ١ ، ١٩٨٣ . ص ٥١ ـ ٥٣ .

٤٦ ـ الندوة العربية للتأمينات الاجتماعية ، ٤ ، عمان (الاردن)، ٢٤ ـ ٢٨ ايار / مايو ١٩٨٢. « الندوة العربية الرابعة للتأمينات الاجتماعية .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٣ ، نيسان ـ حزيران / ابريل ـ يونيو ١٩٨٢ . ص ١٣٩ ـ ١٤٥ .

٤٧ ـ الندوة العربية للصحة والسلامة المهنية ، ٢ ، دمشق ، ٨ ـ ١١ ايار / مايو ١٩٨٢. « الندوة العربية الثانية للصحة والسلامة المهنية .» **مجلة العمل العربية**: العدد ٢٣ ، نيسان ـ حزيران / ابريل ـ يونيو ١٩٨٢. ص ١٣٥ ـ ١٣٨ .

٤٨ ـ ندوة قضايا الشعر العربي المعاصر ،الحمامات (تونس)، ٤ ـ ٨ ايار / مايو ١٩٨١. « ندوة (قضايا الشعر العربي المعاصر) .» **المجلة العربية للثقافة** . السنة ٢ ، العدد ١ ، آذار / مارس ١٩٨٢. ص ٤١٢ ـ ٤١٥ .

٤٩ ـ ندوة الكتاب العربي ، الكويت ، ١٧ ـ ١٨ ايار / مايو ١٩٨٢. « الاجتماع التحضيري لندوة

الكتاب العربي في الكويت .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ٢ ، ايلول / سبتمبر ١٩٨٢. ص ٢٤٣ ـ ٢٤٥ .

٥٠ ـ ندوة المسرح المدرسي والجامعي ، دمشق ، ١٢ ـ ١٤ ايار / مايو ١٩٨١. « ندوة المسرح المدرسي والجامعي .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ١ ، آذار / مارس ١٩٨٢. ص ٤٢٥ ـ ٤٢٧ .

٥١ ـ ندوة مناهج البحث العلمي في مجال الاذاعة والتلفزيون في الوطن العربي ، تونس ، ١ ـ ٤ ايلول / سبتمبر ١٩٨٢. « مناهج البحث العلمي في مجال الاذاعة والتلفزيون في الوطن العربي : ندوة للمركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين التابع لاتحاد اذاعات الدول العربية .» **الاذاعات العربية** : العدد ٦ ، ١٩٨٢. ص ٧٥ ـ ٨٠ .

٥٢ ـ ندوة نحو انتاج برامج تعليمية تلفزيونية مشتركة لدول الخليج العربية ، الرياض ، ٢٧ ـ ٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٢. « نحو انتاج برامج تعليمية تلفزيونية مشتركة لدول الخليج العربية .» **الاذاعات العربية** : العدد ١ ، ١٩٨٣. ص ٢٨ ـ ٣٠ .

مراجعة كتب

٥٣ ـ صدقة ، ليندا ونواف سلام . « الحرب الاهلية في لبنان ، ١٩٧٥ـ ١٩٧٦ : دليل ببليوغرافي .» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٨ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ١٣٠ ـ ١٣٥ . (سمير الشيخ)

٥٤ ـ مجلس الوحدة الاقتصادية العربية . الامانة العامة . « اتفاقية الوحدة الاقتصادية بين دول الجامعة العربية .» **المصارف العربية** : السنة ٢ ، العددان ٢١ و٢٢ ، ايلول ـ تشرين الاول / سبتمبر ـ اكتوبر ١٩٨٢. ص ٦٤ .

تاريـــخ

دوريـــات

٥٥ ـ احمد ، عبد الوهاب . « بريطانيا والبحث عن حل سلمي للمشكلة الفلسطينية إبّان ثورة عرب فلسطين ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩م .» **مجلة العلوم الاجتماعية** : السنة ١٠ ، العدد ٤ ، كانون الاول / ديسمبر ١٩٨٢. ص ٧ ـ ٣٢ .

٥٦ ـ اوملیل ، علي . « مع الدكتور علي اوملیل .» اجرى المقابلة فرحان صالح . **قضايا عربية** : السنة ١٠ ، العدد ٣ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ١٩٨ ـ ٢٠٠ .

٥٧ ـ الجواهري ، عماد احمد . « حيازة الاراضي والتطورات السياسية في اقطار المشرق العربي .» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٨ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ١٠٨ ـ ١١٩ .

٥٨ ـ خشيم ، علي فهمي . « الغزو الثقافي الامبريالي الصهيوني للامة العربية : الجذور التاريخية للغزو الفكري في صدر الاسلام ، نماذج وآثار .» **المعرفة** : العددان ٢٤٣ و ٢٤٤ ، ايار ـ حزيران / مايو ـ يونيو ١٩٨٢. ص ٢٢٦ ـ ٢٦٦ .

٥٩ ـ شريفي ، محمد . « الخط العربي في الحضارة الاسلامية .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ٢ ، ايلول / سبتمبر ١٩٨٢. ص ١١٣ ـ ١٢٤ .

٦٠ ـ عون ، ميخائيل . « ابراهيم اليازجي رائد العروبة في عصر النهضة .» **قضايا عربية** : السنة ١٠ ، العدد ٣ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ١٢٣ ـ ١٢٩ .

٦١ ـ فرسخ ، عوني . « حول التاريخ والهوية في الوطن العربي .» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٩ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ٢٨ ـ ٤٣ .

٦٢ ـ المستقبل العربي . « ندوة « التراث والعمل السياسي » ، الرباط (المغرب) ، ٢٤ ـ ٢٧ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٢.» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٨ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ١٥٢ ـ ١٥٤ .

ـ انظر ايضاً رقم : ١٧٧ .

مراجعة كتب

٦٣ ـ حريق ، ايليا . « التحول السياسي في تاريخ لبنان الحديث .» **حاليات** : السنة ٦ ، العدد ٢٧ ،

صيف ١٩٨٢. ص ٤٥ ـ ٥٠. (انطوان الحكيم)

٦٤ ـ عمارة ، محمد . « الاسلام والعروبة والعلمانية .» **المجلة العربية للعلوم الانسانية** : السنة ٢ ، العدد ٢ ، خريف ١٩٨٢. ص ١٧٩ ـ ١٨٤. (احمد البغدادي)

٦٥ ـ منظمة المدن العربية . المعهد العربي لانماء المدن بالرياض.» ابحاث من ندوة المدينة العربية .» **عالم الكتب** : السنة ٣ ، العدد ٤ ، كانون الثاني ـ شباط / يناير ـ فبراير ١٩٨٣. ص ٧٦٠ ـ ٧٦٤.

٦٦ ـ النجار ، مصطفى عبد القادر . « دراسة تاريخية لمعاهدات الحدود الشرقية للوطن العربي ، ١٨٤٧ ـ ١٩٨٠ .» **الخليج العربي** : السنة ١٣ ، العدد ٣ ، ١٩٨١ . ص ١٧٥ ـ ١٧٨ . (محمود علي الداود)

سياسة وفكر قومي

دوريات

٦٧ ـ ابو رزق ، جيمس (السينتور) . « الولايات المتحدة والعالم العربي : الصحيح والخطأ .» **شؤون عربية** : العدد ٢٣ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ١٥٣ ـ ١٥٨ .

٦٨ ـ ابو موسى (العقيد) . « العقيد ابو موسى : ليت العرب ، كل العرب ، اعطوا نصف ما اعطته بيروت. »اعداد سلوى العمد .**شؤون فلسطينية**: العدد ١٣٤ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣. ص ٥٣ ـ ٦٩ .

٦٩ ـ بركات ، محمود .«ندوة مستجدات التعاون في الخليج العربي في اطارها المحلي والدولي .» **المجلة العربية للعلوم الانسانية** : السنة ٢ ، العدد ٢ ، خريف ١٩٨٢. ص ٢٢٤ ـ ٢٤٠ .

٧٠ ـ جريس ، صبري . « المؤتمر الصهيوني الثلاثون تظاهرة غير ناجحة للحركة الصهيونية .» **شؤون فلسطينية** : العدد ١٣٤ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣. ص ١١٢ ـ ١٢٢ .

٧١ ـ الحاج ، منير . « مشروع ريغان يتخطى كمب ديفيد في اتجاه القرار ٢٤٢ .» **حاليات** : السنة ٦ ، العدد ٢٧ ، صيف ١٩٨٢. ص ٧ ـ ١٢ .

٧٢ ـ حواتمه ، نايف . « مهمات الثورة بعد غزو لبنان ومعركة بيروت البطلة .» **شؤون فلسطينية** : العدد ١٣٥ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ٣ ـ ٢٦ .

٧٣ ـ حوراني ، فيصل . « الموقف الفلسطيني من التسوية .» **شؤون فلسطينية** : العدد ١٣٤ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣. ص ١٣ ـ ٢٢ .

٧٤ ـ الخطيب ، عمر ابراهيم . « التجربة الاتحادية لدولة الامارات العربية المتحدة بين النصوص الدستورية والممارسة السياسية .» **مجلة العلوم الاجتماعية** : السنة ١٠ ، العدد ٤ ، كانون الاول / ديسمبر ١٩٨٢. ص ١٨٥ ـ ٢٣٣ .

٧٥ ـ خلة ، كامل محمود . « الفكر السياسي العربي الرسمي في مؤتمري قمة انشاص ١٩٤٦ والقاهرة الاول ١٩٦٤ .» **قضايا عربية** : السنة ١٠ ، العدد ٣ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ١٥٧ ـ ١٧٤ .

٧٦ ـ الخواجة ، دينا احمد . « ندوة « دور مصر في الوطن العربي ... نظرة مستقبلية » ، لندن ، ٨ ـ ٩ كانون الاول / ديسمبر ١٩٨٢.» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٩ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ١٢٨ ـ ١٣٣ .

٧٧ ـ رسول ، بكر محمود . « رد عربي موحد على تقرير بعثة مكتب العمل الدولي .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٣ ، نيسان ـ حزيران / ابريل ـ يونيو ١٩٨٢. ص ١٠٢ ـ ١١٤ .

٧٨ ـ ـــــ . « رسالة الى رئيس مؤتمر العمل الدولي حول الغزو الصهيوني للبنان .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٣ ، نيسان ـ حزيران / ابريل ـ يونيو ١٩٨٢. ص ١١٧ ـ ١١٨ .

٧٩ ـ شاهين ، احمد . « فلسطين في الذاكرة العربية بين مشروعي القتل والاحياء .» **شؤون فلسطينية** : العدد ١٣٤ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣. ص ٤٥ ـ ٥٢ .

٨٠ ـ شكري ، غالي . « الاشكالية القومية من الثورة المضادة الى حرب الهوية (١٩٦٧ ـ ١٩٨٢) .»

دراسات عربية : السنة ١٩ ، العدد ٣ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣. ص ٣ ـ ٣٢ .

٨١ ـ عبد الرحمن ، ابراهيم . « افريقيا بين التسوية والصراع العربي ـ الاسرائيلي .» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٩ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ٦٠ ـ ٦٩ .

٨٢ ـ عزّام ، ماجد . « المفاوضات الاسرائيلية ـ اللبنانية بين رمضاء الاحتلال ونار التطبيع .» **شؤون فلسطينية** : العدد ١٣٤ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣ . ص ٢٣ ـ ٤٤ .

٨٣ ـ الخصين ، انطوان . « التحرك الرئاسي والمفاوضات : استراتيجية لسلام دائم في لبنان .» **حاليات** : السنة ٦ ، العدد ٢٨ ، خريف ١٩٨٢. ص ٢٣ـ ٣٥ .

٨٤ ـ فرجاني ، نادر . « على اعتاب حقبة جديدة للعمل الفكري العربي .» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٨ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ١٢٠ ـ ١٢٤ .

٨٥ ـ الكبيسي ، عناد فواز . « الغزو السوفيتي لافغانستان . ابعاده وآثاره على منطقة الخليج العربي .» **الخليج العربي** : السنة ١٣ ، العدد ٣ ، ١٩٨١. ص ١٤٥ ـ ١٤٨ .

٨٦ ـ الكرمي ، خالد محمود . « الدولية الاشتراكية والوطن العربي .» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٩ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ٧٠ ـ ٨٥ .

٨٧ ـ المجلة العربية للثقافة . « الحوار العربي الاوروبي ، ندوة همبورغ ، (١١ ـ ١٦ [نيسان] / ابريل ١٩٨٢) . » **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ٢ ، ايلول / سبتمبر ١٩٨٢. ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

٨٨ ـ مجلة العمل العربية . « التحضير لمؤتمر وزراء العمل العرب والافارقة .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٥ ، تشرين الاول ـ كانون الاول / اكتوبر ـ ديسمبر ١٩٨٢. ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

٨٩ ـ المديني ، أحمد . « التراث بين تبرير القمع وتأسيس الذات الجديدة : حول ندوة التراث والعمل السياسي المنعقدة في الرباط .» **الفكر العربي المعاصر** : العدد ٢٣ ، كانون الاول ـ كانون الثاني / ديسمبر ـ يناير ١٩٨٢ـ ١٩٨٣. ص ١٦٢ ـ ١٦٤ .

٩٠ ـ منظمة العمل العربية . « بمناسبة اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني ، منظمة العمل العربية تؤكد دعمها وتأييدها للشعب الفلسطيني وثورته المسلحة .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٥ ، تشرين الاول ـ كانون الاول / اكتوبر ـ ديسمبر ١٩٨٢ . ص ١٥٠ ـ ١٥٢ .

٩١ ـ نوفل ، ممدوح . « شهادة ممدوح نوفل عن الحرب ـ الوحدة الوطنية والوحدة العسكرية .» اجرت المقابلة سلوى العمد. **شؤون فلسطينية**: العدد ١٣٥ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ٢٧ ـ ٣٩ .

ـ **انظر ايضاً رقم**: ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ١١٩ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٨٥ ، ١٩١ ، ٢٠٠ .

مراجعة كتب

٩٢ ـ الاشعل ، عبدالله . « قضيه الحدود في الخليج العربي .» **المجلة العربية للعلوم الانسانية** : السنة ٢ ، العدد ٢ ، خريف ١٩٨٢. ص ١٦٧ ـ ١٧٤ . (محمد عبد الغني سعودي)

٩٣ ـ البشري ، طارق . « المسلمون في اطار الجماعة الوطنية .» **حاليات** : السنة ٦ ، العدد ٢٧ ، صيف ١٩٨٢. ص ٦٢ ـ ٦٤ . (سامي عون)

٩٤ ـ تقي الدين ، سليمان . « محاكمة الحركة العربية في لبنان .» **حاليات** : السنة ٦ ، العدد ٢٨ ، خريف ١٩٨٢. ص ٦٥ ـ ٦٧ . (سامي عون)

٩٥ ـ الحص ، سليم . « نافذة على المستقبل .» **شؤون عربية** : العدد ٢٣ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ١٨٢ ـ ١٨٤. (ناصيف حتي)

٩٦ ـ الزياني ، امل ابراهيم . « علاقة المملكة العربية السعودية تجاه دول الخليج ، ١٩٦٤ ـ ١٩٧٤ .» **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية** : السنة ٩ ، العدد ٣٣ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣. ص ١٨٥ ـ ١٩٣ . (احمد يوسف القرعي)

٩٧ ـ شكر ، زهير . « السياسة الامريكية في الخليج العربي : (مبدأ كارتر) .» **حاليات** : السنة ٦ ، العدد ٢٨ ، خريف ١٩٨٢. ص ٥٩ ـ ٦٥ . (مسعود الخوند)

٩٨ ـ صايغ ، يوسف عبدالله . « النفط العربي وقضية فلسطين في الثمانينات .» **حاليات** : السنة ٦ ، العدد ٢٨ ، خريف ١٩٨٢. ص ٦٧ ـ ٧١ . (جورج كعدي)

٩٩ ـ عفيف ، احمد جابر. « الحركة الوطنية في اليمن .» **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية** : السنة ٩ ، العدد ٣٣ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣. ص ١٩٥ ـ ١٩٩ . (محمد ابراهيم الحلوة)

١٠٠ ـ مركز دراسات الوحدة العربية . « السياسة الامريكية والعرب .» **حاليات** : السنة ٦ ، العدد ٢٨ ، خريف ١٩٨٢. ص ٥٥ ـ ٥٩ . (مسعود الخوند)

١٠١ ـ Berger, Elmer. «Memoires of an Anti - Zionist Jew.»
شؤون فلسطينية : العدد ١٣٤ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣. ص ١٣٢ ـ ١٣٤ . (عبد القادر ياسين)

١٠٢ ـ Beshir, Mohammed Omer. «Terramedia: Themes in Afro-Arab Relations.»
المستقبل العربي : السنة ٥ ، العدد ٤٨ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ١٣٦ ـ ١٤٦ . (حلمي شعراوي)

١٠٣ ـ de Chalvron, Alain. «Le Piège de Beyrouth.»
شؤون فلسطينية : العدد ١٣٥ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ١٣٥ ـ ١٣٧ . (كاتيا سرور)

١٠٤ ـ Millar, T.B. «The East-West Strategic Balance.»
المستقبل العربي : السنة ٥ ، العدد ٤٩ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ١٢٥ ـ ١٢٧ . (محمود علي الداود)

١٠٥ ـ Plascov, Avi. «The Palestine State: Examining the Options.»
مجلة العلوم الاجتماعية : السنة ١٠ ، العدد ٤ ، كانون الاول / ديسمبر ١٩٨٢ . ص ٢٥٧ ـ ٢٦٦ . (علي سعود عطية)

قانون وادارة عامة

دوريات

١٠٦ ـ شقير ، لبيب . « الازدواجية في اختصاصات المنظمات العربية في ضوء اتفاقيات انشائها .» **شؤون عربية** : العدد ٣٢ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ١١٧ ـ ١٥٢ .

١٠٧ ـ العابد ، عدنان . « المشاركة العمالية في الادارة في القانونين العراقي والمصري .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٣٣ ، نيسان ـ حزيران / ابريل ـ يونيو ١٩٨٢. ص ٢٦ ـ ٣٥ .

١٠٨ ـ النبر ، عيسى . « اضواء على دراسة مشروع قانون العمل الاردني .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٣٣ ، نيسان ـ حزيران / ابريل ـ يونيو ١٩٨٢. ص ٥٩ ـ ٧٥ .

ـ انظر ايضاً رقم : ٦٦ ، ٧٤ .

اقتصاد

دوريات

١٠٩ ـ ابراهيم ، سعد الدين . « (التعاون العربي ـ الاوروبي) ، لوفان ـ بلجيكا ، ٢ ـ ٤ كانون الاول / ديسمبر ١٩٨٢. » **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٨ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ١٤٧ ـ ١٥١ .

١١٠ ـ الادريسي ، عبد السلام ياسين . « الوضع الاقتصادي في ايران والعراق قبل وخلال فترة الحرب العراقية الايرانية .» **تنمية الرافدين** : تموز ١٩٨١. ص ٤٣ ـ ٥٣ .

١١١ ـ باشا ، زكريا عبد الحميد . « دور القطاع الخاص في دعم التعاون الاقتصادي بين الاقطار الخليجية .» **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية** : السنة ٩ ، العدد ٣٣ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣. ص ٧٥ ـ ٩٧ .

١١٢ ـ البساط ، هشام . « الوضع النقدي والمصرفي في دول الخليج العربي .» **المصارف العربية** :

السنة ٣ ، العدد ٢٥ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣. ص ٢٨ ـ ٤٣ .

١١٣ ـ بوصفارة ، حسن . « دور قطاع الطاقة في التنمية والتكامل الاقتصادي العربي .» **شؤون عربية** : العدد ٢٣ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ٥٨ ـ ٨٧ .

١١٤ ـ جوديه ، بيير . « التصنيع للبلدان العربية .» **النفط والتعاون العربي** : السنة ٨ ، العدد ٤ ، ١٩٨٢. ص ٤١ ـ ٦٢ .

١١٥ ـ حبيب ، مطانيوس . « دور الاقطار العربية في قيام نظام اقتصادي دولي جديد .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٥ ، تشرين الاول ـ كانون الاول / اكتوبر ـ ديسمبر ١٩٨٢. ص ٦٠ ـ ٧٨ .

١١٦ ـ رشيد ، هارون هاشم . « الدورة الثالثة والثلاثون للمجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي .» **شؤون عربية** : العدد ٢٣ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ١٩٧ ـ ١٩٨ .

١١٧ ـ زريق ، هدى . « نحو تدعيم عمل المرأة الاقتصادي في الوطن العربي .» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٨ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ٩٤ ـ ١٠٧ .

١١٨ ـ زلزلة ، عبد الحسن . « مقابلة مع الدكتور عبد الحسن زلزلة ، الامين العام المساعد للشؤون الاقتصادية بجامعة الدول العربية .» اجرى المقابلة هارون هاشم رشيد . **شؤون عربية** : العدد ٢٣ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ١١٠ ـ ١١٦ .

١١٩ ـ سليمان ، عاطف . « سلاح النفط العربي ... الى اين ؟» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٨ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ٤ ـ ٢٤ .

١٢٠ ـ الشرع ، عباس جبار . « التكامل الاقتصادي دراسة لاقتصاديات اقطار الخليج العربي وسبل تكاملها .» **الخليج العربي**: السنة ١٣ ، العدد ٣ ، ١٩٨١ . ص ١٣ ـ ٢٥ .

١٢١ ـ صادق ، علي توفيق وبشير بن بشير الحسكوري . « التدفقات المالية العربية لدول شبه الصحراء الافريقية في نطاق المساعدات العربية للدول النامية .» **النفط والتعاون العربي** : السنة ٨ ، العدد ٤ ، ١٩٨٢. ص ١١٥ ـ ١٤٣ .

١٢٢ ـ طاهر ، عبد الهادي . « آثار الاستثمارات العربية في قطاع العمليات المتممة .» **المصارف العربية** : السنة ٢ ، العددان ٢١ و٢٢ ، ايلول ـ تشرين الاول / سبتمبر ـ اكتوبر ١٩٨٢. ص ٨ ـ ١٣ .

١٢٣ ـ عبد الجبار ، محمد . « الملامح الرئيسية للنماذج الرياضية لاقتصاديات بلدان الخليج العربي .» **التعاون الصناعي في الخليج العربي**: السنة ٣ ، العدد ١١ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣. ص ١٦ ـ ٢٨ .

١٢٤ ـ العطار ، اسعد جواد . « التبعية الغذائية واسلوب مواجهتها في الوطن العربي .» **تنمية الرافدين** : تموز ١٩٨١. ص ٥٥ ـ ٦٨ .

١٢٥ ـ العمادي ، محمد . « الامن الغذائي والتعاون العربي .» **شؤون عربية** : العدد ٢٣ ، شباط / فبراير ١٩٨٣ ، ص ٣٠ ـ ٥٧ .

١٢٦ ـ العبد ، علي . « هجرة الكفاءات العربية : اسباب ، نتائج ، مقترحات للحل .» **المعرفة** : العددان ٢٤٣ و ٢٤٤ ، ايار ـ حزيران / مايو ـ يونيو ١٩٨٢. ص ١٢٠ ـ ١٤٠ .

١٢٧ ـ قرم ، جورج . « العرب والعالم الاول ـ الدول والشركات الدولية النشاطات .» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٨ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ٢٥ ـ ٣٧ .

١٢٨ ـ القويز ، عبدالله . « مجلس التعاون لدول الخليج العربي ومفهوم التكامل الاقتصادي .» **المصارف العربية** : السنة ٣ ، العدد ٢٥ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣. ص ٨ ـ ١٢ .

١٢٩ ـ الكواري ، علي خليفة . « نحو فهم افضل للتنمية باعتبارها عملية حضارية .» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٩ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ٤ ـ ٢٧ .

١٣٠ ـ المجلس الاقتصادي والاجتماعي . اللجنة المؤلفة من : جامعة الدول العربية . الامانة العامة . الادارة العامة للشؤون الاقتصادية

ومنظمة العمل العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمنظمة العربية للتنمية الصناعية (مصر) . « تيسير انتقال القوى العاملة العربية داخل الوطن العربي .» **شؤون عربية** : العدد ٢٣ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ٨٨ ـ ١٠٩ .

١٣١ ـ مرسي ، فؤاد . « التضخم وأثره على التنمية في الوطن العربي .» **شؤون عربية** : العدد ٢٣ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ٦ ـ ١٤ .

١٣٢ ـ المصارف العربية . « التطورات النقدية في الدول العربية .» **المصارف العربية** : السنة ٢ ، العددان ٢١ و٢٢ ، ايلول ـ تشرين الاول / سبتمبر ـ اكتوبر ١٩٨٢. ص ١٤ ـ ٢٠ .

١٣٣ ـ مصطفى ، احمد فارس . « نحو تكتل اقتصادي سليم في الدول النامية بشكل عام وفي الدول العربية بشكل خاص .» **المعرفة** : العددان ٢٤٣ و ٢٤٤ ، ايار ـ حزيران / مايو ـ يونيو ١٩٨٢. ص ٧ ـ ٢٥ .

١٣٤ ـ منتصر ، عصام . « نحو صناعة عربية للتشييد والاسكان .» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٩ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ١٠٦ ـ ١١٥ .

١٣٥ ـ المنذري ، سليمان . « نظم الرقابة على الصرف وانعكاساتها على حركة انتقال رؤوس الاموال في الدول العربية .» **شؤون عربية** : العدد ٢٢ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ١٥٩ ـ ١٦٧ .

١٣٦ ـ هبرة ، ممدوح علي . « الهياكل التنظيمية لأجهزة الاحصاء بدول الخليج العربية .» **التعاون الصناعي في الخليج العربي** : السنة ٣ ، العدد ١١ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣. ص ٥٢ ـ ٦٠ .

١٣٧ ـ ولعلو ، فتح الله . « العلاقات العربية مع السوق الاوروبية المشتركة وأثرها على التكامل الاقتصادي العربي .» **شؤون عربية** : العدد ٢٣ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ١٥ ـ ٢٩ .

١٣٨ ـ ـــــ . « مع د. فتح الله ولعلو .» اجرى المقابلة فرحان صالح . **قضايا عربية** : السنة ١٠ ، العدد ٣ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ١٩٤ ـ ١٩٨ .

ـ **انظر ايضاً رقم** : ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ٢١٣ ، ٢١٤ .

مراجعة كتب

١٣٩ ـ ابراهيم ، سعد الدين (محرر) . « **مصر في ربع قرن** ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٥ : دراسات في التنمية والتغيير الاجتماعي .» **حاليات** : السنة ٦ ، العدد ٢٧ ، صيف ١٩٨٢. ص ٥٦ ـ ٦٢ . (الياس القطار)

١٤٠ ـ حميد ، عبد الوهاب رشيد . « التنمية العربية ومدخل المشروعات المشتركة .» **شؤون عربية** : العدد ٢٣ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ١٩٢ ـ ١٩٦ . (شكري نجار)

١٤١ ـ صايغ ، يوسف . « اقتصاديات العالم العربي .» **شؤون عربية** : العدد ٢٣ ، شباط / فبراير ١٩٨٣ . ص ١٩٢ ـ ١٩٦ . (شكري نجار)

١٤٢ ـ عبد الرحمن ، اسامة . « البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية .» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٩ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ١١٦ـ ١٢٠ . (محمود الذوادي)

١٤٣ ـ الكويت . المعهد العربي للتخطيط . « الحلقة البحثية للتوزيع السكاني والتنمية في الوطن العربي .» **عالم الكتب** : السنة ٣ ، العدد ٤ ، كانون الثاني ـ شباط / يناير ـ فبراير ١٩٨٣. ص ٧٨٦ ـ ٧٩١ . (محمد عبدالله الحماد)

١٤٤ ـ مركز دراسات الوحدة العربية . « دراسات في التنمية والتكامل الاقتصادي العربي .» **المصارف العربية** : السنة ٣ ، العدد ٢٥ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣ . ص ٥٦ ـ ٥٨ .

١٤٥ ـ ـــــ . « المواصلات في الوطن العربي .» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٩ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ١٢١ ـ ١٢٤ . (سمير عبده)

١٤٦ ـ Khader, Bichara. «Monde Arabe et développement économique.»

شؤون عربية : العدد ٢٣ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ١٨٥ ـ ١٩١ . (عفيف البوني)

ـ **انظر ايضاً رقم** : ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٢ .

اجتمـــاع

دوريـــات

١٤٧ ـ الاذاعات العربية . « الاذاعات الموجهة باللغة العبرية من الاذاعات العربية .» **الاذاعات العربية** : العدد ٦ ، ١٩٨٢. ص ٣٠ ـ ٣١ .

١٤٨ ـ ـــ . « خطة عمل ١٩٨٢ لدورات التدريب في المركز العربي للتدريب الاذاعي والتلفزيوني في دمشق .» **الاذاعات العربية** : العدد ٦ ، ١٩٨٢. ص ٧٠ ـ ٧٤ .

١٤٩ ـ ـــ . « العمل الاذاعي والتلفزيوني المشترك في الوطن العربي خلال ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ .» **الاذاعات العربية** : العدد ٦ ، ١٩٨٢. ص ٢ـ ٢٩ .

١٥٠ ـ حسين ، سعدون . « في معتقل انصار : التركيب الاجتماعي والهيكل التنظيمي .» **شؤون فلسطينية** : العدد ١٣٤ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣. ص ٧٠ ـ ٨٠ .

١٥١ ـ درغام ، احمد . « الآفاق العلمية لعلم الاجتماع في الوطن العربي .» **قضايا عربية** : السنة ١٠ ، العدد ٣ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ٥٩ ـ ٧١ .

١٥٢ ـ الدسوقي ، كريمة . « دور المرأة الاجتماعي وعلاقته بمفهومها عن ذاتها .» **مجلة العلوم الاجتماعية** : السنة ١٠ ، العدد ٤ ، كانون الاول / ديسمبر ١٩٨٢. ص ٣١١ ـ ٣١٧ .

١٥٣ ـ دياب ، عز الدين . « الشطارة : سوسيولوجيا ظاهرة الشطارة في الوطن العربي .» **قضايا عربية** : السنة ١٠ ، العدد ٣ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ٧٣ ـ ٨٤ .

١٥٤ ـ رزق ، حسين . « دور منظمة العمل العربية في التدريب المهني .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٣ ، نيسان ـ حزيران / ابريل ـ يونيو ١٩٨٢. ص ٣٦ ـ ٥٦ .

١٥٥ ـ زغل ، عبد القادر . « الشباب العربي : مشاكل وآفاق .» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٨ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ٧٦ ـ ٩٣ .

١٥٦ ـ زكريا ، خضر . « ملاحظات حول واقع المرأة العربية ودورها في التنمية .» **دراسات عربية** : السنة ١٩ ، العدد ٥ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ٣٠ ـ ٣٨ .

١٥٧ ـ الزيدي ، محمد داود . « المرأة العاملة ومستويات العمل الدولية .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٣ ، نيسان ـ حزيران / ابريل ـ يونيو ١٩٨٢. ص ٤٧ ـ ٥٨ .

١٥٨ ـ عبد الحليم ، احمد . « حقوق الطفل العربي .» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٩ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ٨٦ ـ ١٠٥ .

١٥٩ ـ مجلة العمل العربية . « حول الدورة ٦٨ لمؤتمر العمل الدولي .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٣ ، نيسان ـ حزيران / ابريل ـ يونيو ١٩٨٢. ص ٧٩ ـ ٨٢ .

١٦٠ ـ مصالحة ، محمد . « نحو تنسيق افضل للعمل الاعلامي العربي .» **الاذاعات العربية** : العدد ٦ ، ١٩٨٢ . ص ٥١ ـ ٥٥ .

١٦١ ـ مطر ، الياس نسيب . « الاقليات القومية في الشرق الاوسط : بعض الاسس السوسيولوجية لدراستها .» **حاليات** : السنة ٦ ، العدد ٢٧ ، صيف ١٩٨٢. ص ٢٩ ـ ٣٥ .

١٦٢ ـ مكتب العمل العربي . ادارة القوى العاملة والتدريب (مصر) . « واقع القوى العاملة العربية وآفاق تنميتها .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٥ ، تشرين الاول ـ كانون الاول / اكتوبر ـ ديسمبر ١٩٨٢. ص ١٢ ـ ٤٢ .

١٦٣ ـ «مكتب العمل العربي يشارك في اعمال عدد من المؤتمرات واللجان العربية والدولية .» **مجلة العمل العربية** : العدد ٢٥ ، تشرين الاول ـ كانون الاول / اكتوبر ـ ديسمبر ١٩٨٢ . ص ١٦٠ ـ ١٦٣ .

ـ **انظر ايضاً رقم** : ٢٩ ، ٣٠ ، ١٠٩ ، ١١٦ ، ١٢٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١٤ .

مراجعة كتب

١٦٤ ـ خليل ، احمد خليل . « العرب والقيادة : بحث اجتماعي في معنى السلطة ودور القائد .» **المجلة العربية للعلوم الانسانية** : السنة ٢ ، العدد

٢ ، خريف ١٩٨٢. ص ١٧٥ ـ ١٧٨ . (اسعد عبد الرحمن)

ـ انظر ايضاً رقم : ١٣٩ .

ثقافة

دوريات

١٦٥ ـ ابن عبدالله ، عبد العزيز . « مع الاستاذ عبد العزيز بن عبدالله .» اجرى المقابلة المنجي الصيادي . **قضايا عربية** : السنة ١٠ ، العدد ٣ ، آذار / مارس ١٩٨٢. ص ٢٠١ ـ ٢١١ .

١٦٦ ـ ابو اصبع ، صالح . « الغزو الثقافي الامبريالي الصهيوني للامة العربية : وسائل الاعلام الغربية والانسلاب الثقافي ، لماذا تؤثر وما أشكال التأثير المتوقعة ؟» **المعرفة** : العددان ٢٤٣ و٢٤٤، ايار ـ حزيران / مايو ـ يونيو ١٩٨٢. ص ٢١٥ ـ ٢٣٥ .

١٦٧ ـ ابو مطر ، احمد . « الواقع الثقافي المصري في زمن التطبيع .» **المعرفة** : العددان ٢٤٣ و٢٤٤، ايار ـ حزيران / مايو ـ يونيو ١٩٨٢. ص ١٤١ ـ ١٧٨ .

١٦٨ ـ امين ، حافظ احمد . « المسرح العربي والقضية العربية .» **قضايا عربية** : السنة ١٠ ، العدد ٣ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ١٣١ ـ ١٤٥ .

١٦٩ ـ بكري ، سعد الحاج وسمية عوده الخطيب . « الكتاب في ثلاث جامعات خليجية .» **عالم الكتب** : السنة ٣ ، العدد ٤ ، كانون الثاني ـ شباط / يناير ـ فبراير ١٩٨٣. ص ٥٧٥ ـ ٥٨٥ .

١٧٠ ـ بن سلامة ، البشير . « في قضايا الشعر العربي المعاصر .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ١ ، آذار / مارس ١٩٨٢. ص ٢٢٦ ـ ٢٣٠ .

١٧١ ـ بن عيسى ، حنفي . « واقع الترجمة في الوطن العربي : الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ٢ ، ايلول / سبتمبر ١٩٨٢. ص ٢٩ ـ ٤٧ .

١٧٢ ـ التليسي ، خليفة محمد . « واقع الترجمة في الوطن العربي : الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ٢ ، ايلول / سبتمبر ١٩٨٢ . ص ٨٩ ـ ١١٠ .

١٧٣ ـ الجلعود ، سليمان . « المعرض الثامن للكتاب العربي بالكويت .» **عالم الكتب** : السنة ٣ ، العدد ٤ ، كانون الثاني ـ شباط / يناير ـ فبراير ١٩٨٣. ص ٦٦٦ ـ ٦٦٧ .

١٧٤ ـ الجمالي ، حافظ . « الثقافة والثقافة المضادة : حول مؤتمر تونس لكافحة الغزو الثقافي الصهيوني .» **المعرفة** : العددان ٢٤٣ و ٢٤٤ ايار ـ حزيران / مايو ـ يونيو ١٩٨٢ . ص ٣١٩ ـ ٣٣٥ .

١٧٥ ـ جولد زيهر ، اجنتس . « ملاحظات حول المراثي العربية . » ترجمة عبدالله احمد المهنا . **حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية** (الدوحة) : العدد ٥ ، ١٩٨٢. ص ١٥٣ ـ ١٨٨ .

١٧٦ ـ حجازي ، محمود فهمي . « تيسير الكتابة العربية .» **حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية** (الدوحة) : العدد ٥ ، ١٩٨٢. ص ١٢٧ ـ ١٥٢ .

١٧٧ ـ حسن ، يوسف فضل . « جذور العلاقة بين الثقافات الافريقية والثقافة العربية .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ٢ ، ايلول / سبتمبر ١٩٨٢. ص ١٧٥ ـ ٢٠١ .

١٧٨ ـ الدباغ ، فخري . « المعرب بين المطرقة والسندان .» **دراسات عربية** : السنة ١٩ ، العدد ٤ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ٩٨ ـ ١٠٣ .

١٧٩ ـ الدولاتلي ، عبد العزيز . « المدن العربية التقليدية بين الاصالة والمعاصرة .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ١ ، آذار / مارس ١٩٨٢. ص ١٥٣ ـ ١٦٤ .

١٨٠ ـ الراهب ، هاني . « الغزو الثقافي الامبريالي الصهيوني للامة العربية : الثقافة الصهيونية ...

ما هي ؟! » **المعرفة** : العددان ٢٤٣ و ٢٤٤ ، ايار ـ حزيران / مايو ـ يونيو ١٩٨٢ . ص ١٩٥ ـ ٢١٤ .

١٨١ ـ الرميحي ، محمد . « واقع الثقافة ومستقبلها في اقطار الخليج العربي .» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٩ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ٤٤ ـ ٥٩ .

١٨٢ ـ الساحلي ، حمادي . « التعاون الثقافي بين البلاد العربية وبينها وبين الدول الاجنبية .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ٢ ، ايلول / سبتمبر ١٩٨٢. ص ١٣٥ ـ ١٧٣ .

١٨٣ ـ سحاب ، سليم . « آثار الغزو الثقافي في الموسيقى العربية .» **قضايا عربية** : السنة ١٠ ، العدد ٣ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ١٤٧ ـ ١٥٦ .

١٨٤ ـ سرور ، كاتيا . « بيروت الثقافة : انشطة ما بعد الحرب .» **شؤون فلسطينية** : العدد ١٣٤ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣. ص ١٢٢ ـ ١٢٧ .

١٨٥ ـ السويسي ، محمد . « واقع الكتاب العلمي العربي في السبعينات وآفاقه في الثمانينات .» **البيان** (الكويت) : العدد ٢٠٣ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ٩٤ ـ ١١٨ .

١٨٦ ـ شرف ، عبد العزيز . « الشخصية القومية في الادب الجزائري .» **قضايا عربية** : السنة ١٠ ، العدد ٣ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ١٠٩ ـ ١٢٢ .

١٨٧ ـ صابر ، محيي الدين . « نحو استراتيجية للثقافة العربية .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ١ ، آذار / مارس ١٩٨٢. ص ١٤١ ـ ١٥٢ .

١٨٨ ـ الصانع ، محمد عبدالله وعبد الجبار توفيق . « تطوير البحث التربوي واجهزته في الوطن العربي .» **المجلة العربية للبحوث التربوية** : السنة ٣ ، العدد ١ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣ . ص ١٩ ـ ٢٦ .

١٨٩ ـ الطاهر ، علي جواد . « الكتاب الخليجي ، القسم الاول : الكويت ـ البحرين ـ السعودية ـ قطر .» **عالم الكتب** : السنة ٣ ، العدد ٤ ، كانون الثاني ـ شباط / يناير ـ فبراير ١٩٨٢ . ص ٤٩٠ ـ ٥٤٤ .

١٩٠ ـ طه ، ايناس ممدوح . « صورة القرية في الرواية العربية .» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٨ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ٥٠ ـ ٦٥ .

١٩١ ـ عصمت ، رياض . « الثورة في المسرح العربي .» **دراسات عربية** : السنة ١٩ ، العدد ٣ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣. ص ١٣١ ـ ١٤٠ .

١٩٢ ـ عطية ، نعيم . « حول دور المجلة العربية للبحوث التربوية .» **المجلة العربية للبحوث التربوية** : السنة ٣ ، العدد ١ ، كانون الثاني / يناير ١٩٨٣. ص ١١ ـ ١٧ .

١٩٣ ـ عمر ، قيلي احمد . « واقع الترجمة في الوطن العربي : جمهورية السودان الديمقراطية .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ٢ ، ايلول / سبتمبر ١٩٨٢. ص ٤٩ ـ ٥٥ .

١٩٤ ـ فريد ، سمير . « عمر المختار حدث مهم في السينما العربية .» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٨ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ٦٦ ـ ٧٥ .

١٩٥ ـ قاسود ، محمد عبد الرحيم . « الشكل والمضمون وجهة نظر في النقد الخليجي .» **حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية** (الدوحة): العدد ٥ ، ١٩٨٢. ص ٦٩ ـ ٩٩ .

١٩٦ ـ اللجمي ، اديب . « اطار لخطة شاملة تحقيقاً لوحدة ثقافية عربية مبدعة .» **المعرفة** : العددان ٢٤٣ و ٢٤٤ ايار ـ حزيران / مايو ـ يونيو ١٩٨٢. ص ٢٨٦ ـ ٣٠٧ .

١٩٧ ـ ـــ . « من اللقاء الى الحوار الثقافي العربي ـ الاوروبي ـ الافريقي .» **المعرفة** : العددان ٢٤٣ و ٢٤٤ ، ايار ـ حزيران / مايو ـ يونيو ١٩٨٢ . ص ٣٠٨ ـ ٣١٨ .

١٩٨ ـ المجلة العربية للثقافة . « معرض رسوم الاطفال العرب في العواصم الاوروبية .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ٢ ، ايلول / سبتمبر ١٩٨٢. ص ٢٥٠ ـ ٢٥٤ .

١٩٩ ـ ـــ . « ندوة العلاقة بين الثقافة العربية والثقافة الافريقية .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ١ ، آذار / مارس ١٩٨٢. ص ٤١٦ ـ ٤١٨ .

٢٠٠ ـ مرقص ، الياس . « الغزو الثقافي الامبريالي الصهيوني للامة العربية : الغزو الثقافي في الوطن العربي وخلق ادوات المقاومة .» **المعرفة** : العددان ٢٤٣ و ٢٤٤ ، ايار ـ حزيران / مايو ـ يونيو ١٩٨٢. ص ١٨٠ ـ ١٩٤ .

٢٠١ ـ المسيري ، عبد الوهاب محمد . « الفتيان الغرباء الروح : دراسة في استجابة الوجدان الادبي العربي لعملية التحديث كما تتضح في ثلاث قصص قصيرة .» **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٨ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ٣٨ ـ ٤٩ .

٢٠٢ ـ المقالح ، عبد العزيز . « الادب والمجتمع ، مقابلة مع د. عبد العزيز المقالح .» اجرى المقابلة فرحان صالح . **المستقبل العربي** : السنة ٥ ، العدد ٤٨ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ١٢٥ ـ ١٢٩ .

٢٠٣ ـ مقدسي ، انطوان . « واقع الترجمة في الوطن العربي : الجمهورية العربية السورية .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ٢ ، ايلول / سبتمبر ١٩٨٢. ص ٥٧ ـ ٧٤ .

٢٠٤ ـ الملحم ، اسماعيل . « الثقافة والشخصية القومية العربية .» **قضايا عربية** : السنة ١٠ ، العدد ٢ ، آذار / مارس ١٩٨٣. ص ١٠١ـ ١٠٨ .

٢٠٥ ـ الناعوري ، عيسى . « واقع الترجمة في الوطن العربي : المملكة الاردنية الهاشمية من عام ١٩٧٠ الى عام ١٩٨٠ .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ٢ ، ايلول / سبتمبر ١٩٨٢ . ص ١١ـ ٢٧ .

٢٠٦ ـ الواسطي ، سلمان داود . « واقع الترجمة في الوطن العربي : الجمهورية العراقية .» **المجلة العربية للثقافة** : السنة ٢ ، العدد ٢ ، ايلول / سبتمبر ١٩٨٢. ص ٧٥ ـ ٨٥ .

٢٠٧ ـ اليوسف ، خالد احمد . « الكتاب الخليجي ... في مدينة الرياض .» **عالم الكتب** : السنة ٣ ، العدد ٤ ، كانون الثاني ـ شباط / يناير ـ فبراير ١٩٨٢. ص ٥٩٢ ـ ٥٩٢ .

ـ انظر ايضاً رقم : ١٦٥ .

مراجعة كتب

٢٠٨ ـ الرومي ، نورية صالح . « الحركة الشعرية في الخليج بين التقليد والتطور .» **عالم الكتب** : السنة ٣ ، العدد ٤ ، كانون الثاني ـ شباط / يناير ـ فبراير ١٩٨٣. ص ٧٧٧ ـ ٧٨١ . (علاء الدين اغا)

٢٠٩ ـ الشيخ ، سليمان الخضري ونبيل احمد صبيح . « مشكلات الكتاب الجامعي بجامعات دول الخليج العربي .» **عالم الكتب** : السنة ٣ ، العدد ٤ ، كانون الثاني ـ شباط / يناير ـ فبراير ١٩٨٣. ص ٧٠٧ ـ ٧١٢ .

٢١٠ ـ صالح ، ليلى محمد . « ادب المرأة في الجزيرة والخليج العربي .» **عالم الكتب** : السنة ٣ ، العدد ٤ ، كانون الثاني ـ شباط / يناير ـ فبراير ١٩٨٣. ص ٧٦٧ ـ ٧٦٩ .

تربية وتعليم

دوريات

٢١١ ـ ابو شرار ، هند . « مشكلات التعليم بين العرب في اسرائيل .» **شؤون فلسطينية** : العدد ١٣٥ ، شباط / فبراير ١٩٨٣. ص ١٠٩ ـ ١١٩ .

٢١٢ ـ حاتم ، هيام . « ندوة التعليم الجامعي والمجتمع .» **مجلة العلوم الاجتماعية** : السنة ١٠ ، العدد ٤ ، كانون الاول / ديسمبر ١٩٨٢. ص ٢٩٥ ـ ٣٠٣ .

٢١٣ ـ الحصاني ، اياد حلمي . « مؤشرات حول اهمية ربط مناهج التربية بالتنمية في مجتمع الخليج العربي .» **الخليج العربي** : السنة ١٣ ، العدد ٣ ، ١٩٨١. ص ١٢٩ ـ ١٣٣ .

(٤٥) احصاءات المالية العامة في الوطن العربي

اعداد : قسم الدراسات
في مركز دراسات الوحدة العربية

- الايرادات والنفقات العامة في موازنات الاقطار العربية ، للسنوات ١٩٧٠ ـ ١٩٨١

- معدلات نمو الايرادات والنفقات العامة في الموازنات العربية ، للسنوات ١٩٧٠ ـ ١٩٨١

- نسبة تمويل عجز الميزانيات الحكومية عن طريق الاقراض من الجهاز المصرفي في الاقطار العربية ، للسنتين ١٩٨٠ و ١٩٨١

جدول رقم (١)

الايرادات والنفقات العامة في موازنات الاقطار العربية ، للسنوات ١٩٧٠ ـ ١٩٨١ (مليون دولار امريكي)

السنة / القطر	١٩٧٠							١٩٧٣						
	الايرادات العامة	النفقات العامة	العجز (-) او الفائض (+)	الناتج المحلي الاجمالي	نسبة العجز او الفائض الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	نسبة الايرادات الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	نسبة النفقات الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	الايرادات العامة	النفقات العامة	العجز (-) او الفائض (+)	الناتج المحلي الاجمالي	نسبة العجز او الفائض الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	نسبة الايرادات الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	نسبة النفقات الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)
الاردن	١٩٠	٢٢٦	- ٣٦	٤٨٨	٧,٤	٣٨,٩	٤٦,٣	٣٣٧	٣٦٣	- ٢٦	٦٦٤	٣,٩	٥٠,٨	٥٤,٧
الامارات العربية المتحدة	١٨٠	١٥١	+ ٢٩	...	...	...	...	٩٠٥	٨٤٦	٥٩	٢٨٤٣	٢,١	٣١,٨	٢٩,٨
البحرين	...	...	...					...	...					
تونس	٣٧٦	٢٨٦	+ ٩٠	١٤٥٧	٦,٢	٢٥,٨	١٩,٦	٥٥١	٧١٠	- ١٥٩	٢٦٢٧	٦,١	٢٠,٩	٢٧
الجزائر	١٢٧٨	١١٩٠	- ٨٨	...	...	...	...	٢٦٤٣	٢٣٨٧	+ ٢٥٦	٨٢٤١	٣,١	٣٢,١	٢٨,٩
الجماهيرية العربية الليبية	...	...	...	٣٧٢٢	...	...	...	٢٥٤٦	٢١٩٠	٣٥٦	٧٥٨٦	٤,٧	٣٣,٦	٢٨,٩
الجمهورية العربية السورية	٣٨٠	٧٢٨	- ٣٤٨	١٧٩٣	١٩,٤	٢١,٢	٤٠,٦	٧٢٨	٨٩٨	- ١٧٠	٢٦١٧	٦,٥	٢٧,٨	٣٤,٣
جيبوتي	...	...	...	٧١	...	...	...	...	...	...	...	...	...	...
السودان	...	...	...	...	...	...	...	٤٨٤	٥٧٩	- ٩٥	٣٢٦٥	٢,٩	١٤,٨	١٧,٧
السعودية	١٣٢٦	١٣٢٦	صفر	٥٠٨٨	صفر	...	...	٣٧١٨	٣٨٥٠	- ١٣٢	١١٤٢٣	١,٢	٣٢,٥	٣٣,٧
الصومال	٤٣	٤٣	صفر	٣١٦	صفر	١٣,٦	١٣,٦	٧٠	٧٨	- ٨	٥٠٦	١,٦	١٣,٨	١٥,٤
العراق	٨١٤	١٠٦٢	- ٢٤٨	٣١٩٢	٧,٨	٢٥,٥	٣٣,٣	٢٠٢٤	٢٣٦٦	- ٣٤٢	٥١٢١	٦,٧	٣٩,٩	٤٦,٢
عمان				٢٥٦				١٩٨	٢٦٧	- ٦٩	٤٩٠	١٤,١	٤٠,٤	٥٤,٥
قطر	١٢٢	١١٠	+ ١٢	...				٤٥٣	٣٨٦	+ ٦٧	...	...	...	...
الكويت	١٠٤٧	٨٤٩	+ ١٩٨	٢٨٧٤	٦,٩	٣٦,٤	٢٩,٥	٢٤٧٦	١٨٠٩	+ ٤٦٧	٥٤٠٧	٨,٦	٤٢,١	٣٣,٥
لبنان	٢٠٤	١٩٣	+ ١١	١٤٩٧	٠,٧	١٣,٦	١٢,٩	٣٤٧	٣٤٩	- ٢	٢٨٣٠	٠,١	١٢,٣	١٢,٣
مصر	...	٥٥٥٤	...	٧٢٣٦	...	...	٧٦,٨	...	...	...	٩٣٦١	...	...	...
المغرب	٩١١	...	...	٣٨٦٤	...	...	...	١٢٣٨	١٣٤٥	- ١٠٧	٥٨٠٨	١,٨	٢١,٣	٢٣,٢
موريتانيا	...	٣٣	...	٢٠٥	...	٢٣,٦	...	٤٨	٧٢	- ٢٤	٢٧٤	٨,٨	١٧,٥	٢٦,٣
اليمن	١٧	٤٦	- ٢٩	٢٧٨	١٠,٤	٦,١	١٦,٥	٦٠	١٠٠	- ٤٠	٦٢٢	٦,٤	٩,٦	١٦,١
اليمن الديمقراطية	٢٥	٤٠	- ١٥	١٧٠	٨,٨	١٤,٧	٢٣,٥	٢١	٦٥	- ٤٤	٢٤٤	١٨	٨,٦	٢٦,٦
مجموع الاقطار العربية								١٨٦٢٦	١٨٩٦٠	- ١٣	٧٠٠٥٠	٠,٠٢	٣٠,٧	٣٠,٨
معدل الاقطار العربية								٨٩٤,٥	١٤١٦,٩	- ٩٣٧ + ٢٤١	٣٦٨٦,٨	٥,٤	٢٦,٥	٢٩,٩

يتبع

تابع جدول رقم (١)

السنة / القطر	١٩٧٤							١٩٧٥						
	الايرادات العامة	النفقات العامة	العجز (-) او الفائض (+)	الناتج المحلي الاجمالي	نسبة العجز او الفائض الى الناتج المحلي الاجمالي(٪)	نسبة الايرادات الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	نسبة النفقات الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	الايرادات العامة	النفقات العامة	العجز (-) او الفائض (+)	الناتج المحلي الاجمالي	نسبة العجز او الفائض الى الناتج المحلي الاجمالي(٪)	نسبة الايرادات الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	نسبة النفقات الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)
الاردن	٤٤٣	٤٦٥,٤	- ٢٢,٤	٧٨٥	٢,٩	٥٦,٤	٥٩,٣	٦٠٤,٢	٦٢٠,٩	- ١٦,٧	٨٥٣	١,٩	٧٠,٨	٧٢,٨
الامارات العربية المتحدة	٣٧٥١	١٧٣٩	+ ٢٠١٢٠	٧٨١٩	٢٥,٧	٤٧,٩	٢٢,٢	٤٢٠٠	٢٨٦٧	+ ١٣٣٣	٨٣٤٤	١٥,٩	٥٠,٣	٣٤,٤
البحرين	٢٩١,٩	١٦٩,٨	+ ١٢٢,١	...	...	...		٣٢٦,٢	٢٨٣,٩	+ ٤٢,٣	١٠٤٥	٤	٣١,٢	٢٧,٢
تونس	٧٦٧	٩٢٠	- ١٥٣	٣٧٧٨	٤	٢٠,٣	٢٤,٤	٨٥١	١٠٧٧	- ٢٢٦	٤٠٦٨	٥,٦	٢٠,٩	٢٦,٥
الجزائر	٥٨٦٣	٣٣٧٧	+ ٢٤٨٦	١٣١١٨	١٨,٩	٤٤,٧	٢٥,٧	٦٠٧٤	٤٦٢٣	+ ١٤٥١	١٣٧٤٩	١٠,٦	٤٤,٢	٣٣,٦
الجماهيرية العربية الليبية	١٠٤٧	٤٣٨٣	- ٣٣٣٧	١٣١١٤	٢٥,٤	٧,٩	٣٣,٤	١٤٧٧	٥٠٥٣	- ٣٥٧٦	١٢٧٦٦	٢٨	١١,٦	٣٩,٦
الجمهورية العربية السورية	١١٥٨,١	١٥٠٦,٥	- ٣٤٨,٤	٤٣١١	٨,١	٢٦,٩	٣٤,٩	٢٢١٦,١	٢٦٢٠,٦	- ٤٠٤,٥	٥٥٩٨	٧,٢	٣٩,٦	٤٦,٨
جيبوتي	...	...	...	...	...	...	...	٣٤	٢٨	+ ٦	١٦٩	٣,٦	٢٠,١	١٦,٦
السودان	٥٧٣	٦٩٨	- ١٢٥	٤٣٣٩	٢,٩	١٣,٢	١٦,١	٧٥٧	١٠٧٧	- ٣٢٠	٥٣٠٧	٦	١٤,٣	٢٠,٣
السعودية	١١٧٤٧,٩	٥٢٣٨	+ ٦٥٠٩,٩	٣٩٣٢٣	١٦,٦	٢٩,٩	١٣,٣	٢٨٣٥٧,٨	٩٠٧٥,٩	+١٩٢٨١,٩	٣٩٥٤٧	٤٨,٨	٧١,٧	٢٢,٩
الصومال	٩٠	١٠٦	- ١٦	٤٦٨	٣,٤	١٩,٢	٢٢,٦	٩٨	١١٧	- ١٩	٧٢٦	٢,٦	١٣,٥	١٦,١
العراق	٤٧٤١	٥٠٧٢,١	- ٣٣١,١	١١٧٨٢	٢,٩	٤٢	٤٤,٩	٢٢٩٧,٧	٦٣٩٩,٩	-٤١٠٢,٧	١٣٢٢٠	٣١	١٧,٤	٤٨,٤
عمان	٩٠١,٩	٩٥٣,٩	- ٥٢	١٦٤٦	٣,٢	٥٤,٨	٥٧,٩	١٣٢٩,٨	١٤٣٤,٦	-١٠٤,٨	٢٠٩٧	٤,٩	٦٣,٤	٦٨,٤
قطر	١٣٩٣	٤٥٠	+ ٩٤٣	...	...	...	...	١٧٨٩	١٠٦١	+ ٧٢٨	...	...	...	...
الكويت(ايرادات النفط)	٧٨٤٣	٣٧٤٨,٩	+ ٤٠٩٤,١٠	١٣١٦٦	٣١,١	٥٩,٦	٢٨,٥	١٣٤٦١,٦	٣٥٠٩,٩	+٩٩٥١,٧	١١٨٤٦	٨٤	١١٣,٦	٢٦,١
لبنان	٤٣٩,٨	٤٣٩,٨	صفر	٣٥٣٨	صفر	١٢,٤	١٢,٤	...	...	...	٣٠٨٦	...	...	...
مصر	...	...	...	١٠٧٢٦	...	...	...	٥٢١٠,٨	٧٤٤٤,٤	-٢٢٣٣,٦	١٢٤٢٣	١٧,٩	٤١,٩	٥٩,٩
المغرب	٢١٩٥	٢٢٩٩	- ١٠٤	٨٠٨٧	١,٣	٢٧,١	٢٨,٤	٣١٧١	٣٠٧٧	+ ٩٤	٨٦٩٩	١,١	٣٦,٥	٣٥,٤
موريتانيا	٦٤	١١٨	- ٥٤	٣٨٥	١٤	١٦,٦	٣٠,٦	١٠٠	١٤٧	- ٤٧	٤٥٦	١٠,٣	٢١,٩	٣٢,٢
اليمن	٨٣,٣	١٤٣,٦	- ٦٠,٣	٨٢٦	٧,٣	١٠,١	١٧,٤	١٣٢,٥	١٩٥,٧	- ٦٣,٢	١٠٨٢	١٣,٩	٢٩,١	٤٢,٩
اليمن الديمقراطية	٤٤	٧٧	- ٣٣	١٧٠	١١,٦	١٥,٥	٢٧,١	٤١	٩٤	- ٥٣	٢٩٢	١٨,٢	١٤	٣٢,٢
مجموع الاقطار العربية	٤٣٤٣٦,٩	٣١٩٠٥,٧	+١١٥٣١,٢	١٣٧١٤٧	٩,١	٣٤,٤	٢٥,٢	٧٢٥٢٨,٧	٥٠٨٠٦,٨	+٢١٧٢١,٩	١٤٥٣٧٣	١٤,٨	٤٩,٧	٣٤,٩
معدل الاقطار العربية	٢٢٨٦,٢	١٦٧٨,٧	- ٣٨٢ +٢٦٩٤,٥٠	٧٢١٨,٣	١١,٢	٢٩,٧	٣٣,٢	٣٦٢٦,٤	٢٥٤٠,٣	-٩٣٠,٥ +٤١١٠,٩	٧٢٦٨,٧	١٦,٦	٣٨,٢	٣٦,٩

يتبع

تابع جدول رقم (١)

السنة / القطر	١٩٧٦ الايرادات العامة	١٩٧٦ النفقات العامة	١٩٧٦ العجز (-) او الفائض (+)	١٩٧٦ الناتج المحلي الاجمالي	١٩٧٦ نسبة العجز او الفائض الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	١٩٧٦ نسبة الايرادات العامة الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	١٩٧٦ نسبة النفقات العامة الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	١٩٧٧ الايرادات العامة	١٩٧٧ النفقات العامة	١٩٧٧ العجز (-) او الفائض (+)	١٩٧٧ الناتج المحلي الاجمالي	١٩٧٧ نسبة العجز او الفائض الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	١٩٧٧ نسبة الايرادات العامة الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	١٩٧٧ نسبة النفقات العامة الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)
الاردن	٥٨٦	٧٩٢,٠	-٢٠٧	١٢٢٣	١٦,٩	٤٧,٩	٦٤,٨	١٠٢٥	١٠٧٢,٤	-٤٧,٤	١٥٢٧	٣,١	٦٧,١	٧٠,٢
الامارات العربية المتحدة	٥٧٢٨	٥٠٠٣	٧٢٥	١٠٩٧٢	٦,٦	٥٢,٢	٤٥,٦	٧١٤٦,٦	٦٠٤١,٦	+١١٠٥	١٣٩٦٧	٧,٩	٥١,٢	٤٣,٣
البحريـن	٤٧١,٢	٤٨٢,٦	-١١,٤	١٤٥٢	١,٨	٣٢,٥	٣٣,٢	٥٧٤,٨	٦١٢,٩	-٣٨,١	١٨٢٨	٢,١	٣١,٤	٣٣,٥
تونـس	٩١٥	١٢٥٣	-٣٣٨	٤٤٢٧	٧,٦	٢٠,٧	٢٨,٣	١١٤٩	١٦٣٩	-٤٩٠	٥٣٠٩	٩,٢	٢١,٦	٣٠,٩
الجزائـر	٦٤٢٧	٤٦١٥	+١٨١٢	١٥٥٩٤	١١,٦	٤١,٢	٢٩,٦	٨٢٩٧	٦٣١٣	+١٩٨٤	٢٠١٨٥	٩,٨	٤١,١	٣١,٣
الجماهيرية العربية الليبية	١٦٨٩	٥٩١٤	-٤٢٢٥	١٦٥٧٢	٢٥,٥	١٠,٢	٣٥,٧	١٩٦٩	٦٥٨٤	-٤٦١٥	١٩٤٦٣	٢٣,٧	١٠,١	٣٣,٨
الجمهورية العربية السورية	٢٣٠٧,٨	٢٨٦٣,٩	-٥٥٦,١	٦٣٤٨	٨,٨	٣٦,٤	٤٥,١	٢٦٢٩,٣	٤٣٤٣,٢	-١٧١٣,٩	٦٩٤٦	٢٤,٧	٣٧,٩	٦٢,٥
جيبوتـي	٣٨	٣٩	-١	٢٠٢	٠,٥	١٨,٨	١٩,٣	٥٠	٤٤	+٦	٢١٨	٢,٨	٢٢,٩	٢٠,٢
السـودان	٨٧٩	١٢٥٢	-٣٧٣	٦٠٥٤	٦,٢	١٤,٥	٢٠,٧	٩٩٨	١٦٨٤	-٦٨٦	٧٤٥٣	٩,٢	١٣,٤	٢٢,٦
السعوديـة	٢٧١٥٢,١	٣٣١٦٧,٣	+٣٩٨٣,٨	٤٦٦٠٨	٨,٥	٥٨,٣	٤٩,٧	٣١٩٥٠,٥	٣٦٥٩٧,١	-٤٩٤٦,٦	٥٨٥٠٤	٨,٥	٥٤,١	٦٢,٦
الصومـال	١٠٧	١٣٥	-٢٨	٨٢٣	٣,٤	١٣	١٦,٤	١٣٢	١٦٤	-٣٢	٩٩٦	٣,٢	١٣,٣	١٦,٥
العـراق	٤٤٨٣	١٠١٥٩,٥	-٥٦٧٦,٥	١٧٣١٧	٣٢,٨	٢٥,٩	٥٨,٧				١٨٩٤١			
عمـان	١٤٦٣,٨	١٨٧٢,٣	-٤٠٩,٣	٢٣٩٤	١٧,١	٦١,١	٧٨,٢	١٧٧٥,٣	١٧٩١,٥	-١٦,٢	٢٥٤٨	٠,٦	٦٩,٧	٧٠,٣
قطـر	٢١٦٧,٣	١٣٨١	+٧٨٦,٣	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٢٠٥٩	١٨٤٧,٩	+٢١١,٦	٠٠٠			
الكويت (ايرادات النفط)	٢٠٠٧ (٨٥٦٢)	٤٧٩١	-٢٧٨٤	١٣٣٧٩	٢٠,٨	١٥	٣٥,٨	٢٨٥١ (٨٢١٤,٦)	٦٢٤٩,٢	-٣٣٩٨,٢	١٤٤٧١	٢٣,٥	١٩,٧	٤٣,٢
لبنـان	٤٨٦,٢	٤٨٦,٢	صفر	٠٠٠				٣٦١,٣	٥٣٣,١	-١٧١,٨	٢٧٣٣	٦,٣	١٣,٢	١٩,٥
مصـر	٩٦٢٢	٩٦٤٢,٢	-٤٠٢٠,٢	١٦٠٣٩	٢٥,١	٣٥,١	٦٠١,٢	٨٢٨٠	٩٩٩٤,٩	-١٧١٤,٩	١٨٧٦١	١٠,٧	٥١,٦	٦٢,٣
المغـرب	٣٧٢٩	٣٥٣٦	+١٩٣	٩١٤٦	٢,١	٤٠,٨	٣٨,٧	٤٤٧٧	٤٣٥٥	+١٢٢	١٠٨٧٢	١,١	٤١,٢	٤٠,١
موريتانيـا	١١١	١٤١	-٣٠	٥٥٢	٥,٤	٢٠,١	٢٥,٥	١١٤	١٨٥	-٧١	٥٤٣	١٣,١	٢٠,٩	٣٤,١
اليمـن	٢٨٣,٤	٣١٦,٦	-٣٣,٢	١٤٢٢	٢,٣	١٩,٩	٢٢,٣	٤٣٥,٢	٥٢٩,٨	-٩٤,٦	١٨٠٢	٥,٢	٢٤,٢	٢٩,٤
اليمن الديمقراطية	٧٤	١١٣	-٣٩	٣٧٠	١٠,٥	٢٠	٣٠,٥	١٠١	١٣٧	-٣٦	٤٦٤	٧,٨	٢١,٨	٢٩,٥
مجموع الاقطار العربية	٦٦٧٢٦,٨	٧٧٨٤٤,٧	-١١١١٧,٩	١٧٠٨٩٤	٦	٣٧,٨	٤٤,٧	٧٦٠٧٥	٩٠٧١٨,٦	-١٤٦٤٣,٦	٢٠٧٥٣١	٧,٨	٣٩,٢	٤٧,١
معدل الاقطار العربية	٣١٧٧,٥	٣٧٠٦,٩	-١٢٤٨,٨ +١٥٠٠	٨٩٩٤,٤	١١,٢	٣٠,٧	٦٧,٣	٣٨٠٣,٨	٤٥٣٥,٩	-١٢٩٠,٨ +٦٨٥,٦	١٠٣٧٦,٦	٩,١	٣٢,٩	٣٩,٨

يتبع

تابع جدول رقم (١)

السنة / القطر	١٩٧٨							١٩٧٩						
	الايرادات العامة	النفقات العامة	العجز (-) او الفائض (+)	الناتج المحلي الاجمالي	نسبة العجز او الفائض الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	نسبة الايرادات الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	نسبة النفقات الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	الايرادات العامة	النفقات العامة	العجز (-) او الفائض(+)	الناتج المحلي الاجمالي	نسبة العجز او الفائض الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	نسبة الايرادات الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	نسبة النفقات الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)
الاردن	١١٢٩	١٢٣٤	- ١٠٥	٢٠١١	٥,٢	٥٦,١	٦١,٤	١٣٣٤,٦٥	١٦٧٣,٣	- ٣٤٨,٦	٢٢٧٩,٦	١٤,٧١	٥٥,٩٢	٧٠,٦٤
الامارات العربية المتحدة	٧١٠٢	٥١٦٦	+ ١٩٣٦	١٣٨٩٧	١٣,٩	٥١,١	٣٧,١	٧٤٩٧,١٧	٥٩٥٨,٩	+ ١٥٣٨,٣	١٤٥٧٢,٤	٧,٣٣	٣٥,٧٧	٢٨,٤٣
البحرين	٦٠٥	٧٤٣	- ١٣٨	٢٢٠٤	٦,٣	٢٧,٥	٣٣,٧	٧٩٧,٦٤	٦٢٦,٢	+ ١٧١,٤	٢٣٣٨,٣	٦,٨٩	٣٢,٠٨	٢٥,١٩
تونس	١٣٩٩	١٩٠٥	- ٥٠٦	٦١٥٣	٨,٢	٢٢,٧	٣٠,٩	٢١١٠,٩٥	٢٢٤٦,٥	- ١٣٥,٦	٧٢١٧,٧	١,٨٧	٢٩,١٤	٣١,٠١
الجزائر	٩٥٩٣	٧٨٥١	+ ١٧٤٢	٢٥٧٤٠	٦,٨	٣٧,٣	٣٠,٥	١٢٣٦٥,٦	١٥٨٣٧,٢	-٣٤٧١,٦	٢٧١٨٩,٢	١٠,٩٨	٣٩,١١	٥٠,١
الجماهيرية العربية الليبية	٢٣٤٧	٧٠٠٨	- ٤٦٦١	١٩١٤٣	٢٤,٣	١٢,٣	٣٦,٦	١٤٣٩٦,٨٤	١٤٢٢٧,٣	+ ١٦٩,٦	١٩٠٤٥,٧	٠,٦٧	٥٦,٩٣	٥٦,٢٦
الجمهورية العربية السورية	١٨٧٧	٤٦٣٧	- ٢٧٦٠	٨٣٣٠	٢٣,١	٢٢,٥	٥٥,٧	٣٩٧١,٢١	٣٨٩٤	+ ٧٧,٢	٩١٤٣,١	٠,٧٧	٣٩,٦٥	٣٨,٩
جيبوتي	٧٤	٥٧	+ ١٧	٢٣٩	٧,١	٣٠,٩	٢٣,٨				٣٢٧,٨			
السودان	١٠٦٤	١٧٠٦	- ٦٤٢	٨٦٥٥	٧,٤	١٢,٣	١٩,٧	١٣٥٧,٣٥	٢١١٠,٦	- ٧٥٣,٢	٦٥٥٥	٩,٣٢	١٦,٨	٢٦,١٣
السعودية	٤٤١٩١	٣٣٦٠٥	+ ١٠٥٨٦	٦٧٤٩٥	١٥,٧	٦٥,٥	٤٩,٨	٦٢٨٤٠,٢٤	٥٣١٤٢,٩	+ ٩٦٩٧,٣		١٣,٠٦	٨٤,٦٣	٧١,٥٧
الصومال	١٧٨	٢٤٦	- ٦٨	١١٩٢	٥,٧	١٤,٩	٢٠,٦	٣٠٢,٠٨	٤٩٧,٩	- ١٩٥,٩	١١٩٢,٢	١٤,٥٥	٢٢,٤٥	٣٧,٠١
العراق	...	...	...	٢٣١٥٧	—	—	—	٣٠٥٦٩,٨	١٩٩٧٥,٤	+ ١٠٥٩٤,٥	٣٤١٢١,٧	٣١,٠٤	٨٩,٥٨	٥٨,٥٤
عمان	١٤٧٤	١٨١٦	- ٣٤٢	٢٥٨٥	١٣,٢	٥٧,٠	٧٠,٣	٢١٨٣,٦	١٨٦٤,٨	+ ٣١٨,٨	٣٣٩٤,٦	٩,٣٩	٦٤,٣٢	٥٤,٩٣
قطر	٢١٤٣	١٦٨٦	+ ٤٥٧	...	...	...	...	٣١١٢,١	٢٢١١,٦	+ ٩٠٠,٥	...	٢٣,٠٤	٧٩,٦٤	٥٦,٦
الكويت (ايرادات النفط)	٣١٨٢ (١٠٨١١,٩)	٦٣٤٧	- ٣١٦٥	١٥٤٣٢	٢٠,٥	٢٠,٦	٤١,١	١٣٣٨٠	٨٥٢٦	+ ٤٨٥٤,١	٢٣٢٩٨,٨	٢٠,٨٣	٥٧,٤٢	٣٦,٥٩
لبنان	٤٦٦	٧٥٣	- ٢٨٧	٢٩٢٨	٩,٨	١٥,٩	٢٥,٧	٥٢٨,٢	٧٧٠,٧	- ٢٤٢,٤	٣٤٢٣	٧,٠٥	١٥,٣٦	٢٢,٤١
مصر	٩٦٠٣	١٠٦٠٨	- ١٠٠٥	٢٤٧١٥	٤,١	٣٨,٩	٤٢,٩	٥٩٥٠	٩٥٩٠	- ٣٦٤٠	١٧٧٢٧,٥	٢٠,٤٢	٣٣,٣٨	٥٠,٧٨
المغرب	٣٦١٤	٤٧٥٥	- ١١٤١	١٣٥٧٤	٨,٤	٢٦,٦	٣٥	٣٩٦٠,٤	٥٦٦٢,٦	- ١٧٠٢,٢	١٤٧٣٦,٧	١٠,٦٦	٢٤,٨	٣٥,٤٧
موريتانيا	١٢٣	٢٠٨	- ٨٥	٥٤٠	١٥,٧	٢٢,٨	٣٨,٥	٢٠٦,٦	٣٢٠,٢	- ١١٣,٧	٦٠٦	٢١,٩٦	٣٩,٣٧	٦١,٠٤
اليمن	٤٨٠	٩٨٨	- ٥٠٨	٢٢٢٨	٢٢,٨	٢١,٥	٤٤,٣	٧٠٢,٨	١١٠١,١	- ٣٩٨,٣	٣٠٣٣,٩	١٧,٨٧	٣١,٥٤	٤٩,٤١
اليمن الديمقراطية	...	...	...	٥٢١	—	—	—	١٥٧,٢	٣٧١,٣	- ٢١٤,١	٦٤٩,٦	٣٥,٨٨	٢٦,٣٤	٦٢,٢٣
مجموع الاقطار العربية	٩٠٦٤٤	٤٨٠٦,٣	- ٦٧٥	٢٤٠٧٣٩	١٢,٧	٣٠,٩	٣٨,٨	١٦٧٧١٤,٥	١٥٠٦٠٨,٥	+ ٣١٤٦,٨	٢٧٤٧٦٧,٤	٥,٩	٥٩,٩	٥٤,١
معدل الاقطار العربية	٤٧٧٠,٧	٩١٣١٩	- ١١٠٠,٩ + ٢٩٤٧,٦	١٢٠٣٦,٩	٠,٣	٤٠,٨	٤١,٣	٨٣٨٥,٧	٧٥٣٠,٤	- ١٠١٩,٦	١٣٧٣٨,٤	١٣,٩	٤٣,٧	٤٦,٢

يتبع

تابع جدول رقم (١)

السنة / القطر	١٩٨٠						١٩٨١					
	الايرادات العامة	النفقات العامة	العجز(-) او الفائض(+)	الناتج المحلي الاجمالي	نسبة العجز او الفائض الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	نسبة الايرادات الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	نسبة النفقات الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	الايرادات العامة	النفقات العامة	العجز (-) او الفائض(+)	الناتج المحلي الاجمالي	نسبة العجز او الفائض الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	نسبة الايرادات الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)	نسبة النفقات الى الناتج المحلي الاجمالي (٪)
الاردن	١٤٥٠,١٢	١٦٧٤,٧	- ٢٢٤,٦	٢٩٠٨,٣	٧,٧٢	٤٩,٩	٥٧,٦	١٥٤١,٧	١٩١٩,١	- ٣٧٧,٥	٣٢١٨,٢	١٠,٧٥	٤٣,٩١	٥٤,٧
الامارات العربية المتحدة	١٢٥٥٧,٣	٨١٩١,٤	+ ٤٣٦٥,٩	٢٩٦٢٥,٦	١٤,٧٣	٤٢,٤	٢٧,٦	١٣٥١٤	١١٥٢٦,٨	+ ١٩٨٧,٢	٣١٠٩٩	٦,٣٧	٣٦,٩	٤٣,٤
البحريـن	١١٨٤,٣	٦١٦,٦	+ ٥٦٧,٨	٣٢٥٥,٢	١٥,٩٩	٣٣,٤	١٧,٤	٩١٣,٠٤	٩٩١,٨	- ٧٨,٧	٣٨٠١,٩	١,٩١	٢٢,٢	٢٤,١
تونـس	٢٤٤٦,٤	٢٦٠٤,٢	- ١٥٧,٨	٨٥٧٠,٤	١,٨٤	٢٨,٥	٣٠,٤	٢٢٧٨,٣	٢٥٢٤,٥	- ٢٤٦,٣	٨٠٨٤,٢	٣,٠٤	٢٨,٢	٣١,٢
الجزائـر	١٦٣٨٦,٩	١٩٨٠٤,٨	-٣٥١٧,٩	٤٠٥٩٩,٩	٨,٦٦	٤٠,١١	٤٨,٨	١٥٨٤٩,٩	١٥٧٠٦,٩	+ ١٤٢,٩	٣٨٨٤٦,٢	٠,٣٦	٤٠,٨	٤٠,٤
الجماهيرية العربية الليبية	٢١٢١٧,٩	١٦٤١٢,٧	+ ٤٨٠٥,٣	٣٣٠٢٤,٧	١٤,٤٩	٦٣,٩	٤٩,٤	١٦٧١٦,٧	١٣٣٤٢,٣	+ ٣٣٧٤,٤	٢٩١٥٦,٤	١٢,٣٩	٦١,٤	٤٩,٠٢
الجمهورية العربية السورية	٥٠٢٤,٩	٦٣٣١,٩	- ١٣٠٧,٠١	١٢٩٠٤,٧	١٠,١٢	٣٨,٩	٤٩,١	٣٤٦٥,٢	٣٨٩٤,٠١	- ٤٣٥١,٣	١٥١٦٨,٩	٢٨,١٤	٢٢,٤	٥٠,٦
جيبوتـي										٤٨٤,٨				
السـودان	١٥٧٦	٢٥٦٢	- ١٠٣٦	٧٨٩٠	١٢,٧٢	١٨,٧	٣١,٥	١٨٨٩,٠٣	٢٨٢٦,٣	- ٩٣٧,٣	٧٩٩٤	١١,٢٩	٢٢,٨	٣٤,١
السعوديـة	٧٩٦٥٧,٦	٧٦٩٥٢,٢	+٢٧٠٥,٤	١١٦١٦٥,٧	٢,٣٢	٦٨,٦	٦٦,٢	٨٨٠٩٩,٢	٨٥٣١٦,١	+ ٢٧٨٣,١	١٣١٣٠٥,٥	٢,٠٣	٦٤,٣	٦٢,٣
الصومـال	٣٦٨,٤	٥٠٧	- ١٣٨,٦	١٥١٣	٩,١٦	٢٤,٣٤	٣٣,٥١	٥١٧,١	٦٨٩,٩	- ١٧٢,٨	١٧٥٢,٥	٩,٧٩	٢٩,٣	٣٩,١
العـراق	٤٥٦١٥,٨	٧٦٩٥٢,٢	+١٥٥١٢,٣	٥٢٧٨	٣٨,٩٨	١١٤,٦	٧٥,٧	٤٦٠٠١,٩	٤٦٠٠١,٩	صفر	٢١٥٦٩,٧	٠,٠٠	١٧٧,٨١	١٧٧,٨
عمـان	٢٧٧٥,٩	٢٦٠٥,٧	+ ١٧٠,٢	٥٢٧٨,٨	٣,٢٢	٥٢,٦	٤٩,٤	٣٨٧٦,٧	٣٧١٤,٥	+ ١٦٢,١	٦٦٧٨,٩	٢,٥	٥٨,٩	٥٦,٥
قطـر	٣٧٥٨,٥	٣٣٢٩,٠٤	+ ٤٢٩,٤	٦٠٤١	٧,١٠	٦٢,٢	٥٥,١	٥٥٦٠,٤	٤٢٣١,٩	+ ١٣٢٨,٦	٦٢١١,٩	٢١,٤	٨٩,٧	٦٨,٢
الكويـت	٢٥٧٨٠,٢	١٠٨٦٧,٧	+١٤٩١٢,٥	٢٧٢٨٠	٥٦,٧٦	٩٨,١	٤١,٤	٢٢٥٨١,٦	١٢٩١٢,٥	+٩٦٦٩,١	٢٣٣٥٢,٨	٣٨,٤	٨٩,٦	٥١,٢
لبنـان	٦٦٩,٩	٩٩٠,١	- ٣٢٠,١	٣٩٨٥,٤	٨,٠٣	١٦,٨	٢٤,٨	٧٨١,٢	١١٧١,٣	- ٣٩٠,١	٣٥٦٩,٨	١٠,٩	٢١,٩	١٠,٩
مصـر	٩٤٠٠	١٢٩٨١,٤	-٣٥٨١,٤	٢٣١٩٥,٩	١٤,٠٣	٣٦,٨	٥٠,٩	١١٢٧٠,٧	١٧٥١٣,٧	- ٦٢٤٣	٢٦٣٣٤,٩	١٨,١	٣٢,٧	٥٠,٨
المغـرب	٤٣١٠,٨	٤٩٠٢,١	- ٥٩١,٤	١٧٦٤١,٩	٣,٣٥	٢٤,٤	٢٧,٨	٣٧٥٢,٧	٥٦٢٣,٦	- ١٨٧٠,٩	١٥٠٨٥,٧	١٢,٨٨	٢٥,٨	٣٨,٧
موريتانـيا	١٥٥,٤	٢٢١,٩	- ٦٦,٥	٦٩١	١٢,١١	٢٨,٣	٤٠,٤	١٦٦,٨	١٩٧,٩	- ٣١,١	٧٨٩,٦	٥,٠٤	٢٧,٠٤	٣٢,١
اليمـن	٤٠٥	٦٤٥,١	- ٢٣٩,٧	٢٦١٢,٤	٩,١٧	١٥,٥	٢٤,٧	١٠٤٦,٥	١٦٧٥,٤	- ٦٢٨,٩	٢٨٣٨,١	١٨,١٣	٣٠,٢	٤٨,٣
اليمن الديمقراطية	٢٤٩,٣	٤٩٣,٣٤	- ٢٤٤,١	٦٦٧,٦	٣٦,١١	٣٦,٩	٧٣	٥٣٥,٩	٦٦٨,٥	- ١٣٢,٦	٧٨٨,١	١٦,٥٥	٦٦,٩	٨٣,٥
مجموع الاقطار العربية	٢٣٤٨٤١,١	٢٠٢٧٩٧,٥	+٣٢٠٤٣,٦	٣٨٤٠٤٣	٨,٤	٦١,٢	٥٢,٩	٢٤٠٣٥٨,٤	٢٣٦٣٧١,٥	+٣٩٨٦,٨	٣٧٨١٣١	١,١	٦٣,٦	٦٢,٦
معدل الاقطار العربية	١١٧٤٢,١	١٠١٣٩,٩	- ١٧٧٧,٥ +٥٤٣٣,٦	١٨٢٨٧,٨	١٤,٣	٤٤,٧	٤٣,٧	١٢٠١٧,٩	١١٨١٨,٦	-١٢٨٨,٤ +٢٧٧٨,٢	١٨٠٠٦,٢	١١,٥	٤٩,٦	٥٢,٣

يتبع

تابع جدول رقم (١)

المصادر : احتسبت من : الامم المتحدة ، اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا [اكوا]، **المجموعة الاحصائية لمنطقة اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا، ١٩٧٠ ـ ١٩٧٩** ، ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١٢٤ ، ١٢٥، ١٦٦، ١٦٧، ٢٠٦، ٢٠٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٦٢، ٤١٠، ٤١١، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ؛ الامم المتحدة ، اكوا وجامعة الدول العربية ، الامانة العامة ، **المؤشرات الاحصائية للعالم العربي، للفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٩** (بيروت : اكوا ، ١٩٨١) ، ص ١٦٦ ـ ١٧٣ ، وجامعة الدول العربية ، الامانة العامة ، صندوق النقد العربي ، والصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي ، **التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ١٩٨١** ([الشارقة : دار الخليج ، ١٩٨٢]) ، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٥ .

ملاحظات عامة :

(١) لا تشمل ايرادات الكويت العامة مبيعات النفط الخام وايرادات الدولة منه للسنوات ١٩٧٦ ـ ١٩٧٨ والتي وضعت بين هلالين .

(٢) تم احتساب مجموع الاقطار العربية عمودياً اما نسب المجموع فهي افقية وهذه النسب تمثل فقط الاقطار التي لديها ارقام في الجدول .

(٣) المعدلات حسبت عمودياً بما فيها النسب اما بالنسبة لمعدل العجز او الفائض فهناك رقم يمثل معدل العجز وآخر يمثل معدل الفائض .

(٤) ايرادات تونس تشمل الايرادات الجارية فقط .

(٥) تختلف السنة المالية من بلد عربي الى آخر في احتساب الموازنة .

(٦) ايرادات الحكومة الفدرالية للامارات العربية المتحدة تشمل مساهمات الامارات الباقية .

(٧) ارقام لبنان تشمل ايرادات الموازنة المتوقعة وليس الفعلية.

(٨) ارقام السعودية هي ارقام الموازنة التقديرية والايرادات تشمل ايرادات النفط الخام .

(٩) الايرادات الليبية للسنوات ١٩٧٠ ، ١٩٧٣ ـ ١٩٧٨ لا تشمل الايرادات النفطية .

جدول رقم (٢)

معدلات نمو الايرادات والنفقات العامة
في الموازنات العربية ، للسنوات ١٩٧٠ ـ ١٩٨١ (نسب مئوية)

القطـــر	نمو الايـرادات العامـة				نمو النفقـات العامـة			
	١٩٧٠ الى ١٩٧٣	١٩٧٣ الى ١٩٧٤	١٩٧٣ الى ١٩٨١	١٩٧٤ الى ١٩٨١	١٩٧٠ الى ١٩٧٣	١٩٧٣ الى ١٩٧٤	١٩٧٣ الى ١٩٨١	١٩٧٤ الى ١٩٨١
الاردن	٠,٨	٠,٣	٣,٦	٢,٥	٠,٦	٠,٣	٤,٣	٣,١
الامارات العربية المتحدة	٤	٣,١	١٣,٩	٢,٦	٤,٦	١,١	١٢,٦	٥,٦
البحريـــن								
تونـــس	٠,٥	٠,٤	٣,١	١,٩	١,٥	٠,٣	٢,٦	١,٧
الجزائـــر	١,١	١,٢	٤,٩	١,٧	١	٠,٤	٥,٦	٣,٧
الجماهيرية العربية الليبية					١		٥	٢
الجمهورية العربية السورية	٠,٩	٠,٦	٣,٨	١,٩	٠,٢	٠,٧	٣,٣	١,٦
جيبوتـــي								
الســـودان		٠,٢	٢,٩	٢,٣		٠,٢	٣,٩	٣,٠
السعوديـــة	١,٨	٢,٢	٢٢,٧	٦,٥	١,٩	٠,٤	٢١,٢	١٥,٣
الصومـــال	٠,٦	٠,٣	٦,٤	٤,٧	٠,٨	٠,٤	٧,٨	٥,٥
العـــراق	١,٥	١,٣	٢١,٧	٨,٧	١,٢	١,١	١٨,٤	٨,١
عمـــان		٣,٦	١٨,٦	٣,٣		٢,٦	١٢,٩	٢,٨
قطـــر	٢,٧	٢,١	١١,٣	٢,٩	٢,٥	٠,٢	٩,٩	٨,٤
الكويـــت	١,٢	٢,٤	٨,٩	١,٩	١,١	١,١	٦,١	٢,٤
لبنـــان	٠,٧	٠,٣	١,٣	٠,٧	٠,٨	٠,٣	٢,٤	١,٧
مصـــر								
المغـــرب	٠,٤	٠,٨	٢	٠,٧		٠,٧	٣,٢	١,٤
موريتانيـــا		٠,٣	٢,٥	١,٦	١,٢	٠,٦	١,٧	٠,٧
اليمـــن	٢,٥	٠,٤	١٦,٤	١١,٦	١,٢	٠,٤	١٥,٨	١٠,٧
اليمن الديمقراطية	٠,٢	١,١	٢٤,٥	١١,٢	٠,٦	٠,٧	٩,٣	٧,٧
معدل الاقطـار	١,٤	١,٢	٩,٩	٣,٩	١,٤	٠,٨	٨,١	٤,٧
الاقطار النفطيـة	١,٩	٢	١٣,٩	٤	٢,١	٠,٨	١١,٣	٦,٥
الاقطار غير النفطية	٠,٨	٠,٨	٧,٧	٣,٩	٠,٩	٠,٧	٦,١	٣,٥

المصدر : احتسبت من الجدول رقم (١) .

جدول رقم (٣)

نسبة تمويل عجز الميزانيات الحكومية عن طريق الاقراض من الجهاز المصرفي في الاقطار العربية
(نسبة مئوية)

السنة / القطر	١٩٨٠	١٩٨١
الاردن	٢٢,٣	٢٥,٨
تونس	٧,٥	١٠٠
الجمهورية العربية السورية	٩٧,٣	٤٥,٦
السودان	١٧,٣	٣٨,٦
الصومال	٧٦,٩	٧٩,٩
لبنان	١٠٠	٩٣,٧
مصر	٣٤,٢	١٨,٥
المغرب	٩١,١	١٩,٦
موريتانيا	٦	٨٧,٥
اليمن	١٠٠	١٠٠
اليمن الديمقراطية	٢٠,٥	١٠,٩
معدل الاقطار	٥٢,١	٥٦,٤

المصدر : احتسبت من : جامعة الدول العربية ، الامانة العامة ، صندوق النقد العربي ، والصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي ، **التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ١٩٨١** (الشارقة : دار الخليج ، ١٩٨٢) ، ص ٣٠٠ .

مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

دعـــوة
إلى الترشيح لجائزة الكويت

تمشيا مع أهداف مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وتحقيقا لأغراضها في تدعيم الإنتاج العلمي وتشجيع العلماء والباحثين، تقوم المؤسسة بتخصيص جوائز في مجالات العلوم والآداب والفنون وذلك وفق برامجها السنوية وخططها على المدى البعيد والقريب.

ومن خلال هذه الجوائز تسجل المؤسسة اعترافها بالانجازات الفكرية المتميزة التي تخدم التقدم العلمي وتساعد على النهوض بالمجهودات المبذولة لرفع المستوى الحضاري في مختلف الميادين.

أ- على مستوى الوطن العربي بمافيه الكويت :

تمنح المؤسسة في كل من الحقول الخمسة الآتية:

١ - العلوم الاساسية : الجيولوجيا Geology
٢ - العلوم التطبيقية : الهندسة البترو كيماوية Petro-chemical Engineering
٣ - الفنون والآداب : تاريخ الأدب العربي الحديث History of Modern Arabic Literature
٤ - العلوم الاجتماعية والاقتصادية : الاستثمار في الوطن العربي Investment in the Arab World
٥ - احياء التراث العربي والاسلامي : النبات والفلاحة والري عند العرب Botany, Agriculture and Irrigation of the Arabs

جائزة سنوية قدرها عشرة آلاف دينار كويتي (١٠٠٠٠ د.ك) لكل من (واحد أو أكثر) اسهم بصورة رئيسية وقدم اضافات جديدة في الحقل.

ب- على مستوى دولة الكويت :

تمنح المؤسسة في كل من الحقول آنفة الذكر جائزة سنوية قدرها عشرة آلاف دينار كويتي (١٠٠٠٠) لكل كويتي (واحد أو أكثر) أسهم بصورة رئيسية وقدم اضافات جديدة في الحقل.

ويشترط في من يحصل على جائزة الكويت :

١ - أن يكون انتاجه مبتكرا وذا أهمية بالغة بالنسبة إلى الحقل المقدم فيه خلال العشر سنوات الماضية.
٢ - أن يكون المرشح من أبناء الاقطار العربية.
٣ - تقبل المؤسسة طلبات المتقدمين وترشيحات الجامعات والهيئات العلمية كما يحق للأفراد الحاصلين على هذه الجائزة ترشيح من يرونه مؤهلا لنيلها ولا تقبل ترشيحات الهيئات السياسية.
٤ - يتضمن الترشيح السجل العلمي للمرشح وبيدة مختصرة عن حياته وانتاجه العلمي ومبررات ترشيحه لنيل هذه الجائزة.
٥ - لايعاد الانتاج المقدم الى مرسله فاز المرشح اولم يفز.
٦ - لاتقبل الاعتراضات على قرارات المؤسسة بشأن منح الجوائز للفائزين.
٧ - على الفائز أن يقدم محاضرة عن الانتاج الذي نال الجائزة عنه.
٨ - تقبل الترشيحات ابتداء من ١٩٨٣/٣/١ إلى ١٩٨٣/١٠/٣١.
٩ - ترفق مع الترشيحات أربع نسخ من الانتاج المقدم وترسل على العنوان الآتي:

السيد/ مدير عام مؤسسة الكويت للتقدم العلمي
ص.ب ٢٥٢٦٣ الصفاة - الكويت

تقدم المؤسسة مع الجائزة النقدية ميدالية تقديرية وشهادة تبين مميزات الإنتاج بصورة مقتضبة.

* تمنح جائزة الكويت لأحسن انجاز هندسي أو تقني أو لأحسن اختراع لتطوير العمليات الصناعية في مجال صناعة البترو كيماويات.

منشورات
مركز دراسات الوحدة العربية

- **الصراع العربي ـ الاسرائيلي بين الرادع التقليدي والرادع النووي** (٢٤٨ص ـ ٢٤ ل.ل.) ..... امين حامد هويدي
- **ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٩٠٨ ـ ١٩٨٠ المجلد الاول : المؤلفون ـ القسم الاول : بالعربية**
  (١٠٦٠ ص ـ ١٢٠ ل.ل. للافراد ـ ١٥٠ ل.ل. للمؤسسات) ..... مركز دراسات الوحدة العربية
- **ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٩٠٨ ـ ١٩٨٠ المجلد الثاني : العناوين ـ القسم الاول : بالعربية**
  (٤٠٠ ص ـ ٥٠ ل.ل. للافراد ـ ٦٠ ل.ل. للمؤسسات) ..... مركز دراسات الوحدة العربية
- **النظام الاقليمي العربي** ... طبعة ثالثة مزيدة ومنقحة (٢٧٢ ص ـ ٢٤ ل.ل.) ..... جميل مطر ود. علي الدين هلال
- **التطور التاريخي للانظمة النقدية في الاقطار العربية** (٤٧٢ ص ـ ٤٠ ل.ل.) ..... د. عبد المنعم السيد علي
- **مشكلة التضخم في الاقتصاد العربي** (١٣٢ ص ـ ١٢ ل.ل.) ..... د. محمود عبد الفضيل
- **مصر والعروبة وثورة يوليو** (٤٠٠ ص ـ ٣٢ ل.ل.) ..... د. سعد الدين ابراهيم وآخرون
- **الفكر الاقتصادي العربي وقضايا التحرر والتنمية والوحدة** (٢٤٨ص ـ ٢٠ ل.ل.) ..... د. محمود عبد الفضيل
- **المواصلات في الوطن العربي** (٤٠٤ص ـ ٢٢ ل.ل.) ..... د. ناجح محمد خليل وآخرون
- **دراسات في التنمية والتكامل الاقتصادي العربي** (٤٧٦ ص ـ ٤٠ ل.ل.) ..... د. انور عبد الملك وآخرون
- **السياسة الامريكية والعرب** (٣٠٨ ص ـ ٢٤ ل.ل.) ..... د. خيرية قاسمية وآخرون
- **يوميات ووثائق الوحدة العربية ١٩٨١**
  (١٠٧٨ ص ـ ٩٥ ل.ل. للافراد ١٥٠ ل.ل. للمؤسسات) ..... مركز دراسات الوحدة العربية
- **التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية**
  (٥٣٨ص ـ ٤٤ ل.ل.) ..... د. محمد المنجي الصيادي وآخرون
- **المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية** (٥٥٦ص ـ ٤٥ ل.ل.) ..... د. علي شلق وآخرون
- **الامكانات العربية** (١٣٦ ص ـ ١٢ ل.ل.) ..... د. علي نصار
- **صور المستقبل العربي** (٢١٢ص ـ ١٦ ل.ل.) ..... د. ابراهيم سعد الدين وآخرون
- **النظام الاجتماعي العربي الجديد** (٢٠٤ ص ـ ٢٤ ل.ل.) ..... د. سعد الدين ابراهيم
- **تجربة دولة الامارات العربية المتحدة** (٨١٦ ص ـ ٦٠ ل.ل.) ..... د. محمود علي الداود وآخرون
- **يوميات ووثائق الوحدة العربية ١٩٨٠**
  (١٠٦٤ص ـ ٩٠ ل.ل. للافراد ١٥٠ ل.ل. للمؤسسات) ..... مركز دراسات الوحدة العربية
- **التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر (١٩٥٢ ـ ١٩٧٠)**
  (٤١٦ ص ـ ٢٨ ل.ل.) ..... د. مارلين نصر
- **البعد التكنولوجي للوحدة العربية** (١١٦ ص ـ ١٠ ل.ل.) ..... د. انطوان زحلان
- **القومية العربية والاسلام** ... طبعة ثانية (٧٨٠ ص ـ ٦٠ ل.ل.) ..... د. محمد احمد خلف الله واخرون
- **التكامل النقدي العربي** (المبررات ـ المشاكل ـ الوسائل) (٧٤٠ ص ـ ٥٠ ل.ل.) ..... جون وليامسون وآخرون
- **هجرة الكفاءات العربية** ... طبعة ثانية (٤١٦ ص ـ ٢٨ ل.ل.) ..... د. انطوان زحلان وآخرون
- **التعريب وتنسيقه في الوطن العربي** ... طبعة ثانية (٦٦٨ ص ـ ٥٤ ل.ل.) ..... د. محمد المنجي الصيادي
- **هدر الامكانية** (١٢٨ ص ـ ١٠ ل.ل.) ..... د. نادر فرجاني
- **تحليل مضمون الفكر القومي العربي** ... طبعة ثانية (٣٠٠ ص ـ ١٦ ل.ل.) ..... السيد يسين
- **القومية العربية في الفكر والممارسة** ... طبعة ثانية (٦١٢ ص ـ ٤٠ ل.ل.) ..... د. وليد قزيها وآخرون
- **اتجاهات الراي العام العربي نحو مسالة الوحدة**
  دراسة ميدانية ... طبعة ثانية (٢٧٦ ص ـ ٢٥ ل.ل.) ..... د. سعد الدين ابراهيم
- **النفط والوحدة العربية** ... طبعة ثالثة مزيدة ومنقحة (٢٤٤ ص ـ ١٦ ل.ل.) ..... د. محمود عبد الفضيل
- **ابعاد الاندماج الاقتصادي العربي واحتمالات المستقبل** ... طبعة ثانية
  (٤٢٨ ص ـ ٢٠ ل.ل.) ..... د. عبد الحميد براهيمي
- **دور الادب في الوعي القومي العربي** ... طبعة ثانية (٤٠٨ ص ـ ٣٤ ل.ل.) ..... د. سعدون حمادي وآخرون
- **خطط التنمية العربية واتجاهاتها التكاملية والتناقرية** ... طبعة ثانية (٢٥٦ ص ـ ١٦ ل.ل.) ... د. محمود الحمصي
- **دور التعليم في الوحدة العربية** ... طبعة ثانية (٢٦٨ ص ـ ١٦ ل.ل.) ..... د. سعدون حمادي وآخرون
- **من التجزئة الى الوحدة** ... طبعة ثالثة (٤٠٨ ص ـ ٣٠ ل.ل.) ..... د. نديم البيطار
- **المشرق العربي والغرب** ... طبعة ثالثة (١٧٦ ص ـ ١٢ ل.ل.) ..... د. جلال احمد امين
- **العلم والسياسة العلمية في الوطن العربي** ... طبعة ثالثة (٢٨٤ ص ـ ٢٠ ل.ل.) ..... د. انطوان زحلان

AL MUSTAQBAL AL ARABI

(The Arab Future)

No. 51 May 1983

Published Monthly by Centre For Arab Unity Studies
Address: «Al Mustaqbal Al Arabi»
«Sadat Tower» Bldg. — Lyon Street — P.O.B. 113-6001 — Beirut — Lebanon
Tel. 801582-801587-802234 — Cable :MARARABI — Beirut — Telex MARABI 23114LE

Annual Subscription

— Official Institutions	$ 90
— Individuals: Lebanon	LL 120
Other Arab Countries	$ 50
Elsewhere	$ 70

سعر العدد :

● لبنان ١٠ ل.ل. ● سوريا ١٠ ل.س. ● الاردن ١ دينار ● العراق ١ دينار ● الكويت ١ دينار ● الامارات العربية ١٢ درهماً ● البحرين ١ دينار ● قطر ١٢ ريالاً ● السعودية ١٢ ريالاً ● اليمن ١٠ ريالات ● اليمن الديمقراطية ٥٠٠ فلس ● مصر ١ جنيه ● السودان ١ جنيه ● الصومال ٣٠ شلناً صومالياً ● ليبيا ١ دينار ● الجزائر ١٠ دنانير ● تونس ١,٢٠٠ دينار تونسي ● المغرب ١٢ درهماً ● موريتانيا ١٥٠ اوقية موريتانية ● فرنسا ٢٥ فرنكاً ● المانيا ١٠ ماركات ● ايطاليا ٥٠٠٠ ليرة ● بريطانيا ٢ جنيه ● اميركا وسائر الدول الاخرى ٦ دولارات .